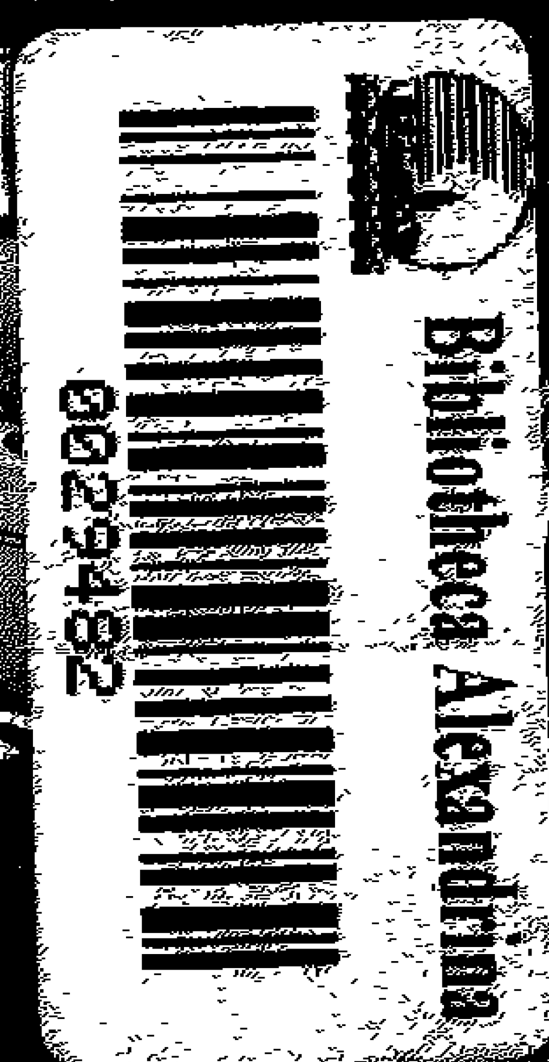
جيمس أنِس

الهجوم على ليبرتي

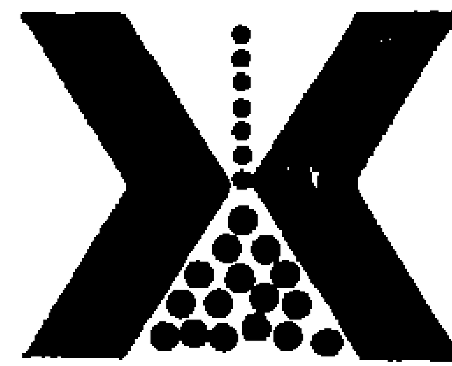
القصّة الحقيقيّة للهُجوم الإسرائيلي على سَفينة استِخبارات أمريكيّة



الهجوم على ليبرتي

القصة الحقيقية للهجوم الإسرائيلي
على سفينة إستخبارات امريكية

الطبعة العربية الأولى ١٩٨٨
صادرة عن



ASSAULT ON THE LIBERTY

The True Story of the Israeli Attack on an American Intelligence Ship

JAMES M. ENNES, JR.

رقم التسجيل الدولي للكتاب : 0-942517-05-9 NEW YORK

LANGUAGE MANAGEMENT CORPORATION
28 Chitron Street, Tofarco House B,
Suite 31, P.O. Box 7238
Nicosia, Cyprus.
Telephone: (3572) 449828
Telecopier: (3572) 453734
Telex: 5554 TFS LMC

Printed by:
Global Printing Agency
Printing and Publishing Consultants
P.O.Box: 11-945
Beirut - Lebanon
Tel: (04) 976107
Tlx: 45963 LE



الهجوم على ليبرتي

في حزيران/يونيو/١٩٦٧ إنقضت طائرات نفاثة إسرائيلية وزوارق طوربيد بوحشية على مركب بحري امريكي، السفينة الامريكية ليبرتي، في المياه الدولية في البحر الابيض المتوسط، بالقرب من شبه جزيرة سيناء. وقد سبق ذلك الهجوم إستكشاف جوي مكثف، إستمر أكثر من ست ساعات، قامت به من مستوى منخفض، طائرات إسرائيلية للاستكشاف المصور، ازت فوق سفينة الاستخبارات ثلاثة عشر مرة، ولم يزد إرتفاعها عن السفينة في بعض الاحيان عن مائتي قدم. لقد استهلت الانقضاض الذي نسق بعناية والذي تبع عمليات الاستكشاف تلك، طائرات نفاثة ذات كفاءة عالية، واعقبتها طائرات نفاثة ابطأ في سرعتها واكثر قدرة على المناورة تحمل النابالم. واخيرا عهد بالهجوم الى زوارق طوربيد مدمرة فجرت ثقبا في جنب السفينة قطره اربعون قدما.

إستمر الهجوم اكثر من ساعتين - واسفر عن مقتل اربعة وثلاثين امريكيا وجرح مائة وواحد وسبعين غيرهم - واحدث بالسفينة ثمانمائة وواحد وعشرين ثقبا، سببتها الصواريخ وطلقات البنادق الرشاشة التي انهالت عليها. وعندما ظلت ليبرتي، بعناد، طافية فوق سطح الماء رغم الاضرار التي لحقت بها، اطلقت القوات الاسرائيلية نيران مدافعها الرشاشة على زوارق نجاتها وارسلت طائرات حوامة تحمل جنودا لانهاء المهمة. في تلك اللحظة وعندما كانت طائرات الانقاذ التابعة للاسطول السادس في طريقها نحو ليبرتي، إعتذرت الحكومة الاسرائيلية وانسحبت القوات المهاجمة فجأة. وعندها فقط عرفت هوية المغيرين.

وقد طمست تفاصيل الهجوم في البلدين امريكا واسرائيل كليهما. وزعمت إسرائيل ان قواتها حسبت ليبرتي سفينة مصرية، وقبلت حكومتنا ذلك العذر بصمت، رغم الادلة التي اثبتت عدم صحته. ثم قللت حكومتنا من اهمية كثافة عمليات الاستكشاف وقسوة الهجوم، وفرضت تعتيما على الاخبار لتبقي على وقائع الحادثة تحت سيطرتها. وكان النص الرسمي لوقائع الحادثة هو انه جرت عمليات إستكشاف فوق ليبرتي ثلاث مرات فقط ومن مسافة بعيدة جدا. واخبر الشعب الامريكي ان الهجوم الجوي دام خمس دقائق فقط تبعه هجوم توربيدي واحد وإعتذار فوري وعرض بتقديم المساعدة.

والآن، وبعد اكثر من اثني عشر عاما من البحث وعشرات من المقابلات مع التنفيذيين الحكوميين والضباط العسكريين والناجين من حادث السفينة ليبرتي، يقوم ضابط سابق عمل بتلك السفينة، وكان موجودا اثناء الهجوم عليها، فكشف النقاب عن التفاصيل الحقيقية الخاصة به ومحاولة حكومتنا حجب الحقيقة عن الشعب.

ولد جيمس م. اينيس، الابن، في نيويورك، نيـوجيرسي، عـام ١٩٣٣ وقضى سنـوات عمره الاولى في الاميدا، بكاليفورنيا. وانخرط في البحرية في أثناء الحرب الكورية عندما كان عمره سبع عشرة عاما.

قضى السيد اينيس معظم سنوات نضجه في البحريـة. ولقـد تـرك الخدمـة لفترة وجيـزة ليحصل على درجة الماجستير في إدارة الاعمال من كلية ولاية سانفرنسيسكو عام ١٩٦١ وعين ضابطا ملازما في البحرية عام ١٩٦٢. ومن عام ١٩٦٥ والى ان تقاعد عن العمل مع البحرية عام ١٩٧٨ كان مكلفا بواجبات متعلقة بالكتابة بالشيفرة.

يعيش الكاتب الان ويكتب في شمال غرب الباسيفيكي. وله وزوجته تيري ثلاثة اطفال، مارك وجولي وكارولين.

اما عن احـداث الحرب، فـإنني لا اجـرؤ على التحدث عنها مستندا على اية معلومات عـرضيـة، لا... ولا وفقا لنزوة من نزواتي الخاصة، إنني لم اصف إلا ما رأيته بنفسي، او ما علمته من آخرين اخضعتهم لتحقيق دقيق وخاص. لقد كانت مهمة تقتضي جهدا......

ثوسيديدس،

تاريخ حرب جنوب شبه جزيرة اليونان، (٤٠٤ قبل الميلاد)

تمهيد

بقلم: توماس هـ. مورر، عميد (متقاعد) في البحرية الامريكية.

إننا نضع بين ايدي القراء العرب الطبعة العربية الاولى من كتاب «الهجوم على ليبرتي»، المترجمة عن الطبعة الخامسة وذلك رغم مرور ثمانية عشر عاما منذ ان هاجت الطائرات الحربية الاسرائيلية وزوارق الطوربيد سفينة تابعة للبحرية الامريكية لعدة ساعات. لقد كانت هوية السفينة واضحة جدا، ليس فقط بسبب شكلها الفريد من نوعه، ولكن بسبب علم امريكي كبير جدا كان يخفق فوقها وقت الهجوم. لقد كان الطقس هادئا وكانت الرؤية ممتازة. وفي اثناء ذلك الهجوم الذي لم يكن له ما يبرره، قتل اربعة وثلاثون من رجال البحرية الامريكية وجرح مائة وواحد وسبعون. ورغم ذلك، وحتى هذا اليوم، يجهل الجمهور الامريكي سبب الهجوم ومن كان متورطا فيه.

وفي رأيي، يجب ان تتقاسم حكومة الولايات المتحدة وحكومة إسرائيل مسؤولية إخفاء الحقائق المتعلقة بهذا الحدث. كما انه لا يسعني القبول بمزاعم الاسرائيليين بان الحادث وقع بسبب خطأ في تحديد الهوية. لقد قدت طائرات لسنوات في زمني الحرب والسلم في طلعات استكشافية فوق المحيط، وتدعم وجهة نظري هذه خبرة واسعة في تحديد مواقع السفن والتعرف على هويتها وهي في البحر. وعلى الانسان ان يخلص الى الاستنتاج، إستنادا الى الطريقة التي عولجت بها هذه المأساة في الولايات المتحدة وإسرائيل على حد سواء، ان هناك معلومات كثيرة لم توضع في متناول الجمهور.

لقد تلقى الاسطول السادس الامريكي الذي كان يتمركز في مكان قريب من السفينة ليبرتي نداء استغاثتها، وارسلت إحدى حاملات الطائرات سربا للدفاع عن المركب الذي شل عن العمل. ولكن قبل ان تصل الطائرات اليها تلقت اوامر من واشنطن تأمرها بالعودة من حيث اتت. من الذي اصدر تلك الاوامر؟ ما زال حتى الان مصدر الاوامر مجهولا. ففي الولايات المتحدة لم تنشر على الملأ قط كل المعلومات المتوفرة للحكومة الامريكية والتي تشير الى اولئك الذين شاركوا في ضبط هذه العملية من واشنطن، ولا النص الدقيق للاوامر التي ارسلت الى اسطول البحر الابيض المتوسط.

اني أدعو كل من يقرأ هذا الكتاب المثير بان يتصل بالكونغرس الامريكي طالبا توضيحا نهائيا وبشكل لا يقبل الشك والى الابد الغموض والتكهنات والاسئلة التي بقيت دون اجوبة والمحيطة بهذه المأساة.

شكر وتقدير

ما كان لهذا الكتاب ان ينجز دون نصح ومساعدة ومساندة نشطة من اناس كثيرين . وإنني لمدين لاشخاص عديدين ما زالوا في خدمة البحرية ، والذين لا تقدر ذكرياتهم المفصلة بمال ، وغيرهم ممن ما زالوا في خدمة الحكومة او الذين انتهى عملهم معها والذين ساعدوني ولكن يجب ان يغفل ذكر اسمائهم هنا . إني مقر بالجميل لجاي هوايت هير ، الذي كان رد فعله ايجابيا بالنسبة لمسودة هذا الكتاب التي كتبتها في وقت مبكر جدا ، ولسيلفستر جوردان ، الذي حثني مرارا وتكرارا على كتابة هذا الكتاب ، وكذلك فإنني ممتن لفيليب سكوت ومارتن الزي بمكتبة ليندون بينز جونسون لاهتمامها الصبور بطلباتي الكثيرة ، وكبير الضباط القانونيين في البحرية الامريكية ومؤرخ البحرية الذين كانت إستجابتهما الفورية واستعدادهما ليكونا مصدرا للمعلومات وهما في الحكومة امرا ملفتا للنظر ، ووزارة الخارجية الامريكية التي اوضحت لي بمماطلاتها التي لا نهاية لها ان عملية إخفاء الحقيقة ما زالت مستمرة ، ولويتي ارمسترونغ وجورج غولدن وديفيد وبولا لوكاس ولويد بينتر وجون سكوت وجورج ويلسون وغيرهم من الذين كانوا قريبين من الهجوم وذلك بسبب مساندتهم النشطة وتعاونهم . واقر بامتناني كذلك لجيمس وجولي كارول وجون كاسيدي وجوز شيريبوغا وجورج كلارن وروبرت وجو آن ديڤاني وپيتر هاتشينسون وروبرت وفران كيفارت ووليام مكولم الابن وروي نوردا وديفيد نورماندين وريتشارد اونيل وذلك بسبب مساندتهم وتشجيعهم . وانا ممتن ايضا لبيير ميون الذي قدم نصيحة مساعدة في اثناء كتابة الكتاب والذي وافق بلطف ، تحت ظروف شاقة ، على إعادة رسم مشاهد المعركة التي علاها الغبار ، ونيل شيهان لتقديمه الكتاب الى راندوم هاوس وتوم وليام لمساعدته في تقديم المؤلف الى نيل شيهان ، ولروبرت وبيغي مارشال وذلك بسبب قيامها بمهام صغيرة مرارا وتكرارا وخدمات المراسلات ونقد النسخة المخطوطة والمساعدة في البحث والتشجيع ، واقدم امتناني كذلك لابنتي جولي للساعات الطويلة التي قضتها في مكتبة الكونغرس وفي غيرها من الاماكن بحثا عن فتات حيوية من المعلومات ، ولابني مارك وجاريّ ديان كامبل وستانلي برايس للمساعدة التي قدماها في تصحيح التجارب الطباعية والنقد ، ولوالدتي مارغريت إينيس التي اقترحت (مع الناشر) عنوان الكتاب ، ولزوجتي تيري لصبرها وقراءاتها المتكررة ونقدها وتشجيعها ومساندتها ، ولليندا شميد ولابنتي كارولين لمساعدتها في كتابة المسرد ولمحررة النص كارولين لومسدين بسبب نظرتها الحادة في البحث عن التفاصيل ، وفي المقام الاول اهدي شكري وتقديري لمحرري ، روبرت لوميس الذي ساهم سعيه الذي لا يني وراء الوضوح والايجاز بصورة لا حد لها في النتاج النهائي .

جيمس م . اينيس ، الابن
تموز/ يوليو ١٩٧٩

المحتويات

كلمة إفتتاحية

لا يختلف تاريخ معركة كثيرا عن تاريخ حفل راقص. فقد يتذكر بعض الافراد كل الاحداث الصغيرة التي تكون حصيلتها كسب المعركة او خسرانها، ولكن لا يستطيع اي فرد ان يتذكر بالضبط ترتيب وقوع تلك الاحداث او لحظات وقوعها، وهذا هو كل الفرق... ولكن اذا كتب تاريخ حقيقي للمعركة فماذا سيحدث لسمعة نصف اولئك الذين ذاع صيتهم بسبب بسالتهم، وهم الذين إذا ما كشف النقاب عن اخطائهم وسوء سلوكهم العرضي فقد يفقدون الكثير من إعتبارهم.

ويلينغتون

خطاب الى مؤرخ، ٨ آب/ اغسطس ١٩١٥

ابحرت سفينة الولايات المتحدة للابحاث الفنية، ليبرتي، من نورفولك في الثاني من ايار/ مايو ١٩٦٧ في رحلة روتينية للقيام باعمال الدورية على طول الساحل الافريقي. وبعد خمسة اسابيع من ذلك التاريخ، شنت، فجأة، قوات جوية وبحرية إسرائيلية هجوما ساحقا على تلك السفينة وهي في المياه الدولية. لقد قصفت ظهورها بنيران المدافع الرشاشة وحرقتها بالنابالم، وشلت حركتها بسبب الاضرار التي الحقتها بها الصواريخ والطوربيدات. اما زوارق نجاتها التي اعدت لانقاذ الناجين من رجالها فقد ضربت بالمدافع الرشاشة وهي في الماء. واسفر الهجوم عن مقتل اربعة وثلاثين من بحارة السفينة واصابة العشرات منهم بجروح خطيرة.

وقبل إجلاء الجرحى من السفينة اسدل ستار كثيف على اخبار الحادث باسره، لانه تقرر عدم رواية وقائعه. اما إخفاقات البحرية الامريكية نفسها فلم يكشف النقاب عنها ابدا ولم يعترف بها وقبلت اعذار إسرائيل الواهية ثم عززت ووفرت لها الحماية.

لقد زعمت إسرائيل ان السفينة ارتكبت خطا حين تواجدت بالقرب من الساحل، و« محاولتها الهرب » بعد ان اطلقت عليها الطائرات النفاثة النار، ولانها لم تطلع الحكومة

الاسرائيلية على موقعها، واخفت حكومتنا، بتسامح، هذه المزاعم عن الرأي العام. لقد زعمت إسرائيل ان الهجوم نتج عن خطأ في تحديد الهوية وقبلت حكومتنا هذا العذر بهدوء.

وبعد ثلاثة اسابيع من الهجوم، سمح البنتاغون بنشر الملخص المطول لمحاضر محكمة التحقيق التي شكلتها البحرية الامريكية، ولكن لم يضف التقرير الا القليل الى المعلومات العامة وفشل في تحديد من تقع عليهم التبعة.

وجاءت الشكاوى من كل صوب.

قالت صحيفة النيويورك تايمز « يترك التقرير المنشور اسئلة كثيرة جدا بدون الاجابة عنها »[1].

وقالت الواشنطن بوست « هذا التقرير البحري ليس جيدا بما فيه الكفاية »[2].

وقالت الواشنطن ستار « لا بد انهم كانوا يعرفون... ان ليبرتي كانت سفينة امريكية »[3].

وقال درو بيرسون وجاك اندرسون « ...لقد خطط للحادث سلفا »[4].

وقالت صحيفة الناشونال اوبزيرفر « الأعمى، وصاحب التصرف اللامسؤول في إستخدام الاسلحة النارية، هما فقط اللذان من الممكن ان يرتكبا مثل هذا الخطأ »[5].

وقال عضو الكونغرس عن ولاية كاليفورنيا، كريغ هوسمر « كان الهجوم متعمدا...... ويجب ان يقدم المسؤولون عنه الى محكمة عسكرية بتهمة القتل..... »[6].

وتساءل توماس ج. ابيرنثي من ولاية ميسيسيبي « كيف يمكن ان يعالج مثل هذا الامر باستخفاف كهذا؟ ما هي الشكوى التي سجلناها؟ »[7].

وقال جون ر. راريك من ولاية لويزيانا « لقد طمست معالم الحادث »[8].

(١) النيويورك تايمز، ١ تموز/ يوليو ١٩٦٧.
(٢) الواشنطن بوست، ٣٠ حزيران/ يونيو ١٩٦٧.
(٣) الواشنطن ستار ٣٠ حزيران/ يونيو ١٩٦٧.
(٤) الواشنطن بوست ١٦ حزيران/ يونيو ١٩٦٧.
(٥) الناشونال اوبزيرفر ٣ تموز/ يوليو ١٩٦٧.
(٦) سجل الكونغرس ـ المجلس ٢٩ حزيران/ يونيو ١٩٦٧ ص ١٧٨٩٣.
(٧) نفس المرجع ص ١٧٨٩٤ ـ ٥
(٨) نفس المرجع ايلول/سبتمر ١٩، ١٩٦٧ ص ١٢١٧٠ ٦.

وبالرغم من الاحتجاج العنيف، نجح جهاز الشؤون العامة في إدارة الدفاع في الابقاء على معظم بحارة ليبرتي بعيدين عن الصحافة والصحفيين. لما لم يكن هناك مشهود عيان تجري معهم المقابلات لم تجد الصحافة اية قصة ترويها.

وقال وزير الدفاع مكنمارا في تقرير لخص فيه موقف وزارة الدفاع بدقة «هذه الاخطاء تحدث بالفعل». وقد حاول السناتور بورك ب. هيكينلوبر عن ولاية ايوا ان يضغط على مكنمارا اثناء جلسة الاستماع الى الشهادات في لجنة الشؤون الخارجية بمجلس الشيوخ ليحصل على توضيح افضل ولكن دون جدوى. فقد اعترف وزير الدفاع بان الهجوم «كان خطأ لا يغتفر في التقدير والتكتيكات الفنية» ولكنه اصر بانه كان خطأ وقع في زمن الحرب ويمكن تفهمه[٩].

وخلافا لذلك لم ينشر في اي مكان الا القليل جدا عن حادث ليبرتي.

وسرعان ما تفرق البحارة وعطلت السفينة. وبدأت في كتابة مذكراتي وإجراء المقابلات والمراسلات مع الناجين الآخرين من الهجوم. وتجميع اجزاء هذه القصة حول حقيقة ما حدث في الثامن من حزيران/ يونيو ١٩٦٧.

(٩) شهادات لجنة العلاقات الخارجية، ١٤ تموز/ يوليو ١٩٦٧.

الفصل الاول

افريقيا ، أوامر مفاجئة ونبوءة

يبدو ان الخوف من الجواسيس مرض مستوطن في كل ازمة تقع في كل حملة عسكرية .

الان مورهيد
غاليبولي ، ١٩٥٦

كانت « ليبرتي » نوعا مختلفا من السفن. ولأنها « سفينة ابحاث فنية »، عملت بمفردها بعيدا عن بقية سفن الاسطول. قالت البحرية ان مهمتها هي القيام بابحاث حول الظواهر الكهرومغنطيسية وبث موجات الراديو وما شابه ذلك. اما الصحفيون فقد اصطلحوا على تسميتها « سفينة تجسس ».

صنعت شركة اوريغون هذه السفينة على عجل للقيام بمهام النقل في الحرب العالمية الثانية وقد وضعت العارضة الرئيسية باسفل هيكلها في الثالث والعشرين من شهر شباط/ فبراير ١٩٤٥ وبعد ان انزلت الى الماء بعد اثنين واربعين يوما فقط من ذلك التاريخ، سلمت الى الهيئة البحرية في الرابع من شهر أيار/ مايو عام ١٩٤٥ وقد سميت السفينة البحرية سايمونز فيكتوري. وقد اجرتها بموجب اتفاقية وكالة عامة خطوط كوستوايز (الشرق الاقصى الباسيفيكي)، سان فرانسيسكو، لتستخدم اثناء الاشهر الختامية للحرب، وبعد الحرب باشرت مهام امدادات عادية مع « خطوط الولايات البحرية » وعملت في المحيطين الاطلسي والهادي.

وفي اثناء الحرب الكورية، عبرت السفينة سايمونز فيكتوري المحيط الهادي ثماني عشرة مرة لامداد ومساندة القوات الامريكية المحاربة في كوريا. وفي اثناء الفترة نفسها قامت بعدد لا يحصى من الرحلات القصيرة في كل انحاء الشرق الاقصى، وكانت تفرغ حمولاتها عادة في خلجان سيونغ وبوسان وكوريا. وفي النهاية، في عام ١٩٥٨ الحقت هذه السفينة وهي منهكة وقد علاها الصدأ بالاسطول الاحتياطي الوطني في بوغيت ساوند باوليمبيا في ولاية واشنطن.

ومع ذلك، فقد كانت للبحرية خططها الخاصة فيما يتعلق بالسفينة سايمونز فيكتوري. لقد كان العمل يجري في ذلك الوقت لتطوير سفن ابحاث فنية لتكون جزءاً من برنامج طموح لقواعد دوائر الاستخبارات المحمولة بحرا. وكانت اول سفن وقع عليها الاختيار للقيام بهذه المهمة ثلاث سفن نقل قديمة من ذلك النوع الذي بني خلال الحرب العالمية الثانية. هذه السفن هي السفينة اوكسفورد والسفينة جورجتاون والسفينة جيمستاون».

ووقع الاختيار على سفينتين اخريين سميتا بيلمونت وليبرتي. وبعد ان حصلت البحرية على السفينة سايمونز فيكتوري من الهيئة البحرية في شباط/ فبراير عام ١٩٦٣ سلمتها الى شركة ويلامت أيرون وستيل كوربوريشن في بورتلاند بولاية اوريغون لتحويلها الى سفينة ابحاث فنية. ولم تكن تلك مهمة سهلة: لقد تطلب العمل اثنين وعشرين شهرا، وكلف عشرين مليون دولار وكان ذلك حتى قبل تركيب المعدات المتخصصة لدورها الجديد.

ولم تكشف الحكومة ابدا عن مهمة سفن الابحاث الفنية باكثر من بيان رسمي يقول: «مهمة هذه السفينة هي القيام بعمليات ابحاث فنية لمساندة مشاريع الابحاث الالكترونية التي تقوم بها بحرية الولايات المتحدة والتي تشمل دراسات البث الالكتروني ونظم الاتصالات المتقدمة».

ويذكر هنا ان كتاب مؤسسة جاينز الخاص بسفن القتال وهو المرجع المعتمد عالميا في مثل هذه المراجع وصف هذه السفن بانها قواعد متنقلة «للبحث في الاتصالات والاشعاعات الالكترومغنطيسية»، واضاف انها «تعتبر سفن تجسس الكترونية». وفي الحقيقة، وبالرغم من تصريحات الحكومة المراوغة، فإن ليبرتي وشقيقاتها من السفن كانت تعرف حقيقتها على نطاق واسع ونحو مكشوف. وكان التجار وفتيات الحانات وبحارة السفن الاخرى يسمون ليبرتي «السفينة الشبح». وكان بحارة ليبرتي يسمون «الاشباح». وعرفت المقصورة التي يعمل فيها «الاشباح» على ظهر السفينة بانها «دكان الاشباح».

اما «الاشباح» انفسهم على كل حال، فإنهم نادرا ما كانوا يقرون بان هناك شيئا ما خاصا او مختلفا فيما يتعلق بعملهم، بل كانوا يزعمون ان لهم وظائف عادية للغاية ومملة. وحتى هذا اليوم فان بحارة ليبرتي مقيدون بقسم صارم للالتزام بالسرية، وهو يحد من حريتهم في مناقشة مهمة السفينة «الابحاثية الفنية».

وقد سميت سفن الابحاث الفنية باسماء مدن وبلدات امريكية. وفي عام ١٩٦٣ كان في امريكا ست عشرة مدينة وبلدة تسمى ليبرتي، بالاضافة الى عدد من القرى والكفور والمدن المحصنة والنواحي والاماكن المشابهة، وقد حملت ليبرتي اسماء كل هذه الاماكن وكان ترتيبها الرابع في سلسلة السفن التي اطلق عليها ذلك الاسم.

وفي اول نيسان/ ابريل عام ١٩٦٤ صنفت ليبرتي بانها سفينة مساعدة غير قتالية من

نوع عام مكلفة بالقيام بمهمة ابحاث فنية ـ وكانت هي السفينة الامريكية الخامسة التي تحددت هويتها بهذه الصورة (AGTR-5) وفي ٣٠ كانون اول/ ديسمبر عام ١٩٦٤ جهزت للعمل ووضعت في الخدمة الفعلية في بريميرتون، واشنطن تحت امرة القائد دانيل ت. ويلاند، الابن[1].

وبعد التجارب البحرية وقبول البحرية الامريكية لها، كلفت « ليبرتي » في النهاية بالعمل في افريقيا، حيث كان عليها ان تتجول ببطء الى ما لا نهاية على طول الساحل من داكار الى مدينة الكاب وبالعكس. وبعد كل بضعة اسابيع كان عليها ان تتوقف للتزود بالوقود والمؤن، وفي تلك المناسبات كان يسمح لبحارتها بقضاء يومين او ثلاثة ايام على الشاطىء في مونروفيا او لواندا او ابيدجان او من حين لآخر شمالا في لاس بلماس، ولكن وفي معظم الحالات لم يكن العمل على ظهر ليبرتي مثيرا.

وعلى كل حال، كان العمل في سفينة الابحاث يعتبر « معززا لمستقبل العاملين فيها، وكان هذا التقييم يضمن إقبال عدد وافر من المتطوعين من أولئك الذين يهتمون بمستقبلهم المهني ويقبلون تحمل العزلة والانفصال عن الاسرة، وهكذا وفي وقت مبكر من عام ١٩٦٧ زرت صديقين، الملازم جيمس ج. « جيم » اوكونر والمقدم ديفيد إي. « ديف » لويس، لأرى ان كان من الممكن الحصول على وظيفة في دائرة ابحاث السفينة (الشبح). ان انفصالي عن اسرتي لم يكن يغريني ولكن كان تحسين المستقبل المهني امرا مغريا بعد سنة قضيتها في هيئة الاركان.

منذ البداية، تركت السفينة انطباعا حسنا في نفسي وكان حارس سطح مؤخرتها حاد النظرات ومتيقظا ومهذبا وخدوما. وكانت السفينة في منتهى النظافة رغم انها كانت في حوض الصيانة في ذلك الوقت. وكان طاقم السفينة المنهمك في العمل ودودا وطيب الخلق. قد بدا على السفينة طابع المرح وشعرت بانها مكان جيد للعمل.

وبعد ساعة او نحو ذلك، هيأنا نفسينا، اوكونور وانا، للهبوط من السفينة والذهاب الى الشاطىء. وبينما كنا نعبر سطح مؤخرة السفينة صاح ضابط الصف المكلف بالحراسة: « السيد اوكونور... ان الضابط التنفيذي يود ان يراك انت وضيفك في حجرته الخاصة قبل ان تغادرا السفينة ».

(١) تولى القائد ويلاند قيادة السفينة اثناء تحويلها واعدادها للعمل وتأثيثها وتأدية التدريب المتخصص وفي اثناء القيام بمهمتين في افريقيا. وفي الخامس والعشرين من نيسان/ ابريل عام ١٩٦٦ تخلى عن قيادة السفينة للقائد وليام ل. مكغوناغل وذهب ليتولى قيادة فرقة الالغام رقم ٤٤.

وقابلنا الرائد البحري فيليب مكوتشيون ارمسترونغ عند باب حجرته الخاصة باسطا ذراعيه وهو يقول « اهـ يا جيم، ادعني « فيل » . ماذا تودان ان تشربا ؟ » .

نشرب؟ ان الشرب على ظهر اية سفينة لجريمة خطيرة. وتحريم البحرية التليد لتناول الخمر على ظهر السفن كان لا يخرقه الا مدمن خمر او بحار يتحلى بشجاعة خاصة. اما تناول الخمر بدون مبالاة على ظهر السفينة فهو شيء جديد بالنسبة لي، وان يفعل ذلك الضابط التنفيذي نفسه فهذا امر لم يسمع عنه من قبل.

قال قائد السفينة محذرا « اقفل الباب » ثم سأل « ويسكي ؟ » .

ولم تكن المسألة بالنسبة لفيليب مجرد جرعة سريعة يرتشفها من زجاجة مهربة. إنه لا يشرب الا الويسكي الاسكوتلاندي ذا البطاقة الحمراء ـ جوني ووكر. ومثله مثل اي مضيف جيد، فقد قدم ايضا البوربون والجن وخليطا منوعا وثلجا طازجا من إناء خاص عازل يحفظ الثلج. ولكي يضمن عدم ذوبان الثلج في الماء الدافىء المتوفر على ظهر السفينة، صب ماءاً مثلجا من صنبور خاص موصول بمبرد ماء موضوع في الممر خارج غرفته الخاصة. وسألت جيم فيما بعد « هل قائد السفينة غير منضبط ومتساهل مثل الضابط التنفيذي ؟ »

واجاب جيم « لا، ابدا. إن القائد مكغوناغل صارم ومنضبط، ويبدو انه لا يعلم ان الضابط التنفيذي يتناول الخمر وهو على ظهر السفينة. إن الضابط التنفيذي يكاد يفعل ما يحلو له. إنه حقا الشخص الذي يحافظ على السفينة متماسكة.

ووجهت لجيم سؤالا رغم انني اعتقدت انني كنت اعرف اجابته « وهل يتناول الضابط التنفيذي الخمرة كثيرا في غرفته الخاصة؟ » .

واجاب جيم، « في معظم الاحيان. إنه يتناول عادة شرابا باردا يكون مخبأ في جاروره او تحت قبعته القابعة على مكتبه، ويكون ذلك اثناء اليوم وعندما تكون السفينة مبحرة. انه يقول دائما انه يعشق تناول كأس من الخمر، وخصوصا الويسكي الاسكوتلاندي، ويزعم انه حقق ثروة طائلة في الاكاديمية البحرية من بيع الخمرة بالكأس الى زملاء صفه الدراسي » .

« وهل القائد مستقيم ؟ »

« مثل السهم » .

وساورني شيء من الريبة وانا اسأل مكتب هيئة مستخدمي البحرية انهاء مهمتي المترفة في هيئة الاركان في سفينة قيادة الاسطول الثاني، الطراد الثقيل نيو بورت نيوز، وان انقل الى السفينة ليبرتي. وفي الوقت نفسه طلب ضابط من السفينة ليبرتي ان ينقل في وقت مبكر، وطلب اصدقائي في ليبرتي من المكتب ان يصادق على طلبي. وبعد مرور بضعة اسابيع

تلقيت اوامر بان اقدم نفسي للعمل في وقت يتفق مع الميعاد المحدد لاعادة تكليف السفينة بالذهاب الى افريقيا في الصيف. وفي اول أيار/مايو، وقبل يوم واحد فقط من ميعاد رحيلها المحدد من نورفولك، حللت محل الملازم جون غيدوسكو، ضابط اللوازم الالكترونية في ليبرتي لاجد نفسي مسؤولاً عن قسم فنيي الصيانة الالكترونية.



تأخر ميعاد مغادرتنا من نورفولك بسبب عطل اصاب احد الخطوط الهيدروليكية، وقد تسبب ذلك العطل في تسرب سائل هيدروليكي ارجواني اللون من سارية احد الهوائيات ليسيل على قسم كبير من ظهر السفينة. وكان فنيو حوض السفن الذين يعرفهم رجالي باسم «طيور الحوض» قد عملوا عدة اسابيع لتركيب انابيب ضغط عال جديدة. وفي اثناء الليل اعلنت «طيور الحوض» ان العمل قد اكمل ونفضوا ايديهم من المهمة دون تصديق اية جهة مسؤولة وبدون إختبار النظام تحت الضغط. والآن وبعد الاختبار، رشح السائل من النظام.

كان قائد السفينة وليام ل. مكغوناغل في مقصورة قيادتها بالفعل يستعد للابحار عندما حملت اليه الخبر. وكانت مراسي السفينة قد رفعت ولم يكن بيننا وبين الانطلاق سوى لحظات عندما طلبت اليه ان نبقى في الميناء لبضع ساعات اخرى حتى اطلب من العمال وقف تسرب السائل. ورغم انه لم يسر بطلبي الا انه وافق على الانتظار على مضض.

وبينما كان الرجال منهمكين في العمل استدعاني مكغوناغل الى مقصورته وقال لي، «الآن، لا اريد هذه المرة إختبارات موسعة. بل انني لا اريد اية اختبارات. واذا لم يوقف الرشح هذه المرة، فلن يجري اصلاحه الا في ايلول/ سبتمبر عندما نعود الى نورفولك».

لقد اتضح فيما بعد ان العمال يكنون مكغوناغل «بالمبحر الدائم»، وهو اصطلاح يطلق على البحار الذي يفضل ان يكون دائما في عرض البحر. انه يشتاق الى البحر ويشعر بقلق واضح وهو في الميناء. ولا يحتمل مطلقا تأخير الابحار بسبب اي شيء يحدث للآلات غير حيوي بالنسبة لتشغيل السفينة. ولا يهم ان كان استخدام وتقييم نظام الهوائيات جزءاً مهماً من مهمتنا.

غادر عمال إصلاح السفينة قبل الساعة ١٥,٠٠ بقليل، وانطلقت ليبرتي في سبيلها بعد ذلك بخمس عشرة دقيقة. وحسب التوجيه الذي تلقيته، لم اختبر النظام الا بعد ان ابتعدنا كثيرا عن نورفولك وعندما اختبرته بالفعل لم اندهش عندما وجدته يرشح بذلك السائل. ولكن بدا الرشح بسيطا وراودنا الامل في ان نتمكن من السيطرة عليه بانفسنا.

وبعد عدة ايام تقاذفتنا فيها امواج المحيط الاطلسي المتلاطمة، وصلنا الساحل الافريقي واتجهنا نحو ابيدجان، عاصمة ساحل العاج واول ميناء تقرر ان ترسو به السفينة حسب جدول ابحارها. وابطأت ليبرتي من سرعتها حتى بلغت اربع عقد، وهي ابطأ سرعة يمكنها

معها ان تستجيب بسهولة لموجهها ثم اخذت تزحف جنوبا.

وبعد وصولنا الى ابيدجان سرعان ما انجذب كل الضباط ومعظم الرجال الى فندق « ايفوريان » وهو فندق تكلفته عالية ولكنه مريح، وجدنا فيه ملاذا للضيافة في مدينة متجهمة وغير مضيافة. وكنا لا نلقى في الاماكن الاخرى من ابيدجان سوى ازدراء الفرنسيين المتغطرسين او تحيط بنا حلقة الوطنيين المعوزين من ابناء ساحل العاج. اما في الفندق، فكنا نشعر وكأننا في بيوتنا. وبالاضافة الى ذلك، فإن ذلك الفندق كان يفخر بانه الوحيد في افريقيا الذي يقدم الهمبورغر على النمط الامريكي. وكنا نشعر بزهو خاص لان طباخي الفندق تعلموا فن طهي الهمبورغر الامريكي من طباخي سفينتنا وذلك رغم ان القطعة الواحدة منه كانت تباع بثلاثة دولارات ونصف الدولار. وفي مقابل دروس فن الطبخ قدم الفندق حسومات متواضعة لبحارة ليبرتي.

وفي اليوم الثاني الذي قضيناه في ابيدجان، عدت منفردا حوالي منتصف الليل من حفل عشاء اقامه الملحق الجوي الامريكي لضباط ليبرتي. وعندما غادرت سيارة الاجرة عند نهاية الرصيف المظلم، مشيت نحو جزيرة النور البعيدة حيث تقف السفينة. وامكنني من بعد، من طرف الرصيف، ان ارى نحو اثني عشر شخصا متحلقين تحت ضوء مصباح الشارع بالقرب من الممر المؤقت الذي نصعد منه الى السفينة. كان الهواء ساكنا ومثقلا بالرطوبة بينما كانت درجة الحرارة تتأرجح حول التسعين (فهرنهايت) وعندما دنوت، استطعت ان ارى ان معظم من رأيت كن نساءاً شابات من ساحل العاج يرتدين الزي الغربي، وكن يتزلفن لبحارتنا بلغة انجليزية مكسرة. وكانت احدى الفتيات بادية الحمل يحرسها شخص اسود ضخم تقف بعيدا عن المجموعة وتتفحص كل بحار عائد بامعان.

وسألت ضابط الصف المكلف بالحراسة، « ما الذي يجري هنا؟ » وجهت هذا السؤال وانا اصعد الى السفينة. وكان ضابط الصف المكلف بالحراسة عريف ملاحين ضخم الجثة يتمنطق بمسدس من عيار ٤٥،٠ مشدود الى حزامه.

واجاب الضابط الحارس، « لا شيء يذكر يا سيدي ». ثم توقف ليضحك ضحكة مكتومة على المشهد الدائر التي تدور احداثه على الشاطىء. واضاف وهو يشير الى البنت الحبلى وحارسها، « ان المرأة الحبلى تلك، تزعم ان احد بحارتنا هو الذي تسبب في حملها عندما كنا هنا في الرحلة السابقة. انها تنتظره لتزف اليه النبأ السعيد. وهي تقول انه سيتزوجها ويجعل منها مواطنة امريكية ».

واومأت قائلا، « اووه اووه. واين الوالد الفخور؟ »

واجاب الحارس، « انه مختبىء في المقصورة. لقد اخبرناها انه نزل الى البر ولكنه لا يفكر في الخروج لمقابلتها ».

« والاخريات، هل هن بائعات هوى محليات؟ »

« نعم سيدي. انهن يمارسن عملهن واقفات خلف صناديق التعبئة مقابل خمسة صناديق من السجائر عندما يعثرن على زبائن. إن رجالنا يتحدثون اليهن فقط ويمزحون معهن قليلا، ولكن لا يذهب في رفقتهن احد ».

كان المقدم البحري بيرشارد « بد » فوسيت يناضل في واشنطن من اجل جدولة سفن الابحاث الفنية. وبينما كان الموقف السياسي في الشرق الاوسط يزداد خطورة، كان رؤساء فوسيت في وزارة الدفاع يلحون على تحريك سفينة ابحاث فنية الى شرقي البحر الابيض المتوسط، بالقرب من منطقة التوتر. وطلب فوسيت مساعدة الملازم جون « تيري » مكتيك، الذي عمل ضابط اتصال هيئة اركان حرب ونقل منذ عهد قريب الى واشنطن بعد جولة في مهمة على السفينة الامريكية اوكسفورد شقيقة ليبرتي.

قال مكتيك، « اعتقد ان ذلك سيكون سهلا. ان ليبرتي موجودة في ابيدجان». واضاف بعد إجراء عمليات حسابية سريعة، « يمكن ان تكون ليبرتي في شرقي البحر الابيض المتوسط في مدة تقارب الاسبوعين، إذا ما حصلنا على تصديق بالتحرك بسرعة ».

ناقش فوسيت ومكتيك تحرك ليبرتي مع رئيس مكتيك المدني، فرانسيس أ. « فرانك » رافين ثم جمعا بعض الموظفين واجتمعا مع رئيس رافين، وهو نائب رئيس القسم. وبعد مناقشة طويلة، وافقت المجموعة ـ ما عدا رافين ـ على ان ليبرتي يجب ان تحرك. واصر رافين على ان الخطة لم تكن حكيمة. وحاجج قائلا « ستكون هذه السفينة بلا دفاع، وإذا اندلعت الحرب، فإنها ستكون وحيدة وتسهل مهاجمتها. ان ايا من الطرفين المتحاربين قد يبدأ بإطلاق النار عليها وان الطريقة الوحيدة التي ستضمن سلامتها هي إقامة دفاع خاص ونظام استخبارات لحمايتها هي فقط، وهذا امر لن يكون عمليا. إنني اقول ان السفينة يجب ان تترك حيث هي »[٣].

كان من الممكن ان تسود وجهة نظر رافين على الاجتماع، ولكنه قوطع عندما استدعي

---

(٣) لم يكن فرانك رافين بيروقراطيا عاديا. ففي عام ١٩٤١ (وفقا لما رواه ديفيد خان، في كتاب « الذين فكوا الكود » [نيويورك: مكميلان، ١٩٦٧] فإن الملازم البحري البالغ من العمر السابعة والعشرين، فرانسيس ١. رافين فك النمط الاساسي للكود الارجواني الياباني. لقد إستطاع رافين مستفيدا من عمل سابق انجزه عالم الكتابة السرية المشهور وليام ف. فريدمان الذي فك المفتاح الارجواني الاساسي، إستطاع رافين ان يكتشف كيفية تكوين المفتاح ـ المفتاح الذي يقود الى المفتاح ـ وبهذه المعرفة استطاع خبراء الكتابة السرية بسرعة فك اسرار معظم الرسائل اليابانية الارجوانية، حتى تلك التي شُفِّرَتْ بالمفاتيح اليومية التي لم تكن قد حلت من قبل.

الى اجتماع في مكان آخر. وتمخض الاجتماع اثناء غيبته عن قرار لم يصادف اعتراضا. ووافق المجتمعون على التوصية بضرورة تحريك السفينة. وطلبت الموافقة النهائية من رئيس القسم، جون إي. موريسون، الابن، وهو عميد في السلاح الجوي. وقد طرح موريسون اسئلة كثيرة قبل الموافقة، ولكنه وافق في النهاية على ان تحرك السفينة ضروري وسليم. ولان الموضوع كان ملحا، وافق على ان يطلب من هيئة رؤساء الاركان المشتركة ان تتولى قيادة السفينة بصورة مباشرة.

كتب مكتيك مسودة الرسالة وكتب عليها «عاجلة جدا» تعطى «الاسبقية»، وهي عبارات تدل على الاستعجال في التسليم وتخصص للتقارير الخاصة بالاشتباك بالعدو. ثم سلمت الرسالة الى المشرفة جين بريور، التي سمحت بارسالها.

صببت قدحا من القهوة ووقفت اتحدث الى رجال الحراسة. ومر الوقت متباطئا بينما كان ضباط السفينة ومعظم الرجال يهيمون على ظهرها. كان اول من جاء القبطان مكغوناغل الذي وصل حوالي الساعة ١٢,٣٠ بمفرده. وتبعه في نصف الساعة التالي بقية ضباط ليبرتي الذين نزلوا من سيارات اجرة صغيرة في مجموعات تتألف من ثلاثة او اربعة اشخاص ليجتازوا الرصيف الذي يبلغ طوله مائة ياردة او نحو ذلك، كل بطريقته الخاصة.

لقد وصل كل الضباط الان الى ظهر السفينة، ولكنني قررت ان اظل مستيقظا الى ان يعود معظم الرجال وينفض الاجتماع المنعقد على الرصيف.

قال مساعد كبير ملاحي السفينة، «في الاونة الاخيرة افرط الرجال افراطا شديدا في الشرب. لقد ظهر مقال في صحيفة قبل رحلتنا الاخيرة كتبته تلك المرأة المتنبئة في واشنطن ـ ما هو اسمها؟»

«ديكسون؟ جين ديكسون؟»

«اجل. تلك هي، جين ديكسون. حسنا، لقد نشر في الصحيفة في نورفولك ان جين ديكسون قالت ان السفينة الامريكية ليبرتي ستغرق. لقد حدث ذلك قبل رحلتنا الاخيرة، ولم يقع شيء، ولكن طوال الرحلة ساور الخوف كثيرا من الرجال. وكان الوضع سيئا حقا في الليلة التي سبقت وصولنا الى مونروفيا. لقد نام عدد كبير من الرجال على سطح السفينة الرئيسي لانهم كانوا خائفين بدرجة منعتهم من النوم في اسفل السفينة»[٤].

(٤) كان جدال كبير بين افراد طاقم السفينة ليبرتي حول النبوءة المنشورة في تلك الصحيفة. وكان بعضهم يؤكد بأنه قرأها في صحيفة ناشيونال إن كويرر. لم تؤكد لي الصحيفة هذا الخبر. ففي كتاب وجّهته لي جين ديكسون في ٣٠ اكتوبر/تشرين الاول ١٩٧٤ نفت أن تكون قد تنبأت أي شيء عن السفينة ليبرتي. وبالرغم من ذلك كان أفراد الطاقم مقتنع بهذه النبوءة. وخلقت هذه القناعة جواً من الذعر على السفينة.

« هل حسبوا ان تلك كانت هي الليلة التي ستغرق فيها السفينة ؟ »

« اجل. ولم يتحسن وضعهم ابدا عندما لم نغرق. ان عددا كبيرا من الرجال يعتقدون ان السفينة مقضي عليها بقدر مشؤوم. وبلغ الامر حدا اخذ فيه احد افراد القوة العاملة على سطح السفينة ـ ويسمونه « الاغريقي » ـ في تدوين مذكراته لينشرها في الكتاب الذي سيؤلفه وعنوانه « الرحلة الاخيرة لسفينة الولايات المتحدة ليبرتي ، او شيء من هذا القبيل ».

« وكل هذا بسبب مقال صحفي واحد ؟ »

« بعد ذلك المقال ، كل شيء يحدث سيذكر الناس بالنبوءة. خذ ما حدث اليوم مثلا ، لقد انفجر انبوب بخار في غرفة المولد الكهربائي وانتشر بخار كثير وعلا ضجيج كثير. وقد مرت فترة من الزمن قبل التمكن من اقفال الصمام لان الحرارة كانت عالية جدا وتعذرت الرؤية بسبب البخار ، ولكن استطاع لوماي في النهاية ان يقفل الصمام ـ بيل لوماي ، الكهربائي من الدرجة الثانية. لقد كان في جناح المرضى ، بعد ان اجريت له عملية الزائدة وما كان مفروضا ان يغادر السرير بعد. ولكنه مع ذلك نزل الى هناك واقفل الصمام. حسنا ، وبعد ان انتهى كل شيء ، سمعت رجلين يتحدثان. قال احدهما كنا محظوظين ، إذ ظننت لبرهة ان تلك كانت هي الحادثة التي ستؤدي الى غرقنا ، وقال الشخص الاخر نعم! إذا تستطيع ان تلاحظ ان عددا كبيرا من الرجال يعانون من التوتر العصبي ».

لقد خفت الحركة على الرصيف بينما كنا نتحدث. ومن حين لآخر يظهر بحار وحيد ويصعد الى سطح السفينة ، ولكن في اغلب الاحيان كان البحر هادئا. وفي هذه الاثناء وقفت نساء ساحل العاج يراقبن السفينة في صمت ومعهن الرجل الواحد الذي يرافقهن. وحاولت إحدى المومسات ان تمارس عملها تحت ظل شاحنة واقفة بالقرب من سلم السفينة ، ولكن احبطت محاولتها عندما حركت الشاحنة لتقف تحت مصباح الشارع. وفي النهاية ، عند الساعة الرابعة صباحا ، صعد معظم بحارتنا الثلاثمائة الى ظهر السفينة وانصرفت الفتيات. وحلت دورية حراسة الصباح محل دورية حراسة منتصف الليل. وعندما قررت الدخول في غرفتي كانت الفتاة الحامل ما تزال صامدة في موقعها تواصل ، مع صديقها الخشن ، مراقبتها الصامتة والحزينة نوعا ما.

صعدت السلم القصير الى سطح السفينة الاول الذي يقع فوق السطح الرئيسي ، متجها الى الغرفة التي اسكنها مع جيم اوكونور. كان جيم الضابط المناوب وكان الضابط الوحيد المتواجد على ظهر السفينة معظم ساعات اليوم. وعندما دخلت الغرفة كان نائما ولكنه كان ما يزال في الخدمة تحت الطلب. وقلت لنفسي وانا استلقي على سريري في انتظار الاستغراق في النوم ، « ان المراقبة التي فرضتها على نفسي لم تكن ضرورية ».

فجأة امتلأت الغرفة بالضوء المنبعث من الممر الموصل اليها بينما دخل بحار يحمل رسالة

الى الضابط المناوب. واستيقظ جيم بسرعة، وامسك بالرسالة ليقرأها تحت الضوء الاحمر الساطع من المصباح الكهربائي ثم استنزل اللعنة بصوت خافت وهو ينزل من السرير العلوي المثبت في السفينة ويجذب سرواله الى اعلى ليرتديه. إن الضابط المناوب لا يستدعى، غالبا، إلا عندما تصل رسائل ذات اهمية قصوى او عندما تكون هناك مسائل اخرى خاصة بعمل السفينة، ولكن كان امرا غير عادي، نسبيا، ان يستدعى عند منتصف الليل للمسائل العادية. وسألت جيم، « ماذا هناك؟ »

وقال جيم متجاهلا سؤالي، « يستحسن ان تنهض انت نفسك ايضا ».

وبعد ان اشعل ضوء الغرفة اضاف قائلا وهو يتأهب لمغادرة الحجرة ليعرض المذكرة على الضابط التنفيذي، « سنبحر ».

وظللت مستلقيا على ظهري مغمضا عيني وانا ما ازال آمل انه، مهما كان فحوى الرسالة، فان الامر اقل خطورة مما يبدو انه جال بخاطر جيم. وحاولت تجاهل الانوار التي تركها جيم مضاءة وكرهته لانه لم يطفئها.

وبعد دقائق قليلة سمعت الضابط التنفيذي يصدر نوعا من الاوامر المستعجلة لشخص ما. ومع انني لم اتمكن من الاستماع الى المحادثة، كان طابعها ينم عن الاستعجال. وبينما كانت الابواب تفتح وتغلق سمعت ضجيجا وقرقرة في وقت كان من المفروض ان يسمع فيه فقط صوت آلات السفينة المعتاد سماعها في فترات الهدوء الليلية. وبات واضحا ان شيئا ما غير عادي يحدث.

وبينما كنت أبحث عن حذائي والنعاس يتملكني، عاد جيم وقال، « ظننت انك ستكون قد نهضت ».

وقلت له، « كنت اظن انك ستخبرني بما جرى. لم كل هذا الانفعال؟ »

وقال جيم، « تلك كانت رسالة من هيئة رؤساء الاركان المشتركة. هل سمع احد من قبل ان هيئة رؤساء الاركان المشتركة تتولى قيادة سفينة بشكل مباشر؟ علينا ان نبحر باسرع فرصة ممكنة وباقصى سرعة لدينا الى روتا في إسبانيا ».

« ولاي سبب؟ »

« الله وحده يعلم. انهم لم يفصحوا عن السبب. لقد قالوا فقط اننا سنتلقى المزيد من الاوامر في روتا ».

« ومتى سنغادر؟ »

« يتوقع القبطان ان نبحر عند الساعة ٠٧٠٠ في اقل من ثلاث ساعات من الان، وهو يتوقع ان يفعل ذلك وكل طاقم السفينة على ظهرها بالاضافة الى مواد غذائية طازجة ايضا.

ستكون الساعات الثلاث القادمة مليئة بالعمل، ولكن القبطان ماغو ينجز عادة ما يريد ان يفعل».

عندما انتهيت من ارتداء ملابسي دوى صوت ايقاظ الجنود الصباحي عبر الجهاز العام الذي تذاع منه اعلانات السفينة، ولم يكن الوقت قد تجاوز بعد الساعة ٤,٣٠.

وقف الملازم جورج غولدين، مهندس السفينة، نصف عار في الممر خارج غرفته الخاصة وهو يوبخ الضباط الشبان الاخرين ويصيح في وجوههم وهم، يمرون حاملين المناشف ومعدات الحلاقة الخاصة بهم والنعاس باد عليهم، «عال، يا من لفظتهم الكلية! لقد اخبرتكم يا ايها الحمقى والحقيرين الذين تقيأتهم الكلية اننا ذاهبون الى الحرب. إن هذا اليهودي غير المثقف ابن الجبل هو الوحيد الذي يعرف حقيقة ما يحدث».

إن غولدين لن يسمح لاي واحد ان ينسى بسرعة انه كان اول من تنبأ بإن ليبرتي ستقوم برحلة في البحر الابيض المتوسط. لقد علم من تقارير الاخبار ان الشرق الاوسط كان على وشك الانفجار من الغليان، وعرف من خبرة ثلاث سنوات قضاها فوق ظهر السفينة ان ليبرتي غالباً ما تذهب الى حيث يكون القتال. وعند وقت الافطار سمعناه يعلن، «نحن ذاهبون لمشاهدة الاهرامات».

إن جورج غولدين الذي يبلغ من العمر اثنتين واربعين سنة قد طاف بالعالم وهو على ظهر مدمرة تابعة لسلاح البحرية الامريكية قبل ان يولد معظم بحارة ليبرتي. لقد خدم في سفن عديدة وشهد كثيرا من المعارك الرئيسية في الحرب العالمية الثانية، ثم رقي فيما بعد الى رتبة ضابط مباشرة سنة ١٩٦٠ من رتبة بحار عادي متطوع. ولم يكن غولدين اكبر الرجال الذين كانوا على ظهر السفينة، ولكنه قضى وقتا في الخدمة الفعلية في البحار اكثر من اي شخص اخر على السفينة واعتبر «اكثر البحارة مرانا وحنكة» في شؤون البحر. وكلما عبرت ليبرتي خط الاستواء كان غولدين هو الملك نبتون (اله البحر) الذي يتولى رئاسة حفل العبور التقليدي. اما الان، فإنه يقوم بهواية محببة الى نفسه تسمى «الاستمرار في مضايقة حمقى الكلية».

وبسرعة كانت السفينة تعج برجال مرهقين كانوا يتوقعون ان يسمح لهم بالنوم الى وقت متأخر بعد سهر الليلة الماضية، ولذلك كانوا اقل إستعدادا للاستيقاظ عند منتصف الليل تقريبًا. ولكنهم استيقظوا بالفعل، او بالاحرى استيقظ معظمهم. ولان غولدين كان مرهقا سمح له مع العديد من المجندين بالنوم، ولكن إستيقظ خمسة وتسعون بالمائة من طاقم السفينة، وارتدوا ملابسهم واستعدوا للعمل بعد عشرة دقائق من نداء اليقظة.

واصيب عدد قليل من البحارة الذين نهضوا باكرا بالدهشة وهم يرون مكغوناغل في مؤخرة سطح السفينة، حافي القدمين ويرتدي ملابسه الداخلية فقط، وهو ينسق التفاصيل

الكثيرة اللازمة للاعداد لابحار السفينة. كان يذرع المكان جيئة وذهابا، وهو ينبح بالاوامر ويتصل بالهاتف ويستدعي الضباط والرؤساء وكأنه غير مدرك لمظهره. لقد كان هناك الكثير الذي يجب ان ينجز.

كان لا بد من العثور على بحارتنا الذين تأخروا في العودة. واستعان فيليب ارمسترونغ بشرطة ساحل العاج، ثم توجه هو شخصيا الى المدينة بشاحنة السفينة ومعه بعض البحارة الذين يعرفون الاماكن التي يتردد عليها الناس في الاوقات المتأخرة من الليل. وحتى في مدينة يبلغ عدد سكانها ١٨٠٠٠٠ نسمة، فإن البحارة الامريكيين يظلون ملفتين للنظر. وفي خلال ساعة كان آخر رجل من المتخلفين قد صعد الى السفينة.

كان من المقرر، بإتفاق مع السفارة الامريكية في ابيدجان، تسليم الامدادات الطازجة الى السفينة في وقت متأخر من ذلك اليوم. واتصل مكغوناغل بالسفارة ووصلت الامدادات قبل الساعة ٠٦,٠٠ مصحوبة بممثل من السفارة ليساعد في حل اية مشاكل قد تطرأ. وفي خلال دقائق قليلة نظمت فرق العمل وحملت الامدادات الى اسفل السفينة وخزنت، ورفعت مركبات السفينة فوق سطحها وثبتت ورفعت كل المراسي إستعدادا للإبحار.

وفي هذه الاثناء، اديرت محركات السفينة وزيد الضغط في الغلايات لاعداد جميع الماكنات ووضعها في حالة الاستعداد للإبحار. وعند الساعة ٠٦,٥٠، عندما صعد المرشد المدني الى ظهر السفينة ليقودنا خارج ميناء ابيدجان المعقد، كان طاقم السفينة قد استعد للقيام بمهمة بحرية خاصةٍ وجاهزا ليمخر عباب البحر. وكان الظلام ما يزال مخيما عندما ابحرنا وكان الرصيف يياليا واختفت فتاة ساحل العاج الحبلى.



لم ير الرسالة العاجلة التي امرنا فيها بالرحيل الا عدد قليل من الضباط، ولم يطلع عليها الجميع إلا بعد ان توغلنا في البحر وتجمعنا حول مائدة جناح الضباط لتناول طعام إفطار تأخر عن ميعاده. ورغم ان الرسالة قد اعيد ترحيلها كما لخ باد بوضوح من قائد اسطول الخدمات الثامن، قائد عملياتنا في نورفولك، الا انه كان واضحا من نص الرسالة ومن رسائل اخرى تلقيناها فيما بعد ان هذا الامر صدر عن هيئة رؤساء الاركان المشتركة:

جاء في الرسالة:

إستعدوا فورا للإبحار. عندما تكتمل الاستعدادات أبحروا باسرع فرصة ممكنة، غادروا ميناء ابيدجان واتجهوا باقصى سرعة ممكنة الى روتا في اسبانيا لتحملوا مواد فنية مساندة ومعدات. وعندما تستعدون اتجهوا الى منطقة العمليات بالقرب من ساحل بور سعيد. سنفيدكم لاحقا بالمناطق المعينة.

رسالة قائد اسطول العمليات الثامن z ٢٤٠٠٢٠ ايار/مايو ١٩٦٧

ستستغرق الرحلة الى روتا التي تبعد ٣٠٠٠ ميلا الى الشمال ثمانية ايام إذا ما ابحرنا باقصى سرعة. ويبدو ان تخمين غولدين كان صائبا. كانت إسرائيل ومصر تتشاجران منذ سنوات، وكانت إشتباكات الحدود امرا عاديا، وكانت الميول الحربية تتزايد عند الجانبين عندما تلاشت فرص التسوية السلمية. وكانت محطتنا المقترحة بالقرب من ساحل بور سعيد تبعد نحو مائة ميل من الحدود الاسرائيلية المصرية.

تلقينا بسرعة، على اي حال، اوامر اخرى وضعتنا في موقع اقرب الى النزاع المتطور. وبعد ان غادرنا روتا، كان علينا مرة اخرى ان نتقدم « وباقصى سرعة » نحو الشاطىء الشرقي للبحر الابيض المتوسط، حيث كانت علينا ان نقوم باعمال الدورية على طول خط يبعد ثلاثة عشر ميلا فقط عن قطاع غزة المتنازع عليه. ومنذ البداية تملك طاقم السفينة خوف عظيم بسبب الاوامر البعيدة كل البعد عن الحكمة، ومن ان الجو السائد كان ساخنا جدا بدرجة لا تسمح لسفينة تجسس محايدة مسلحة تسليحا خفيفا ان تقوم بعمليات دورية غير رسمية على مرمى النظر من منطقة قد تتطور فيها الامور بسرعة لتصبح حربا شاملة، لقد حاول الضباط ان يطمئنوا الرؤساء وحاول الرؤساء ان يطمئنوا الرجال وحاولنا جميعنا ان نطمئن بعضنا البعض ولكن كان كل واحد منا قلقا بسبب هذه المهمة.

كان المساعد الاول البحري رايموند لين نموذجا لذلك القلق. فقد كان من المفروض ان يتقاعد في ذلك الشهر بعد خدمة دامت ثلاثين سنة، احب اثناءها البحرية واستمتع بالسفينة ليبرتي ولم يكن راغبا في مغادرتها. وفي نورفولك طالب « فقط برحلة واحدة » مجرد زيارة ميناء واحد من موانىء ليبرتي». وبطريقة او اخرى تقرر انه من الممكن ان يعود الى الولايات المتحدة على واحدة من الرحلات الجوية للسفارة الامريكية وفي الوقت المناسب ليتوافق مع تاريخ تقاعده. وهكذا، فإن الرئيس لين ما يزال معنا وقد اصيب وهو البحار المحنك بالقلق.

لقد شربنا قهوة البحرية المركزة باكواب كبيرة جدا في مركز الاتصالات بينما كان لين يسرد علي قصته. لقد كانت البحرية هي حياة هذا الرجل. لقد كان بحارا قبل حادث بيرل هاربر ونجا من الحرب العالمية الثانية؛ ولكن هذه المهمة مختلفة.

قال لي وهو يجلس الى مكتبه يفحص الرسائل بحثا عن الاخطاء، « لم ار ابدا شيئا مثل هذه الرحلة. إنه لجنون ان ترسل سفينة غير محمية في مهمة تجسس في منطقة حرب. إن الجواسيس لا يتبخترون هكذا بكل بساطة في وضح النهار بالقرب من الخطوط الامامية للقتال ».

وقلت له، « اراهن ان هيئة اركان الحرب ستسحبنا إذا ما نشبت الحرب. وإذا اندلع إطلاق النار، يجب ان تكون لنا فرصة نتلقى اوامر اخرى في خلال ساعتين ».

قال لين، «آمل ذلك، ولكنني لن اراهن عليه. إنني اظل اعتقد باننا سنبقى في مكاننا هذا معرضين انفسنا للخطر، وما كنت لاكون هنا لو لم استجد القيام برحلة اضافية واحدة. كان من الممكن ان اكون في بيتي اتعلم كيف اجلس على كرسي هزاز. الن يكون من سخرية القدر ان اقتل هنا؟»

الفصل الثاني

اسبانيا

لا شيء يصعب قيادته مثل البحار، اللهم إلا بواسطة ضباطه الخاصين.

خطاب لضابط جيش بريطاني غير معروف،
حملة والشيرين ١٨٠٩،.

في اول حزيران/ يونيو، وصلنا الى محطة البحرية الامريكية في روتا، بإسبانيا، وفي نيتنا البقاء فيها فقط للفترة اللازمة للتزود بالوقود والمؤن. القت ليبرتي مراسيها بسرعة بالقرب من سفينة إصلاح الغواصات المتركزة هناك بشكل دائم، سفينة الولايات المتحدة كانوبوس، وانهمكنا في العمل.

كان ينتظر لقاءنا على الرصيف ثلاثة من مجندي البحرية وثلاثة من الفنيين المدنيين، ارسلوا جميعا الى ليبرتي ليقوموا باعمال مؤقتة فيما يتعلق بمهمتها الجديدة. وكان المدني الان بلو من روكفيل، ماريلاند، غير سعيد تماما بالتحاقه بليبرتي، وقال موضحا سبب ذلك، «لقد عدت من رحلتي الاخيرة في الوقت المناسب تماما لادخال زوجتي المستشفى حيث ستضع وليدها، وهي ما تزال هناك. وبمجرد ولادة الطفل استدعيت الى هذه الرحلة. لقد وجدت بالكاد الوقت الكافي لاودع زوجتي. يا الهي! لو كنت اعلم ان العمل مع الحكومة سيكون كذلك، لعملت مع جنرال موترز».

وبسرعة اوصلت خطوط وقود السفينة بالرصيف، ووصلت الشاحنات وافرغت من حمولتها وحل محلها المزيد من الشاحنات. وقامت صفوف طويلة من البحارة الذين يتصببون عرقا بحمل الغذاء والامدادات الى داخل السفينة.

كان القبطان مكغوناغل، كعادته، متلهفا لانجاز عمله والابحار سريعا، ولذلك لم يوافق الا على مضض على ان يبقى ساعات إضافية قليلة بينما يساعد طاقم اصلاح الغواصات في وقف رشح هيدروليكي آخر حدث في نظام هوائياتنا الجديد. وهذا هو الجهاز نفسه الذي اخر مغادرتنا ميناء نورفولك، وشغل العديد من رجالي منذ ذلك الحين. لقد ظلت تلك

الاداة غريبة الشكل، متقلبة المزاج، على ظهر السفينة نحو عام تقريبا ولم تعمل ابدا اكثر من بضع ساعات في المرة الواحدة، ولذلك كان من المفهوم ان يضيق بها صبر مكغوناغل.

لقد تقطر السائل الارجواني من العديد من توصيلات الانابيب الهيدروليكية. وقد اخبرنا طاقم إصلاح الغواصات ان اي إصلاح سيكون مؤقتا لان حوض السفن يستخدم تجهيزات ذات ضغط منخفض لم تخصص ابدا لاصلاح نظامنا ذي الضغط العالي. وفي النهاية فإن كل التجهيزات يجب ان تستبدل. وفي هذه الاثناء، إعتقد الرجال ان بإمكانهم القيام ببعض الاصلاحات التي تمكن النظام من العمل مرة اخرى حتى ولو بشكل مؤقت.

كان الهوائي يخدم نظام إتصالات تجريبيا يعـرف بـالحروف الاوائليـة TRSSCOMM وتعني «نظام إتصال خاص بسفينة الابحاث الفنية». وهذا النظام عبارة عن اجهزة احساس معقدة وكومبيوترات متطورة وانظمة هيدروليكية حساسة وكاميرات تلفزيونية لها عدسات مقربة قوية تعمل كلها بعضها مع البعض لتبقي الطبق الهوائي الكبير (١٦ قدما) مصوبا نحو الاتجاه السليم. وهذا الطبق مركب على قاعدة متحركة تميل وتدور بصورة لا يمكن التنبؤ بها. ويعكس هذا النظام الذي يلفظ «تريس كوم» موجة إشارية ميكروية قوتها ١٠٠٠٠ واط على قمر الارض الطبيعي الذي يعكسها بدوره الى محطة إستقبال على الارض. ولا تكشف هذه الموجة ذات القدرة التوجيهية الهائلة موقع السفينة ولا تتداخل مع موجات الراديو الاشارية الواردة، كما هو الحال بالنسبة الى اجهزة الراديو المرسلة التقليدية. ولكنه نظام لا يمكن الاعتماد عليه. وكنا نستطيع ان نتصل بصورة جيدة مع شيلتينهام وماريلاند في كل مرة يكون فيها النظام شغالا وتستطيع كلا المحطتين رؤية القمر، ولسوء الحظ نادرا ما توفر هذان الشرطان في وقت واحد [1].

(١) كان TRSSCOMM نظام الاتصال الخاص بسفينة الابحاث الفنية من بنات افكار قائد البحرية ويليام سي. هوايت، نائب مدير الشؤون الادارية في الميدان في مقر هيئة اركان البحرية في واشنطن. تصور القائد هوايت فكرة تكييف نظام نقل موجة ميكروية عن طريق محطة ترحيل من القمر الذي عملت القوات الجوية على التخلص منه لكي يستخدم على سطح سفينة، كان النظام نفسه مشغلا لسنوات، ولكن مستخدما محطات طرفية ارضية. ورتب هوايت أخذ المرسلات المستقبلات الفائضة، وحضر شخصيا امام لجنة مجلس الشيوخ ليناشدها تخصيص المال اللازم للتركيب وإعادة التصميم للمشروع ثم تمكن من تشغيل اول نظام على ظهر سفينة الولايات المتحدة اوكسفورد (AGTR-1) في شباط/ فبراير ١٩٦٤، بعد عمل استمر سنتين. وفي النهاية كوفىء القائد هوايت على جهوده بمنحه نوط تقدير البحرية مصحوبا بتنويه مكتوب يقول: «إن ضخامة هذا الانجاز المتفرد والاكثر اهمية تضعه في صف الاحداث التاريخية في سجل الاتصالات البحرية». ورغم ذلك، فإن هذا النظام لم يعمل ابدا بصورة جيدة على اي من السفن. ورغم ان التصميم والفكرة كانا سليمين، إلا انه لم يتوفر ابدا نظام هيدروليكي قادر على تحمل الهوائي الثقيل لاكثر من ساعات قليلة دون ان ينضح. وفي عام ١٩٦٩، عندما اخرجت

سفن الابحاث الفنية من الخدمة، سمح لهذا النظام ان يموت. ويقول احد خبراء الاتصالات البحرية انه اجرى حسابات اظهرت ان الكلمة في الرسائل القليلة التي ارسلت بواسطة ذلك النظام كلفت دافع الضرائب الامريكي خمسة دولارات.

وعندما اتضح ان الاصلاح سيستغرق الليل باسره، سمح للرجال بالنزول الى الشاطىء حتى منتصف الليل ـ وهذا امتياز يعرف في البحرية باسم « حرية سندرلا ». وتدفق خارج السفينة اكثر من مائتي بحار، وتجمع معظمهم في نادي المجندين الصغير الذي تديره المحطة البحرية.

وبوصفي ضابطا مناوبا في ذلك اليوم، اصبحت بسرعة الضابط الوحيد في سفينة هادئة. وكان معظم الرجال القلائل الذين ظلوا على ظهر السفينة إما مكلفين بالحراسة او ارادوا تعويض النوم الذي حرموا منه في اثناء نوبات الحراسة السابقة. حتى الرجال الذين كانوا يعملون في نظام الـ TRSSCOMM إستطاعوا ان يرتاحوا بينما كانت قطع الغيار الخاصة بجهازهم تعد في سفينة إصلاح الغواصات.

كان فيليب ارمسترونغ يتوقع صيفا حارا وجافا، ولذلك نظم « عملية لجلب الخمر » من احد مخازن بيع الخمور المحلية الكبيرة. لقد حشر اربعة ضباط انفسهم في عربة اجرة اسبانية صغيرة للقيام بالرحلة القصيرة الى المدينة، واشتروا بسرعة اربعة صناديق من الويسكي. ووصل الملازم لويد سي. بينتر وطبيب السفينة، الملازم ريتشارد ف. « دك » كيبفر في عربتي اجرة منفصلتين ليضحكا بينهما وبين نفسيهما على منظر فيليب وهو يحشو صندوقا اخيرا من الويسكي الاسكوتلاندي ماركة « جوني ووكر » ذي البطاقة الحمراء في عربة قد حملت بالفعل اكثر من طاقتها، وشاهدا السيارة وهي تختفي وسط زحام الحركة متجهة في طريق العودة الى المحطة البحرية.

وطلب لويد بينتر والطبيب، وهما يكشفان عن نهم عجيب، صندوقين من البراندي الاسباني وعدة صناديق من الويسكي الاسكوتلاندي والبوربون ومجموعة منوعة من اصناف النبيذ والبراندي والمشروبات الاخرى وانتظرا حتى يحضر صاحب المتجر الكمية الهائلة المطلوبة من الخمور من خلف المتجر. وبينما هما ينتظران، دخل رجل من الشارع ووقف بهدوء بجانب صندوق نقود المبيعات. كان رجلا طويلا ونحيلا يرتدي ملابس عادية. وظنه بينتر امريكيا.

عاد صاحب المتجر بعربة صغيرة تجر باليد محملة بالخمور وطلب ان ندفع ثمنها بالبيزيتا الاسبانية. وسأله بينتر ان كان من الممكن ان يقبل الدفع بالدولار فاجاب الرجل بالايجاب.

وقال الرجل الغريب الذي ظل صامتا حتى ذلك الوقت « إنه لا يستطيع ان يأخذ دولارات! » قال الرجل ذلك بينما دخل صاحب المتجر الى داخل المخزن وهو يحمل

الدولارات التي اعطاه اياها بينتر. واصر الرجل قائلا، «انه لا يستطيع ان يأخذ اية نقود امريكية».

كان بينتر اقصر من الرجل المتطفل ولكنه اعرض جسما واقوى، ولم يكن في مزاج يسمح له بالدخول في ترهات مع الفضوليين والمزوحين ولذلك قرر تجاهله.

وعندما عاد صاحب المحل بالبيزيتات ليعيد لبينتر باقي حساب الدولارات، واخذ يعدها في يد بينتر، زاد الرجل الغريب من رفع صوته. وبات واضحا الان ان الرجل كان ثملا. وقرر الضابطان وهما يساعدان بائع الخمر على دفع الحمولة نحو الشارع ان لا بد ان يكون الرجل ثملا اكثر مما يبدو عليه، او مجنونا.

وصاح الرجل وهو يبرز بطاقة تعريف شخصية تبدو رسمية وقال: «لا! لا تستطيع ان تأخذ هذا. انظر. إنني وكيل حكومة الولايات المتحدة. انك لا تستطيع ان تنفق نقودا امريكية في هذا البلد. يجب علي ان القي القبض عليك».

وعندما تأكد للضابطين ان الرجل معتوه، ونصف ثمل، تجاهلاه بينما استمرا في تحميل عربتي الاجرة المنتظرتين بالصناديق. وبالكاد ترك فراغ للراكبين عندما صعدا العربة. كان بينتر محشورا في وضع غير مريح. ولم تكن عربات الاجرة الاسبانية الصغيرة صالحة، في احسن الاحوال، لاحتواء جسم كيبفر الذي يبلغ طوله ستة اقدام ونصف القدم. ولم يستطع حشر نفسه وسط الشحنة الا بشيء من الحذر والجهد.

واصيب الضابطان بالدهشة وهما يريان خصمهما واقفا امام المتجر يلوح بذراعيه ويصيح بصوت مرتفع يكاد يكون هستيريا، «النجدة! النجدة! استدعوا الشرطة! إعتقلوا هذين الرجلين! النجدة! الشرطة!».

صاح بينتر مخاطبا الطبيب، «هذا الرجل مجنون».

وقال كيبفر، «انه يجمع الناس من حوله».

وقال بينتر لسائقه، «فلنعد الى السفينة».

وقال كيبفر لسائقه بالاسبانية، «اتبع سيارة الاجرة تلك».

وعندما بدأت السيارتان بالتحرك، خطا الرجل في الشارع امام سيارة بينتر مجبرا السائق على التوقف. ثم القى بنفسه على غطاء السيارة الصغيرة واستأنف مناداته الجنونية للشرطة. ثم بدأ سائق العربة التي ركبها بينتر، الذي تمالك اعصابه حتى تلك اللحظة، في التلويح بذراعيه والصياح بالاسبانية.

ظل دك كيبفر في موقعه الضيق يطل على المشهد بينما انتزع بينتر نفسه من عربة الاجرة الامامية المحاصرة. ولملم الرجل الغريب نفسه من على كبوت السيارة في الوقت الذي تقدم

نحوه بينتر وهو يهز كتفيه ويحدجه بنظرة اعتذار ملطفة.

قال بينتر وهو يضرب الرجل بركبته بشدة في اربيته» «انظر يا سيد، لا نريد ان نسبب اية مشاكل». انقلبت عينا الرجل الى الخلف وسقط على الارض مغشيا عليه على رصيف الطريق.

قال بينتر متجاهلا الناس الذين تجمهروا بسرعة، «دعنا نذهب»!

وقال كيبفر ملحا، «انتظر! قد يصاب الرجل بالاذى،» كان كيبفر خارج السيارة الان يتلمس بارتباك حزام الرجل بيد بينما يجس نبضه باليد الاخرى.

في الوقت الذي اخذ فيه الجمهور المذهول يهمهم اصدر كيبفر امرا لي قائلا، «إنه بخير. ساعدني الان على انزال سرواله». وانزل سروال الرجل الغريب وكشف النقاب عن صفن متورم اكد للطبيب بصورة ما ان الرجل لم يصب اصابة خطيرة.

وقال الطبيب، «انه سيعيش. دعنا نذهب».

بدا وكأن معظم سكان روتا كانوا يقفون على رصيف المشاة حين صعد الرجلان الى سيارتي الاجرة من جديد وامرا السائقين بالتحرك.



انهيت عشاءً هادئا بمفردي في حجرة طعام الضباط واخذت اعد نفسي لمشاهدة فيلم سينمائي قديم مع مضيف السفينة المناوب عندما دخل ساع ليعلن بلهجة احتفالية، «يطلب ضابط السطح حضورك الى سطح مؤخرة السفينة».

كان مساعد اول بحري من المحطة البحرية يقف على سطح مؤخرة السفينة ويتحدث الى ضابط ظهر سفينتنا. قال، «سيدي، يجب ان اطلب منك إستدعاء رجالك. إنهم جميعا متجمهرون في النادي الصغير الوحيد في هذا البلد. وقد بدأوا بالخروج عن السيطرة والجو حار وقد نشبت بينهم إشتباكات وهم الان يقذفون قناني الجعة. إنني اخشى من نشوب مشكلة حقيقية إذا لم نحشدهم جميعا على ظهر السفينة».

بعد ان تحدثت الى ضابط السطح لبضع دقائق اخبرته انني لا استطيع إستدعاء جميع البحارة لمجرد ان بعض البحارة القلائل قد خرجوا عن السيطرة. واوضحت له ان الرجال كانوا يعانون من حالة من القلق النفسي بعد قضاء فترة طويلة في البحر وكانوا يتوجسون خيفة من شيء مجهول ينتظرهم. وقلت له إن الاستدعاء التعسفي قد يؤدي الى إنفجار. وعندما فشلت في اقناعه، عرضت ان ارسل رجالا من القسم المناوب في السفينة لزيادة عدد رجال دورية الشاطىء الذين زاد عددهم بالفعل واكدت له انني بالتأكيد سانصاع لاي اوامر صادرة من سلطة اعلى تطلب إستدعاء الرجال. ووافق الضابط في النهاية على إرجاع

الافراد الذين انتهكوا القوانين فقط، وقبل عرضي بإرسال اربعة بحارة اقوياء لدعم القوة التي تقوم بالدورية على الشاطىء.

وبينما كنا نتحدث وصل الى الرصيف بينتر وكيبفر في سيارتي الاجرة المحملتين فوق طاقتيهما بالخمور. وقد نبههما وجود سيارة تقوم بالدورية على الشاطىء الى التجمع الموجود على سطح مؤخرة السفينة. وعاد بينتر، وهو متأكد ان الحادث الذي وقع لهما في المدينة قد سبقتهما اخباره الى السفينة، الى سيارة كيبفر حيث ناقش الضابطان ورطتهما.

وبعد دقائق قليلة لمحاني اترك سطح مؤخرة السفينة.

وفي تخمين صحيح قال كيبفر، «لن يعود. انه ذاهب ليرى بقية الفيلم».

وبعد بضع دقائق رأى كيبفر وبينتر رئيس دورية الشاطىء يغادر السفينة ومعه البحارة الاربعة الاضافيين الذين قدمتهم له. وبما ان كيبفر كان من النوع الذي لا يفوت اية فرصة، تقدم من رئيس دورية الشاطىء وسأله:

«هل هناك مشاكل من قبل مجموعة ليبرتي، يا رئيس؟»

«نعم يا سيدي، مشكلة صغيرة في النادي. ليس هنالك ما لا نستطيع ان نعالجه».

«حسنا»، قال كيبفر وقد تأكد الان ان دورية الشاطىء لا تبحث عنه. واضاف، «قبل ان تغادر اود ان استعين برجالك لبضع دقائق. لقد عدنا لتونا ومعنا بعض وسائل الترفيه في السفينة ومشروبات كحولية للترويح عن النفس ونحتاج بعض المساعدة لخزنها في السفينة».

وهكذا إحال كيبفر المحنة الواضحة الى موقف في صالحه. وحمل رجال خفر الشاطىء حملي السيارتين من الخمور الممنوعة الى ظهر السفينة وخزنوهما بينما كان قائد ضباط الخدمة يشاهد فيلما سينمائيا[٢].



على مدى الساعات القليلة التي تلت، اخذ البحارة المرهقون الملطخون بالدم والمشبعون بالجعة يعودون الى ظهر السفينة مترنحين، وكان الكثيرون منهم في حراسة دورية الشاطىء. وكانوا يجدفون باصوات عالية ويصرون على ان معاملتهم قد اسيئت. وبدا واضحا ان طاقم سفينتنا الذي عادة يتسم بحسن السلوك قد فقد صوابه.

(٢) خمور الترفيه والترويح عن النفس هي الخمور التي يشتريها ضابط الترفيه والترويح عن النفس في السفينة لتستعمل في حفلات السفينة الرسمية، التي تقام دائما على الشاطىء. وما ساعد رجال خفر الشاطىء على حمله لم تكن خمور ترفيه وترويح عن النفس.

وسرعان ما ظهرت دلائل على عدم الرضى. وفي حوالي الساعة العاشرة، جاءني الساعي بنداء آخر عاجل لاذهب الى سطح مؤخرة السفينة. لقد كان الرئيس بينكرت ما يزال مناوبا.

واعلن بينكرت، « مشكلة كبيرة يا سيد اينيس. إن مجنونا يجري طليقا في مقصورة نوم قوة سطح السفينة وهو يحمل مسدسا معبأ. إنه يقول انه سيطلق النار على اي واحد يقترب منه ».

وشققنا طريقنا، بينكرت وانا في المقصورة المظلمة لنجد بحارا اسود اللون شابا ينكمش مرتعدا من الخوف في ركن وهو غير مسلح. وبعد محاولات الاقناع باللين والملاطفة، اخبرنا ان مجموعة من المتغشمرين قد ساموه العذاب وانه سلم المسدس من عيار ٢٢ الذي كان قد خبأه تحت غطاء السرير بعيدا عن متناول يده.

وعدته بالتحقيق في الموضوع، وعرضت عليه ان اطلب من القبطان إظهار بعض اللين نحوه إذا ما ثبت، كما ادعى ان بعضهم قد تغشمر عليه[٣].

وبعد ساعة من ذلك الميعاد استدعيت الى سطح مؤخرة السفينة مرة اخرى بعد ان اعاد رئيس خفر الشاطىء دفعة اخرى من البحارة الجامحين. وتقدم لي بشكوى تتهم البحارة بقذف اكواب وزجاجات جعتهم بصورة منتظمة على جدران النادي. ومرة اخرى تصححته بان يلقي القبض على مثيري الشغب، ولكنني رفضت إصدار امر بإستدعاء شامل لجميع الرجال الى السفينة.

اخذ الرجال يصعدون الان الى سطح السفينة في مجموعات تتكون من عشرة او عشرين شخصا، وكان كثيرون من البحارة الشبان مرضى، ومتعجرفين ويتحرقون شوقا للعراك. وبعد جهد كبير استطاع الرجال الاكثر خبرة كبح جماحهم كما استطاع ضابط السطح بمساعدة معاونيه الحفاظ على النظام بصورة حسنة الى حد ما في الظروف التي كانت سائدة وكما راقبتها من بعد. وفجأة شتم احدهم ولعن وافلتت جهنم من عقالها وكان المشهد اشبه بشغب كبير حين شن ما يزيد عن خمسين رجلا هجوما وحشيا على كل من تصادف وقوفه

(٣) بعد عدة سنوات، علمت ان ذلك الحادث لم يكن بسبب قضية إضطراب عنصري كما بدا لي في ذلك الحين. لقد اخبرني رجال ليبرتي ان ثلاث زمر متباينة كان لها وجود في وسط صفوف صغار المجندين: الشيكانوس، وهم من اصل اسباني ـ مكسيكي، الذين قضوا في الخدمة في معظم الاحيان عدة سنوات ومن ثم تقلدوا مناصب رفيعة نسبيا؛ والسود الذين كانوا في الغالب اصغر سنا من الشيكانوس واقل منهم مرتبة؛ والبيض الذين انتشروا في كل انحاء القطاع وكانوا يشكلون الاغلبية ولكن ليس بالضرورة في السلطة والنفوذ. وكانت الحادثة التي شهدتها، ببساطة، مظهرا خارجيا لصراع كان عادة من درجة ادنى كما كان يخفى عن الضباط والرؤساء.

في مكان قريب منهم.

وصل في هذه اللحظة في سيارتي اجرة ضباط السفينة يقودهم الضابط التنفيذي. وشن الرائد البحري ارمسترونغ هجوما من خلال وسط كتلة الرجال المتعاركين وهو يصيح، «ادخلوا وسطهم! إضربوهم! إضربوهم بعنف اولاد الكلاب». وكان لهذا الهجوم المضاد الذي شنه نحو اثني عشر ضابطا وهم غير ثملين نسبيا، اثر على الرجال وهزهم بدرجة جعلتهم يتوقفون عن العراك على الفور. ووقف الرجال في صمت للحظة، مرتبكين ومصابين بالاحباط، ثم انسحبوا فجأة من على سطح مؤخرة السفينة واتجهوا الى اسفل السفينة حيث توجد مقصورات نومهم فوق سطح السفينة الثاني.

وقفنا، الضابط التنفيذي وانا، وحدنا على بعد اقدام قليلة من سطح مؤخرة السفينة. ومال الضابط التنفيذي على سور السفينة وبحلق بعيدا عبر الرصيف كأنما قد استغرق في تفكير عميق. واخيرا قال، «يجب ان تضربهم. يجب ان تنقض عليهم وتطرد الجنون من رؤوسهم. إنه ليس من الفائدة بشيء ان تطلب من الناس وقف العراك، بل يجب ان تضربهم حتى يفقدوا وعيهم.

ورغم انني لم اوافقه على ذلك، لم يكن ذلك جدل من الممكن لي ان اكسبه. وتحولت محادثتنا للتكلم عن الروح المعنوية عند الرجال، والعراك الذي دار على الشاطىء والخوف الذي بدا وكأنه وراء كل هذه المشاكل. ههنا طاقم سفينة كان الى وقت قريب سعيدا ويعمل بجد. وقد اصبح بين ليلة وضحاها وقحا وغاضبا ولديه روح العداء. قال الضابط التنفيذي، «إن الرجال خائفون. وسبب خوفهم اننا حالما نغادر روتا، فإننا لن نعلم متى نحصل على خطابات او إجازات او المؤن او اي شيء اخر. وبصدور الاوامر بالذهاب الى إسرائيل بالاضافة الى نبوءة ديكسون المجنونة، فقد اصبحت لدى نصف الطاقم قناعة باننا سنغرق. وفجأة قاطعتنا صيحة حادة من مساعد بحري اول وهو يوجه القول لنا، «هنالك شغب في اسفل السفينة!».

وبسرعة جمع فيليب ارمسترونغ معظم الضباط والعديد من الرؤساء وقاد قوة شرطة يسيطر عليها الغضب، الى داخل مقصورة نوم رجال إدارة عمليات الابحاث. وهنالك وجد نحو مائة رجل مندفعين نحو عدو وهمي، بجارة قوى السطح الذين كانوا ينامون في مقصورة امامية.

وقد تجاهلوا الاوامر التي صدرت بصرخات حادة ربما لانها ضاعت في الضوضاء في الوقت الذي كان الحشد الغوغائي يزمجر في قاعة الطعام الخاوية. وبطريقة ما تقدم فيليب الرجال المهاجين، وسد الباب والقي القبض على قادة الشغب. لقد كان الكثيرون منهم

اضخم واقوى من فيليب ولكن لم يكن اي منهم راغبا في تحدي الضابط التنفيذي.

وتراجع الرجال، والتجهم باديا عليهم، الى مقصورات نومهم حيث امروا بجفاء وقحة ان يخلدوا الى النوم. وبينما اخذ بضع ضباط ورؤساء انصاف سكارى يطوفون داخل مقصورة النوم وهم يحاولون صد نحو مائة بحار معظمهم في حالة السكر الشديد والابقاء عليهم في اسرتهم، دفعني ذلك المشهد لافكر في قفص الاسد في السيرك.

واخذ بعض الضباط الذين شعروا بنشوة السلطة واعجبوا بها في هذا الظرف يعنفون الرجال بقسوة. واندفع احد الضباط داخل المقصورة وهو يطارد الرجال الذين ابطأوا في خلع ملابسهم، «انت هناك، إخلع الملابس!».

ورد احد الرجال، «سيدي، لماذا لا تتركنا وشأننا حتى نستطيع ان ننام؟»

واجاب الضابط، «اسكت واذهب الى سريرك»

وسألت نفسي «هل هذه هي السفينة التي تركت ذلك الانطباع الحسن في نفسي قبل زمن قصير جدا بسبب المعنويات العالية التي سادت طاقمها؟»

لقد دفعت تجاوزات بعض «رجال الشرطة» الرجال الى إطلاق بعض الملاحظات البارعة وساعدت هذه على زيادة إساءة المعاملة. وبأمل ان يعمل الصمت والظلام على إستعادة النظام حيث فشل الضبط، اطفأت الانوار على امل ان تنتهي الامور على خير. وفي بضع دقائق ساد الهدوء كل شيء ونام الرجال.

في هذه الاثناء نام البحارة الذين على الظهر في سلام دون ان يعلموا بالهجوم الذي احبط. لقد كانت معركة من جانب واحد فقط.

في وقت متأخر من الصباح التالي، ابلغت القبطان مكغوناغل ان رجال سفينة إصلاح الغواصات قد انجزوا مهمتهم. وكان اولئك الرجال، وقد عملوا طوال الليل، قد صنعوا بعض قطع تركيب تتحمل ضغطا عاليا لاصلاح اسوأ رشح. ومع وجود العديد من مناطق الرشح البسيط في الهوائي فقد اصبح للنظام ضغط كاف يجعله يعمل بصورة مرضية. والى ان يسوء وضع المناطق التي ترشح فمن الممكن السيطرة عليها بإستعمال الخرق وعلب التنك الصغيرة.

الفصل الثالث

البحر الابيض المتوسط

إن القبطان، في المقام الاول، هو السيد الاسمى. فهو لا يطيق اي مراقبة، وهو يجيء ويذهب متى يشاء ولا يحاسبه احد، ويجب ان يطاع في كل شيء.

ريتشارد هنري دانا، الابن،
سنتان من العمل كنوتي 111 (١٨٤٠)

اخذ لويد بينتر، الذي حل محلي في وقت سابق كضابط قيادة مناوب، يقوم بالاستعدادات اللازمة لابحار السفينة. وبينما كان يقف على سطح مؤخرة السفينة مع القبطان مكغوناغل ينتظران مرشد الميناء ليصعد الى ظهرها، وقفت على الرصيف سيارة ليموزين سوداء تشبه السيارات الرسمية.

وسأل مكغوناغل، « ما هذا ؟ »

ورد بينتر قائلا، « لا ادري ايها القبطان. ولكن لا يبدو ان هذا هو المرشد ». قال بينتر ذلك في الوقت الذي توقفت فيه السيارة عند السلم الذي يصل بين السفينة والرصيف. ونزل من المقعد الخلفي للسيارة رجل امريكي بادي الاحترام وصعد على السلم الممتد بين السفينة والرصيف متجها الى سطح مؤخرة السفينة.

وقال الرجل، « اريد مقابلة القبطان ».

قال مكغوناغل وهو يمد يده ليصافحه، « انا القبطان. ما الذي استطيع ان افعله من اجلك ؟ »

واعلن الزائر المتجهم، « انا كبير وكلاء الولايات المتحدة هنا ». وإذا كان قد عرف نفسه او وكالته باكثر من ذلك فان بينتر لم يسمع ما قاله. واضاف الرجل، « سيجب عليك ان تبقى هنا، ايها القبطان. ان اثنين من رجالك قد اعتديا بالضرب على واحد من وكلائي الليلة الماضية، وقد امرت باجراء تحقيق كامل. نحن نعلم انهما كانا اما ضابطين او رئيسين من هذه السفينة ».

وبذل بينتر جهده ليبدو مشغولا بتفاصيل اعداد السفينة للابحار.

وقال مكغوناغل الذي لا يرف له طرف، « ساكون سعيدا ان اتعاون معك باي صورة استطيعها، ولكنني اخشى اننا لا نستطيع ان نجري تحقيقا اليوم. لدي اوامر بان اخرج الى عرض البحر ».

وبدا الرجل وكأنه قد فقد شيئا من ثقته حين نظر من حوله ورأى ان المرشد قد وصل. ووقف الرجال على استعداد لرفع المراسي بينما اتخذت رافعة موقعها استعدادا لازاحة الجسر الذي يصل بين السفينة والشاطىء.

واستمر مكغوناغل يقول، « سنبحر فورا، واقترح ان تترك السفينة في الحال، الا اذا كنت تنوي ان تجري تحقيقك في عرض البحر ».

واجاب الرجل، « هذا امر خطير للغاية ايها القبطان، ويجب ان يعالج. متى ستعود الى إسبانيا؟ »

ورد مكغوناغل، « لست في حل من مناقشة تحركات السفينة يا سيدي، واذا كانت لديك تهمة توجهها ضد احد اعضاء طاقمي، فيجب ان ترسل شكوى مكتوبة عبر القنوات الرسمية. والآن ارجو ان تعذرني، لانني انوي ان ابحر بهذه السفينة ».

ورافق مكغوناغل الزائر الى السلم الذي يصل بين السفينة والشاطىء وحياه بكياسة وعاد ليخاطب بينتر:

« إرفع السلم المؤقت بين السفينة والرصيف، وساصحب المرشد الى منصة ربان السفينة ».

وشعر بينتر بالدم يعود الى رأسه بينما اشار كبير ملاحي السفينة الى عامل الرافعة ليبعد الجسر. وتحركت سيارة الليموزين السوداء الى نهاية الرصيف وتوقفت. وراقب بينتر السيارة الى ان اصبحت السفينة بعيدة عن الجدار الذي يحيط بالميناء. ولم ير السيارة وهي تتحرك.



مرت السفينة عبر مضيق جبل طارق في وقت متأخر من بعد الظهر، في طريقها الى نقطة تبعد ثلاثة عشر ميلا عن قطاع غزة وعلى بعد ٢٣٠٠ ميلا عن الساحل الشرقي للبحر الابيض المتوسط. وامر القبطان مكغوناغل بتسيير السفينة بسرعة تبلغ سبع عشرة عقدة في الساعة، وتلك كانت تقريبا اقصى سرعة تستطيع السفينة الابحار بها. وخاضت ليبرتي عباب الماء مندفعة كالسهم تهب على سطحها، غالبا، رياح سرعتها خمس وثلاثون عقدة. واستطعنا ان نرى على البعد، ثلاث مدمرات سوفيتية كانت تعدل سرعتها واتجاهها على الدوام لتتوافق مع سرعتنا واتجاهنا ولتبقى باستمرار على بعد نحو ٦٠٠٠ ياردة من جانب ميمنة سفينتنا.

وازداد الخوف من مهمتنا لان رجال قسمي ذكروني بمخاوفهم من ان نتورط في حرب في الشرق الاوسط: كان الرئيس جمال عبد الناصر يتلهف بوضوح للدخول في صراع مع اسرائيل، فقد ابعد من سيناء ٣٤٠٠ رجلا من قوات الامم المتحدة لحفظ السلام. وكانت خطوته الثانية اغلاق خليج العقبة لقطع امدادات النفط الذي يرد من ايران الى اسرائيل وحشد قوة غزو على طول الحدود الاسرائيلية. وكان يبدو ان الحرب ستنشب في اية لحظة. وفي هذا الوقت اخذت سفينة الولايات المتحدة ليبرتي... التي لم تصنع لخوض القتال ولم تدرب عليه ومزودة فقط باربعة مدافع رشاشة غير فعالة من عيار ٠٥٠، طراز براوننغ - تستعد لدخول مسرح الاحداث.

كان الضابط الصغير الرتبة الذي ينوب عني والمسؤول عن الاشارات البصرية ضابط صف بحريا متمرسا. وقد اصيب باحمرار في عينيه ولزوجة في جلده واصبحت نظراته شاردة. وقال لي وهو يذكرني بنبوءة ديكسون التي تناقش كثيرا الان، انه لم يذق طعم النوم لعدة ايام وانتابته كوابيس متكررة تصور له انه علق في مقصورة سفينتنا الغارقة بعد هجوم بالطوربيد. وارسلته الى الدكتور كيبغر الذي وصف لـه مهـدئـآت يتنـاولها اثنـاء النهـار واقراصا منومة يتناولها اثناء الليل. وقد استطاع النوم بفضل تلك الاقراص، ولكنه ظل يعاني من الشلل بسبب الخوف من ان يغرق في مقصورة مملوءة بالماء.



وبمرور الوقت تعرفت بصورة افضل على ضابطنا التنفيذي، المقدم البحري فيليب مككوتشيون آرمسترونغ البالغ من العمر ثمانية وثلاثين عاما. وبدأت اقدر شخصيته الملفتة للنظر ونفوذه الكبير الذي يبسطه على السفينة وبسرعة عرفت ان فيليب كان واحدا من اذكى وافصح الشخصيات التي عرفتها في حياتي واكثرها تحررا ومحبوبا تماما. ولكنه كان يعاني من بعض الانزعاج. كان فيليب، كما رأيناه، مفرطا في شرب الخمر بشكل خاص، ينهل باستمرار، تقريبا، - نحو نصف زجاجة من الويسكي كل يوم. ومع ذلك لم اره ثملا على الاطلاق. وككل شيء آخر في حياته كان يوزع اوقات شربه بحرص وظل تناوله للخمر في نطاق حدود اقامها بعناية. وحافظ على انضباط شديد ونظام صارم حيثما اعتبر ذلك مهما، وتجاهل ببساطة تلك القوانين التي لا يوافق عليها، مثل تحريم البحرية تعاطي الخمور على متن السفن.

إن فلسفة الضابط التنفيذي - وولاؤه المركز لانجاز المهمة المكلف بها والمقرون باحتقار لكل ما هو تقليدي وعدم الاكتراث بالقوانين الخرقاء - قد انتشرت بصمت وسط الضباط وطاقم السفينة، وكادت هذه الفلسفة ان تصبح فلسفة السفينة. ففي الميناء، مثلا، ابطل فيليب عمليا الالتزام بساعات العمل النظامية رغم انه كان يطالب بقمة الاداء، وكان الرجال احرارا في ان يأتوا او يذهبوا كما يحلو لهم، ولكن شريطة ان ينجزوا واجباتهم.

وكانت النتيجة ان بحارة ليبرتي لم يشعروا قط بأنهم كانوا مجبرين على البقاء على ظهر السفينة وهي في الميناء فقط لان ذلك اليوم كان يوم عمل. ومع ذلك يندر ان يترددوا في العمل إلى وقت متأخر عندما كان العمل يستدعي منهم ذلك. وغالبا ما كانوا يعملون طوال الليل او طوال عطلة نهاية الاسبوع بمبادرة منهم شخصيا إذا ما بدا ذلك ضروريا. وايضا فإن الرجال، مثل فيليب، نادرا ما ترددوا في خرق القوانين عندما اعتقدوا ان يفعلوا ذلك دون ان يطالهم عقاب. إن العادات المتحررة التي مارسها فيليب ارمسترونغ وطاقم ليبرتي كانت اكثر من مجرد سر على ظهر السفينة ليبرتي. فقبل ايام من التحاقي بالسفينة للعمل بها، انتحى بي ضابط بالطرادة نيوبورت نيوز وقال لي محذرا، « كن حذرا يا جيم، إن الخمرة تشرب بكثرة في هذه السفينة، واذا لم تحترس فقد تحترق ».

قلت للضابط ملاطفا، « هيا، اخبرني ماذا يجري هنا؟ »

وسرد القصة ببطء، « اعرف ضابطا قام بالتفتيش في ليبرتي ولم يستطع، ببساطة، ان يتجاهل عمليات شرب الخمرة التي رآها. ان المسألة ليست إفراطا في الشرب بقدر ما هي شرب بطريقة مكشوفة وعلى نطاق واسع. هل تصدق ان الضابط التنفيذي قدم للضابط المفتش شرابا؟ يا إلهي! »

كنت على معرفة من قبل بتناول فيليب للخمر على ظهر السفينة وقد شاركته في شرب كأس من الخمر اثناء زيارتي الاولى لها. وسألت الضابط الركن، « هل ضمن الضابط المفتش هذه الواقعة في تقريره؟ »

اجاب محدثي، « لا. لقد كتب تقريرا جيدا ـ ثم قدم تقريرا خاصا للفريق البحري رينكين[1]. إن لليبرتي سمعة حسنة جدا وارمسترونغ ضابط تنفيذي رائع جدا لدرجة انه لا احد يريد ان يتحرك ضده بسرعة. إن الفريق البحري رينكين يخطط لوضع جاسوس على ظهر السفينة ليحصل على تقرير جديد ومؤكد قبل ان يقرر عمل اي شيء ».

ولم يندهش صديقاي جيم اوكونور وديف لويس عندما اخبرتهما بإحتمال وضع جاسوس على ظهر السفينة. وقد اعترفا ان شرب الخمر سرا على ظهر السفينة قد اصبح عاديا وان الرؤساء يستخدمون آلة لتوفير الثلج المسحون للابقاء على الجعة باردة. وقدم بحار ثمل ذات يوم الخمرة لضابط وهو يقود السفينة في مقصورة القيادة. وفي احدى الرحلات الاخيرة، ضبط عدد كبير من البحارة وهم يدخنون المارجوانا في مقصورات نومهم. وأخيرا اتخذت

(١) الفريق البحري هنري الغيرنون رينكين: ولد في ١٩٠٨، صف اكاديمية الولايات المتحدة الامريكية لعام ١٩٣١. وبوصفه قائدا لقوات الخدمة في اسطول الولايات المتحدة في المحيط الاطلسي، فإن الفريق اول بحري رينكين كان قائد عمليات اسطول الخدمات الثامن ومن ثم فقد كان اعلى بدرجة واحدة من تدرج مراتب قيادة ليبرتي.

اجراءات صارمة. لقد قضي على وجود المخدرات، كما يعتقد صديقاي، واصبح تناول الخمرة في السفينة سريا على الاقل وتحت السيطرة.

وسألت، « ماذا كان دور القبطان في كل ذلك؟ »

وقال جيم، « لم يعلم مكغوناغل بذلك ابدا. لقد قرر الضابط التنفيذي ان لا يخبره وإن اكتشف الامر بنفسه فقد احتفظ به دون مشاركة احد به ».

لقد اوضح لويس انه من المستحيل للقبطان الا يكون على علم على الاقل بان الضابط التنفيذي يشرب الخمر. وإذ استطاع الاخرون ان ينجحوا في ان يخفوا عن القبطان تناولهم العرضي للخمرة، فإن الضابط التنفيذي كان يشرب كثيرا ويقابل القبطان كثيرا، الامر الذي يجعل من الصعب إخفاء مثل هذا السر عنه. وعلى كل حال، إذا كان القبطان يعلم، فإنه كان يتفادى المواجهة بحرص شديد. كان مكغوناغل معتادا على التصفير عندما يمشي في منطقة الضباط في السفينة ـ وكان دائما يطلق نفس النغمة من الصفير ـ وقد ساعدت هذه العادة بالتأكيد في إخفاء الخمرة بعيدا عن ناظري القبطان. واستنتج صديقاي ان مكغوناغل كان فقط يتصنع الجهل بالامر إلى ان تتجمع لديه ادلةكافية تبرر عقد محكمة عسكرية او كتابة تقرير حول اللياقة غير المرضية ليتخلص من بعض افراد الطاقم الذين يضبطون متلبسين بشرب الخمر.

وبالاضافة الى كميات الخمرة الكثيرة التي شربها، كان فيليب مدمنا على التدخين ايضا واعترف بانه يدخن خمس علب سجائر فيليب موريس دون فلتر يوميا، او نحو سيجارة واحدة كل عشر دقائق في اثناء فترة صحوه. وفي احدى المرات شاهدته وهو يستهلك اربعين سيجارة اثناء محادثة مسائية. كان يمتص السجائر بحماس بلغ حدا لا يكاد يتيح فيه الفرصة للسيجارة الواحدة بان تكون رمادا قبل ان يطفئها. وغالبا ما يتناول سيجارة اخرى قبل ان تنتهي تلك التي بيده.

ورغم ان هذه العيوب تتضمن توترا معينا، فإن الانطباع العام الذي تركه فيليب هو انه كان يتمتع بضبط للنفس والتحرر من اي ضغط. وكانت يداه الشيء الوحيد الذي يبدو انه يكشف عن توتر داخلي: كانتا ترتعشان. وكشفتا ايضا عن اظافر قضمت بعصبية حتى تراجعت كثيرا واصبحت كالاهلة الصغيرة في نهاية اصابع مليئة بالعقد.

وسأل احدهم فيليب مرة إذا لم يكن يقلق على صحته. وسئل إذا لم يكن يخشى من ان الاكثار من شرب الخمر والشهية النهمة للنيكوتين والنوم غير الكافي وغير هذه من العادات السيئة ستقصر ايام حياته. واجاب فيليب، « بالطبع، فكثيرا ما اخبرت ويتي (زوجته) الا تتوقع بقائي بعد بلوغي سن الاربعين. انني سأكون قد استهلكت ذاتي قبل ذلك، ولكنني سأستمتع بحياتي كثيرا اولا ». وكان فيليب جادا فيما قال. فقد اعد في تورفولك كتاب

« وفاة فيليب ارمسترونغ » الذي فصل فيه وبعناية وفي خطوات مختصرة كل شيء يجب على زوجته التي ستترمل ان تفعله.

وكانت ثقة الرجال وترحيبهم بفيليب تفوق ترحيبهم وثقتهم بمعظم الضباط التنفيذيين الاخرين في السفينة. فالرجال يشعرون بالارتياح معه، وانشأ علاقات صداقة مع الرؤساء بشكل خاص ـ وهذه الحقيقة كانت تغضب مكغوناغل بشكل لا يقبل الشك، إذ انه فعل كل ما بوسعه ليخفف الاتصالات الاجتماعية بين الضباط والرجال المجندين. وكان فيليب يتحدى علنا سياسة القبطان التي لا تقوم على التآخي: كان يتناول طعام الغداء بانتظام في حجرة الطعام الخاصة بالرؤساء، ويشارك في مباريات لعبة الاسهم المريشة الانجليزية التي كان يقيمها الرؤساء وضم الى مجموعة اصدقائه المقربين مساعدا بحريا ومجندا اسود يعمل كخادم.

وفي حين كان رجال ليبرتي مدركين لنواحي ضعف فيليب، الا انهم كانوا في الوقت نفسه يشعرون بدفء شخصيته ويحترموه وكانوا تواقين لارضائه. وبالرغم من ان قيادة مكغوناغل كانت بالتأكيد راسخة في السفينة، الا ان ارمسترونغ كان هو الذي يسير الامور ـ فهو الذي ينفذ اوامر مكغوناغل ويعمل على إنجاحها. وعندما كان مكغوناغل يريد ليبرتي انظف واكثر السفن اناقة في نورفولك، فإن فيليب هو الذي كان يتولى تنفيذ هذا الامر. وعندما كان مكغوناغل يريد من الرجال ان يتدربوا للقيام بتمرين، فإن فيليب كان هو الذي يولد الحماس للقيام بالتدريبات. والى حد بعيد كانت ليبرتي هي ما اراد لها ارمسترونغ ان تكون. وإذا كان طاقم ليبرتي خشن التصرف وصفيقا ولا يوقر الاخرين وحسن التدريب ومؤهلا لان يصمد إذا حدث هجوم مباغت تشنه عليه قوات تفوقه بكثير، فإن نفوذ ارمسترونغ هو الذي ساعد على ذلك.

وكانت ليبرتي، بالتأكيد، سفينة مميزة. وفي اثناء تفتيش لمعرفة مدى الاستعداد العملي الذي اجري قبل اسابيع من التحاقي بها، احرز طاقم ليبرتي درجات اعلى بكثير مما احرزته اي من السفن التي من نوعها، وهو إنجاز ادى في اخر الامر الى منحها وسام الكفاءة القتالية الذي يتوق اليه الجميع. لقد اراد فيليب لسفينته ان تحرز ذلك الوسام وعمل على ان يتعلم رجاله سد الثقوب وإصلاح الاعطاب باسرع مما يفعل رجال اية سفينة في الاسطول. وقد اقسم فيليب ان صندوق الويسكي الذي اعطاه الى الضابط المفتش لم يكن له شأن بالدرجة العالية التي احرزتها السفينة.



عندما دخلت ليبرتي البحر الابيض المتوسط كنت قد قضيت على متنها اكثر من شهر، ولم ار واحدا من افراد طاقمها، ما عدا الضابط التنفيذي، يشرب الخمرة. وسألت زميل حجرتي عن هذا الامر.

ضحك جيم وقال، « إنك لا ترى مظهر شرب الخمرة لان الخبر قد انتشر عن الجاسوس الذي ربما يكون على متن السفينة. ويعتقد معظم الرجال وبعض الضباط انك انت هو الجاسوس المعني ».

عندما كانت ليبرتي في المحيط الاطلسي، كانت، من الناحية الرسمية، تتبع إدارة عمليات القائد العام للاسطول الامريكي في المحيط الاطلسي. وبعد ان دخلت البحر الابيض المتوسط، إنتقلت إدارة عملياتها الى كبير الضباط البحريين هنا كونه قائد اسطول الولايات المتحدة السادس، نائب الفريق بحري وليام انمان مارتين(٢).

ولا تتفق السجلات العسكرية حول الوقت الذي انتقلت فيه بالتحديد مسؤولية قيادة ليبرتي الى قائد اسطول الولايات المتحدة السادس او تتفق حول من الذي كان مسؤولا عن السفينة عندما عبرت البحر الابيض المتوسط(٣) وعلى اي حال، وبصرف النظر عمن كان قائد السفينة المعين اثناء تلك الفترة، فإن تحركاتها كانت فعلا توجه بواسطة هيئة رؤساء الاركان المشتركة في البينتاغون، وان اي قائد تولى مسؤولية السفينة في هذه الفترة ـ مثل الفريق بحري مارتين ـ إنما كان مجرد قناة لنقل اوامر هيئة رؤساء الاركان المشتركة. وبالرغم من ذلك، فإن الفريق بحري مارتين قد اصيب بالفضول بسبب هذه السفينة الخارجة عن قطيعها والتي دخلت الى مجال قيادته حديثا، وحرر رسالة بسرعة رحب فيها

(٢) نائب الفريق بحري وليام انمان مارتين: طيار بحري، ولد عام ١٩١٠؛ تخرج من اكاديمية الولايات المتحدة البحرية، صيف عام ١٩٣٤؛ رقي الى رتبة عميد بحري في اول تموز/يوليو ١٩٥٩، والى فريق بحري في العاشر من نيسان/ابريل عام ١٩٦٧. وهو قائد مزدوج: قائد الاسطول السادس، وقائد لقوات البحرية الضاربة والمساندة في جنوب اوروبا.

(٣) في الوقت الذي تشير فيه كل السجلات العسكرية الى ان ليبرتي غيرت رئاسة قيادة عملياتها واصبحت تحت امرة قائد اسطول الولايات المتحدة السادس في السابع من حزيران/يونيو (اكد هذا التاريخ مكغوناغل ويبدو انه منتزع من الرسائل العسكرية)، فإن ضباط ليبرتي اعتبروا ان السفينة اصبحت تحت قيادة إدارة عمليات اسطول الولايات المتحدة السادس في الثاني من حزيران/يونيو ١٩٦٧. وفي الخطاب المؤرخ ١١ آذار/مارس ١٩٦٨ وبرقم AGTR5/03 5750, رقم متسلسل 145 والذي ارسلته سفينة الولايات المتحدة ليبرتي الى CNO OP – 09B9، يكشف لمؤرخ البحرية انه من بين اشياء اخرى تم تحويل قيادة ليبرتي الى امرة قائد اسطول الولايات المتحدة السادس في الثاني من حزيران/يونيو ١٩٦٧ ـ وهذا يؤكد ما ذهب اليه المؤلف. ان تاريخ تغيير القيادة مهم، لان البحرية تعزي فشل قيادة اسطول الولايات المتحدة السادس في ابعاد ليبرتي عن منطقة الحرب الى ان السفينة كانت تحت امرة القائد العام لقوات الولايات المتحدة في اوروبا، وهو ضابط جيش، الى ٧ حزيران/يونيو وان الفريق بحري مارتين كانت تنقصه صلاحية السفينة قبل ذلك التاريخ.

بالسفينة ليبرتي واعلن عن رغبته في القيام بزيارتها في اليوم السابع من شهر حزيران/ يونيو للقيام بجولة فيها وليستمع الى ملخص قصير عن مهمتها وقدراتها وليعقد اجتماعا مع قائدها.

وساد السفينة اهتياج شديد إستمر ساعات بعد إستلام هذه الرسالة. فمع ان ليبرتي كانت تستقبل بإنتظام كبار الضباط في نورفولك، فإنها وبسبب قضاء سنوات في القيام بمهام معزولة كانت تفتقر الى الخبرة في القيام بالاعمال الخطيرة المتعلقة بنقل الشحنات الحية (تبادل زيارات الضباط) بين سفينتين في عرض البحر.

وعلى مضض ارسلنا رسالة شرحنا فيها ان النقل بالخط المباشر (نقل الفريق بحري على خطوط تربط بين السفينتين) امر لا ننصح به لعدم خبرتنا، وان إستخدام الطائرة الحوامة امر خطير جدا بسبب ضيق مساحة الهبوط وان الانتقال بقارب صغير يشكل خطرا لانه من الممكن ان يغرق في موج البحر الهائج. وبينما كنا نامل في ان يغير الفريق بحري مارتين رأيه ويبقى في سفينة القيادة، جاءت رسالته الثانية لتؤكد موعد الزيارة وتحدد تفاصيلها. وبدأنا العمل لاعداد ما نود ان نقدمه للفريق البحري ولنلبس السفينة ثوبا قشيبا.

الفصل الرابع

التقدم نحو غزة

بلغ الرسالة
شعار سلاح إشارة جيش الولايات المتحدة

صحونا من نومنا صباح اليوم الثالث من حزيران/يونيو لنجد الرياح السريعة مستمرة في هبوبها والسماء ملبدة بالسحب. واختفت عن الانظار الان المدمرات السوفيتية الثلاث التي رافقتنا ونحن نعبر مضيق جبل طارق. وبعد ان حياني كبير الرؤساء ستانلي (ستان) هوايت، وهو شاب نحيل يمتاز بعبقرية في فن اصلاح الالكترونات، حمل الي الاخبار الحزينة بان رشحا كثيرا قد حدث في جهاز إتصالات سفينة الابحاث الفنية. في ذلك الحين، كنا على وشك إستنفاذ إمتداداتنا من السائل الهيدروليكي الذي كان ذات مرة كافيا لسد إحتياجاتنا.. وكان من الضروري إصلاح الرشح الجديد بسرعة وبصورة إيجابية، وإلا فإن النظام سيكون غير صالح للعمل بسبب نقص السائل. وقمت مع كبير الرؤساء «ستان» بفحص الجهاز الناضح: كانت هناك مجموعة من الانابيب الملتفة حول صندوق توزيع، والسائل الارجواني ينضح من عدة وصلات بالانابيب. ولم يكن من الممكن إصلاح ذلك العطب بسهولة، وإذا ما فشلت جهودنا، فإننا سنتعطل عن العمل بدون السائل الهيدروليكي، وبدافع من اليأس اتفقنا على إتخاذ تدابير حاسمة: سيقوم عمال تركيبات السفينة بلحم مجموعة الانابيب سوية بشكل ثابت عند كل خط التحام وارتباط بينها وقد تشكل إزالة هذا اللحام مشكلة في المستقبل، ولكن الرشح في النظام يجب ان يتوقف في الوقت الحاضر.

وصعدت ليبرتي من مستوى تدريباتها. لقد جدول الضابط التنفيذي تدريبات كثيرة للتدريب على شغل مراكز الواجبات في حالة الطوارىء باقصى سرعة. لقد استدعيت فرق مكافحة الحريق واخرجت خراطيم المياه وسحبت الى مواقع حرائق خيالية، وتدربت فرق التحكم بالاضرار وجددت خبرتها بشكل دقيق فيما يتعلق بفنون سد الثقوب وإستخدام كتل الاخشاب العملاقة لتسند الحواجز الصادة للمياه حول مقصورات يفترض انها قد

اغرقتها المياه. واستطاع اولئك الرجال يقودهم الملازم جون سكوت، تحديد مواقع «وإصلاح» صادات المياه التي أضعفت والفيضانات الوهمية في دقائق قليلة. وساعدت التمرينات على تلبية الاحتياج الى التدريبات المنتظمة في السفينة، كما ساعدت، وهو الاهم الان، في ان تشغل طاقم السفينة الذي يزداد قلقه بإستمرار وتزيد من إطمئنانه.



جاء يوم الاحد الرابع من شهر حزيران/يونيو حاملا معه الرياح والامطار مع «رتابة يوم العطلة العادية». وفي مركز التنسيق على سطح السفينة الثالث علق احدهم خريطة كبيرة للبحر الابيض المتوسط موضحا عليها مسار ليبرتي. وفي مقدمة مسار ليبرتي اوضح مسار سفينة اخرى تتقدم نحوها، وكانت تلك هي سفينة البحرية الامريكية «برايفيت خوزيه ف. فالديز[1]»، وهي سفينة اصغر بكثير ولكن عمرها اكبر سناً من ليبرتي وتقوم «بمهمة مشروع خاص» (وهو وصف ملطف يطلق على السفن التي يقودها مدنيون وتجمع المعلومات التجسسية)، وقد كانت تلك السفينة في طريقها الى الوطن. وعرفت فالديز على الخريطة بانها الاتصال أ. بالنسبة لليبرتي. ورسم على ميمنة ليبرتي حرف x بخط خفيف بقلم الرصاص. ولم يوضح على الخريطة ما يرمز اليه الحرف x ولم يبد ان احدا كان على علم بمدلوله.

كانت غرفة التنسيق هي قلب وروح إدارة عمليات الابحاث. وقد ضم ذلك المكتب الكبير الواقع مباشرة تحت خط ماء السفينة المحللين وكاتبي التقارير، وكان مكانا يعج بالحركة، مليئا بالمكاتب والطاولات التي تستخدم لرسم الخرائط وهي مرصوصة على طول الجدران مع المزيد من المكاتب وخزائن الملفات الموضوعة في وسط الحجرة. وقد كانت جدران غرفة التنسيق في نورفولك قاحلة خالية من الصور وذلك إستجابة لطلب القبطان

(١) ورد في قائمة «السفن المقاتلة» في كتاب جاينز سفينتان خصصتا «للمشاريع الخاصه» او «المهمات الخاصة»: وهما سفينة بحرية الولايات المتحدة برايفيت خوزيه ف. فالديز 961( )GA-T وسفينة بحرية الولايات المتحدة سرجنت جوزيف پ. مولار)GA-T 171(، وفي الكتاب ايضا ان سفينة ثالثة مماثلة، سفينة بحرية الولايات المتحدة، ليوتينانت جيمس إي. روبنسون)GA-T 071(، كانت في الخدمة في عامي ١٩٦٣ و ١٩٦٤. وكان يقود كل واحدة طاقم من البحارة المدنيين، ولكنهما كانتا تحملان مجموعة من العسكريين تتكون من نحو ١٥ ضابطا في كل سفينة ونحو ١٥٠ من مجندي البحرية الاميركية.. وكانت فالديز تعمل عادة بالقرب من الساحل الافريقي؛ اما مولار فقد عملت بالقرب من ساحل كوبا. ويصف كتاب جاينز مهمة السفينتين بانها كانت «جمع معلومات حول الاشعاع المغنطيسي وملاحظات حول الاحوال الجوية لمساندة برامج البحرية البيئية». ولم تنشر وزارة الدفاع ابدا اية معلومات اخرى حول مهام هاتين السفينتين.

مكغوناغل الذي توقع دائما قيام بعض النساء ، من وقت لاخر ، بزيارات للسفينة . وفي اثناء الليلة الاولى في البحر ، غطى الرجال الجدران كلها تقريبا والخزائن والجزء الاكبر من السقف بملصقات من قصاصات من مجلة « بلاي بوي » والمجلات الاخرى المنافسة لها . وفجأة شعت في الغرفة الرتيبة الالوان الزاهية وسادها جو من الاثارة الجنسية والشبق الذي يجدر ان يكون في اكثر بيوت المومسات إزدهارا .

ولكن رغم ذلك كان رجال جديون يقضون ساعات طويلة يقومون باعمال في غاية الاهمية .

في اليوم الخامس من حزيران/يونيو تلقينا الخبر المحتوم بان الحرب قد اندلعت . لقد ردت إسرائيل في النهاية على استفزازات ناصر بقيامها بهجمات مباغتة ساحقة في آن واحد على كل البلاد العربية . وانفجرت واحترقت الطائرات العربية وقاذفات القنابل الروسية الصنع من طراز تيبوليف في كل مكان . إن معلومات الاستخبارات الفائقة اتاحت للطيارين الاسرائيليين عدم المساس بالطائرات الدمى التي قصد بها خداعهم بينما دمروا تدميرا كاملا تقريبا مئآت الطائرات وهي جاثمة على الارض في مصر وسوريا والاردن والعراق . وبعد ان ضمن الاسرائليون السيطرة في الجو ، هاجموا القوات العربية الصحراوية التي لم يكن لها حول . وبدا نجاح إسرائيل مؤكدا لاستغلال الميزة التي حصلت عليها[٢] . الى اقصى حدود الاستغلال .

وفي غرفة التنسيق إستخدم بحار منفعل قلم الرسم اللبادي لرسم علم مصري صغير ، ثم حرق اطراف العلم بولاعة السجائر ليرمز للخراب الذي احدثته الحرب بالنسبة لمصر وعرض العلم الذي يحمل آثار المعركة فوق مكتبه . وعلى مكتب آخر شكل احد انصار إسرائيل مدفعا صغيرا من الورق المقوى ، ورسم نجمة داوود على ماسورته ووجهه نحو العلم المصري . كان كل ذلك نوعا من المزح ، نتج عن الحاجة الى الانفعال مع الدراما العظيمة التي تتكشف احداثها بالقرب من اولئك الرجال . وبسرعة نصبت الاعلام الوطنية للاطراف المتحاربة في كل انحاء الغرفة ، وكانت في معظمها قد اصبحت اسمالا بالية اتلفها الدخان كأنما حدث ذلك في معركة شرسة . وظهرت شعارات الحرب بعدة لغات ، ومن بين هذه شعار « منظمة التحرير الفلسطينية » الذي بدا وكأنه ستارة خلفية للمشهد . وتجادل عدد قليل من الرجال بحماس دفاعا عن العرب ، ناصبين الشعارات العربية فوق مكاتبهم ومتوعدين برمي إسرائيل في البحر ، ولكن كان معظم الرجال يؤيدون إسرائيل بقوة ، وكانوا فخورين بالدرس الذي لقنته « العلوم والتكنولوجيا » « للجهل والشعوذة » .

(٢) انظر حرب الايام الستة لـ راندولف س. شيرشيل وونستون س. شيرشيل (بوسطن : هوغتون ميغلين ١٩٦٧) ، للحصول على تقرير مفصل عن الحرب .

واستؤنفت التدريبات التي تداخلت اكثر من اي وقت مع العمل الروتيني المعتاد. واصبح مركز واجبات ستان هوايت محلا للاصلاحات على سطح السفينة الرابع، فوق جوف السفينة مباشرة. وكان ستان يقضي ساعات عديدة في هذه الغرفة يوميا مع رجل آخر، هو البحار جيمس ليناو، ينتظران بملل إنتهاء التدريبات في مكان آخر من السفينة في الوقت الذي يتأخر فيه عمله هو بالذات عن موعد انجازه.

كان من الواجب على ليناو ان يبلغ بالهاتف عن اندلاع اي حريق او حدوث فيضان او نضح او اي تلف آخر للحجيرات في المنطقة. وكان يستخدم جهازا يثبت على الرأس وهو عبارة عن خوذة قتالية كبيرة صممت بشكل خاص لتسمح بإستعمال التلفون بطريقة مريحة. ومع انه كان من واجب هوايت مراقبة ورشة التصليح إلا ان هذه الورش كانت خالية من الرجال الذين يقومون بالتصليحات لانه لم يكن هناك ما يحتاج الاصلاح. وقد غيّرت مركز واجبه لكي يصبح في مكتبه على سطح السفينة الثاني، حيث كان من الممكن ان يتصل تلفونيا مباشرة مع جميع ورش الاصلاح ويقوم في الوقت نفسه باعماله المكتبية المهمة في اثناء التدريبات التي لم تكن تتطلب مساهمته المباشرة.

استمر الضباط والرجال في ابداء قلقهم المكشوف حول سلامة سفينتنا وعدم إقتناعهم بسلامة مهمتنا. وساد توقع بان تدفع بداية الحرب رؤساءنا الى إعادة النظر في مهمتنا. وعندما لم يصل ما يفيد بتغيير الاوامر الاولى، صاغت ليبرتي مشروع مناشدة لنائب الفريق البحري مارتين تطلب منه إرسال مدمرة لتبقى على بعد خمسة اميال من ليبرتي ولتعمل، في ذات الوقت، كحرس مسلح لها ومركز إتصالات إضافي. واعلن مكغوناغل «حالة إستعداد ثالثة وذلك لنستخدم قدراتنا الخاصة المحدودة لحماية انفسنا على افضل وجه ممكن، وقد عرفت هذه الحالة في مذكرة الى الموظفين الاساسيين في غرفة قيادة السفينة كما يلي: «إبتداءً من الان وفورا، يوضع رجلان في اعلى مقدمة السفينة كمراقبين اضافيين وضمن طاقم المدافع... وعلى المراقبين وطاقم المدافع الموضوعة في اعلى مقدمة السفينة تشغيل المدافع وحماية السفينة في حال وقوع هجوم جوي او بري مفاجىء في الوقت الذي تدعى فيه فرق القيادة العامة... وان يعتبر اي هدف سطحي يتقدم نحو السفينة في إتجاه تصادمي او شبه تصادمي بسرعة خمسة وعشرين عقدة او اكثر عملا عدائيا وان تجهز فورا حالة الاستعداد رقم واحد... وان يعتبر اي إتصال جوي مجهول الهوية يحاول الاقتراب من السفينة في هجوم بالقنابل او القذف بالمدافع الرشاشة او الضرب بالطوربيد عملا عدائيا... إنه لمن الافضل ان نهيىء القيادة العامة للحالات التي تثير الشكوك بدلا من ان نؤخذ على حين غرة ونضع انفسنا في موضع لا نستطيع معه ان نحارب. تصرفوا فورا بما يقتضيه الموقف، ثم اطلعوني على الخطوات التي اتخذت».

ومرت بنا سفينة البحرية الامريكية برايفيت جوزيه ف. فالديز، التي عرفت بالاتصال

« أ » على الخريطة الموجودة في غرفة التنسيق، وكان ذلك في اثناء الليل وكانت تمخر العباب ببطء في اتجاه نورفولك. واصبح الاتصال الغامض x ، في هذه الاثناء، في اتجاه إعتراضي بالنسبة لليبرتي. ومع ذلك، لم يبدو ان احدا كان يعرف من الذي كان يرسم مسار الاتصال x او من اين كانت تأتي المعلومات التي كان يرسم ذلك المسار على اساسها او اي نوع من المراكب هو. والان وقد شقت السفينة فالديز طريقها خارج المنطقة، بقينا وحدنا في شرقي البحر الابيض المتوسط مع سفينة الاتصال x .



في اليوم السادس من حزيران/ يونيو تلقينا رد الفريق بحري مارتين على الطلب الذي قدمناه للحصول على حرس مسلح. وقد ذكرنا الفريق بحري مارتين بما يلي: إن السفينة ليبرتي هي سفينة امريكية واضحة السمات تبحر في مياه دولية وليست طرفا في النزاع وليست هدفا معقولا لهجوم من قبل اية دولة. ووعد في حالة وقوع هجوم غير مقصود او غافل بان تقوم المقاتلات النفاثة من القوة المحمولة في الاسطول السادس بالتحليق فوق رؤوسنا في اقل من عشر دقائق. واختتم مارتين رسالته قائلا انه، بالاضافة الى كل ذلك، فإن اي ضابط قيادي يتمتع بسلطة تخوله الانسحاب من الخطر. لقد رفض طلب الحراسة[٣] .

ولكن حتى في الوقت الذي لم ير فيه قائد الاسطول السادس اي خطر، فإن القائد العام لقوات الولايات المتحدة البحرية في اوروبا بلندن نظر الى الموقف بتأن واعد رسالة تدعو للاتزان ووجها الى قائد الاسطول السادس وليبرتي. جاء في تلك الرسالة:

« لتسهيل قيادة المنطقة والتحكم واية متطلبات ممكنة للحماية في اثناء حرب الشرق الاوسط، فإن قيادة سفينة الولايات المتحدة ليبرتي ستتحول الى قائد الاسطول السادس في 07000IZ JUN 67 . شغلوا ليبرتي وفقا لتوجيهات هيئة رؤساء الاركان المشتركة وذلك للحصول على اقصى حد من الاستفادة من القدرات الخاصة. يمكن تعديل منطقة عمليات السفينة لاسباب تتعلق بالسلامة وكما يمليه الوضع المحلي ».

ثم، وفي اشارة تنذر بالشؤم الى نظام إتصالات لا يمكن الاعتماد عليه، اخبر القائد العام لقوات الولايات المتحدة البحرية في اوروبا مكغوناغل بانه لم يستلم اية تقارير عن مواقع

(٣) نقلنا هذه الرسائل المتبادلة من ذاكرة المؤلف والعديد من ضباط السفينة. ومثل الكثير غيرها من الرسائل، فإن هذه الرسائل لا يمكن ان توجد في ملفات الرسائل المحفوظة في محكمة التحقيق او مختلف وكالات واشنطن.

ليبرتي اليومية خلال الايام الاربعة الماضية[٤].

ولم يساعد كل ذلك في تهدئة خواطر طاقم ليبرتي المتزايد القلق. فمن ناحية، قلل قائد الاسطول السادس من الخطر، ورفض طلبنا للحراسة المسلحة وقطع عهدا، يبدو انه جاء عفويا، بتقديم المساعدة «إذا ما نشأت الحاجة لتلك المساعدة» وهو امر بعيد الاحتمال»، ومن الناحية الاخرى فإن القائد العام لقوات الولايات المتحدة البحرية في اوروبا تحدث عن الحاجة المحتملة للحماية، وامرنا من طرف خفي بإستخدام «الامكانيات الخاصة» لادارة عمليات الابحاث لتقديم إنذار مبكر بالخطر المحتمل، ونصح ان بامكاننا ان نتحرك الى موقع يكون اكثر امنا إذا ما اصبحت الاحوال محفوفة بالخطر.

واستجاب قائد الاسطول السادس لتحذير القائد العام لقوات الولايات المتحدة البحرية في اوروبا بتحرير تحذير خاص به جاء فيه:

«نظرا للموقف العربي الاسرائيلي وعدم امكانية التنبؤ بما ستقدم عليه الجمهورية العربية المتحدة، تحلوا باعلى قدر من اليقظة ضد الهجوم او التهديد بالهجوم. ابلغوا باقصى درجات الاستعجال اي اعمال تهديدية او مريبة موجهة ضدكم او اي انحراف عن خط سير عملكم يمليه تهديد خارجي»[٥].

كان من الممكن ان يوفر قائد الاسطول السادس على نفسه الكثير من الازعاج. يجب الا يندهش احد إذا لم تسلم رسالة قائد الاسطول السادس ما دامت التقارير الاربعة الاخيرة المتعلقة بمواقع ليبرتي قد اختفت ضمن منطقة القيادة التي تشتمل على السفينة. لقد اختفت تلك الرسالة، مثل الكثيرات مثلها التي عنونت لسفينة الولايات المتحدة ليبرتي. وفي هذه الاثناء الغى نائب الفريق بحري مارتين خطته لزيارة ليبرتي. وقد اوضح ان الحروب التي تطورت بسرعة جعلت من المستحيل عليه الابتعاد عن سفينة القيادة.

اعتاد اوكونور على العمل اربع وعشرين ساعة في اليوم، لا يرتاح الا لوقت قصير يغفو فيه مرتديا ملابس عمله. واصبحت تحياته المستمرة وهو يقول: «اواه... يا له من عمل كثير، يا له من عمل كثير!» تثير المضايقة.

ومرة اخرى تعطل نظام الاتصالات الخاص بسفينة الابحاث الفنية. وبالرغم من ان

(٤) رسالة القائد العام لقوات الولايات المتحدة البحرية في اروبا (061357 Z JUNE 1976) مما يثير الاهتمام ان الفقرة «واية متطلبات ممكنة للحماية» اضيفت للرسالة بالحبر بخط اليد في آخر لحظة بواسطة نائب رئيس اركان القائد العام لقوات الولايات المتحدة البحرية في اوروبا. وهذا هو الضابط نفسه الذي اجل بعد يومين من ذلك التاريخ تنفيذ امر هيئة رؤساء الاركان المشتركة بتحريك السفينة الى منطقة نكون فيها اقل عرضة للخطر.

(٥) رسالة قائد الاسطول السادس (062349 Z JUNE 1967).

النظام الهيدروليكي لم يتعطل منذ « عملية اللحام الكبيرة »، فإن الالكترونات بدأت تسبب المتاعب لاول مرة. وكانت المشكلة هذه المرة في جهاز يولد إشارات ذبذبات عالية ويزن عدة مئات من الارطال. وبشق الانفس استطاع العمال إزالة الجهاز المتعطل بإستخدام بكرة رفع الاثقال، وركبوا قطعة الغيار الوحيدة التي كنا نحملها معنا. وقد ابلغت القبطان مكغوناغل ان نظام الاتصالات الخاص بسفينة الابحاث الفنية يجب ان يكون جاهزا للعمل بعد ثماني واربعين ساعة من « تحميص » او بالاحرى تسخين الجهاز الجديد، واننا يجب ان نكون قادرين على مخاطبة شيلتينهام، في ميريلاند، حوالى الساعة الثانية من عصر يوم الثلاثاء الثامن من شهر حزيران/ يونيو.



كان يوم السابع من حزيران/ يونيو مشمسا خاليا من الغيوم، وكان البحر هادئا والنسيم يهب خفيفا عليلا. وكدنا ان نكون وحدنا في شرقي البحر الابيض المتوسط. والسفن القليلة التي شاهدناها كانت كلها تمخر العباب في الاتجاه المعاكس، بعيدا عن الحرب. وقد ذكرني ذلك، بصورة ما، بالحيوانات الخائفة الهاربة من حريق في الغابة. ومررنا بناقلة نفط ضخمة تابعة لشركة تكساكو، وكان قبطانها في مقصورة القيادة يتفحصنا بفضول بنظاراته المقربة. ولا بد انه تعجب من وجودنا في تلك المنطقة وتساءل عما يمكن ان نفعله فيها في مثل ذلك الوقت.

ثم اعطى الامر باجراء تفتيش على اللوازم والمعدات في السفينة، ربما بدافع إحداث تغيير في الرتابة وابعاد تفكير كل واحد منا عن الحرب. وتجري التفتيشات على اللوازم والمعدات بشكل متكرر في سفن البحرية الامريكية بهدف الكشف عن الصدأ وإزالته وكذلك الكشف عن اسباب الرشح ومخاطر الحريق والمعدات التي فيها خلل وغيرها من نواحي النقص. وتقسم السفينة الى مناطق لاجراء التفتيش وتخصص كل منطقة لضابط يجري فيها تفتيشا دقيقا بالقدر الذي تسمح به خبرته. وشملت منطقتي في هذا اليوم مقصورة ربان السفينة والمقصورات العديدة في مقدمة السفينة وحولها. وتكون كل المناطق، عادة، خاضعة للتفتيش، إذ يقف الرجل المسؤول عن المنطقة المعينة مستعدا للاجابة على الاسئلة او تلقي التعليقات. وكنت كلما تقدمت نحو مقصورة، يخطو رجل الى الامام ليقدم نفسه والمكان المسؤول عنه قائلا مثلا: « البحار جونز، صندوق الاصلاحات الامامي جاهز للتفتيش، يا سيدي ». وعندما وصلت الى سطح السفينة الثاني، وجدت مقصورة في يسار السفينة موصدة باقفال ثقيلة. ولم يتقدم احد ليتقبل المسؤولية عن هذا المكان، ولم يعترف احد بالشخص الذي اوكل اليه الاشراف على المكان او لماذا ظلت المقصورة مقفلة، ومع ذلك شعرت ان بعضا من اولئك الرجال الموجودين كانوا يعرفون كل شيء ولكنهم لم يرغبوا في إطلاعي على الحقيقة.

وتملص الرجال وراوغوا وهم يتحاشون الاجابة على اسئلتي. وفي النهاية اخبرني احد الرؤساء بهدوء ان مؤونة فيليب آرمسترونغ الشخصية من الخمور تستقر بهدوء في ذلك المكان. وكان كل واحد تقريبا، على ظهر السفينة، يعرف ما كان موجودا في تلك الغرفة. فكيف إذا يكون القبطان جاهلا بهذا الامر؟ إن توزيع مهام التفتيش هي مسؤولية الضابط التنفيذي، وكان فيليب ببساطة لا يعطي القبطان ابدا مسؤولية تفتيش منطقة السفينة التي تحتوي على مخزونه من الخمور.

وفي خلال فترة ما بعد الظهيرة، وجهت نشرة اخبار اذاعية وتعليق عبر نظام السفينة الترفيهي. وتجمع الرجال حول مكبرات الصوت يستمعون الى نجاحات إسرائيل المذهلة ضد الدول العربية ويستوعبون مناقشات مجلس الامن الحامية المتعلقة بالحرب وعدالة مواقف المشاركين فيها. لقد اكتسحت الدروع والمشاة الاسرائيليون المواقع وهم يزحفون باتجاه الغرب عبر سيناء في الوقت الذي طوقت فيه قوات إسرائيلية اخرى القسم الاردني من مدينة القدس المقسمة. واستولت إحدى الوحدات الاسرائيلية على مطار مهجور في شرم الشيخ على شاطىء البحر الاحمر مطلا على مضيق تيران منهية بذلك بسهولة على حصار خليج العقبة. وسقط الآلاف من رجال القوات العربية قتلى ووقع عدد مماثل منهم اسرى في الوقت الذي كنا نبحر فيه متجهين نحو المعركة.

وضحكنا بيننا وبين انفسنا ونحن نستمع الى مسؤول امريكي وهو يؤكد للصحفيين انه « لا توجد سفينة امريكية في نطاق مائة ميل من ارض القتال ». وقلنا لانفسنا ربما كان هذا صحيحا الان ولكن عند الصبح سنشم رائحة الدخان.



كانت سفينة بحرية الولايات المتحدة برايفيت جوزيه ف. فالديز، وفقا لمخطط التنسيق، ما تزال تتحرك بعيدا عن ليبرتي في اتجاه نورفولك. وتمنى الكثيرون منا ان لو كنا نسير معها. وكانت العلامة الاخرى الوحيدة على الخريطة، عنصر الاتصال غير محدد الهوية x، قد محيت الان. لقد جرى تتبع مسار ذلك الشيء غير محدد الهوية لمدة ايام الى ان اتحد مع مسار ليبرتي، وعندها توقف التتبع فجأة. وسألت جيم اوكونور عما تمثله x، وتلقيت منه ذلك الجواب المحرج نوعا ما وغير المقنع، « لا اعرف » والذي فهمت منه انه كان حقا على معرفة بذلك. وفيما يبدو فقد كنت افتقد الاجازة الامنية المطلوبة التي تخولني الاطلاع على اسرار نشاطات الاتصال x. ومن الواضح انه قد جرى تتبع مسار شيئ ما عبر البحر الابيض المتوسط الى ان اصبح في محازاة او فوق او تحت سفينتنا ليبرتي. وقد خمنت اننا كنا على موعد مع غواصة. وإذا كان ذلك صحيحا، فربما كانت ما تزال معنا، ولم يكن احد يتحدث عنها، على الاقل ليس اثناء حضوري.

عندما حل المساء، علمنا اننا سنرى قطاع غزة في غضون ساعات قليلة، كانت الحرب ما تزال ساخنة، بالرغم من انها قد تحولت الان، في الغالب، الى عمليات تمشيط. واتهمت مصر الولايات المتحدة بالاشتراك في الحرب الى جانب إسرائيل، وقطعت علاقاتها الدبلوماسية معها. وبسرعة تبع مصر في اتخاذ تلك الخطوة الجزائر وسوريا والعراق والسودان واليمن. اما نحن، فقد استرخينا، عالمين بان الاقطار العربية، بقدر ما كانت غاضبة من الولايات المتحدة، فلربما كانت تحدث ضجة فقط لتغطي هزيمتها المذلة. وقد شل ذلك قدرة البلاد العربية ومنعها من شن هجوم خطير، على كل حال. لا شك ان العرب كانوا في حالة الانشغال القصوى بسبب اليهود الهائجين.

وفي وقت متأخر من ذلك المساء، دخلت الغرفة الخاصة بلويد بينتر لاجده وجيم بيرس وفيليب آرمسترونغ وجو بنكيرت وموري بنيت وديك كيبغر وستيوارد تروي غرين وآخرين غيرهم وقد تحلقوا بهدوء حول إناء من الفولاذ الذي لا يصدأ سعته ثلاثة غالونات. وقد بدا على العديد منهم عدم الارتياح عندما شاهدوني، وهم يمسكون اكوابا ورقية خلف ظهورهم او تحت قبعاتهم. ودعاني احدهم للجلوس. وفي النهاية حطم لويد الصمت الثقيل قائلا، «اواه، بحق المسيح، جيم ليس جاسوسا». وبالطبع ابدى كل منهم موافقته على انني لم اكن جاسوسا. واغترف لي احدهم بكوب ورقي شرابا من الاناء الذي كانت تطفو فيه قطع كبيرة من الثلج واقراص من الاناناس في عصير الغريبفروت والروم ونوع من الويسكي.

بمجرد استئناف الحديث قال لويد، «وهكذا، فقد قطعنا ستة آلاف ميل لنشاهد الحرب، وفي النهاية ها نحن نصل بالضبط في الوقت الذي توشك فيه على الانتهاء».

وقال فيليب، «ينبغي لك ان تفرح لاننا وصلنا متأخرين. اننا ههنا بمفردنا نشكل هدفا سهلا. إنني اكره ان افكر بالوضع الذي كان من الممكن ان نكون فيه الان لو كنا في قطاع غزة لحظة اندلاع الحرب».

وتطوع واحد منهم بالاجابة قائلا «كنا سنكون في القاع».

ووافقت المجموعة قائلة، «اجل».

وقال الضابط التنفيذي، «حسنا، يمكنك ان تراهن بأن هذه الطائرات النفاثة التابعة للاسطول السادس لن تكون ذات فائدة كبيرة على اي حال. لقد صممت سفن فيكتوري لتنقل البضائع لا لتصمد امام هجوم خطير. وعندما اغرقت هذه السفن في الحرب العالمية الثانية فإن ذلك لم يتطلب اكثر من قنبلة واحدة مصوبة تصويبا دقيقا او طوربيد واحد. اما نحن، فمن الارجح اننا لن نصمد وقتا كافيا يسمح لنفاثاتنا بان تقوم بالرحلة المطلوبة.

واضاف صوت، «ثم الويل للمهاجم».

ورد عليه الضابط التنفيذي الذي تحول لون اصابعه الى لون زيتوني غامق بفضل التبغ الذي يدخنه، رد عليه وهو يصب جزءاً من الشراب من كوبه في منفضة للسجائر ليطفىء عقب سيجارة مشتعل، « ليس هنالك ادنى مجال لويـل يصيـب المهـاجـم. إننـا سنكـون محظوظين للغاية إذا حصلنا على إعتذار مكتوب. وفي هذه الاثناء فإن الحكومة سترسم المسألة برمتها بعناية بالوان خافتة (عبارات ملطفة) حتى لا ينزعج الشعب الامريكي العظيم. وسيسمى هذا الحفاظ على كل شيء في موضعه الحقيقي. إن العلاقات العامة هي الشيء المهم، يا صغيري، ولا تنس ذلك ابداً ».

فجأة قال فيليب بصوت خافت وهو يغير الموضوع، « اعتقد انني استطعت في النهاية ان اسبر غور تفكير شيب. لقد حرت دائما في رأيه عني، واليوم تمكنت من حل اللغز ». ومن نغمة كلام فيليب، كان يبدو ان المواجهة بينه وبين القبطان التي طال انتظارها، قد وقعت. وانتظرنا ليكمل فيليب حديثه، ولكنه لم يكن مستعدا بعد ليقول لنا المزيد. وبعد صمت طويل قال، « سيظهر كل شيء في الوقت المناسب ».

شيب كان اسم القبطان مكغوناغل المصغر، مثله في ذلك مثل معظم قباطنة السفن الاخرى، إن القيادة، وبشكل خاص قيادة السفن في البحار، تشكل ضغطا وظروفا غريبة على الرجال ويصبح القائد البحري مترفعا عن الاخرين وقويا وشبيها بالاله له شخصية الاب وكالكائن الاسمى المرئي ومسبـب الالم ومـانـح الامتيـازات. لقـد كـان القبطـان مكغوناغل كل هذه الاشياء مجتمعة، رغم انه كان اقل ظهورا من غيره من ربابنة السفن واكثر عزلة من الاخرين ومستقيما ومهذبا بشكل مطلق، وفخورا بنفسه. وسألت فيليب عن كيفية حصول القبطان على كنيته.

واشرق وجه فيليب وهو يسمـع السـؤال. إن شرب الكحـول لم يـؤثـر على مقـدرتـه الكلامية. وكان حديثه صافيا كما كانت عيناه كذلك. إن دزينات السجائر التي دخنها قد عبقت جو الحجرة بالدخان، ولكن ساعد تكييف السفينة في الابقاء على الهواء صالحا للتنفس.

« عندما كنت صبيا وكان « أولدشيب » جرواً، تجولنا فوق التلال وعبر الوديان، كنا وحدنا فقط، صبي وكلبه، ممتلئين بحب اللهو، ونمونا مع بعضنا على ذلك النحو ».

« هل تعرف هذه القصيدة؟ لا بد انك تعرفها. ولربما تعلمتها في المدرسة..

« اتذكر اننا كنا ذات مرة في ذلك المسبح القديم، عندما اشرفت لا محالة على الغرق، ولكن كان أولدشيب في المكان المناسب وجـاء لانقـاذي. لقـد قفـز في الماء وسـاعـد في انتشالي ».

وقال فيليب، « انا واثق انك على علم بذلك. حسنا، فقد حضرنا جيعنا، نحن ضباط

ليبرتي حفل إستقبال اقامته السفارة في لواندا بانغولا . وكان حفلا يتطلب إرتداء زي رسمي كامل: السترات العسكرية البيضاء المنشاة المكوية جيدا والياقات العالية، كل ذلك في ذلك الجو الافريقي الحار . وكانت الميداليات الكبيرة تقعقع واشبهت السيوف المتدلية من جنباتنا سيوف جون بول جونز . وشربنا جميعا مراعين الحدود التي يتوقف عندها الرجال المهذبون، وتصرفنا كما يتصرف صغار السفراء وغادرنا مكان الحفل في الوقت المناسب . ولم تكن هناك سيارة لتنقلنا وبدأنا مشوارا طويلا سيرا على الاقدام . وبدونا جميعنا في هيئة مثيرة للضحك ونحن نسير في الطريق بكامل ستراتنا الاحتفالية . وشعرنا بالرطوبة وعدم الارتياح في ذلك الجو الرطب . ثم لحن احدنا قصيدة خماسية الابيات . وحتى لا يتيح القبطان الفرصة لاحد بالتفوق عليه، استعاد تلك القصيدة القديمة للذاكرة واخذ ينشدها ونحن نسير . لقد انشد القصيدة كلها ــ وكانت تشتمل على عدة ابيات ــ من ذاكرته . وقد انشد القبطان تلك القصيدة بصورة مسرحية مؤثرة جعلتنا لا ننساها ابدا . وترك الرجل فينا اثرا بالغا وجعلنا جميعا نشعر بان تحت ثياب ذلك الرجل العجوز صورة مجسدة عن بطل تلك القصيدة أولدشيب . وهكذا جاءت تسمية أولدشيب منذ ذلك التاريخ وحتى اليوم».

ولازمت تلك الكنية القبطان . فمن وراء ظهره كان الضباط يسمونه دائما أولدشيب . ولم يستخدم ذلك الاسم ابدا وسط طاقم السفينة او بطريقة تنم عن عدم الاحترام . لقد كان القبطان مكغوناغل يحظى باحترام عميق . لم يكن مخيفا ، كما كان بعض قباطنة السفن الاخرى ، ولكنه كان مهاب الجانب . وقد ساعدت الكنية التي اطلقت عليه في تقريب الشقة بينه وبين الضباط وسمحت له بان يعامل بطريقة معقولة .

وعدت الى غرفتي الخاصة لانال قسطا من الراحة . لقد كان علي ان اكون ضابط مراقبة على سطح السفينة قبل ظهر اليوم التالي وذلك في اول عبور لنا لقطاع غزة .



بينما كنا نتحدث ، استدعى القبطان مكغوناغل الرائد البحري ديف لويس الى مقصورته . لقد كان مكغوناغل ايضا غير مرتاح للامر الذي صدر لنا بالعمل بالقرب من منطقة على مشهد من الحرب . وكان على إستعداد لاستخدام الامتياز الذي يمنحه له منصبه للابتعاد عن خطر محتمل ، ولكنه تشاور مع لويس قبل ان يفعل ذلك .

وسأل لويس ، « كيف يمكن ان يؤثر بقاؤنا في مكان ابعد في البحر ، ولنقل نحو خمسين ميلا بعيدا عن غزة ، على مهمتنا ؟ »

كان لويس قلقا بسبب قربنا من منطقة الحرب ، ولكنه كان اكثر اهتماما بمهمتنا . واجاب على سؤال القبطان ، « ان ذلك سيؤذينا ، ايها القبطان . اننا نريد ان نعمل في نطاق تردد ما بعد العالي . ويقع هذا في معظمه في مستوى خط النظر . وإذا اصبحنا فوق خط

الافق، فكان الاجدر بنا ان نعود الى ابيدجان. ان ذلك يقلل من اهمية مهمتنا بنحو ثمانين بالمائة».

جلس مكغوناغل في هدوء لبضع دقائق وكانه منهمك في تفكير عميق. ثم قال، «حسنا، سندخل حتى النهاية».

وبعد ان صرف لويس، اعاد القبطان قراءة اوامره الليلية بعناية على ضابط مراقبة سطح السفينة. كانت اوامر القبطان الليلية، عادة، روتينية جدا. إنها تنصح ضابط البرج بالاتجاه الذي تسير فيه السفينة وتغييرات السرعة والمعالم المتوقع مشاهدتها في خط الابحار وهكذا. وفي هذه الليلة اضاف مكغوناغل على ذلك هذه المذكرة: «ابق طاقم المدافع والمراقبين في حالة تأهب. اتصل بي عند مقابلة اي تحد او في حالة اقتراب اي شيء من السفينة، بطريقة مشبوهة، سواء أكان ذلك الشيء بحريا او جويا».



وفي واشنطن، في هذه الاثناء، قرر ضباط الاركان ان موقع ليبرتي بالقرب من غزة لم يعد ضروريا ولا يتسم بالحكمة. وقد اخبرت فيا بعد ان القرار نتج عن دراسة روتينية اجراها ضباط الاركان حول المخاطر والمكاسب - وليس بسبب اي احساس واضح بالخطر. وربما لعب فرانك رافين دورا في إتخاذ ذلك القرار، فهو الذي اعترض على المهمة منذ البداية. وعلى كل حال، اتخذ القرار النهائي على مستوى كبار الضباط في نطاق إدارة الدفاع، وتمخض عن رسالة ذات اسبقية عالية في وقت متأخر من بعد ظهر ذلك اليوم، ارسلت الى هيئة رؤساء الاركان المشتركة تطلب تحريك ليبرتي الى منطقة ابعد في عرض البحر. وكما حدث بالنسبة للامر الاصلي بمغادرة ابيدجان، فقد حرر هذه الرسالة الملازم مكتيك، ومثيلتها الاولى اعطيت اسبقية «قصوى».

قبل منتصف الليل بقليل، وفق توقيت ساعة ليبرتي (حوالي ساعة انتهاء العمل في واشنطن)، استجاب ضباط هيئة رؤساء الاركان المشتركة الى طلب إدارة الدفاع بإعداد رسالة وجهت السفينة بان تبقى على الاقل على بعد عشرين ميلا عن الجمهورية العربية المتحدة (غزة، بالنسبة لنا). وعند الدقيقة الواحدة والاربعين بعد منتصف الليل، ارسلت الرسالة الى مركز إتصالات الجيش الذي يقدم خدماته لهيئة رؤساء الاركان المشتركة في البنتاغون[٦]. وكانت الرسالة موجهة الى السفينة عبر ثلاثة مستويات قيادية، واعطيت افضلية اسبقية «متحفظة».

ولكي ينفذ ذلك الامر، كان من الضروري للقائد العام لقوات الولايات المتحدة في

(٦) رسالة هيئة رؤساء الاركان المشتركة رقم Z ٠٧٢٢٣٠ حزيران/يونيو ١٩٦٧.

اوروبا ان يوجه القائد العام لقوات الولايات المتحدة البحرية في اوروبا ليوجه بدوره قائد الاسطول السادس ليوجه هو ليبرتي بان تبقى على بعد عشرين ميلا عن شاطىء الجمهورية العربية المتحدة. وارسلت نسخ من تلك الرسالة الى كل القادة المعنيين، وعنونت نسخة الى سفينة الولايات المتحدة ليبرتي لاخذ العلم.

ولم تغادر الرسالة مركز اتصالات هيئةرؤساء الاركان المشتركة الا بعد اكثر من اربعة عشر ساعة. وعندما ارسلت في النهاية، وجهت خطأ الى محطة الاتصالات البحرية في الفيليبين. ولم يتسلم اي قائد تلك الرسالة ابدا الا بعد ان سبق السيف العدل بالنسبة لاتخاذ اي اجراء، اما ليبرتي نفسها، فإنها لم تتلق تلك الرسالة على الاطلاق[٧].

ظلت هيئة رؤساء الاركان المشتركة قلقة على ليبرتي. وبوقت قصير قبل الساعة ٠٢,٠٠ بتوقيت السفينة، اتصل ضابط خدمة تابع لهيئة رؤساء الاركان المشتركة تلفونيا بمكتب الفريق اول بحري جون س. ماكين، الابن، في مقر رئاسته في لندن[٨]. وهنالك وجد ضابط الخدمة الملازم ادوارد غالافوتي، من ضباط اركان القيادة العامة لقوات البحرية الامريكية في اوروبا، ووجهه بإستدعاء السفينة ليبرتي، إذ لم تعد مسافة عشرين ميلا كافية لابعاد ليبرتي عن منطقة الخطر: يجب تحريك السفينة مائة ميل على الاقل من الساحل.

ولسوء الحظ، كان ضباط ماكين يعانون من مرض البيروقراطية الذي لا علاج له: المكتبية.

قال نائب رئيس الاركان نائب ماكين، «ارني رسالة. لا نستطيع ان نعدل اوامر تشغيل سفينة دون رسالة تؤكد ذلك». كان نائب ماكين مستعدا تماما لتوصيل الامر، كما اوضح

(٧) انظر مجلة إدارة الدفاع للاتصالات العالمية (واشنطن دي سي: مكتب الطباعة الحكومي ١٩٧١)، اعيد نشر هذا التقرير هنا في الملحق ن، هذا التقرير الذي وضعته لجنة متفرعة من لجنة مجلس الشيوخ برئاسة ف. ادوارد هيبرت عن الخدمات المسلحة، يناقش بتفاصيل دقيقة الاخطاء التي وقعت بالنسبة لإرسال خمس رسائل خطيرة قصد توصيلها الى سفينة الاسطول ليبرتي وهو مصدر معظم المعلومات التي نشرت في هذا الكتاب عن الاخطاء التي وقعت في ارسال الرسائل.

(٨) ولد الفريق اول بحري جون سيدني ماكين، الابن، عام ١٩١١؛ تخرج من اكاديمية الولايات المتحدة البحرية الصف الدراسي ١٩٣١؛ رقي الى رتبة لواء بحري في اول نيسان/ابريل ١٩٥٩، والى رتبة نائب الفريق اول بحري في اول أيلول/سبتمبر ١٩٦٣، والى رتبة فريق اول بحري في اول أيار/مايو ١٩٦٧. عمل في الغواصات في الحرب العالمية الثانية، وقضى في وقت لاحق سنوات عديدة في القوات البرمائية. ومن عام ١٩٦٥ وحتى عام ١٩٦٧ كان نائب رئيس وفد الولايات المتحدة للجنة الامم المتحدة الخاصة بالموظفين العسكريين، في نيويورك. وفي عام ١٩٧٢ تقاعد الفريق اول بحري ماكين من البحرية بعد واحد واربعين عاما من الخدمة.

فيما بعد ، ولكنه كان يريد ، اولا ، تأكيدا بان امر هيئة رؤساء الاركان المشتركة قد صدر بصورة سليمة من رئاسة هيئة الاركان وليس عن رسالة قد يكون رحلها ضابط صغير ذو رتبة دنيا نسبيا وهو رائد يدعى بريلوف في مركز الاستطلاع التابع لهيئة رؤساء الاركان المشتركة بالبنتاغون. وهكذا ، فإن غالافوتي لم يتخذ اي اجراء لتحريك السفينة. وعوضا عن ذلك ، وكما وجهه النائب ، انتظر رسالة هيئة رؤساء الاركان المشتركة نحو اربع ساعات لتؤكد المكالمة التلفونية التي اجراها بريلوف ـ وهو التأخير الذي اتضح فيما بعد انه كان حاسما.

لقد قضت هيئة رؤساء الاركان المشتركة اكثر من ساعة في صياغة رسالة تخبر القائد العام لقوات الولايات المتحدة في اوروبا ليخبر بدوره القائد العام للقوات البحرية للولايات المتحدة في اوروبا ليأمر قائد الاسطول السادس الامريكي ليخبر ليبرتي بأن تظل على بعد مائة ميل على الاقل من الشاطىء(٩). ومرة اخرى عنونت نسخ من الرسالة الى كل من يهمه الامر بما في ذلك سفينة الولايات المتحدة ليبرتي لاخذ العلم.

ولم تستلم ليبرتي هذه النسخة ايضا ابدا. تولى امر الرسالتين الموظف المدني نفسه ، وارسلت نسخة ليبرتي (مثل سابقتها التي حررت ولكنها لم ترسل والخاصة بتوجيه السفينة بالبقاء عشرين ميلا بعيدا عن شاطىء الجمهورية العربية المتحدة) عن طريق الخطأ الى محطة الفيليبين للاتصالات البحرية. ومن هنالك اعيد توجهها بطريقة سليمة الى البنتاغون لترحل مرة اخرى الى محطة الاتصالات البحرية في المغرب لتسلم الى ليبرتي. ولكن عندما تلقى البنتاغون الرسالة لاعادة الترحيل ، اعاد توجيهها مرة اخرى الى المكان الخطأ ، وارسلها هذه المرة الى مركز إتصالات وكالة الامن القومي في فورت ميد ، بميريلاند ، حيث حفظت في الملف عن طريق الخطأ دون إتخاذ اجراء بشأنها ، ولم تسلم ابدا.

ويبدو ان هيئة رؤساء الاركان المشتركة لم تكن على ثقة كاملة بمقدرة نظام الاتصالات على تبليغ اوامرها ، ولذلك ادخلت في كل الرسالة مطلبا يحتم على كل جهة ترسل لها الرسالة ان تؤكد استلامها لها وذلك بإرسال رسالة الى هيئة رؤساء الاركان المشتركة بهذا المعنى.

وعند الساعة ٠٤,١٢ اكد القائد العام لقوات الولايات المتحدة في اوروبا إستلامه للامر بتحريك ليبرتي. وعند الساعة ٠٥,١٢ تلقى القائد الاعلى للقوات البحرية

(٩) رسالة هيئة رؤساء الأركان المشتركة رقم Z ٨٠١١. حزيران/يونيو ١٩٦٧.

الامريكية في اوروبا الرسالة واخطر بدوره هيئة الاركان المشتركة بالحقيقة. وعند الساعة ٠٨,٣٠ تسلم قائد الاسطول السادس رسالة هيئة رؤساء الاركان المشتركة وارسل إشعارا بذلك (بالنسبة له كان الموضوع قديما: لان الامر بتحريك ليبرتي كان قد صدر الى قائد الاسطول السادس عند الساعة ٠٦,٤٥ عبر إتصال مباشر بواسطة الطابعات عن بعد مع القيادة العامة لقوات الولايات المتحدة البحرية في اوروبا). ويبدو بجلاء انه لم يكن هناك في هيئة رؤساء الاركان المشتركة من يراقب ويضبط عملية إشعارات الاستلام. ولو كان هناك من اهتم بهذا الامر لادرك ان هناك ثمة خطأ ما ـ لان سفينة الولايات المتحدة ليبرتي لم تستطع تأكيد استلام رسالتها[١٠].

لو بقي الامر عند هذا الحد لهان الامر ولكن هيئة رؤساء الاركان المشتركة التي لم تقتنع بالاعتماد كليا على تسلسل القيادة الاخرق، اعدت رسالة اخرى. وكانت تلك الرسالة ـ وفقا لما قاله الضابط الذي تولى امرها اثناء الليل ـ كانت موجهة الى ليبرتي لاتخاذ اجراء، وللقادة العاملين بجهد وتثاقل لاخذ العلم فقط. ومثل الاخريات، فإن هذه الرسالة غير العادية، والتي تكاد تكون فريدة في نوعها، امرت مكغوناغل بان يتحرك بعيدا الى عرض البحر. ولضمان سرعة التنفيذ، اعطيت الرسالة «اسبقية فورية». وكسابقاتها من الرسائل التي اعدتها هيئة رؤساء الاركان المشتركة صنفت بانها «سرية للغاية» بالرغم من نصها العادي.

وكان ذلك هو الجهاز النهائي المعصوم من الخطأ. وإذا فشل كل شيء، فان من المتوقع ان يتلقى مكغوناغل الرسالة. ولكن لم تكن ليبرتي عضوا مشتركا في نظام تسليم الرسائل «السرية للغاية» الذي اختاره مركز اتصالات هيئة رؤساء الاركان المشتركة لتوصيل رسالته. ولذلك لم يكن في الامكان تسليم الرسالة. وفشل النظام المعصوم من الفشل.



عندما دنونا من منطقة الحرب، اذيع تحذير للبحارة عبر موجات الخطر العالمية كان هذا نصه: تحذير: يلفت انتباه البحارة الى إمكانية انطفاء الانوار على طول السواحل الاسرائيلية وذلك دون سابق إنذار. واتبع ذلك التحذير بسرعة برسالة أكثر شؤما:

(١٠) كل الاوقات هي توقيت محلي على ظهر السفينة ليبرتي إلا إذا اشير بغير ذلك او إذا كان ذلك واضحا من سياق النص. الحرف Z يشير الى توقيت غرينتش، وهو التوقيت الذي يستعمل عادة في الرسائل العسكرية. وكان التوقيت في واشنطن دي. سي يتأخر اربع ساعات عن توقيت غرينتش وست ساعات عن توقيت السفينة. ولذلك، على سبيل المثال، بدأ الهجوم الساعة ٨,٠٠. بتوقيت واشنطن، والساعة Z ١٢,٠٠ بتوقيت غرينتش والساعة ١٤,٠٠ بتوقيت ليبرتي.

يطلب من كل السفن ان تبتعد عن الشواطىء الاسرائيلية في اثناء الليل. ولان ليبرتي لم تكن تعلم ان اوامرها قد غيرت واصلت ابحارها غير هيابة.

الفصل الخامس

قطاع غزة

يجب ان يدرب القائد القادة الادنى منه رتبة، واركان حربه الخاصين كي يعملوا او يتصرفوا بناءاً على اوامر شفهية. ان الذين لا يوثق بان بامكانهم العمل وفق اوامر شفهية واضحة وموجزة، ولكنهم يريدون كل شيء كتابة، لا فائدة ترجى منهم.

مونتغمري العلمين

مذكرات، (١٩٥٨)

جرت العادة في البحرية على تبديل الحراس قبل خمس عشرة دقيقة من الوقت المحدد. ولذلك جرى تبديل حراسة ليبرتي الربعية، وكانت من الساعة ٠٤,٠٠ الى الساعة ٠٨,٠٠، بشكل عادي قبل الوقت المحدد لها لاتاحة الفرصة للحراس المستبدلين لتناول طعام الافطار قبل بدء الحراسات الربعية الصباحية. وهكذا، ظهرت في منصة ربان السفينة بعد الساعة السابعة بوقت قليل لاجد الملازم جون سكوت، الضابط الشاب المتفاني في عمله والمسؤول عن ضبط الاضرار، يمسح الشاطىء بمنظاره الميداني. وقال جون، «يوم لا يصدق»، واستمر في البحلقة من خلال منظاره وهو يحدثني بإيجاز عن اوضاع الحراسة وغلايات السفينة التي هي قيد الاستعمال واتجاهها وسرعتها وسرعة الريح واتجاهها الحقيقي وبالنسبة للسفينة على حد سواء، والضغط الجوي وحالة الاستعداد.

وقال لي جون، «وضعنا الان الذخيرة في المدافع الرشاشة الاربعة. إن الرجال يقومون بعملهم الان في منصتي المدفعين الاماميين وهم يرتدون لبس الميدان وهذا يجعل حالة إستعدادنا من الدرجة الثالثة المعدلة. إن القائد لا يريد ان يخاطر بشيء اما المدافع المنصوبة خلف منصة قبطان السفينة فلم يعين رجال لتشغيلها. وفي حالة حدوث مشكلة، فيستطيع المراقبون ان يشغلوا هذه المدافع في الوقت الذي تستعد السفينة للقتال».

وقلت معلقا على ما قال، «امر مروع للغاية».

وواصل جون حديثه وهو ما يزال يبحث بمنظاره عن معلم يمكن تمييزه على الشاطىء » ما يزال هناك إطلاق نار كثيف حول هذا المكان. لقد مررنا ببور سعيد في اثناء الليل ولا اعرف ماذا كان يحدث هناك ولكن كانت السماء من حول المدينة مملوءة بالدخان والنار طوال الليل. وقبلَ نحو ساعة، حومت فوقنا طائرة صندوقية. كانت الطائرة بطيئة حقا وهادئة. وكانت طائرة مروحية سمينة، وقد تكون قاذفة قنابل صغيرة، تأتي الى الشاطىء في فترات تفصلها بعضها عن بعض دقائق قليلة، كانت تلك الطائرة تحلق بسرعة وخفة فوق التلال الرملية. ومع ذلك لم الاحظ اي قتال هنا ».

حللت محل جون في الحراسة عند الساعة ٠٧,٢٠ ووافقته عندما اشار الى صعوبة تحديد موقع السفينة بدقة على طول هذا الشاطىء الذي يصعب تصنيفه. وشعرت بارتياح وانا ارى قرية العريش تظهر امامنا من ناحية اليسار. وكان من الممكن رؤية مئذنة جامع موضحة على خريطتي الملاحية وهي تطل على مجموعة من المباني الصحراوية البنية اللون، وشكلت تلك المئذنة الظاهرة المميزة الوحيدة التي يمكن رؤيتها. وبتعيين مكان المئذنةعلى الخريطة والمسافات التي يحددها الرادار بيننا وبينها واقرب نقطة على الشاطىء الممتد على يساري، توصلت الى تحديد معقول لموقعنا. واتفقت قراءات مقياس عمق السفينة مع عمق الماء الذي حددته برسوماتي التخطيطية. ولانني كنت شديد التيقظ للضجة العالمية التي قد يحدثها اي انتهاك غير متعمد للمياه الاقليمية للجمهورية العربية المتحدة، فقد كنت حذرا بشكل خاص. إن اخطاء البوصلات والمعدات بالاضافة الى اي اخطاء ارتكبها انا، تضاف جميعها الى عدم الدقة في المخطط الملاحي فتضعني بعيدا عن المكان الذي اعتقد انني موجود فيه. (هذا هو السبب الذي يعرف الملاحة كفن؛ إنها بعيدة كل البعد عن الدقة التي تضعها في مصاف العلوم). وقررت تحديد موقع السفينة كل عشر او خمسة عشر دقيقة، بدلا من كل ثلاثين دقيقة، كما يطلب القبطان مكغوناغل عادة عندما تكون السفينة في المياه الساحلية.

كان كل واحد في مقصورة ربان السفينة متيقظا ويؤدي عمله. وكان القائمون بالخدمة: عامل إشارات وضابط امدادات عين مسؤولا عن الرجال وعن حفظ سجل باحوال المراقبة والاوامر الصادرة بما في ذلك كل التغييرات التي تطرأ على خط سير السفينة وسرعتها، ثم مدير الدفة وعامل جهاز اشارة داخلي في المركب مهمته ايصال الاوامر الى غرفة ماكينة السفينة، واثنان من المراقبين. وفي حجرة مجاورة كان يوجد عامل الرادار وفي مقصورة ربان السفينة كان يوجد منظار راداري لاستخدمه بوصفي ضابط السطح.

ولاحظت ان علم السفينة الامريكي (ثمانية اقدام طولا وخمسة اقدام عرضا) لا يرفرف بسبب تشابك حباله. لقد اصبح العلم اسوداً وبالياً ممزقاً بسبب السرعة العالية

التي كانت تبحر بها السفينة في الايام القليلة الماضية. وامرت بتغيير العلم.

وبسرعة ظهر بجانبي عامل الاشارة راسل ديفيد منفعلا بشكل واضح. وقال لي، «سيدي، اريد ان ابقي على علم السفينة القديم في موقعه!» لقد قال ذلك باصرار ادهشني. لقد اشتكى لي وهو يشعر باحباط شديد بأنه لم يتبق لديه غير علم واحد وان العديد من الاعلام قد اصابها التلف اثناء الرحلة، وان معظم الاعلام قد بليت او تلطخت بشكل سيء، وان الاعلام اللائقة الوحيدة المتبقية هي الاعلام الكبيرة الاحجام الخاصة بالاحتفالات والعلم الجديد الواحد الذي اصريت على رفعه.

وقلت، «يجب ان نرفع العلم الجديد»، موضحا اننا نعمل في منطقة محفوفة بالمخاطر وليس امامنا الا ان نظهر اوضح وانصع الواننا.

ورفع ديفيد علمه الجديد الاخير عاليا على سارية السفينة وهو بادي الانفعال. وشاهدت العلم وهو يرفرف بحرية، ثم امرت ديفيد والمراقبين كليهما ان يراقبوا العلم بانتظام ليتأكدوا من انه يرفرف بحرية وان معالمه لم تتغير. ورغم ان ديفيد يتمالك نفسه عادة، فانه بدا وكأنه تمكن من ضبط غضبه بصعوبة. وبدا لي ان مزاجه قد عكس القلق الذي ما زال يسيطر على اغلبية البحارة.

كنت ارى في الجزء الاسفل، من سطح السفينة المكشوف، طاقم السفينة يتجمعون استعدادا لاجتماع التفتيش، وكان فيليب، مرتديا سترته المصنوعة من الكاكي المغضن، يقف على انفراد ليتلقى التقارير من رؤساء دوائره. وقدم ستان هوايت، الذي حل محلي كضابط وحدة من رجال البحرية في السفينة، تقريرا عن التفقد الى ديف لويس، الذي جمع التقارير من وحداته من رجال البحرية ثم انضم في النهاية الى الصف الاصغر المجابه لفيليب بينما كان الرجال يجرجرون اقدامهم في هدوء للوقوف في صفوف. وبعد تسلم التقارير المعتادة، نبه فيليب رؤساء الدوائر الى التدريب لشغل مراكز الواجبات في حالة الطوارىء باقصى سرعة والذي كان محددا لفترة ما بعد الغداء، ورد على تحياتهم وغادر المكان. وهكذا بعد تلقي المعلومات نُقلت الى ضباط وحدات بحارة السفينة ثم في النهاية الى رجال البحرية ذوي الرتب الصغيرة وكان هناك ايضا تذكير للرجال باننا نبحر بمحاذاة منطقة حرب حامية الوطيس. واخبر الرجال بانه ليس من المتوقع حدوث مشاكل، ولكن يجب توقع حدوث اي شيء في اوقات الحرب وعلى كل واحد ان يكون متيقظا. بعد ان انتهى اجتماع التفتيش الصباحي، اتصلت بغرفة إتصالات سفينة الابحاث الفنية لأتأكد من حالة المعدات الفنية. وكان ستان هوايت هناك في الغرفة بالفعل واخبرني ان كل شيء يسير على ما يرام. وقال ان المعدات ستكون جاهزة في الميعاد المحدد عند الساعة ١٤,٠٠. عند ذلك الوقت سيكون القمر

في وضع جيد للتحدث مع شيلتينهام. وشعرنا بالارتياح لذلك. فقد كان بامكاننا التحكم باماكن التسرب الهيدروليكي القليلة المتبقية. والان، وبعد ان اصبحت المعدات الالكترونية في حالة جيدة، سادنا التفاؤل بان النظام سيواصل عمله.

وعندما صاح ضابط الامدادات والتموين الذي كان في الخدمة «القبطان في مقصورة قيادة السفينة»، قمت بمراجعة سريعة للمعلومات الاساسية الحيوية عن اتجاه وسرعة السفينة والطقس وما الى ذلك، إستعدادا لاي سؤال يوجهه. واخبرت القبطان عن قاذفة القنابل التي شوهدت بالقرب من الساحل، وناقشنا موضوع الطائرة الصندوقية التي شوهدت في اثناء نوبة مراقبة جون.

عندما وصلت السفينة الى نقطة هدفنا المحددة سلفا (النقطة الفا) بموجب اوامر تشغيلنا (٣١- ٢٧. ٢ شمالا ٣٤ - ٠٠ شرقا)، غيرت إتجاه السفينة نحو «النقطة برافو» على بعد خمسة عشر ميلا الى الامام (٣١- ٢٢. ٣ شمالا ٣٣- ٤٢ شرقا). وسيأخذ هذا الانعطاف السفينة الى إتجاه دوريتها الاساسي المحاذي لقطاع غزة بالقرب من الحدود المصرية الاسرائيلية ثم اتجهت نحو بورسعيد، التي تقع على بعد تسعين ميلا الى ناحية الغرب.

وامرت مدير دفة السفينة، «الدفة الى اليمين عشر درجات» وردد مدير الدفة الامر مؤكدا تنفيذه. ثم إشعارا بإستلام الامر اعلن، «دفتي في اتجاه اليمين عشر درجات، سيدي» ثم اضاف، «نحن نمر بالاتجاه واحد، سبعة، صفر»، وهو يواصل التبليغ عن استمرار دوران السفينة في انعطافها. وقد قصدت ان اضع السفينة في اتجاهها الجديد باصدار الاوامر الى مدير الدفة لتوجيه حركتها من ان اعطيه الاتجاه الجديد. وعندما قست الانعطاف بالبوصلة، في الركن الايسر من مقصورة القيادة، صاح احد حراس المراقبة في مقصورة القيادة المفتوحة العلوية «طائرة تمر من مؤخرة السفينة، يا سيدي».

وامرت مدير الدفة، «ابحر بثبات في اتجاه اثنين خمسة ثلاثة»، وقد تخليت عن اللجوء الى تسيير السفينة حتى لا يؤدي إنشغالي بذلك الى تخطي الهدف الجديد وانا اراقب الطائرة.

وراقبنا، القبطان ماكفوناغل وانا، طائرة نفاثة واحدة تمر بجانب ليبرتي الايمن، ثم تنعطف شمالا بعدة اميال امام السفينة وتختفي، نحو قطاع غزة فيما يبدو على طول الساحل الواقع على يسارنا. لم تكن الطائرة تحلق قريبا منا بدرجة كافية تجعلنا نتحقق من علاماتها المميزة. وبتوجيه من القبطان ماكغوناغل اعددت رسالة في شكل تقرير عن رؤية الطائرة لرفعها الى السلطات العليا واستدعيت مراسلا ليسلمها الى الملازم

ستيف توث، ملاح السفينة وضابط إستخباراتها.

وسأل القبطان ماكفوناغل بصوت خافت، وكان حريصا جدا على عدم احراجي امام الرجال، إذا كنت قد امرت بتغيير سرعة السفينة من خمسة عشر عقدة الى خمس عقد، وهي السرعة التي كان من المفروض ان نبلغها عند النقطة الفا. كان يعرف الاجابة على سؤاله دون ان يوجهه، بالطبع. فقد نسيت، بعد ان صرفتني الطائرة عن انتباهي نسيت ان اغير سرعة السفينة. وبسرعة امرت بالابحار بسرعة خمس عقد المقررة. واستقرت السفينة في وضعها العادي الذي تتخذه عندما تقوم بمهمة الدورية، بالكاد تتحرك على طول ساحل اجرد في طقس عطري ارج، وهي تنساب في تمهل. وتحققت من وضع العلم فوجدت انه يرفرف بفعل رياح سرعتها النسبية ثماني عقد، وقد ظهر بوضوح لكل من اراد ان يراه.

احتل الرجال الذين انتهت نوبة عملهم الجزء الامامي من السفينة، وهم يستلقون على البطاطين ويتمددون على كراسي البهو يستمتعون بالحمام الشمسي. ويستاء عدد كبير من القادة الضباط من مشهد الرجال وهم يسترخون في اثناء ساعات العمل العادية، وهو وضع يتسبب في مشقة كبيرة بالنسبة لاولئك الرجال الذين يصادف عملهم في ساعات غير منتظمة. ولكن ليس لدى القبطان مكغوناغل مشكلة من هذا القبيل، فقد شجع، بواسطة ضابطه التنفيذي، الرجال الذين تنتهي فترات عملهم على الاسترخاء. وقد كان مسلكه ذاك واحدا من اسباب سيادة الروح المعنوية العالية على ظهر السفينة.

قبل الساعة العاشرة مباشرة ابلغ المراقبون في مقصورة قيادة السفينة عن مقاتلات نفاثة تتقدم نحو السفينة من الناحية الخلفية. وكان بامكاني ان ارى رجال مدفعية السفينة يتسكعون جيئة وذهابا، يتحدثون مع زملائهم الذين يرتدون مايوهات السباحة. واستخدمت توصيلة تلفون صوتي لاخبر الرجال بان من الافضل ان يستيقظوا ويحافظوا على المراقبة الدقيقة، محذرا اياهم بان طائرات مجهولة الهوية تتواجد في المنطقة.

وعلى الجانب الايمن من السفينة، عاليا، كان بامكاني ان ارى طائرتين نفاثتين مثلثتي الاجنحة ولامعتين تطيران جنبا الى جنب في اقتراب شديد وفي محاذاة خط سيرنا(1). ومع ان الطائرتين كانتا قريبتين جدا منا، لم اتمكن من عد الصواريخ العديدة التي كانت تتدلى كالعناقيد تحت اجنحتها كما لم اتمكن من رؤية اي علامات مميزة عليها. وانعطفت الطائرتان ناحية الشمال على بعد مسافة كبيرة امامنا، ثم الى ناحية اليسار مرة اخرى ومرتا منخفضتين من الجانب اليساري للسفينة. ومرة اخرى تحققت

(١) تم التعرف فيما بعد على هذه الطائرات بأنها ميراج III فرنسية قاذفة مقاتلة.

من وضع العلم: كان ما يزال يرفرف ويرى بوضوح عندما نظرت اليه بمنظاري المكبر المقرب. ونظرت الى الطائرتين بمنظاري واستطعت ان ارى الطيارين وقررت انه إذا كان بمقدوري ان ارى الطيارين في حجرة الطيار، فإن الطيارين يستطيعان، بالتأكيد، رؤية علمنا ولا شك كذلك انهما سيريان اسم السفينة ورقمها. واكملت الطائرتان ثلاث دورات كاملات حول السفينة قبل ان تختفيا عن الانظار.

وبما انني كنت مشغولا جدا بقيادة السفينة بالقرب من الساحل، محاولا التأكد من البقاء باقرب ما يمكن من خط ابحارنا المرسوم، فقد وافق ستيف توث على ان يصيغ تقرير مشاهدة الطائرتين. واتصلت بالقبطان هاتفيا لاخبره بعملية الاستطلاع المسلحة.

وبدا لي ان رجال المراقبة، وبشكل خاص الرجال الذين يشغلون المدافع الامامية، لم يقتربوا بعد من بلوغ درجة الاهتمام التي كان من المفروض ان تعطى للمهمة الموكلة اليهم. لقد كانوا ممددين متباطئين متسكعين ويتبادلون الزيارات مع الاصدقاء، وكانوا يفعلون كل شيء الا المراقبة. واتصلت هاتفيا بضابط الامدادات والتموين المسؤول عن الحراسة في الجناح الايسر من غرفة القيادة في السفينة وطلبت منه ان يتحدث الى كل حارس بمفرده، وكانوا اربعة - ليؤكد لهم اهمية اليقظة والانتباه وانهم لن يقوموا بعمل اي شيء آخر غير مسح البحر والسماء من حولنا بحثا عن سفن او طائرات، وان يمتنعوا عن استقبال الزوار وان يكرسوا وقتهم كله واهتمامهم بحثا عن اي اهداف.

وعاد ضابط الامدادات بعد دقائق قليلة ليخبرني ان ليس لافراد المراقبة مناظير وانهم وجدوا ان من الصعوبة بمكان اخذ المهمة الموكلة اليهم مأخذ الجد بدون مناظير.

« ولكن اين المناظير ؟ »

« لقد اخذها الملازم توث ».

كان البحاران جورج ويلسون ولاري سالفين يقومان بدور المراقبة في مقصورة قيادة السفينة على سطح يعلو السطح الذي كنت عليه وقد اعطيا منظارين، ولكنهما كانا يتبادلان المواقع بعد كل ساعة مع المراقبين الاماميين، وفي تلك الاثناء كانا يتركان منظاريهما في مقصورة قيادة السفينة. وناديت ويلسون لينزل من محطته على السطح الرابع من الجناح الايمن للسفينة.

وسألته، « ماذا حدث لمناظير مراقبي المقدمة ؟ »

واجابني، « لقد اخذها الملازم توث ».

وسألته مرة اخرى، « امتأكد انت مما تقول ؟ لماذا يأخذ توث مناظير المراقبين ؟ »

قال، « لا ادري يا سيد اينيس. عندما قمنا بالمراقبة لاول مرة كانت لنا كلنا

مناظير، ولكن السيد توث جمعها من الرجال مشغلي المدافع واقفل عليها باب حجرة الخرائط. لقد قال اننا لا نحتاجها وإذا احتفظنا بها فإنها ستصاب فقط بالعطب».

وسألت مرة اخرى، «هل حدث ان اخذ احد منظارك منك عندما كنت تقوم بالمراقبة؟»

واجاب ويلسون، «لا، لم يحدث ذلك ابدا يا سيدي. لقد سألت السيد توث عن ذلك بنفسي عندما كان في مقصورة ربان السفينة قبل قليل وقال الشيء نفسه. لقد قال لي إنكم لا تحتاجون الى المناظير وإذا ما بقيت معكم فستصاب فقط بالعطب».

وبعد دقائق قليلة خاطبت ستيف مستخدما تلفون منصة قيادة السفينة لاطلب منه اعادة توزيع المناظير على الرجال. ورفض ستيوارت ان يفعل ذلك ولكنه وعد ان يأتي الى مقصورة القيادة ليبحث الموضوع معي. وفي هذه الاثناء كان مشغولا بكتابة التقارير الخاصة بمشاهدة الطائرات التي حلقت فوق السفينة وكنت انا مشغولا بالتحكم في السفينة.

وفي نحو الساعة ١٠,٣٠ تلقينا زيارة اخرى من الطائرة الصندوقية، وقد زاد حب إستطلاعها في هذه المرة كما زادت اقترابا منا. واخبرت مساعد الضابط المناوب على ظهر السفينة وانا اشاهد الطائرة بالمنظار ان يطلب القبطان بالتلفون ليخبره بهذه الزيارة الجديدة. وحلقت الطائرة في خط متواز مع ميمنة سفينتنا وانعطفت يسارا في مقدمتنا في نمط اصبح الان روتينيا. ثم جاء انعطاف آخر نحو اليسار ثم ظهرت الطائرة في يسار السفينة. ومرة اخرى فحصت علم السفينة ووجدت انه يرفرف بحرية كالعادة ولاحظت ان الرياح النسبية كانت هادئة وتهب بسرعة كافية لتعرض الوان علمنا بوضوح.

وقال القبطان مكغوناغل، «حسنا، لا بد انهم قد اصبحوا الان على معرفة بهويتنا».

وكان القبطان مكنوغاغل قد جاء الى مقصورة قيادة السفينة بسرعة إستجابة للمحادثة التلفونية. وواصل حديثه قائلا، «إنه لامر جيد ان يفحصوننا بدقة، فبهذه الطريقة لن تقع اخطاء. وربما يجيئون في وقت مبكر من عصر هذا اليوم بزورق ليمعنوا النظر فينا».

ووقفنا في الناحية التالية لدرابزين الجناح الايسر لمقصورة القيادة، حيث كان بامكاننا ان نرى علمنا يرفرف فوق السارية في ذات الوقت الذي نرى فيه الطائرة. وفي اثناء حديثنا، ابتعد عنا الطيار الذي كان الان في يسار مؤخرة سفينتنا ثم انعطف فجأة نحو ٣٦٠ درجة. كان الانعطاف حادا واوشك طرف جناح تلك الطائرة الشبيهة بفيل منقرض يحلق في السماء ببطء ان ينغمس في البحر. وبعد ان اكملت الطائرة

دورتها، عادت متجهة مباشرة نحو ليبرتي على ارتفاع منخفض جدا، ربما لم يزد عن مائتي متر فوق سطح الماء.

عندما اقتربت الطائرة اكثر، كان بامكاننا ان نرى تفاصيل تركيبها: بئري العجلتين وخطوط اللحام الذي يشد الطائرة بعضها الى بعد ونجمة داوود التي حددت هوية الطائرة بانها إسرائيلية، وابواب كبيرة في بطنها.

وصاح مكغوناغل محاولا رفع صوته فوق ازير الطائرة، «راقبه. واذا رأيت ابواب مخازن القنابل تلك وهي توشك ان تفتح، اصدر امرا بانعطاف حاد فوري الى ناحية اليمين».

وكتمت نفسي الى ان مرت الطائرة من فوق رؤوسنا. وكان ارتفاعها المنخفض جدا قد جعل ضجيج محركاتها يدوي، واطلقت ذبذبات جعلت اسطح السفينة تهتز. ومن رحمة الله بقيت ابواب مخازن القنابل مغلقة. ولاحظت في اثناء مرور الطائرة فوق رؤوسنا فتحات صغيرة خمنت انها كانت منافذ كاميرات[٢].

بعد ان غادر القبطان مقصورة قائد السفينة، استدعيت ستيف توث لاخبره بهذه الزيارة الاحدث التي قامت بها الطائرة وبعلامات الهوية الاسرائيلية.

عادت الطائرة الصندوقية قبل الساعة الحادية عشرة بقليل ثم مرة اخرى بعد ثلاثين دقيقة، وكانت تقوم في كل مرة بنفس العملية التي اصبحت الان مألوفة، وهي الدوران في محور على عكس اتجاه عقارب الساعة قبل ان تكمل جولة طيران مباشر عمودي على ارتفاع منخفض فوق السفينة. وكنت في كل مرة اتحقق من وضع علمنا.

وقريبا من نهاية نوبة مراقبتي، جاء ستيف توث الى مقصورة السفينة ليعيد الى القبطان مطبوعة كان قد اخذها منه. وكان ستيف منزعجا لان القبطان لم يفرج عن التقارير التي كتبت عن مشاهدة الطائرات حتى يمكن ارسالها.

وقال لي ستيف، «ان القائد لا يريد ان يفرج عن التقارير. لقد اراد في اول الامر ان يطلع على كتاب جينز (المرجع بالنسبة لكل الطائرات في العالم). ثم اراد ان يرى تعليمات كتابة التقارير. اما الان فإنه يتلاعب بالكلمات».

وقلت له، «بهذا المعدل من سرعة الانجاز لن نتمكن من ارسال تقارير عن كل الطائرات التي حلقت فوقنا. دعنا نقول ان الطائرة الصندوقية تحلق فوقنا كل ثلاثين او

(٢) تم التعرف على هذه الطائرة فيما بعد بأنها فرنسية الصنع ذات محركين من طراز نورد ٢٥٠١ نوراتلاس. هذا الطراز من الطائرات متوسطة المدى يستخدم في النقل ولا تحمل القنابل؛ وربما كانت تستخدم ابواب بطن الطائرة التي رأيناها كأبواب للبضائع.

اربعين دقيقة. ونستطيع بهذه الطريقة ان نستغني عن ارسال بضع رسائل».

في تلك اللحظة نسينا، هو وانا كلانا موضوع المناظير.

وفي الساعة ١١,٣٠ وصلت السفينة الى النقطة برافو. ونفذت انعطافا الى ناحية اليمين متخذا مسارا جديدا يبلغ ٢٨٣ درجة، متوجها بالسفينة نحو الهدف شارلي المحدد في اوامر تشغيلنا. وعند بلوغ شارلي (شرقا ٠٠ ـ ٣٣ ـ شمالا ٣١ـ ٣١)، كان على السفينة ان تعكس اتجاهها، وتعيد تتبع مسارها الاول على وتيرة تشبه متعرجة الى ان نتلقى اوامر اخرى.

وظلت الملاحة الساحلية صعبة بسبب الاخطاء الواضحة على الخريطة وبسبب انعدام ملامح بارزة في المناظر الطبيعية. ولم يقدم الرادار الا مساعدة قليلة الان بسبب ساحل قاحل ليست له مميزات. وكان مشغل الرادار في الخدمة (مركز معلومات القتال) يحتفظ بمخطط لسير السفينة منفصل وخاص به وقد اتفق بشكل معقول مع المخطط الذي رسمته انا. وكنت راضيا عن مخططي، ولكن ساورني القلق لان المعلم الارضي الايجابي المنظور الوحيد كان مئذنة الجامع في العريش. واملت في الحصول على صخرة بارزة او اي قسمة اخرى لتدعم عملية تحديد موقع السفينة.

فجأة هز انفجار هائل مدينة العريش. ولم يعد من الممكن رؤية قاذفة القنابل الصغيرة التي كانت تحوم فوق الساحل طوال فترة الصباح. وتساءلت متعجبا هل قذفت العريش بالقنابل، هل سقطت، وكم سيكون مساري مهزوزا اذا سقطت المئذنة. وعثرت على القبطان مكغوناغل في جناح الضباط لاخبره بالحريق والدخان الذي تصاعد في الشاطىء.

وعند الظهر وكان الدخان الاسود السميك يمتد لاميال على طول الشاطىء، ظهر الملازم بينتر وكان مستعدا لتسلم نوبة مراقبة ما بعد الظهر. كان بينتر رجلا متساهلا لا تفارق الابتسامة شفتيه وقد بدا هادئا في مجابهته للموضوع برمته عندما اخبرته عن قاذفة القنابل والطائرة النفاثة والطائرة الصندوقية والانفجار الذي دوى في الشاطىء وموقع النقطة شارلي امامنا.

وكان للويد، غالم الاجرام بالتدريب، جسم قصير صلب مفتول العضلات يشبه «بولدوغ» ذا الرأس الكبير والانف الافطس. وكانت له ايضا ثقة البولدج وروح مرحة ومنظر الرجل الذي لا يأبه لشيء. ويبدو، وهذا امر ينطبق تماما على شخصيته، انه قد نسي الحادثة التي وقعت في روتا مع وكيل الحكومة. او لم يكن، على الاقل قلقا بصددها. ووعدت ان اعود بعد ساعة لاحل محله كي يشارك في التمارين العامة الرباعية المقررة من قبل وتوجهت نحو حجرة الضباط لتناول طعام الغداء.

في اثناء نوبة مراقبتي الصباحية، اخذ الفريق بحري مارتين، وبدون علمنا، ينفذ امر هيئة رؤساء الاركان المشتركة بتحريك ليبرتي مائة ميل بعيدا عن الشاطىء، بعد ان تلقى ذلك الامر من مقر رئاسة الفريق اول بحري ماكين بالطابعة البرقية عند الساعة ٠٦،٤٥، بتوقيت ليبرتي.

كان موظفو الفريق اول مارتين يدركون إحساس ليبرتي بالخطر، وذلك لان السفينة طلبت حراسة مسلحة. وكان موظفو الاسطول السادس يدركون بدورهم موقف ليبرتي المعرض للخطر: لقد وعدت رسالة بعثت الى قائد الاسطول السادس بإن تصل السفينة الى النقطة «الفا»، على بعد ١٢،٥ (اثنا عشر ميلا ونصف الميل) من الشاطىء عند الساعة ٠٩،٠٠.

وبإمكان المرء ان يفترض ان ضباط هيئة الاركان سيدفعون لاتخاذ اجراءات فوق العادة بإصدار امر للسفينة بالتوجه الى البحر دون ابطاء، ما دام قد بات واضحا الان ان ليبرتي اصبحت ضمن نطاق بصر الحرب وتجاوزت بنحو تسعين ميلا اقرب نقطة إقتراب حددتها هيئة رؤساء الاركان المشتركة. لقد كان من الممكن ان يكون تحريك السفينة سهلا للغاية. كان من السهل جدا التقاط جهاز راديو تلفون يدوي في سفينة القيادة والاتصال بالتخاطب مع ضابط ظهر السفينة في ليبرتي مباشرة. ولكن اختار قائد الاسطول السادس عدم اللجوء الى هذه الوسيلة. وكان من السهل ايضا إجراء إتصال مباشر بواسطة الطابعات التلغرافية بين قيادة الاسطول السادس وليبرتي. اما السرية، فكان من الممكن الحفاظ عليها باستخدام اجهزة التشويش، وهذا الاسلوب كان من الممكن ان يوفر سجلا مكتوبا لما دار من حديث. وذلك كان، في النهاية، الاسلوب الذي استخدمه القائد العام لقوات الولايات المتحدة البحرية في اوروبا عندما امر قائد الاسطول السادس بإستدعاء ليبرتي. ولكن قائد الاسطول السادس اختار الا يستخدم هذه الوسيلة.

إن ليبرتي كانت الاسم المرسل اليه المعلومات التي بعثت بها هيئة رؤساء الاركان المشتركة كي تسلم لقيادة السفينة للاطلاع عليها[٣]. وربما افترض قائد الاسطول السادس ان ليبرتي قد تلقت رسالة هيئة رؤساء الاركان المشتركة وتحركت بعيدا عن الشاطىء دون انتظار امر يردده قادة اقل رتبا. وإذا حدث مثل هذا الافتراض، فما كان على قائد الاسطول السادس ان يعتمد عليه. كان من الواجب عليه ان يحرك ليبرتي بعيدا عن الشاطىء وهذا ما فعله بالضبط ولكنه، ببساطة، فشل في ان يضفي

(٣) جاء ذكر هذه الرسائل اول مرة في الفصل الثالث وهي JCS072230Z و JCS 080110Z حزيران/يونيو ١٩٦٧.

على الامر طابع الاستعجال نفسه الذي اضفته عليه الهيئة المشتركة لرؤساء الاركان.

لقد حرر قائد الاسطول السادس رسالة تلغرافية عادية لترسل بطريقة عادية عبر نظام تحويل الاتصالات البري ـ متجاهلا الوسائل الاسرع المتاحة. وبمعنى آخر، لقد تعامل مع الامر، مثل ما يتعامل مع امر إداري روتيني، وبعث به بواسطة نظام إتصالات مزدحم بالفعل ليتنافس مع طلبات مواد البقالة وطلبات الاجازات وطلبات قطع الغيار. واستغرق تحرير الرسالة وارسالها الى مركز الاتصالات اربع ساعات. وتطلب الامر ساعة اخرى وثماني عشرة دقيقة ليعد مركز الاتصالات الرسالة للبث ثم بثها بعد ذلك. وعند الساعة ١٢,٣٥ بتوقيت ليبرتي، بعثت رسالة قائد الاسطول السادس لتوجيه ليبرتي لتتحرك بعيدا عن الشاطىء الى محطة الاتصالات البحرية في المغرب لترسل في النهاية الى ليبرتي[٤].

بعد تناول ساندويتش سريع وكوب حليب في حجرة تحضير الاطعمة الباردة للضباط، هبطت سطحين آخرين لاجد ان جيم اوكونور وموراي بينيت ما زالا يواصلان العمل في غرفة دائرة ابحاث العمليات. وكان معظم الضباط الاخرين يتشمسون بتلذذ وهم جالسون على كراسي ظهر السفينة الموجودة على سطح القمرات الامامية التي تطل على ظهر المركب. ولكن لم يجد اوكونور الا قليلا من الوقت للراحة. وقال فيما كاد ان يشبه تحية لي، « هذا القدر من العمل يكفي ». ورنا الي بينيت بنظرة تنم عن الالم.

ولان بينيت لم يكن يساوره ادنى شك في ان اوكونور كان على وشك الانهاك العصبي، اقترح عليه ان يستنشق شيئا من الهواء النقي ويبدل المناظر وذلك بان يتولى نوبة المراقبة في برج قيادة السفينة في اثناء فترات التدريب على شغل مراكز الواجبات في حالة الطوارىء باقصى سرعة. وقال اوكونور، « هذه فكرة جيدة ». وستكون تلك هي المرة الاولى التي يظهر فيها على سطح السفينة منذ عدة ايام.

كان اوكونور ضابط الخدمة الفعلية على سطح السفينة في اثناء التدريب لشغل مراكز الواجبات في حالة القتال باقصى سرعة، وهو التكليف الذي يضعه في برج قيادة السفينة مسؤولا عنها وعن عمليات الملاحة في اثناء القتال الحقيقي او الصوري. وكان مفروضا ان احل محله للقيام بذلك الواجب في ابيدجان، ولكن كان الضابط التنفيذي مشغولا بدرجة لم تمكنه من تغيير لائحة الواجبات. ونتيجة لذلك وبموافقة فيليب، توليت معظم مهامه رغم ان اوكونور كان الضابط المسؤول عن ظهر السفينة. يومها كنا سوية مسؤولين عن الخدمة، وكان اوكونور ضابط اليوم وكنت أنا مساعده.

قمت بجولة على السفينة وأمضيت بعض الوقت مع تقني غرفة الاتصالات. ووجدت ضابط الصف البحري شارلس ل. راولي في معمل التصوير حيث قضى معظم فترة الصباح

(٤) رسالة قائد الاسطول السادس رقم 080917Z حزيران/يونيو ١٩٦٧.

وطلبت منه ان يقابلني في برج قيادة السفينة بعد التدريب على الاستعداد لشغل مراكز الواجبات في حالة الطوارىء حتى نحاول مرة اخرى التقاط صورة جيدة لزوارنا الاتين الينا من الجو. وفي النهاية صعدت من غرفة دائرة العمليات الى برج قيادة السفينة وراقبت لويد بينتر يعمل بينما انتظرته ليطلق صوت الانذار ببدء التدريبات على شغل مراكز الواجبات في حالة طوارىء باقصى سرعة وفي أثناء فترة غيابي عن مقصورة قيادة السفينة، جرى استكشاف لليبرتي مرتين من قبل الطائرة الصندوقية.

إنطلق الانذار عند الساعة ١٣,١٠. وافتتح التدريب بتقارير اخبارية، إتضح فيما بعد انها كانت اخبارا خاطئة، حول غاز سام يستخدم في القتال الدائر في الشاطىء، ولهذا كان التدريب على مجابهة هجوم بالغازات السامة. واستجاب الرجال بسرعة، إذ اقفلوا جميع الابواب والفتحات الاخرى وذلك لكي يجعلوا من السفينة مكانا محكم الاغلاق لا يتسرب اليه شيء من الغلاف الجوي الخارجي. ولان غرفة ربان السفينة كانت محكمة الاغلاق لم نستطع رؤية البحر امامنا الا من خلال فتحات صغيرة في اغطية الصلب الثقيلة التي كانت تغطي طاقات برج الملاحة. وقام القبطان مكغوناغل بتقييم التدريبات تقييما فوريا وحول الاهتمام الى التدريب على التحكم في الحريق والاضرار».



وفي الوقت الذي كنا نستجيب فيه لانذار الهجوم بالغاز، تلقى القائد العام لبحرية الولايات المتحدة في اوروبا النسخة التي ارسلت له للعلم من رسالة قائد الاسطول السادس والتي امرت ليبرتي بالابتعاد عن الشاطىء. وكان من المفروض ان تتسلم ليبرتي نسخة الرسالة التي تأمرها بتنفيذ الامر في حوالي نفس الوقت، ولكن ذلك لم يحدث. لقد كانت النسخة في ذلك الحين تغوص في متاهة من تعقيدات نظام الاتصالات، يتقاذفها بدون هدف تقريبا مثل ورقة شجرة طافية على مياه بركة. وفي النهاية وصلت النسخة الموجهة الى ليبرتي الى محطة إتصالات الجيش في اسمرا، بإثيوبيا لتحول من هناك الى محطة الاتصالات البحرية في اسمرا، التي سترسلها بدورها الى ليبرتي عبر إذاعة الاسطول التي تشغلها تلك المحطة. ولكن، وعند الساعة ١٣,٤٨، وبينما صدرت التعليمات عبر جهاز اعلان السفينة العام «بالاعفاء من تدريبات الاستعداد لشغل مراكز الواجبات في حالة الطوارىء باقصى سرعة»، والاعفاء من كل التدريبات الاخرى»، كانت رسالة ليبرتي تنتظر دورها في موقع الارسال في محطة إتصالات الجيش في اسمرا، والتي، ارسلتها بعد لحظات قليلة الى محطة الاتصالات البحرية في اليونان، حيث ستبقى مدة الساعات الثلاثة التالية.



في مقصورة ربان السفينة، حل بينتر محل اوكونور في مهمته كضابط اليوم للسفينة.

واحدثت الخوذات الفولاذية اصواتا مجلجلة بينا كان الرجال يقذفون بها في مخازنها وهم مسرورين للعودة الى اغطية الرأس الاكثر برودة. وطوى المتحدثون بالتلفونات اسلاك تلفونات طويلة متسخة بسبب جرها سنوات عديدة على اسطح السفينة الملوثة بالسخام، وذلك لخزن تلك الاجهزة في صناديق خزن التلفونات الصامدة للماء. وفي اعلى مقدم السفينة، كان الرجال يتسكعون في المواضع التي نصبت فيها المدافع ليتحدثوا مع مشغلي المدافع وللكشف على المدافع الرشاشة (وكانت تحفظ عادة في اماكن اخرى)، بينا عاد المستمتعون بحمامات الشمس وهم يحملون مناشفهم وكراسي السطح.

وقال مكغوناغل معلقا على ذلك، «إنه لامر جيد ان يكون لدينا مستحمون باشعة الشمس. إن ذلك سيبرهن على اننا مسالمون!».

واثنى مكغوناغل على الرجال مستخدما جهاز إعلان السفينة العام مادحا التمرينات الجيدة التي ادوها مذكرا اياهم مرة اخرى بموقفنا الذي يحمل الخطر بين طياته والحاجة للاستجابة الفورية للانذارات، لان احدها قد يكون انذارا حقيقيا. ولتوضيح اهتمامه، اشار الى الحرب الدائرة الى اليسار منا، واخبر الرجال بالحريق الهائل الذي شب في العريش، والذي ما زال دخانه الاسود يهدد بحجب المدينة عن نظرنا وراء سحبه. وفي الختام اشار الى ان القوات المحلية عرفت ان ليبرتي موجودة هناك، وذلك بعد ان قامت بطلعات جوية استكشافية عديدة في اثناء فترة الصباح ـ وقال للرجال كما قال لي في وقت سابق ـ اننا نتوقع ان تقوم زوارق بزيارتنا في اثناء فترة ما بعد الظهيرة لتلقي علينا نظرة من موقع اقرب.

تلقى متحدث من تلفون مقصورة قيادة السفينة، وكان ما يزال يعمل على لف الشريط ولكن لم ينزع القابس، خبرا من مراقب الرادار ثم اعاد ترحيله مفاده ان ثلاث طائرات تطير بسرعة فائقة جدا على بعد ستة عشر ميلا وتتجه نحو السفينة من زاوية مقدارها ٠,٨٢ درجة، وهو الاتجاه العام للعاصمة الاسرائيلية تل ابيب. ثم عاد المراقب وصحح الخبر قائلا ان «اسباب الاحتكاك اخذت تضمحل، يبدو انها عوامل طقس».

ومع انني لم اعد عضوا رسميا في فريق مقصورة قيادة السفينة العامل، فقد اخبرت المتحدث ان يقول لمراقب الرادار ان الاحتكاكات الجديدة قد تبدو دائما عندما تشاهد على شاشة الرادار مثل غيوم او حبات المطر الصغيرة، وان على المراقب ان يستمر في مراقبته هذه الاحتكاكات بإنتباه. ثم صحح الخبر مرة اخرى. لقد وصف عامل الرادار الان ثلاث اجسام سطحية السرعة في ذات اتجاه ومعدل الاجسام الجوية التي رصدت من قبل وتتحرك نحو السفينة بسرعة خمس وثلاثين عقدة.

ثم صاح لويد بينتر، «يجب ان تنظر الى هذه ايها القبطان! إنني لم ار شيئا يتحرك بمثل

هذه السرعة». قال بينتر ذلك بعد ان شاهد الزوارق على شاشة رادار مقصورة السفينة الذي يكرر ما يظهر على رادار السفينة.

بعد ان انتهت التدريبات، إستؤنف النشاط المعتاد على السفينة. وعمم الامر التالي: «قفوا بعيدا عن محرك زورق النجاة في اثناء إختبار المحركات». وكان ذلك اختبارا روتينيا يجري كل يوم عندما تكون السفينة في عرض البحر.

جلست باسترخاء على احد الاطراف المكشوفة لمقصورة قيادة السفينة، جاثما فوق احد مصابيح إضاءة ميمنة السفينة حيث كان بامكاني ان ارى بشكل افضل في اتجاه الطائرات المتوقعة. ووقف القبطان بالقرب مني. اما جيم اوكونور، الضابط التنفيذي وبعض الرجال الذين كانوا في مقصورة قيادة السفينة في اثناء التدريبات فقد بقوا حيث هم ليشاهدوا الطائرات المرتقبة. وجاء ايضا ضابط الصف راولي المصور الفوتوغرافي في الباخرة الذي طلبت منه الحضور.

كنت اول من لمح الزائر واشرت الى طائرة ميراج نفاثة وحيدة مثلثة الجناحين على ارتفاع من الماء بلغ نحو ٤٥ درجة، متوازيا مع خط ابحارنا على ذلك النحو الذي اصبح الان روتينيا. وبقيت الى ان تأكدت من ان القبطان مكغوناغل رأى الطائرة، ثم توجهت نحو المقصورة المكشوفة على سطح السفينة الاعلى. كنت استبق الزمن نحو مرقاب (تلسكوب) من البعد منصوب بشكل دائم في ميسرة السفينة حين وجدت راولي قد سبقني الى ذلك المكان وهو يحمل كاميرة السفينة من طراز نيكون مزودة بعدسة غير ملائمة للتصوير من المسافات البعيدة. وتجمع العديد من البحارة لمشاهدة الطائرات بوضوح. وفي اللحظة التي حولت فيها اتجاه التلسكوب الى ميمنة السفينة لالقي نظرة فاحصة على الطائرة النفاثة، صاح راولي، «يا سيد اينيس، انه ليس هنا. انه هنالك عاليا في مقدمتنا!».

وراح اوكونور، الذي كان يقف الى يميني، يتفحص السماء بمنظاره المقرب المكبر في الوقت الذي كنت انظر فيه في الاتجاه الامامي.

الفصل السادس

هجوم جوي

تخيل جميع الزلازل التي وقعت في العالم وكل الصواعق والبرق وقد جمعت كلها في حيز صغير مساحته ميلين ثم اطلقت كلها في ان واحد.

وصف كتبه ضابط مجهول في الجيش الامريكي لاشتباك ليلي عندما اجتاحت قوات الفاراغوت حصني جاكسون وسينت فيليب.

٢٤ نيسان/ابريل ١٨٦٢

اندلع فجأة ومن كل صوب حر لافح وضوضاء هائلة.

وادرت جسمي وبشكل غريزي معرضا اصغر جزء منه للحرارة. جاءت الحرارة اولا، وكانت حرارة - وليس نيران مدفع - هي التي جعلتني انعطف مبتعدا. وكان الوقت مبكرا جدا لاعرف ان كان سبب تلك الحرارة صواريخ او نيران مدافع.

«إننا نطلق النار!» كان ذلك ظني. «ولكن لماذا نطلق النار؟»

وامتلأ الهواء بمعدن ساخن في الوقت الذي فتحت فيه انماط من الومضات البرتقالية الهندسية الاشكال ثقوبا في صفائح سطح السفينة المعدنية.

وقذف انفجار رجال مدفعيتنا عاليا في الهواء وهم يدورون بسرعة وقد تكسروا مثل الدمى.

كان انطباعي الاول خاطئا - وهو البحث البدائي الوقائي عن شيء آمن ومألوف لدي والذي جعلني اندفع بشكل عاطفي واحتمي خلف المدفع. إننا لم نكن نطلق النار ابدا، بل ان وابلا من قذائف مدافع الطائرات ونيران الصواريخ القاتلة كانت تطلق علينا.

والقتني قوة عاتية على الحاجز. وبسبب إستنادي الى ذراعي تمكنت من البقاء واقفا في الوقت الذي مرت فيه الطائرة المهاجمة فوق رؤوسنا، يتبعها صوت مدو ثم ساد الصمت.

ولمح اوكونور في الوقت المناسب ومضات لامعة تحت جناحي الطائرة النفاثة فرنسية

الصنع وقفز مندفعا نحو الجزء الاسفل من احد السلالم. وضربته شظايا صاروخ وهو في الهواء في منتصف المسافة واصيب بجراح بالغة قبل ان يسقط على سطح الطابق الاسفل.

وبدا انني كنت الشخص الوحيد الذي بقي واقفا في الوقت الذي اختفت فيه الطائرة النفاثة في إتجاه مؤخرة السفينة. ومن حولي تناثر في غير انتظام رجال يتلوون من الالم كالحيوانات الجريحة لا حول لهم واعينهم جاحظة، وقد سيطر عليهم الرعب غير مدركين لما جرى. وخلفت الطائرة الثانية اثرا دخانيا في السماء امامنا. وشاهدنا، ونحن لا نستطيع الحركة، الطائرة النفاثة تدور دورة حادة مداها ١٨٠ درجة وتعود متجهة نحو ليبرتي لتستأنف الهجوم عليها. وقد اصبحت الان بزتي الكاكية شديدة الاحمرار بسبب اربع وعشرين شظية صاروخية دفنت في لحمي. ومن خصري تدلت ساقي اليسرى التي اصيبت بكسر فوق الركبة وبدت مثل كيس فستق كبير. كان طعم الدم قويا في فمي عندما فحصت ساقي السليمة. هل اصبت بجرح خطير؟ هل استطيع مساعدة الرجال الذين يتخبطون في دمائهم هنا؟ هل استطيع مساعدة نفسي؟ هل من الجبن في شيء ان اغادر هذا المكان؟

وعلى ساق واحدة اخذت اقفز هابطا السلم الشديد الانحدار وسرت مترنحا عبر المنطقة المفتوحة وسقطت بثقل فوق حجرة مدير الدفة في ذات اللحظة التي بدأت فيها ثقابات جهنم تدك صفائح سطح سفينتنا المعدنية للمرة الثانية. ووسط ضجيج هائل احدثت صواريخ الطائرة ثقوبا مقاسها ثماني بوصات في السفينة امتدت منها السنة مثل كائنات تنفث لهبا واخذت تتلمس طريقها على نحو اعمى بحثا عن الرجال في الداخل.

كانت حجرة مدير الدفة قد امتلأت بالفعل برجال خائفين لا حول لهم ولا طول. وتدفق الدم وتجمع بركا وتخثر في كل مكان. واخذ الناس يخطون في الدم ويتعثرون ويسقطون فيه، ونشروه من حولهم في اثار اقدام قرمزية كبيرة. واطلق إنذار الهجوم الكيمائي بدلا عن الانذار العام، ولكن لا بأس. لقد عرف الرجال اننا نتعرض للهجوم وذهبوا الى اماكنهم الصحيحة.

ظهر القبطان مكغوناغل فجأة في باب الجانب الايمن من حجرة مدير الدفة وصاح، «ادر الدفة الى اقصى حد ناحية اليمين. شغلوا كل الماكينات باقصى طاقاتها. ابعثوا برسالة الى رئيس العمليات البحرية تقول، «نتعرض لهجوم من طائرة نفاثة مجهولة الهوية، نطلب مساعدة فورية».

وشعر طاقم السفينة بالامتنان وهم يتلقون امرا لينفذوه كما شعروا ايضا بان هذا الرجل، القبطان، هو الشخص الوحيد الذي يستطيع ان ينقذهم، ولذلك استجابوا له بسرعة ودقة ولدها الرعب. ولم يحدث قط من قبل ان تم اقرار لاوامر وتنفيذها باسرع من

ذلك. هؤلاء رجال شجعان حسنو التدريب. ولكنهم كانوا ايضا رجالا مرتبكين وخائفين وغير مدربين على القتال. لقد اشعرهم الامر الذي اصدره القبطان ان شيئا ما يجري عمله من اجلهم، وجعلهم جزءاً من المجهود المبذول من اجلهم واعطاهم شيئا من الامل ليحل محل الخوف الشنيع.

وتحرك لويد بينتر مستجيبا لعادته بقدر إستجابته لنداء الواجب وشعر بالامتنان لان الواجب يتطلب منه الخروج السريع من ذلك المكان البشع. واخذ يبحث عمن يحل محله حتى يذهب الى مركز ضبط الاضرار الذي عين له وهو موجود في الجزء الاسفل من السفينة. وقد طلب من الملازم اوكونور الذي وجده بين الحياة والموت في كومة رخوة مليئة بالدماء في قاع السلم، « هل انت مستعد لتحل محلي ؟ »

واجاب اوكونور بضعف ساخرا، « لا. لست مستعدا لاحل محلك. وكان اوكونور واعيا حتى في تلك الظروف بالسخرية التي بدت في طلب اوكونور. وتدخل مكغوناغل ليعفي لويد من مسؤوليته في مقصورة قيادة السفينة.

كنت مستلقيا الى جانب طاولة الخرائط، عاجزا عن التحكم في تدفق الدم من جسدي واتساءل عن كمية الدم التي يمكن ان افقدها قبل ان يغمى علي. كان الدم من جرح صدري يتكوم في جانبي بدرجة جعلتني غير قادر على خفض ذراعي. وكشفت رجل سروالي عن تدفق مستمر من الدم الجديد من موضع كسر. وكان الدم ينزف ببطء من عدة جروح وكان البحار جورج ويلسون من شيكاغو يستلقي بجانبي، وهو الذي قضى جزءاً من نوبة مراقبته هذا الصباح دون منظار مكبر مقرب. ورغم ان ابهام يده كان شبه مبتور، استطاع ويلسون، مستخدما يده السليمة وحزامي، ان يصنع مرقاة لساقي وان يخفف اسوأ نزف لدمي بفاعلية. وفتح شخص ما قميصي ونزع قميصي الداخلي ليستخدمها كضمادة طارئة في مكان ما. وفي هذه الاثناء لففت منديلي باحكام حول معصم ويلسون للتحكم في النزيف المتدفق من يده. وبينما كنا على هذه الحالة الغريبة هاجمتنا الطائرة التالية.

وضرب السفينة وابل اخر من الصواريخ. ومع ان الطائرة الاولى سببت لي طنينا دائما في اذني وسلبت مني الى الابد القدرة على سماع الموجات العالية، فان هذه الهجمات لم تكن اقل ضجيجا. وسقط رجال جدد مع كل هجوم جديد وتلقى الملازم توث الذي كان ما يزال يحمل تقريري الذي لم يرسل حول مشاهدة الطائرات؛ تلقى ضربة صاروخ احالة بقاياه الفانية الى كومة يتصاعد منها الدخان. وبقي البحار سلفادور بايان على قيد الحياة وقد دفنت قطعتان خشنتان مثلمتان من المعدن عميقا في جمجمة رأسه. واصيب الملازم دايفيد لوكاس بشظية صاروخ في مخيخه. وكان الهجوم ما زال مستمرا.

وفي حجرة مدير الدفة، حاول الرئيس البحري فلويد بولارد ان يغطي زجاج فتحة

النفاذ بلوح من الصلب ليحميها ، فانفجر صاروخ ومعه زجاج فتحة النفاذ امامه وحوّل وجهه والجزء الاعلى من جذعه الى خليط دموي. وساعده بينتر ليعلي قيادته الى مكان آمن نسبيا بالقرب من طاولة حجرة مدير الدفة المصنوعة من الخشب السميك قبل ان يغادر مقصورة قبطان السفينة ليلتحق بمركز مراقبة.

وفي الجانب الايسر من السفينة ، تحت مقصورة القيادة مباشرة ، اندلع حريق من برميلين معطوبين من براميل البنزين الخمسة والخمسين. وغمر نهر عظيم من اللهب المنطقة وتدفق هابطا من السلالم الى سطح السفينة الرئيسي في الطابق الاسفل. وقفز الرائد البحري ارمسترونغ ، الباسل والمتهور ابدا ، والملتزم ابدا باداء المهمة الموكلة اليه اندفع نحو النار . ولا بد انه كان يقول وهو يشق طريقه ليصل الى مقبض الاطلاق السريع الذي كان سيسقط الاوعية الملتهبة والتي ما زالت ممتلئة حتى نصفها في البحر « اضربوهم! اضربوهم بعنف ابناء الكلاب! » وفجأة اذاب صاروخ منفرد عظام ساقيه كلتاهما.

وفي هذه الاثناء ، فان الاتصال x الذي ظل غامضا حتى الان ، انتعش من جديد مع اول صاروخ منفجر . وقد شاهد رجال الغواصة الامريكية الذين اخرجوا منظارهم بسرعة فوق سطح الماء ، موجة بعد موجة من الطائرات تهاجم ليبرتي. وقد منعتهم الاوامر الصارمة من القيام باي عمل قد يكشف عن وجودهم في تلك المنطقة ، ومن ثم لم يكن بمقدورهم ان يساعدونا ، وما كان من الممكن لهم ان يمزقوا الصمت المفروض علهم ليطلبوا لنا المساعدة بالراديو . وهكذا وبعد ان تملك الغضب والاحباط الضابط قائد الغواصة. نشط كاميرا المرقاب الخاص بالغواصة وسجل الاذى الذي نزل بليبرتي في شريط سينمائي. ولم يكن بوسعه ان يفعل اكثر من ذلك[١] .

توقف الطبيب كيبفر ، وهو في طريقه الى مركز واجباته في جناح المرضى بالسفينة ، ليعالج البحار الذي وجده في احد الممرات ينزف بشدة بسبب جروح احدثتها شظية. وكان بقرب المكان باب لم يقفل بعد ، واستطاع كيبفر ان يرى من خلاله رجلين جريحين آخرين على سطح السفينة الاخير المكشوف والمعرض للخطر . وكانت طلقات المدافع والصواريخ تتفجر في كل مكان بينا يحاول الرجلان بضعف ان يزحفا الى اماكن آمنة نسبيا.

(١) وصلتني هذه الرواية اول مرة من احد مجندي طاقم بحارة الغواصة وكان قد افشاها متهور في كافتريا مستشفى بورتسموث البحري بعد اسابيع قليلة من وقوع الهجوم. وبدا لي ان ذلك التقرير قد فسر العلامات التي رأيتها على الخريطة في مركز التنسيق، وكذلك التقارير التي تحدثت عن مشاهدة منظار غواصة يحوم حول السفينة في يوم الهجوم عليها. ومنذ ذلك الوقت اكد ثلاثة اشخاص في مواقع تسمح لهم بان يعرفوا ، ان الغواصة كانت تعمل بالقرب من ليبرتي. ومع ذلك لم يؤكد شخص يوثق به ان صورا فوتوغرافية قد التقطت.

وفي الوقت الذي كان يعمل فيه للتحكم في نزيف دم المريض الذي يعالجه، صرخ كيبفر في مجموعة صغيرة من البحارة، «اذهبوا واحضروا هذين الرجلين الجريحين».

وهمس كل واحد من الرجال الخائفين وهم يتحركون بعيدا عن الطبيب، «لا، يا سيدي. ليس انا. انني لست مجنونا».

ولكن لا يهم. ان كيبفر سيقوم بهذه المهمة بنفسه. وحالما كان بوسعه ان يترك مريضه. تحرك ذلك الطبيب عبر السطح المكشوف وجثى متجاهلا شظايا الطلقات والصواريخ، بجانب الرجلين الجريحين وحملها، وقد لف ذراعا واحدة حول خصر كل من الرجلين وحملها الى مكان آمن وفي رحلة واحدة لا تصدق ومحفوفة بالمخاطر.



كان الملازم اول جورج غولدين، الضابط المهندس في ليبرتي، في قاعة طعام الضباط مع الملازم لوكاس عندما بدأ الهجوم. وكان من المقرر ان يعقد إجتماع يضم غولدين وسكوت ولوكاس ومكغوناغل ليناقشوا التدريبات العسكرية. وبما ان القبطان كان ما يزال في مقصورة القيادة، ولذلك تأخر الاجتماع. وقد تباطأ سكوت في الحضور لان ذلك اليوم كان يوم عيد ميلاده الرابع والعشرين وقد ذهب الى مخزن السفينة لينتقي كاميرا بولارويد للمساعدة على الاحتفال بالمناسبة.

كان غولدين يصب القهوة عندما سمعوا اول انفجار. وصاح وهو يترك كوبه وينطلق نحو الزورق، «يا يسوع، لقد اسقطوا زورق النجاة». ثم سمع انفجارات اخرى وعرف حتى قبل إطلاق الانذار ان ليبرتي تتعرض للهجوم.

وعكس غولدين اتجاهه وانطلق نحو مركز واجبه في غرفة الماكينة في الوقت المناسب ليشاهد الملازم سكوت يفتح الباب المؤدي الى غرفته الخاصة ويلقي بكاميرته الجديدة عبر ارضية الغرفة قبل ان يجري ليذهب الى مركز واجبه في مركز التحكم بالاعطال.

اخترق صاروخ غرفة الماكينة ليقتلع غولدين من على سلمها. واندفع بسرعة بالغة في الظلام وسقط في النهاية على سطح من الصلب ونجا باعجوبة من اي اذى. واستطاع ان يرى الصواريخ تتفجر في كل مكان وهي تمر بالضبط فوق رؤوس رجاله وتهدد المعدات الحيوية في السفينة. وصرخ غولدين، «اخفضوا رؤوسكم. ليبق كل واحد في وضع منخفض، اجلسوا على ركبكم!»

لقد ادرك غولدين ان مقصورة ربان السفينة ستحتاج الى الحد الاقصى من الطاقات. وكانت غرفة التحكم في الماكينة الرئيسية قد تلقت نداءاً بالجرس من مقصورة قيادة السفينة لتشغيل ماكينات السفينة باقصى طاقاتها ولكنها لم تستطع تلبيته ذلك النداء. كانت السرعة القصوى سبع عشرة عقدة ولكن اوقف غولدين احدى الغلايات من المجموعة قبل الموعد

المحدد لذلك بعشر دقائق حتى تبرد لتجري عليها بعض الاصلاحات. وبدون تلك الغلاية كانت افضل سرعة يمكن تحقيقها هي نحو اثنتا عشر عقدة. وفي الحال اعاد الغلاية الباردة الى خط التشغيل وبدأ في زيادة ضغطها.

وحتى مع تشغيل الغلايتين في الخط، فان طاقة الماكنتين محدودة بمنظم خاص بثمانية عشرة عقدة. ولسنوات كان غولدينغ يحمل مفتاح ذلك المنظم في جيبه وذلك كي يجده بسرعة في مثل هذه الحالات الطارئة. واقفل غولدين المنظم واتاح للسفينة ان تصل سرعتها الى واحدة وعشرين عقدة.

وبينما كانت نيران المدافع الرشاشة وصواريخ الطائرات تقصف السفينة، اخذت غرفة الماكينة الرئيسية تبدو كمعرض الالعاب النارية. لقد اطفئت الانوار في الدقائق القليلة الاولى للهجوم، مفسحة المجال للمشاعل الكهربائية والمصابيح الكهربائية للطوار بوصفها الاضاءة الوحيدة في الغرفة ما عدا ضياء السماء الذي يشع على سطح السفينة الاول في مجموع ستة اسطح. ووسط هذا الظلام النسبي كان الرجال يعملون وهم جاثون على ايديهم وركبهم ويشغلون الصمامات ويفحصون المقاييس ويشغلون بعض التجهيزات ويوقفون تشغيل الاخرى متخطين الانابيب المكسرة. وفي هذه الاثناء وعلى طول الخط كانت تتراقص فوق رؤوسهم جسيمات دقيقة بيضاء وصفراء وحمراء وخضراء تشبه الحباحب كان بعضها صغيرا وكان بعضها ضخما وتفتت قطعا تقاطرت لتمطر عليهم. وكانت كل هذه الجسيمات تدخل الغرفة مصحوبة بضجيج هائل وهي تنفجر بعد ان تخترق هيكل السفينة الخارجي.

القى غولدين نظرة خاطفة على المنظر في السطح الاعلى. وذكره ذلك بوابل من النيازك، مع استثناء الضجة او بلحام القوس الكهربائي. لقد اصبح معظم رجاله هنا الان، بعد ان نزلوا السلالم بامان مخترقين الالعاب النارية ليصلوا الى مراكز واجباتهم. وكان جين اوينز المسؤول عن الغلاية هنا ايضا ومسؤولا عن المعدات الاضافية على السطح الذي يلي ذلك الذي كان عليه غولدن. وكان ضابط الصف مراقب الآلات ومساعد رئيس السفينة ريتشارد جي. بروكس هنا ايضا. وكان بروكس هو ضابط الصف المسؤول عن غرفة الماكينة وكان موجودا في كل مكان.

وادرك غولدين فجأة ان في مكان بعيد فوقه، ومباشرة في مجال الصواريخ ونيران المدافع الرشاشة كان يقع خزان المياه الساخنة. وكان بذلك الخزان خمسة الاف غالون من ماء حرارته قريبة من درجة حرارة الغليان وهي جاهزة لتندلق فوقهم إذا ما حدث تمزق ذلك الخزان. وكان صمام تصريف تلك المياه في قاعدة الخزان، ولذلك كان من الضروري ارسال رجل الى ذلك الارتفاع الذي يزيد عن ارتفاع ثلاثة اسطح لفتح الصمام.

وشرح غولدين لبحار شاب وبسرعة ما يجب عمله ثم ارسله ليقوم بالمهمة، ولكن إنهار

الرجل المرعوب على حاجز السطح ورفض ان يتحرك.

وسمع مساعد رئيس السفينة بروك الحوار وصاح في الرجل، «هيا، لقد سمعت ما قاله الملازم. تحرك!» وهز الرجل المرعوب رافعا اياه ليقف على قدميه.

وكان الرعب مكتوبا على وجه الرجل الشاب. وبدأت الدموع تنحدر على وجهه المتلوي بسبب تكشيرة من الخوف.

وبزمجرة احتقار دفع بروكس الرجل دفعة جعلته يتمدد على الارض. ثم صعد على السلم متجها الى صمام التصريف الحيوي. وعندما وصل الى ارتفاع سطحين، نحو خمسة عشرة قدما على السلم، وقع انفجار هائل بالقرب منه وانتزعه من مكانه على السلم في وابل من الشرار والنار والقى به في الفضاء ليسقط على حواجز الصلب في الطابق الاسفل. ووقف بروكس على قدميه ناهضا قبل ان يصل اليه احد ثم عاد الى نفس السلم وصعد الى ان وجد الصمام وفتحه وصرف المياه الساخنة. حدث ذلك قبل لحظات فقط من سقوط الصاروخ الذي ما كان منه مفر على خزان المياه الساخنة ليجده وقد افرغ لتوه.

وفي ظرف دقائق قليلة ضربت معظم المصابيح الكهربائية للطوارىء بشظايا الصواريخ او اعطبت بفعل ضغط الانفجارات التي وقعت بالقرب منها. وكانت الحجرة شبه مظلمة. ولان الرجال كانوا يعملون جاثين على ايديهم وركبهم فقد ظلوا تحت خط الماء ومن ثم تحت مستوى قصف معظم الصواريخ ونيران المدافع، مع انهم كانوا ما يزالون عرضة لصاروخ عرضي طائش وللوابل المستمر من شظايا المعدن الساخنة التي تتساقط من اعلى. وعندما امتصت مراوح الهواء النقي الدخان الخانق من السطح الرئيسي الى غرفة المحركات، امر غولدين الرجال بان يغطوا وجوههم بالخرق وان يحاولوا ان يجدوا هواءاً بالقرب من السطح. وعندما لم يعد ممكنا احتمال الدخان، بعث برسالة الى مقصورة قيادة السفينة اوضح فيها انه سيضطر لاجلاء موقعه. ولكن قبل ان يصدر غولدين امر الجلاء مباشرة، امر ماكفوناغل قبطان السفينة بتغيير خط سيرها الامر الذي حمل الدخان بعيدا عن المراوح. وعاد الهواء النقي اخيرا الى غرفة الماكينة.

افرغت الطائرة المهاجمة الاولى منصات المدافع من الرجال الذين كانوا عرضة للقصف. اما الطائرة الثانية، فإنها، اما بفضل حظ غير عادي او دقة خيالية في التصويب، عطلت اي هوائي على السفينة عن العمل ومنعتها مؤقتا من طلب المساعدة.

وسرعان ما التحقت بطائرة الميراج العالية الكفاءة القاذفة التي بدأت الهجوم، طائرة ميستير نفاثة ذات اجنحة متحركة واصغر تحمل النابالم (البنزين الهلامي) المرهوب. وطائرات الميستير ابطأ من الميراج واكثر منها قدرة على المناورة وقد وجهت الصواريخ والنابالم على مقصورة القيادة والاهداف القليلة الباقية على الجزء الاعلى من السفينة.

وباسلوب، ربما طور ليستخدم في الحروب الصحراوية، ولكنه شيطاني حين يستخدم ضد سفينة في البحر، كان طيارو الميستير يطلقون صواريخهم من مسافة ثم يلقون علب نابالم ضخمة فضية اللون في السفينة عندما يمرون من فوقها. وانفجر السائل الهلامي ليصبح لهبا هائجا عند اصطدام العلب بالسفينة، مغطيا كل شيء، ثم اندفع في الثقوب الجديدة التي احدثتها الصواريخ ليشتعل باهتياج شديد بين الرجال الذين كانوا في الداخل[٢].

وراقبت القبطان مكفوناغل واقفا بمفرده في الجناح الايمن من مقصورة القيادة في وقت بدا فيه العالم وكأنه قد اصبح كتلة من نار. لقد احترق السطح الواقع تحته والدعامات العمودية المحيطة به وحتى السقف الذي اظله. وكان بناء السفينة الفوقي باكمله قد انفجر في شكل حائط من اللهب ابتداءاً من السطح الرئيسي الى مقصورة القيادة المكشوفة في السطح الرابع. واحترق كل شيء بعنف غريب لم يختبره سوى عنف الحروب في حين ان القائد بدا منيعا محصنا ضد اللهب الذي صنعه الانسان وكان اشبه بالشيطان نفسه وهو يخطو في هدوء عبر النار ليصدر اوامره: «النار، النار، على الجانب الايمن من السفينة. إطلق إنذار الحريق».

وجاء رجال مكافحة الحريق الى مسرح الاحداث وكأنما كانوا في مكان قريب في انتظار إشارة متفق عليها مسبقا. وتدفق الرجال من باب خلفي في برج الملاحة وهم يحملون الفؤوس والعتلات وزجاجات ثاني اكسيد الكربون ومئات الامتار من خراطيم إطفاء الحريق. وقد اضيفت اصوات زجاجات ثاني اكسيد الكربون ومرشات خراطيم اطفاء الحريق أي الضجيج في الوقت الذي طغت فيه رائحة البخار على رائحة ملح حامض النتريك والدخان والدم. كان الرجال يصرخون ويبكون ويزعقون بالاوامر ويتدافعون للقيام بواجبهم في الوقت الذي كافحت فيه السفينة لتبقى على قيد الحياة.

وفي اعلى مقدم السفينة، كان المدفعي ميت الاسكندر ن. طمسون يشق طريقه دون توان نحو موقع مدفع أمامي. وكان طمسون قد قال لي قبل لحظات من ذلك ونحن في مقصورة قيادة السفينة، «لا تقلق يا سيدي. إذا ما حدث اي شيء، فإنني اريد فقط ان اكون في موقع مدفع». والان ابعدته إنفجارات الصواريخ مرارا وتكرارا. ومع كونه

(٢) كانت الطائرات النفاثة التي بدأت الهجوم من طراز داسو ميراج III ذات المقعد الواحد وبعيدة المدى، (١٤٦٠ ميلا في الساعة)، وهي طائرات قاذفة مقاتلة شبيهة بتلك التي شوهدت اثناء الصباح. وتحمل طائرات الميراج مدافع من عيار ٣٠ مم في قفصها وستة صواريخ تحت جناحيها. وقد قامت بالهجوم الثاني طائرة من طراز داسو MD 452 ميستير IV-A ذات مقعد واحد تبلغ سرعتها ٦٩٥ ميلا في الساعة وهي طائرة اعتراضية نفاثة. وتحمل طائرة الميستير عادة مدفعا من عيار ٣٠ مم وخمسة وخمسين صاروخا وعلب النابالم. ولم يتم التعرف على طراز او جنسية اي من الطائرتين إلا بعد وقت متأخر جدا وبعد المقارنة بين الصور الفوتغرافية للطائرات الحربية.

منهكا، دفعه واجبه الذي ينتظره في حوض المدفع الصغير ليقوم بالمحاولة مرة اخرى.

ولأن الرادار قد تعطل، ترك شارلس ج. كوكنافيتش، موقعه ليشغل مدفعا بالقرب منه. واصدر القبطان ماكغوناغل امره قائلا، «ابق في مكانك»، وذلك لانه كان يعلم انه لن يكون للمدفع اثر وان كوكنافيتش سيموث وهو يقوم بمحاولة لا جدوى منها لاطلاق النار. وفي هذه الاثناء إستطاع رجل الاشارة راسل ديفيد الاسود الضخم ان يخلص الملازم اوكونور من تحيزه العرقي الكامن. عندما تحدى راسل النار والانفجارات والرصاص وحمله وهو ضعيف ويكاد يغمى عليه من مقصورة القيادة الى مركز معلومات القتال الفارغ الان.



تحول برج الملاحة الى بحر من الرجال الجرحى، ممتلئا بخراطيم إطفاء الحريق والمعدات المستهلكة. وكان الرجال يتعثرون فوق المعدات ويطأون الجرحى. وكانت هناك كتلة نابالم في حجم كرة القدم تحترق بغضب امام مدير دفة السفينة لتزيد من كثافة الدخان والارتباك وفي اجزاء اخرى من الغرفة احترقت كتل اصغر من النابالم مقاومة محاولات إطفائها.

ومرة اخرى اخذت افكر باداء الواجب. كان واجبي يقتضي بقائي في مقصورة قيادة السفينة هذه، وسط اللهب وشظايا القنابل، ان اقود هذه السفينة وان اقاتل من اجل حمايتها. لقد اصابني الوهن بالفعل من جراء الدم الذي فقدته وبسبب الصدمة التي احدثتها جروحي. وتعثر بحار فوقي وداس على البحار ويلسون وسقط على رجل جريح آخر وهو يجر زجاجة غاز ثاني اكسيد الكربون عبر الحجرة. وقررت ان واجبي لا يستدعي ان نستلقي جميعنا هنا وننزف. وقد يكون من واجبي ان افسح الطريق، إذا امكن ذلك، حتى يتمكن الاخرون من القتال. وارخيت مرقأة ويلسون كما اطلق هو مرقأتي. ولانني كنت اعي تراجعي عن قلب المعركة وعيا دقيقا، ومددت ذراعي الى بعض البحارة المتكردسين بالقرب مني. وشدني البحار كينيث لاقف على قدمي واستأنفت القفز على ساق واحدة. وقلت لنفسي انني بحاجة الى مكان اضمد فيه جراحي، على ان اجد الثقوب واوقف تدفق الدم.

قفزت خارج الغرفة. وبقي معي ايكر ليزيد من شعوري بالذنب لانني تركت مقصورة القيادة. لقد كان امرا سيئا بما فيه الكفاية ان انصرف، اما ان آخذ معي حارس مقصورة القيادة! وقلت له ملحا، «ارجع». ولكن ايكر استمر في البقاء. كان سلم برج الملاحة مكتظا بخراطيم اطفاء الحريق. ولا بد ان درجات سلم متينة كانت موجودة تحت تلك الخراطيم، ولكن لم تقع قدمي الا على خراطيم الاطفاء الزلقة. واخذت اقفز على قدم واحدة بطريقة خرقاء واضعا احدى يدي على الحاجز فيما كانت رجلي المكسورة تصطدم بكل عائق. وفي احدى المرات وقفت جانبا لافسح المجال امام رجل يرغب في المرور في الاتجاه

المضاد وكان يحمل زجاجة ثاني اكسيد الكربون. ولكن الرجل وقف ليحملق في وجهي بنظرة جافلة وفم مفتوح. وانتهرته قائلا، « أسرع ». ثم وصلت الى السطح الاسفل وكان ايكر ما يزال معي. ومرة اخرى عبرت له عن إحتجاجي وقلت له، « إرجع ».

اخذت ابحث، وانا اعاني من الدوار بسبب الدم الذي فقدته، عن مكان افحص فيه إصاباتي واعالج جراحي. وكانت عملية البحث قد اضحت ملحة لان دواري قد اخذ يزداد. وقصف المزيد من الطائرات سفينتنا في الوقت الذي اكتشفت فيه ان غرفة القبطان لا توفر ملجأ آمناً. فقد استطعت ان ارى عبر الباب غرفة مليئة بالدخان بها ثقوب كبيرة مفتوحة على اللهب في الخارج وكتل النابالم المجنونة تأكل البساط الذي يغطي ارضها.

وجدت حول احدى الزوايا الغرفة الخاصة بالطبيب وكانت مظلمة وخالية من الدخان. ووجدت السرير المبيت في جدار السفينة مفتوحا لم يقفل منذ ان استخدمه صاحبه لاغفاءة الظهيرة وكانت كوة الحجرة مقفلة بصفيحة من الفولاذ. وقد ساورني شعور غريب بالقلق بسبب تلويث سرير الطبيب ولكني رفعت نفسي الى سريره النظيف. وظلت ساقي المكسورة، عديمة الفائدة، معلقة على جانب السرير في وضع بدوت فيه جالسا. وكان ايكر ما يزال بجانبي راغبا في مساعدتي ومع انه كان يخاف من لمس ساقي. ورفعها في النهاية ومددها على طول ساقي الاخرى. وفكرت بانه قد ينزل بالانسجة ضرر بسبب سوء التصرف. وتساءلت بيني وبين نفسي عن مدى قرب اطراف العظم الحادة من الوريد.

وتساءلت مرة اخرى، « ماذا سيحدث اذا انقطع الوريد ؟ » وربما انقطع الوريد بالفعل. وتدفقت آلاف الاسئلة تستجدي الاجابات: هل ارسلنا رسالتنا ؟ الن يوقفوا إطلاق النار ابدا ؟ متى ستصل طائراتنا النفاثة ؟ ومن هو الذي يطلق النار علينا على اي حال ؟

وكنا ما زلنا حتى تلك اللحظة نجهل المهاجم. ومع ان الدول العربية كانت تلقي باللوم، دون وجه حق، على الولايات المتحدة بسبب مشاكلها وتتهم الطائرات الامريكية التي تنطلق من حاملة الطائرات بمساعدة إسرائيل، الا اننا كنا نعرف ان القوات الجوية العربية كانت عاجزة وربما غير قادرة على شن هجوم كهذا. وزيادة في الارتباك ظن احد ضباط السفينة انه رأى طائرة من طراز ميغ ١٥ ـ تحلق فوق ليبرتي وبسرعة نشر خبر لا اساس له من الصحة على طاقم السفينة يزعم اننا نتعرض لهجوم شنه الاتحاد السوفياتي. ومن الجائز ان احدا لم يشك في القوات الاسرائيلية.

تنفست بهدوء والم لعدة مرات كي استعيد توازني قبل ان ابدأ العناية بجراحي. وظل ايكر يحوم بالقرب مني، فارضا على ضميري تذكيري بانه كان من الواجب علي ان ابقى في مقصورة القيادة، والاسوأ من ذلك ان رجلا سليم البنية مقتدرا كان بعيدا عن مركز واجبه لتقديم المساعدات لي وحدي. ومع كل حركة كان بامكاني ان اشعر بالتمزق الذي يحدثه

طرف العظم الحاد في العضل. لم اكن احس بالالم إلا على نحو معنوي، وبدلا عن ذلك كنت اعي الخوف، وبالتخلي عن اداء الواجب في مقصورة قيادة السفينة وبإدراك ملح وبصرف النظر عن اي شيء آخر يحدث فإنه كان لي بالمرصاد إن لم اوقف نزيف الدم بسرعة، وخصوصا نزيف جرح ساقي.

وتناولت ملاءات سرير الدكتور كيبفر لاعد منها مرقأة تكون اكثر فعالية عندما فتحت اربعة صواريخ قاتلة فجأة ثقوبا مقاساتها ثماني بوصات عبر حاجز تقسيم السفينة المصنوع من الفولاذ لتستقر في داخل الحجرة. ومرت فوق رأسي تيارات الهواء الساخنة مصحوبة بالنار والمعدن واستمرت في اندفاعها وهي تخترق جدارا مقابلا. كان ايكر يقف امام باب الغرفة المفتوح مرتاعا ولكنه لم يصب باذى، لقد اكدت خوذته الفولاذية فائدتها حين جرى مسرعا ليلبي نداءاً موجها الى رجال اطفاء الحرائق إذ ظهرت عليها اربعة ثقوب على مستوى جبهته، كان كل واحد منها بحجم اصبع الابهام.

لقد اشتعل صدري العاري بمئات من الحرائق الصغيرة في الوقت الذي سقطت فيه علي شظايا الصواريخ والجسيمات المكسوة بالنابالم مثل الدبابير الغاضبة. وازحتها بعيدا عني في حالة من اليأس. وكلما انطفأت السنة اللهب الصغيرة استمر المعدن الساخن في سفع صدري. وامتلأت الحجرة بالدخان لان الابسطة القريبة مني قد احترقت وكذلك الفرش من حولي وانتشرت الحرائق الصغيرة.

ومن خلال الثقوب الجديدة التي احدثتها الصواريخ استطعت ان ارى الحريق الهائل المشتعل على السطح في الخارج كما استطعت ان اسمع فرقعة اللهب.

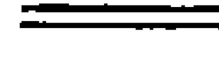
واحترق زورق النجاة ذو المحرك بضراوة بسبب ضربة نابالم مباشرة في حين حاصرت حرائق اخرى الاسطح المكشوفة وحواجز السفينة المجاورة. وفوقي مباشرة على السطح الثاني ادركت ان هناك مدفعا وهوائي راديو. وكان كلاهما هدفين واضحين. وكان علي ان اغادر ذلك المكان.

وسمرتني ساقي الى سرير السفينة. لقد عطلت تحركي وسمرتني في مكاني وحالت بيني وبين الهرب من الصواريخ الاضافية التي كان قدومها مؤكدا.

لقد قررت بان احتمي تحت الفراش ولكنني صرفت النظر عن ذلك. وبآخر ما لدي من قوة إستخدمت ساقي السليمة لتخليص الساق المكسورة من السرير. هل سيؤدي ذلك الى فتح الوريد؟ لقد كان علي ان انتهز تلك الفرصة لان طرف العظم الحاد قطع العضلة مرة اخرى وبجهد عظيم استطعت ان اندفع واقفا على رجلي السليمة ثم قفزت مبتعدا مرة اخرى نحو ما حسبته ملجأ اكثر امنا، وقفلت باب الحجرة من خلفي.

لقد حماني الباب الذي اغلقته من خلفي، بحكم العادة، من إنفجار جديد وربما انقذ

حياتي في الوقت الذي اخترق فيه صاروخ سقف الحجرة منفجرا بقوة على السطح الثقيل وفتحات الهواء في السقف، وقد كان الانفجار قويا لدرجة انه انتزع باب الغرفة من اطاره. وسقطت على السطح الخارجي.

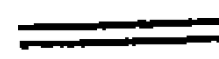


سقط مدير الدفة جريحا في مقصورة القيادة في الوقت الذي زرع فيه هجوم آخر شظايا الصواريخ في صفائح الفولاذ واللحم. وقبل سقوطه تقريبا، حل محله في موقعه مساعد الضابط المسؤول على ظهر السفينة فرانسيس براون وضابط التموين والامدادات في فترة الحراسة هو كبير الرجال المجندين العاملين في الخدمة وهو المسؤول عن اداء الرجال. وقد كان برون رجلا ودودا ومجدا ومتعاونا ولذلك كان من الاعضاء المحبوبين في فريق مقصورة القيادة. وكنت اسر دائما عندما يكون براون في الخدمة معي. ولم يكن بحاجة ابدا لان يتلقى امرا بما يجب عليه ان يفعل. وعندما كان براون يقوم بواجب المراقبة·واكتشف ان احد الرجال المسؤولين عن الدفة كان بطيئا في تنفيذ الامر او إذا كان هناك من مشكلةالرجال تتعلق بمعدات مقصورة القيادة كان يحدد المشكلة ويقوم بحلها من تلقاء نفسه. والان، وفي تصرف نموذجي، رأى ان من واجبه ان يتولى مسؤولية الدفة التي خلت من مسؤولها.

لم تعد البوصلة الجيروسكوبية صالحة للعمل. لقد اعطبتها ثلاثة صواريخ مترادفة مرت من حجرتها واجتازت وسط مجموعة من البحارة دون ان تصيبهم بأذى محطمة المعدات وتاركة ثلاثة ثقوب في الباب المصنوع من صفائح الفولاذ وهي في طريقها الى خارج الحجرة. وفي هذه الاثناء ظلت البوصلة المغنطيسية تدور بلا فائدة مثل لعبة الطفل.



وصل المدفعي طومسون اخيرا الى موقع المدفع ٥١ ليجده قد سد بجثة رجل اطفاء الحريق ديفيد سكولاك. قد الحق سكولاك بفرقة التصليح الثانية، ولكن وبعد ان جرح البحار بايان وترك موقع مدفعه خاليا ترك سكولاك فريق التصليح ليحل محل بايان. ولكن قطعت اوصاله بسرعة بضربة مباشرة من قذيفة صاروخية. وضغط طومسون على نفسه، وهو يشعر بضعف الان، وتحرك نحو موقع المدفع ٥٢ والذي يبعد نحو اربعين قدما من ميسرة السفينة. وإذا حالفه الحظ فإنه سيتمكن من إطلاق النار على الطائرة النفاثة المهاجمة التالية.



قبل وصولنا الى المنطقة بزمن طويل، وضعت معظم الوثائق السرية في حقائب كبيرة، واصبحت جاهزة ليلقى بها في البحر اذا دعت الضرورة للحيلولة دون وقوعها في ايدي

الاعداء . كان ذلك اجراءاً احترازيا كثيرا ما تتخذه السفن التي تعمل في مناطق خطيرة. والان وقد اصبحت السفينة بلا حماية وتتعرض للهجوم، فان كل الملفات التي لا تستخدم فعلا يجب ان تدمر. وقد برهنت الحقائب على عدم جدواها لانها كبيرة جدا وثقيلة بدرجة يصعب معها حملها، ولم يكن الماء عميقا بدرجة كافية للتخلص منها بطريقة آمنة. كما لم يكن من الممكن إستخدام موقد السفينة الخاص باحراق القمامة لانه كان في السطح الثالث وهو على مدى يسهل على الطائرات اصابته.

وكملجأ اخير، اصدر الملازم لول جيم بيرس، ضابط إتصالات السفينة، امرا لرجاله لتدمير كل شيء بقدر ما يستطيعون بايديهم. وسرعان ما ملأ الدخان اللاذع الحجرة عندما اخذ هو وجو لينتيني يلقيان قوائم الرموز في سلة مهملات يتصاعد منها اللهب، وفي مكان مجاور هجم ريتشارد كين ودوان مارغراف على معدات الشيفرة الرقيقة بقاطعات الاسلاك ومطرقة كبيرة. وفي حجرة اتصالات الابحاث الفنية، وكانت معداتها قد بدأت اخيرا تعمل بكامل طاقاتها، اخذ عمال التشغيل لتوهم التحدث الى نظائرهم في شيلتنهام بميريلاند، عندما عطلت الصواريخ كل اعمالهم ودمرت نظام الاتصال الى الابد. وتساقط وابل من الشرر مندفعا من اسلاك الضغط الكهربائي العالي في اعلى الحجرة واغرق الرجال والمعدات في اسفل الحجرة بالنحاس المذاب وملأت الغرفة برائحة الاوزون. ولم يعرف عمال التشغيل في شيلتنهام إلا في وقت متأخر جدا سبب توقف ليبرتي عن الكلام قبل ان تكمل الجملة التي بدأتها.

واخذ عامل تشغيل المبرقة الكاتبة في حجرة الرموز في السطح الثالث يحاول إرسال طلب السفينة للمساعدة. ولما لم يتلق جوابا، حاول المعدات الاخرى الى ان لاحظ احد الاشخاص اخيرا ان جهاز الرموز الاساسي قد نقل ليدمر بسبب الاحوال الطارئة، ولذلك عطل الجهاز. وحاول عامل التشغيل مرة اخرى، ولكن دون جدوى. وما ان ادرك الرجل دنو الموت بشكل لا يقبل الشك حتى افقده الخوف القدرة على النطق وخرج صوته في شهقات لا معنى لها وارتعش جسده وتبول الرجل في ملابسه بسبب الخوف، ولكنه بقي في مركزه محاولا إرسال الرسالة عبر لوحة المفاتيح. ومع ذلك لم يتلق جوابا. لقد جرى إستخدام الجهاز الخطأ بسبب العجلة في إعادة ادخال جهاز الرموز وصاح الرائد بحري لويس في الرجل عندما لاحظ المشكلة، «إنس الرموز وخاطب بلغة واضحة».

ومع ذلك لم تبرح الرسالة السفينة. ولم يكن احد قد ادرك بعد ان كل هوائيات السفينة سقطت بسبب اطلاق النار عليها.



واستطعت ان اسمع من حيث سقطت خارج حجرة الطبيب الخاصة صوت اللهب

والهسيس العالي الذي اطلقته زجاجات ثاني اكسيد الكربون واندفاع المياه من خراطيم اطفاء الحرائق والصوت الحاد الذي يحدثه الماء عندما يتحول الى بخار لحظة اصطدامه بالفولاذ الساخن. وانتشر الدخان في كل مكان.

وهبط بحار شاب درج احد السلالم بطريقة هستيرية وعمودية وهو يصيح، « لقد مات اوكونور! لقد كان يقاتل وقد مات الان! » ثم اختفى مستمرا في تبليغ رسالته المروعة مبلغا كل واحد بوفاة زميل حجرتي الذي ربطتني به صداقة لمدة طويلة. وفكرت في زوجة جيم، ساندي، الحامل، وطفله وكلبهم. من الذي سينقل الخبر الى ساندي؟ هل ستقوم زوجتي تيري بمؤاساتها ومساعدتها ربما ستؤاسي الواحدة منهما الاخرى.

وصل بحار يحمل نقالة مصنوعة من سلك ناعم إطارها من المواسير. ولانه قدر رتبتي العسكرية من قماش الكاكي الذي صنعت منه بزتي، قال البحار فرانك ماكنترف وهو يطمئنني ويضع النقالة بجانبي، « لا تقلق يا رئيس، ستكون على ما يرام ». ثم بهت عندما لاحظ شارات رتبة الملازم اول واعتذر عن هفوته بشدة. وضحكنا كلانا بينما طمأنته قائلا، « لا عليك. تستطيع ان تناديني يا رئيس ».

واقتنعت بضرورة إبعادي عن ذلك المكان الذي كنت فيه. فمن المؤكد انه لم يكن هناك وقت لعلاج الجرحى. واذا وجد الوقت فمن المؤكد ان عدد الرجال المشرفين على الموت كان كافيا لابقاء الفريق الطبي في عمل دائم. واصر ماكنترف على ان غرفة طعام الضباط تستعمل كمركز واجبات طارئة لتضميد الجروح وانه يجب ان أُحمل الى هناك. ودحرجاني هو وزميله على النقالة، والتفت ساقي على نحو غريب في اثناء هذه العملية. ثم ربطني بحزام ثقيل ورفع النقالة. ولم تكن العقبة الاولى بعيدة جدا منا إذ ان السلم المؤدي الى السطح الاول كان منحدرا بزاوية حادة. وظننت انني سانزلق من الرباط واسقط الى اسفل السلم. وبدأنا الهبوط ونقالتي تكاد تكون في وضع عمودي. وشعرت بألم شديد في ذراعاي وانا امسك بإطار النقالة المصنوع من الانابيب حتى لا انزلق، ومزق السلك الرفيع اصابعي، وبينما كنت انزلق نحو طرف النقالة الاسفل كنت اشعر بأطراف العظم المكسور تحتك ببعضها البعض. وفجأة نسيت كل هذا الهم حينما شن هجوم صاروخي جديد على السفينة. وقد انطلق على طول السفينة ذلك الصوت الذي يمزق الاذن ويدمر العقل والذي بات مألوفا الان ويصدر عن إنفجار الصواريخ عبر صفائح الصلب.

واستجمعت قواي إستعدادا للسقوط الى قاع السلم في الوقت الذي انفتحت فيه ثقوب في صفائح الصلب من حولنا. ثم ساد الصمت، فيما عدا صوت اللهب والمحركات ومعدات إطفاء الحريق.

.كان الصمت الذي يتبع كل هجوم بالصواريخ يبدو غير دنيوي، وبدأنا نعي ببطء

الأصوات الاخرى، ولكن كان الاحساس المباشر هو الفرج والصمت الغريب. وكنا نجد في ذلك الصمت اننا ما نزال احياء، وما نزال نقف على سلمنا وما نزال نتنفس بعمق. ولم يكن السلم التالي اقل انحدارا، ولكننا اجتزناه بسهولة وبدون مصاحبة الصاروخ لنا.

وكانت النقطة التالية التي وصلنا اليها هي باب غرفة طعام الضباط، المكان الذي كنا نقصده، حيث رحب بنا المزيد من الصواريخ، دخلت الغرفة عبر جدار مقابل. وكانت مكتظة بدخان ابيض والنار تشتعل تحت طاولة العشاء الفارغة.

وسأل ماكنترف، «اين يجب ان نذهب؟» فلم يكن ممكنا رؤية شيء من مركز الواجبات لتضميد الجروح الذي كان من المفترض ان يعمل هنا. وكان من الواضح انه لا يمكن إستخدام غرفة طعام الضباط.

وقلت له، «ضعني هنا وحسب». وضعت نقالتي على الارض عند الباب المفتوح وعاد الرجال الى مقصورة قيادة السفينة لانقاذ المزيد من الجرحى. وصحت، «ابعدوني عن الباب!» وكان المزيد من الشظايا الصاروخية قد اندفع بسرعة وقوة عبر الباب المفتوح ليستقر في الحواجز المجاورة ونقلت بسرعة وكان الباب مقفولا. وسرعان ما كان الممر الضيق يعج بالرجال الجرحى الخائفين. وقد علمت ان مركز واجبات لتضميد الجروح قد اقيم في قاعة المساعدين البحريين الاوائل القريبة من المكان الذي كنا فيه وقد امتلأت بالفعل بالجرحى. وكان الدكتور كيبفر يشغل مركز الواجبات الرئيسي لتضميد الجروح التي اقيمت في قاعة طعام المجندين والتي تقع في السطح الاسفل، في حين كان يشغل المركز الاضافي مجند بحري بمفرده، مدرب على الاسعاف الطبي وهو توماس لي فانكليف.

وفكرت اننا لو استطعنا ان نصمد لدقائق قليلة فإن طائرات الفريق اول بحري النفاثة ستحلق فوق رؤوسنا. وتلاشى هذا الامل بسرعة عندما ركع بجانبي بحار ليخبرني بأن جميع هوائياتنا قد نسفت. لقد قال لي، «لقد اطلقوا صاروخا على قاعدة كل هوائي إرسال على السفينة ولكن هناك واحد اعتقد ان بامكاني إصلاحه. هل تعتقد ان بامكاني ان اخرج الى هناك واحاول إصلاحه حتى نتمكن من بث رسالتنا؟» واكدت له إنه اذا استطاع ان يفعل ذلك فسيقدم لنا بذلك خدمة جليلة، ولكن طلبت منه ان يكون حذرا.

وسرعان ما جمعت في غرفة الراديو معدات كافية يمكن تشغيلها لبث الرسالة التي ستنبه البحرية الى محنتنا. وربطت وصلة طارئة بين جهاز الارسال الوحيد الصالح للتشغيل والهوائي الذي اصلح على عجل. ولكن حاول مشغلا الراديو جيمس هالمان وجوزيف وارد إقامة اتصال صوتي مع قوات الاسطول السادس ووجدا الموجات مشوشة بصوت أزيز لا يتوقف إلا لثوان قليلة قبل كل وابل من الصواريخ التي ضربت السفينة. وبدا ان الطائرات النفاثة المهاجمة كانت تشوش على اجهزة الراديو التابعة لنا، ولكنها لا تستطيع تشغيل اجهزة

التشويش اثناء الفترات القصيرة التي تنطلق فيها الصواريخ في الهواء. وإذا اردنا ان نطلب المساعدة، كان علينا ان نفعل ذلك اثناء الفترات القصيرة التي يتوقف فيها صوت الازيز. وصاح هالمان مستخدما إشارة نداء راديو ليبرتي الصوتي، « هل هناك اية محطة، هذه روكستار. نحن نتعرض للهجوم من قبل طائرة نفاثة مجهولة الهوية ونطلب مساعدة فورية »(٣).

وفي السفينة الامريكية ساراتوغا، حاملة الطائرات التي تعمل مع قوات اللواء بحري مارتن بالقرب من جزيرة كريت، سمع مشغلو الراديو نداء ليبرتي واستجابوا لها ولكنهم لم يفهموا الرسالة بسبب التشويش. وقال مشغل الراديو في ساراتوغا، « روكستار، هذه شماتيك. كرر ما قلت، رسالتك مشوشة ».

وبعد عدة محاولاة للارسال اكدت ساراتوغا استلامها للرسالة. ولكن البحرية تستخدم نظاما لتوثيق الرموز للتحقق من هذه المحطات وللوقاية من الرسال الزائفة.

وطالبت ساراتوغا بإثبات صحة الرسالة، « وسكي سيبرا ».

واجاب هالمان على الفور بعد ان رجع الى لائحة مكتوبة في متناول يده، « التوثيق هو اوسكار كويبيك ». وقالت ساراتوغا عند الساعة ١٢,٠٩ بتوقيت غرينتش، مفهوم، يا روكستار، توثيقك صحيح. لقد استلمت رسالتك. انني اقف على اهبة الاستعداد لتلقي أي اتصال آخر ».

واعادت ساراتوغا ترحيل رسالة ليبرتي للمساعدة(٤) .الى الفريق بحري ماكين في لندن لاتخاذ اجراء، كما ارسلت للعلم فقط، وهذا امر لا يمكن تعليله، الى اللواء بحري مارتن

(٣) طلبت ليبرتي المساعدة ابتداءا من الساعة ١١,٥٨ بتوقيت غرينتش (١٣,٥٨ بتوقيت السفينة) واستمرت لأكثر من ساعتين وصمتت فقط عندما انقطع التيار الكهربائي عن السفينة. وفي تمام الساعة ١٤,٠٠ بتوقيت غرينتش، بعد ساعتين من بداية الهجوم، ارسل مشغل راديو ليبرتي، جو وارد، الرسالة التالية: « عاجل جدا، عاجل جدا، عاجل جدا. نحن نتعرض لهجوم من قبل طائرة ومركب بحري عالي السرعة. وعند الساعة ١٤,٠٥ بتوقيت غرينتش (١٦,٠٥ بتوقيت السفينة) طلع وارد على الهواء مرة اخرى ليقول، « نطلب مساعدة فورية. لقد ضرب طوربيد ميمنة سفينتنا ». هذه الاوقات مهمة، لان ليبرتي تعرضت الى الهجوم حتى الساعة ١٣,١٥ بتوقيت عرينتش، وجابهتها قوات معادية حتى الساعة ١٤,٣٢ بتوقيت غرينتش، وكانت، طوال الوقت، بحاجة ماسة الى المساعدة.

(٤) اخطأت ساراتوغا في التعرف على هوية السفينة لانها حسبت ان اسمها USNS ليبرتي. والسفن التي تعرف بالرمز USNS هي سفن يديرها مدنيون وتعمل بموجب عقود مع البحرية؛ اما السفن USS فيديرها بحارة امريكيون وتحضر للخدمة الفعلية من قبل حكومة الولايات المتحدة.

والعميد بحري غيس (الذي كان يتولى قيادة قوات حاملة طائرات الاسطول السادس)[٥].

وبعد عدة دقائق، ولما لم يسمع شيئا من قائد الاسطول السادس، عاود مشغل راديو ليبرتي طلب النجدة.

« شماتيك، هذه روكستار. ما نزال نتعرض للهجوم من قبل طائرات نفاثة مجهولة الهوية ونطلب مساعدة فورية ».

واستجابت ساراتوغا، « مفهوم يا روكستار، نحن نقوم بنقل رسالتكم ». ثم اضافت ساراتوغا بلا داع تماما وربما بعد فكرة طارئة تخطر على البال بعد مواصلة التفكير، « اثبت صحة اوسكار دلتا ».

في تلك اللحظة كانت لائحة التوثيق قد تحولت الى رماد على بعد بضعة اقدام من مشغل الراديو. لقد قام شخص ما بتدميرها مع المواد الاخرى المحظور إطلاع الجمهور عليها. وامسك مشغل الراديو، الذي استولى عليه الاحباط والغضب، بالمايكروفون المفتوح امامه وصاح مستجديا تصديق ما يقول، « إستمع الى صوت إنفجارات الصواريخ اللعينة يا ابن الكلبة ».

وجاء الرد، « مفهوم يا روكستار. نحن نقبل ذلك »[٦].

في هذه الاثناء كان مشغلو الراديو في ليتل روك، سفينة قيادة الاسطول السادس وحاملة الطائرات امريكا قد تلقوا رسالة ليبرتي منذ زمن طويل. وكان قبطان امريكا

(٥) لواء بحري لوران رايموند غيس: طيار بحري، ولد عام ١٩١٦؛ تخرج من الاكاديمية البحرية، صف عام ١٩٣٩؛ رقي الى رتبة اللواء بحري في أول يوليو/تموز عام ١٩٦٥؛ كان قائد سفينة الولايات المتحدة فورستال (CVA59) ١٩٦٢ - ١٩٦٣؛ وعين في سبتمبر/ايلول ١٩٦٨ رئيسا للمعلومات البحرية وكان مكتب المعلومات البحرية قد لعب منذ وقت طويل دورا قياديا في حجب المعلومات المتعلقة بقصة ليبرتي.

(٦) إن مطالبة ساراتوغا المتكررة باثبات صحة الرسائل بالاضافة الى الاخطاء والتأخير المحتمل في تحويل رسائل ليبرتي اسهمت في الارتباك الذي حدث في مقر القائد العام لقوات الولايات المتحدة البحرية في اوروبا. لقد حولت مناشدة ليبرتي الاولى بطلب المساعدة والتي تسلمتها ساراتوغا عند الساعة ١٢,٠٩ بتوقيت غرينتش الى مقر قيادة القائد العام لقوات الولايات المتحدة البحرية في اوروبا، بوصفها رسالة تستحق اسبقية فورية. وعلى اي حال فإن الاسبقية الفورية ليست هي السرعة الكافية لمعالجة رسائل تفيد الاحتكاك بالعدو إذ ان اكثر من ثلاثين بالمائة من الرسائل التي تتخم نظام الاتصالات هي رسائل اسبقية فورية او اعلى. وقد رحل طلب ليبرتي الثاني للمساعدة بصورة سليمة وباسبقية اسرع كثيرا على اساس انه عاجل جدا، ووصل الى مقر القائد العام لقوات الولايات المتحدة البحرية في اوروبا عند الساعة ١٢,٤٧ بتوقيت غرينتش قبل الطلب الاول ومصحوبا بالملاحظة اللاعنة التي افادت انه لم تثبت صحته. ووصل

التقرير الاول الذي ارسل بالطابعة حول الهجوم على ليبرتي الى لندن مصحوبا بانذار مضلل افاد بان الرسالة قد تكون خدعة. وعندما وصل التقرير الذي ارسل في وقت سابق فشل في ان يذكر ان رسالة ليبرتي الاولى كانت قد ارفقت بتثبيت صحتها. ولم يعلم القائد العام لقوات الولايات المتحدة البحرية في اوروبا إلا عند الساعة ١٤,٣٨ بتوقيت غرينتش من ساراتوغا (رسالة سفينة الولايات المتحدة ساراتوغا عند الساعة ١٣,٥٨ . بتوقيت غرينتش ٨ يونيو/حزيران ١٩٦٧) ان التقرير الاولي كان موثقا. وفي ذلك الوقت كان الهجوم قد انتهى وكانت إسرائيل قد اعتذرت.

دونالد اينغين[٧] يتحدث الى روبرت غورالسكي، الصحفي من شبكة تلفزيون ان. بي. سي. الامريكية عندما احضرت الرسالة الى مقصورة القيادة. وقال اينغين بسرعة، « هذا موضوع سري يا سيد غورالسكي! » واحترم غورالسكي التحذير.

إن بحارة حاملة الطائرات يعلمون ان هناك طائرات معينة توضع دائما بالقرب من منجنيقات الطائرات حيث تكون مزودة بالوقود ومسلحة ومستعدة للاقلاع. ويقوم بصيانة هذه الطائرات طواقم خاصة من الطيارين كما يطير بها طيارون يجري اختيارهم بدقة. ويقوم على حراسة هذه الطائرات حراس خاصون في كل الاوقات. وهذه هي الطائرات دة». وبالنسبة للزوار لا شيء يميزها عن بقية الطائرات، ولكنها طائرات خاصة جدا، وإستخدامها نذير شؤم بوقوع المشاكل. إن هذه الطائرات تحمل الاسلحة النووية.

لم يعترف احد في الحكومة ان الطائرات «المتأهبة» قد ارسلت في الاتجاه الذي توجد فيه ليبرتي، ولم تكتشف رسائل او سجلات سفن لتبرهن ان طائرات مزودة بالاسلحة النووية قد اطلقت، وبالاضافة الى ذلك ليس هناك ما يشير الى ان تصريحا قد صدر بإطلاق اسلحة نووية تحت اي ظرف من الظروف ـ فقط ان طائرات «مستعدة»، وهي تلك التي تحمل عادة اسلحة نووية، قد اطلقت في الاتجاه الذي توجد به ليبرتي، وكانت ردة فعل وزارة الدفاع الامريكية مع ذلك الاطلاق غضب كاد ان يصل الى حد الهستيريا. وقد وصفت مصادر متفرقة بالتفصيل عملية إطلاق تلك الطائرات والاستدعاء الذي تلاها، وكانت تلك ظروفا قاهرة.

فوفقا لما قاله مساعد اول بحري كان على متن سفينة الولايات المتحدة امريكا تلقى الطيارون اوامرهم عبر نظام إتصال خاص بينما كانوا يجلسون في غرف قيادة طائراتهم. وقد

(٧) المقدم دونالد دافينبورت اينغين: طيار بحري؛ ولد عام ١٩٢٤؛ منح رتبة ضابط اول مرة عام ١٩٤٣؛ تخرج من جامعة كاليفورنيا بلوس انجلوس، صف عام ١٩٤٨؛ حصل على صليب البحرية وهو ثاني اعلى وسام للشجاعة في الولايات المتحدة، رقي فيما بعد ليصبح لواءا بحريا عام ١٩٧٠ ثم فريقا بحريا عام ١٩٧٧.

اجبروا ان سفينة امريكية كانت تتعرض للهجوم واعطوا موقع تلك السفينة. وكانت مهمتهم هي حماية تلك السفينة. وكان عليهم الا يقتربوا من الشاطىء تحت اي ظرف من الظروف.

واقلعت طائرة الفانتوم من طراز ف ٤ المزودة بالاسلحة النووية من منجنيق إقلاع الطائرات في حاملة الطائرات امريكا واتجهت الى اعلى في خط يكاد يكون مستقيما واحتراقها في اللاحق يزأر. ثم حلقت طائرتان اخريان لتلتقيا مع الطائرتين اللتين سبقتهما ثم اتجهت الطائرات الاربع سويا نحو ليبرتي، وهي تطلق ضجيجا كالرعد. وانسجم كل هذا النشاط بشكل كامل مع العمل الروتيني الذي كان يجري على ظهر حاملة الطائرات بدرجة لم تمكن ذلك العدد القليل من الصحفيين من الاشتباه بان اي شيء كان في غير موضعه، وقد اخبر من سألوا ان ذلك كان مناورة تدريبية عادية.



« المساعدة في طريقها اليكم »[٨].

هذه الرسالة القصيرة التي تلقاها مشغل الراديو في ليبرتي ونقلت بسرعة الى كل رجل تقريبا على متن السفينة، وكان السعاة يجرون داخل السفينة وهم يصيحون، « إنهم قادمون! النجدة قادمة! » ومرر حمالو الحمالات والمتحدثون بالتلفونات الخبر. وتذكرت تحذير فيليب الذي قاله في الليلة الماضية: « من المحتمل الا نستطيع الصمود لمدة كافية تتمكن طائراتنا النفاثة فيها من الوصول الينا ».



وفي هذه الاثناء، عمل مشغلو الراديو في محطة الاتصالات البحرية في المغرب على إقامة إتصالات لمواجهة هذه الحالة الطارئة. وحضر الى حجرة الراديو على الفور الملازم اول جيمس روجرز وقائد المحطة النقيب لويل داربي حيث اقام ضابط الصف البحري جوليان « طوني » هارت بسرعة عدة دوائر كهربائية، بما في ذلك دوائر كهربائية للصوت للاتصال بحاملات الطائرات وقائد قوات الولايات المتحدة البحرية في اوروبا. كما اقام دائرة كهربائية للطباعة عن بعد للاتصال بقائد قوات الولايات المتحدة البحرية في اوروبا

(٨) رسالة قائد الاسطول السادس عند الساعة ١٣,٠٥. بتوقيت غرينتش ٨ حزيران ١٩٦٧ وعدت بما يلي: ارسلنا طائرات لحمايتكم. اذيعت هذه الرسالة في سفينة القيادة بعد مضي حوالي خمس وخمسين دقيقة على اول طلب للمساعدة ارسلته ليبرتي في حوالي الساعة ١٢٢٠ بتوقيت غرينتش وعندما كانت السفينة ما تزال تتعرض للهجوم.

والموجود في لندن. وعندما كان الرجال يضبطون مؤشر الراديو على شبكة صوت القيادة العليا فقد كان بامكانهم سماع سفينة الولايات المتحدة ليبرتي التي كان مشغلو الراديو الخاص بها ما زالوا يلتمسون المساعدة. وكان بامكانهم ايضا سماع إنفجار الصواريخ كخلفية لصوت الاستغاثة.

ومن قائد الاسطول السادس ارسلت بالطابعة عن بعد برقية فورية لها حق التصدر موجهة الى محطة نقل الاتصالات بالمغرب لترسلها بدورها الى وزارة الدفاع الامريكية ووزارة الخارجية والبيت الابيض. وكان نص البرقية كما يلي:

تفيد سفينة الولايات المتحدة ليبرتي انها تتعرض للهجوم من طائرات نفاثة مجهولة الهوية. لقد ارسلنا طائرات ضاربة للدفاع عنها.

وبدا وكأن دائرة إتصال صوتي كهربائية جديدة قد اقيمت بعد ثوان قليلة فقط من إرسال تلك البرقية. وقد اقيمت تلك الدائرة في الغرفة التي اصبحت مركز اعصاب للاتصالات الخاصة بليبرتي. وكانت تلك الدائرة خاصة بالقيادة العليا في وزارة الدفاع الامريكية يشغلها نائب ضابط بحري، ولكن ما ان اقيم الاتصال حتى تغير الصوت المنبعث من الدائرة. وادرك كل رجل في الغرفة ان الصوت الجديد هو صوت وزير الدفاع روبرت مكنمارا وقد تحدث بصورة تنم عن السلطة وصاح بصوت عال قائلا: « اطلب من الاسطول السادس ان يستعيد هذه الطائرات في الحال، وقدموا الي تقريرا عن الوضع ».

وبعد دقائق ظهر رئيس العمليات البحرية نفسه على الهواء. لقد جرى توصيل الدائرة الكهربائية للاتصالات الصوتية بسفينة قيادة الاسطول السادس وجأر الفريق بحري ديفيد ل. مكدونالد: « ارجعوا تلك الطائرات اللعينة الى سطح السفينة، ولتعد فورا الان! » (واستخدم لفظا نابيا في وصف الطائرات). وصاح احد البحارة وكان يستمع الى جهاز رصد في المغرب، « يا الهي! انه يتكلم مثل بحار! ».

وسرعان ما رجع اربعة طيارين يقودون طائرات فانتوم مقاتلة من طراز ف ـ ٤ وتخلوا عن مهمة كان من الممكن ان تصنع تاريخا. كان من الممكن ان ينقذوا السفينة، او كان من الممكن ان يبدأوا المجزرة البشرية النهائية، وامتزجت عودتهم، مثل مغادرتهم، بسهولة مع نشاط السفينة العادي ولم تثر فضول الصحفيين الذين شاهدوها ولم توجه اية اسئلة بهذا الخصوص.

وتحركت رسالة فورية اخرى عبر محطة نقل الرسائل بالآلات الطابعة عن بعد بالمغرب كان نصها: ارجعنا الطائرات الضاربة. موقف ليبرتي غير معروف. وفي حوالي نفس الوقت، نقل هارت نفس الرسالة الى وزارة الدفاع الامريكية عن طريق الراديو الصوتي. اما ليبرتي فقد صمتت الان. ولم يعرف احد في المغرب ما إذا كانت السفينة طافية ام لا،

ولكنهم علموا انها إذا ما كانت ما تزال بحاجة الى المساعدة فإنها ستحتاج الى فترة انتظار طويلة[٩].



عاد ماكنترف الى مقصورة قيادة السفينة ليجد الرائد البحري فيليب آرمسترونغ، جريحا ولكنه متماسكا وقويا، منبطحا على ارضية غرفة الخرائط. وكان سرواله قد ازيل وكشف عن إصابة بليغة في كلتا ساقيه فوق مستوى الركبة مباشرة. وقد اقعدتاه ساقاه المكسورتان ولكنه ظل مسيطرا على نفسه.

قال مكنترف وكان ما يزال يعاني من آثار رحلته معي، « لا يوجد المزيد من النقالات، ايها القائد، وسيكون علينا ان نحملك الى اسفل في هذه البطانية ». واصر فيليب قائلا، « لا أحضر نقالة ».

وكرر ماكنترف ما قال وهو يضع البطانية الى جانب فيليب مستعدا لدحرجته فيها، « لا يوجد المزيد من النقالات ».

وقال فيليب، « لن اذهب الى اي مكان في هذه البطانية اللعينة، اذهب واحضر نقالة » « ولكن يا سيدي...

« اذهب. انا اعلم ان هناك عددا كافيا من النقالات في هذه السفينة! ».

« نعم سيدي ».

وجرى ماكنترف مسرعا وبعصبية داخل السفينة باحثا عن النقالة المطلوبة وقد كان متأكدا من انه كان على كل نقالة رجل مصاب بدرجة بالغة لا تسمح بتحريكه. وفتح بابا يؤدي الى السطح الرئيسي، متذكرا انه كان قد رأى ذات مرة بعض النقالات مخزونة بالقرب من رف توضع عليه ارمات النجاة. وارتطمت مجموعة من الصواريخ من حوله بالسطح محدثة صوتا مصمّا للاذان وممطرة المنطقة بالشرر. وإذا كان ماكنترف قد اهتز فإن سرعته لم تقل وكان يعلم فقط ان عليه ان يجد تلك النقالة ويرجع بها الى الضابط التنفيذي في غرفة الخرائط. واخيرا وقد امسك ضالته الثمينة بيده ناضل ماكنترف وهو يعود الى الضابط التنفيذي الذي نفذ صبره. وصعد السلالم ودار حول الزوايا متعثرا فوق

(٩) بعد ذلك بشهور زار احد افراد خدمة التحقيقات البحرية هارت وكان مسلحا بدفتر ملاحظات وجهاز تسجيل وحاول ان يستخلص منه معلومات متعلقة بالاحداث التي وقعت يوم ٨ يونيو/حزيران؛ وكان ذلك يعني ان يسجل كل شيء يمكن ان يتذكره هارت عن الهجوم والاتصالات المتعلقة به للاحتفاظ به في السجل. وقد رفض هارت ان يبحث الهجوم وذهب الرجل. ولم يسمع عنه هارت بعد ذلك ابدا.

زجاجات ثاني اكسيد الكربون الفارغة وخراطيم اطفاء الحريق التي كادت تتحول الى كتلة صلبة والتي غطت السلم الاخير المؤدي الى مقصورة قيادة السفينة. ووصل مرة اخرى الى حجرة الملاحة ليجد فيليب آرمسترونغ منتظرا في سطح حجرة الخرائط وكاد صبره ان ينفذ. ومع ان المعركة كانت ما تزال محتدمة في الخارج، ومن جانب واحد، ومع ان السفينة كانت ما تزال تدك كل بضع ثوان بصواريخ الطائرات، فإن فيليب لم يشارك في تلك المعركة وقد بدا عليه الغضب بوضوح بسبب ذلك. لقد كان لديه رغبة شديدة في ان يكون في مقصورة قيادة السفينة لقد اراد ان يحارب وحتى لو لم يكن بوسعه ان يفعل اكثر من رمي الحجارة والتلويح بقبضة يده للطيارين وهم يحلقون فوقه. ولكن كان فيليب مسمرا بسبب ساقيه المكسورتين ولم يكن بوسعه غير ان يستلقي هناك ويغضب. لقد اعطاه شخص ما سيجارة وحولها الى جمر احمر بشفطة نفس واحدة تقريبا ثم طلب سيجارة اخرى.

ولم يشتك عندما رفع بفظاظة وبطريقة مؤلمة على السرير المصنوع من الاسلاك الدقيقة. وتمتم بشيء عندما رفع اثنان من البحارة النقالة وسارا به بعيدا، ولكن ماكنترف لم يفهم شيئا لان الصواريخ المتفجرة اغرقت جميع الاصوات. وروع ماكنترف برحلة اخرى يقوم بها الى اسفل ذلك السلم الغدار. كان يخشى الانزلاق على خراطيم إطفاء الحرائق وإسقاط الضابط التنفيذي وإغلاق السلم. لقد كان منهكا. وكان قلبه يخفق بصوت عال في صدره محتجا على الضغط الواقع عليه حتى ظن انه سينفجر؛ ولكن لم يكن لديه وقت للتفكير، وبالتأكيد لم يكن لديه وقت للراحة. ولما قارب فيليب ونقالته الوصول الى النهاية، واصابع فيليب تمسك بإطار النقالة المصنوع من الانابيب لتحول بينه وبين ايذاء كسور ساقيه، مروا عبر الباب الضيق ووجدوا انفسهم في الممر التالي للباب المفتوح الخاص بغرفة القبطان.

واصدر فيليب امره قائلا، «ضعوني على الارض».

«ولكن...»

«سيدي، انا..»

وطلب فيليب بصوت عال، «أحضروا الي بزة نجاة!»

«ولكن يا سيدي انهم ما يزالون يطلقون النار و...»

واصر فيليب قائلا، «اللعنة، أحضروا الي بزة نجاة! انا لن اتحرك من هنا الى ان تكون لي بزة نجاة».

وضرب السفينة وابل غير عادي من الصواريخ. ودفع ماكنترف نقالة الضابط التنفيذي نحو حاجز آمن نسبيا وتوارى في مقصورة القبطان المحترقة المملوءة بالدخان. واخرجه سقوط المزيد من الصواريخ من تلك المقصورة وسمع ماكنترف فيليب يطلب وبصورة اكثر صرامة: «اللعنة! قلت لكم احضروا بزة نجاة!»

وقال ماكنترف ملتمسا عندما مزق إنفجار بابا قريبا منه، «يا الهي! ان الصواريخ تتقاطر في كل مكان ايها القائد». ولكن فيليب كان ما يزال مصرا على الحصول على بزة نجاة. واطاع ماكنترف الامر وترك فيليب في رعاية زميله وهو لا يصدق ما يفعل، ثم قام برحلة اخرى يائسة في السفينة باحثا على نحو جامح عن البزة المطلوبة. وفي النهاية وجد بزة مهملة في محطة الطارئة لتضميد الجراح المقامة في ردهة مساعدي الضباط الاوائل البحريين. ثم شق طريقه عائدا الى حيث ترك الضابط التنفيذي.

اختفى! لقد اختفى. ففي اثناء البحث المجنون عن بزة النجاة، نقل احدهم الضابط التنفيذي الى اسفل. وغالب ماكنترف طريقه عائدا صاعدا على السلم وكان متأكدا من ان قلبه سينفجر. لقد عاد الى حيث المجزرة في غرفة الملاحة لانتشال المزيد من الجرحى.



لقد نقل معظم الجرحى من مقصورة القيادة. واصبح من الممكن، مرة اخرى، ان يمشي الانسان عبر حجرة الملاحة. ووقف مساعد الضابط المسؤول على ظهر السفينة عند الدفة. اما القبطان ماكغوناغل الذي كان يعاني من شظية في ساقه اليسرى كما اضعفه النزيف، وقد ظل يسيطر بثبات على سفينته بينما كان يوجه جهود التحكم بالاضرار ومكافحة الحريق. وقد «احتجز» القبطان الملازم بحري ديفيد لوكاس ليساعده في مقصورة القيادة. وقد تساءل لوكاس عما إذا كان سيقدر له رؤية الطفلة التي انجبتها زوجته بعد ساعات قليلة من إبحار ليبرتي من نورفولك. وبسرعة دفع هذه الافكار بعيدا عن ذهنه، وشوهدت ثلاثة زوارق طوربيد وهي تتقدم نحو السفينة بسرعة عالية في تشكيل هجومي.

وارسل مكغوناغل ديل لاركينز، البحار تحت التدريب ليطلق النيران على زوارق الطوربيد من طرف السفينة الامامي. لقد كان لاركنز تحت التدريب ليس لانه جديدا على البحر، ولكن لانه ولاسباب خاصة به رفض ان يتقدم لامتحان الترقيات. كان رجلا ضخم الجسم ومحاربا صلبا. وكان قد دفع اولا من منصة المدفع رقم ٥٤ ثم من منصة المدفع رقم ٥٣. ونزل الان مندفعا الى اسفل السلم وعبر السطح المكشوف ليطلق النار على الزوارق من منصة المدفع رقم ٥١.

رأى القبطان ضوءاً يومض على الزورق الاوسط عندما كان ينظر من خلال الدخان المنبعث من حريق زورق صيد الحوت. وطلب من رجال المدافع ان يوقفوا إطلاق النار بينما حاول الاتصال مع الزوارق مستخدما مصباحا صغيرا يحمل باليد لارسال الاشارات. ولكن كان جهاز الاشارات الضئيل عديم الفائدة لان ضوءه لم يستطع إختراق الدخان الذي احاط بمقصورة القيادة.

وفجأة اطلق لاركينز، الذي لم يسمع الامر الذي اصدره مكغوناغل بوقف إطلاق

النار ، نيرانا ضارية وغير فعالة من مدفعه الرشاش ولكن القبطان اسكته بسرعة . وعلى الفور اطلق المدفع الواقع في مؤخرة مقصورة القيادة نيرانه ، وغطى الزورق الاوسط . ونادى مكغوناغل على رجل المدفع طالبا اليه وقف إطلاق النار ايضا ، ولكن لم يكن من الممكن سماع ندائه بسبب هدير المدفع والقرقعة العالية الصادرة من لهب النابالم . ومع ان المسافة الفاصلة بينهما كانت اقل من عشرين قدما ، فإن حائطا من اللهب كان يفصله عن المدفع . وجرى لوكاس عبر حجرة الملاحة وحول ممر ضيق ، محاولا الوصول الى المدفع . وفي النهاية ، وعندما إستطاع ان يرى قصعة المدفع من خلال منور ، لم يجد المدفعي . وكانت منصة المدفع تحترق بالنابالم والذخيرة تنطلق من تلقاء نفسها . وكانت المنصة خالية . واغرقت النيران الكثيفة التي اطلقتها المدافع الرشاشة من على القوارب مقصورة القيادة . واخترقت حجرة الملاحة رصاصة واحدة مصنوعة من الصلب المقوى وخاصة بإختراق الدروع ، وانزلقت تحت جهاز إستقبال لوران ، وحطمت ماكينة مكتبية لتخريم الورق ومرت عبر باب مفتوح الى حجرة الملاحة مندفعة بقوة متبقية كانت كافية لان تدفنها حتى نصفها في خلفية رقبة مدير الدفة ومساعد الضابط المسؤول على ظهر السفينة الشاب الشجاع فرنسيس براون الذي مات على الفور .

ولما رأى الملازم بجري لوكاس زميله براون يسقط دون ان يعرف ما اصابه ولا الجهة التي جاءت منها الضربة ، تقدم ليحل محله في قيادة الدفة .

وشوهد طوربيد . ومر من ميمنة السفينة واخطأها بخمسة وسبعين قدما فقط .

الفصل السابع

هجوم الطوربيد

لا يستطيع احد ان يعطي نسخة مطابقة للاجهاد الذي يعاني منه قائد عسكري عند اتخاذه قرارا ما اثناء المعركة.

الاميرال البحري أ. برك، ١٩٠١

— انطلق جهاز انذار السفينة العام محذرا: «استعدوا لمواجهة هجوم بالطوربيد، على جانب الميمنة».

لقد سمع الملازم غولدن الموجود في حجرة المحركات انذارات كهذه من قبل. ففي شهر تشرين الاول عام ١٩٤٢ كان غولدن في السابعة عشر من العمر وقد مضى على انضمامه الى صفوف البحرية اقل من ثلاثة اشهر، عندما واجهت سفينته، المدمرة الامريكية لامسون هجوما جويا يابانيا هدفه المساعدة على اغراق قسم من مراكب الحراسة لدى الاعداء. وقد رأى بعد مضي شهر من التحاقه بالقوة الضاربة ٦٧ خلال معركة تاسافرونغا، غرق طراد امريكي. وقد غرقت بالقرب منه مدمرة يابانية. وقتل يومها مئات الرجال. وكان غولدن على علم بان معظم الاصابات وقعت في غرف المحركات. وبما ان غرف المحركات كانت منخفضة وكبيرة ومن الصعب اخلائها، فقد غمرتها المياه اولا. وسببت الانفجارات العنيفة تقطع شبكة انابيب بخار الضغط العالي بسهولة. وحالت الانابيب والآلات والزيت والبخار دون الهرب. لقد كان دائما مكان غولدن في السابق في اقسام اخرى من السفينة. اما الان فهو في قلب غرفة المحركات.

وكان غولدن محترفا. فكان بامكانه ان يؤدي اي وظيفة في سفينته وإذا ضغطت الظروف عليه لامكنه تأدية عدة وظائف على الفور.

واصدر الامر،« اخلوا غرف المحركات».

وانطلق عمال المحركات الذين كانوا يتصببون عرقا والملوثين بالشحم في تسلق السلالم العالية بسرعة، متشوقون الى مغادرة الحجرة التي تبلغ حرارتها ١٢٠ درجة قبل ان تتدفق

اليها مياه البحر. ولم يتحرك غولدن. إذ كان لا بد من الاقرار بتبليغ الاوامر من مقصورة ربان السفينة ومراقبة المقاييس وتشغيل مجموعة الآلات. لقد كان بامكانه القيام بكل هذا بمفرده.

ولقد بقي الرئيس بروكس ايضا. فما كان من الممكن مطلقا ان يخطر بباله عدم البقاء.

وكذلك بقي وقاد النار بنجامين آيش الذي قال: «سيدي، انك ستحتاج الى المساعدة. فاذا بقيت انت هنا، سابقى انا ايضا».

لقد عمل هؤلاء الرجال معا على تشغيل الآلات بينما راحوا ينتظرون هجوم الطوربيد.



وقد قال احد الرجال الذين كانوا بقربي متوسلا: «اين هي تلك الطائرات النفاثة اللعينة؟»

ولقد فكرت بغطاء السفينة المعدني الرقيق المتقوس بين كل ضلع وإطار كغطاء ورقي لنموذج طائرة كما فكرت أيضا بالمياه المحيطة بالسفينة وبوجود اسماك القرش فيها والسباحة برجل مكسورة. ولقد تساءلت ما إذا كان الماء دافئا. وقد وضع احدهم سترة نجاة قابلة للنفخ حول عنقي. الا ان التورم الحاصل في الجزء الايسر من جسمي كان متسعا للغاية مما حال دون اتصال الرباطات ببعضها البعض لعقدها. وبقيت محتفظا بسترة النجاة فهي ستبقيني عائما طالما بقيت متمسكا بها. هل ستنتزع صدمة الاحتكاك بالماء سترة النجاة من يدي؟ وماذا عن النقالة؟ إذ كنت لا زلت مربوطا بها!

وقد تجمع ما يزيد على عشرين رجلا. وصرخ احدهم بصوت عال ودون خجل وراح جسمه يهتز بسبب النشيج. ونادى آخر امه. وتساءلت مندهشا هل حقا يمكن للرجال أن يتصرفوا هكذا؟ هل حقا ينادي الرجال امهاتهم؟» وهمس احدهم وهو يجثو على ركبتيه «اهتف للسيدة العذراء، الممتلئة نعمة...» وراح يصلي العديد من الرجال بصمت واياديهم متشابكة باحكام وشفاههم تتحرك في همس غير مفهوم.

وكرر احدهم «استعدوا لمواجهة هجوم بالطوربيد، واصطفوا على جانب الميمنة». بينما رحنا نحتشد في ممر الميمنة. وقلت لنفسي يا للغباء. إذ يمكننا الانتقال الى ممر الميسرة وربما بالقرب من الباب، فذلك سيكون اكثر امانا من البقاء في ممر الميمنة. وفكرت انه علي ابلاغ هؤلاء الرجال بضرورة الانتقال. لا. فانهم سيعتقلوني ويأخذوني معهم. لا. اني ساجازف بالبقاء هنا.



واعلن جهاز الانذار من غرفة ابحاث العمليات والجهاز الموجود ايضا في غرفة

الاتصالات بالشيفرة « استعدوا لمواجهة هجوم بالطوربيد، واصطفوا على جانب الميمنة ».

وتحلى الرجال في هذه الغرف بالهدوء. وكانت اصوات المعارك تبدو مكتومة وغير حقيقية في هذه الفسحات من ظهر السفينة الثالث الواقع تحت خط الماء. وكان يمضي هؤلاء الرجال بشكل روتيني ساعات في كل مرة بانتظار تنفيذ التدريبات العسكرية في مكان آخر من السفينة. ومحنة اليوم لم تكن مختلفة عن التدريبات العسكرية التي يعرفونها جيدا. وقد تم ابلاغهم بان ما يحدث هو ليس بتدريب عسكري. وقد سمعوا اصوات اطلاق المدافع فوقهم، الا انهم افترضوا معظم الوقت بأن الامور تحت السيطرة وان اطلاق النار بمعظمه يصدر من جهتنا.

وقد جلس الرجال، كما تم تدريبهم على ذلك، على ظهر السفينة في موازاة حافات الحجر. وقد ارتدوا خوذات قتالية، واكمامهم غير مثنية وياقاتهم مردودة الى الاعلى. وتم ادخال اطراف سراويلهم في جواربهم للحماية من حرق وميضي. وقد تم تنفيذ هذه الاجراءات عدة مرات قبل ان تصبح عملا روتينيا.

وتمطى ضابط الصف البحري روني كامبل، ثم نهض ووضع ورقة جديدة في الآلة الطابعة قائلا: « يمكنكم البقاء ايها الرجال هناك إذا اردتم. اما انا فسأكتب رسالة الى عائلتي ».

وقد ابتدأ رسالته الى زوجته المولودة في اسكتلندا على هذا النحو: « عزيزتي اليزابيت، لن تحزري مكاننا الآن... » واستمر يدق مفاتيح الآلة الكاتبة متجاهلا اطلاق المدافع من فوقه.

في غضون ذلك كان ضابط الصف البحري جفري كاربنتر، المهتم بتحضير المواد التي يحضر عرضها أو كشفها للجمهور لاتلافها، ينظم فريقا يقوم بجمع هذه المواد التي يتوجب اتلافها. وقد لاحظ كاربنتر ان بعض الاشياء الحساسة بقيت في درج طاولة الملازم اوكونور. وكان الدرج موصدا واكونور غير موجود هناك. لذا قام كاربنتر باستدعاء البحّار ليناو الموجود في غرفة تصليح الات الطباعة على سطح السفينة الاسفل، طالبا منه جلب مطرقة ثقيلة.

وحضر ليناو على الفور. واستخدم كاربنتر المطرقة الثقيلة في ضرب الطاولة بقوة ادت الى تحطم الطاولة والكشف عن كل المواد التي كانت في داخلها. ولم يتفهم الرجال الوضع الخطر الذي كانت السفينة مهددة به بشكل حقيقي حتى تلك البرهة.

وسمع ستان وايت انذارا بهجوم الطوربيد وفكر بليناو الموجود بمفرده في غرفة التصليح بسطح السفينة الرابع. من اسبوع مضى كان من الممكن ان يكون مع ليناو، الا ان ليناو الان كان هناك بمفرده. وقد بدأ وايت من الاسفل لطمأنته، الا ان كل المقصورات كانت موصدة للسيطرة على اي فيضان محتمل. فلا يمكن فتح اي باب قبل زوال الخطر. وقد

اتصل وايت هاتفيا بليناو الذي عاد لتوه من مهمة جلب المطرقة الثقيلة. وقد تملك الخوف ليناو إلا انه سيطر على نفسه إذ قال: «اني لست بخائف ايها الرئيس. اني بحالة جيدة».



ورأى ضابط الصف البحري جوزف س. لنتيني، الذي يعمل في الجوار على فك الرموز، ثقبا صغيرا في الحاجز الذي في جانبه. وقد شعر بهبة هواء تندفع عبر الثقب لتمس رجله برفق. ثم، وبعد ان امتلأ حذاؤه بالدم، تحقق ان ما شعر به لم يكن بهواء: لقد خرقت رجله رصاصة، محدثة جرحا بليغا في فخذه الايسر.

وسحب الرائد البحري لويس، الموجود في غرفة مجاورة، لفة الضماد الطويلة من صندوق الضمادات الحربي الموجود عند قدميه لتضميد جرح البحار. وبينما كان لنتيني يتجه نحوه، انجذب انتباه لويس ناحية اليمين، عبر باب باتجاه حاجز مركز التنسيق الخارجي. بينما كان ينظر الى ما هو خلف الرئيس ملفين سميث الواقف على المدخل، وقع نظره على مشهد بطيء الحركة لم يبق على قيد الحياة سوى القليل من الرجال لوصفه. وبينما هو مسترسل في المراقبة، انتفخ الحاجز الذي على جهة البحر نحوه. واشتعل لون دهان البحرية الداخلي المعروف، اللون الاخضر الفاتح، وتحول الى شعلة لاهبة ثم اصبح رمادا اسود اللون الى جانب مئات الصور التزيينية المعلقة على الجدران. وتحول لون الفولاذ الذي تجرد من كل شيء في الاسفل الى اللون الاحمر الملتهب فالى اللون الابيض. وتطايرت جزئيات الدهان ذات اللون الأسود القاتم في ارجاء الحجرة في الوقت الذي ذاب فيه الحاجز ليسمح للمياه بالدخول.

وتجمع اللحم والفولاذ بكثافة وبجلبة صاخبة في زاوية بعيدة في الوقت الذي قذف فيه الانفجار بقوة الرجال والمعدات في ارجاء السفينة. وتلاشت جدران الفولاذ محولة الغرف الصغيرة الى غرف كبيرة. وتطايرت الآلات الكاتبة والادوات الصغيرة بقوة عظيمة باتجاه جانب السفينة الاخر فالى البحر.

اما لويس الذي اصابته شظايا الدهان المشتعلة بالعمى وادى به انفجار الاف الغرامات من المتفجرات ذي الطاقة العالية المجمعة في فوهة طوربيد من صنع ايطالي الى الاصابة بالصمم، فقد طفى على المياه التي بلغ علوها حتى العنق والتي دخلت عبر ثقب يعلو اربعة واربعين قدما في جانب الميمنة من سفينة ليبرتي. اما سميث، الذي كان على بعد ذراع واحد، فقد لقي حتفه.

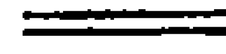
وتوفي روني كامبل على آلته الكاتبة.

اما مشغل المبرقة الكاتبة الذي اصابه الهلع فقد توفي على مبرقته الكاتبة.

وتوفي جيم بيرس بينما كان يقوم بحرق جداول الرموز.

ولقي ديك كين وديوان مارغراف مصرعهما معا بينما كانا يدمران الة رموز.

وتوفي الرئيس ريموند لين على بضعة اقدام من المكان الذي تناقش فيه معي حول سخرية الموت بهذه الطريقة وفي هذا المكان. وتوفي بسرعة جيم ليناو الذي كان بمفرده في ورشة تصليح المبرقة الكاتبة ولا زال بمفرده. ومات الان بلو التقني المدني فجأة، دون ان تسنح له فرصة احتضان طفله الحديث الولادة الذي ينتظره في روكفيل. لقد قتل الطوربيد خمسة وعشرين رجلا في لحظة.



وكان سلم ضيق عبر باب ارضي يقود الى ظهر السفينة الاعلى هو المخرج الوحيد من هذه الغرفة المغمورة بالمياه. وكان الباب مغلقا، وكذلك فتحة الدخول في الباب. وقد تم قذف لويس الى اعلى السلم ليجد نفسه غارقا حتى خصره بالمياه الدوامة معلقا على دولاب تحرير فتحة الدخول بسرعة. ولم يكن قادرا على الرؤية ولا على السمع. ولم يدري مكان وجوده او بماذا كان معلقا. لقد كان يحاول ببساطة ان لا تجرفه المياه الذي كانت تحيط به.

وكان الى جانب لويس، روبرت شنل «بوذا» الممتلىء الجسم وجون هورن. ورفع هورن لويس من المسكة تسهيلا لفتح الباب. وخرج شنل اولا لينضم الى الجماعة المتجمعة حول الباب. ثم ساعد لويس وهورن والاخرين على الخروج.

ووجد جف كاربنتر، المؤمن بالقضاء والقدر، أنه قد علق تحت الماء بسبب انقلاب طاولة عليه. وبما انه لم يكن قادرا على الخروج من هذه المصيدة، بدأ يصعب عليه تنشق الهواء. وبعد تأكده من انه سيغرق وكونه صادقا نحو نظريته، استرخى كاربنتر مستسلما لقدره. ولكن قبل ان يطالب به الموت، انزاحت الطاولة الثقيلة جارية في المياه التي تتاوج ودفعت به ليطفو على سطح الماء سالما.

اما لنتيني المصعوق فقد تثبت باحكام تحت المياه عند قاعدة سلم الهرب برجل مكسورة باذلا كل الجهد لابقاء رأسه فوق المياه التي كان يطفو على سطحها الزيت والتي كان يزداد ارتفاعها بسرعة، ليصرخ طلبا للمساعدة. وكانت السفينة تتموج، ومع هذا التموج، راحت المياه تغطي كليا مساحات اوسع من الغرفة. واشتعل مصباح واحد حربي يشغل بالبطارية تحت الماء بالقرب من السلم. وتحرك الرجال باتجاه الضوء محاولين الوصول الى هناك قبل ان تغطي المياه فتحة الدخول لتسد فرصتهم الوحيدة الى الهرب.

ووجد دوغلاس س. ريتنبورغ «دوغ» وجف كاربنتر وبعض الرجال الاخرين صدفة لنتيني في الظلام. فساعدوه على التخلص من الفولاذ الملتوي الذي قيد تحركه ودفعوه باتجاه فتحة الدخول حيث قام الملاحون في الجهة الخارجية من الفتحة على سحبه من خلالها اليهم.

وانطفأ المصباح الكهربائي للطوارىء، ليبقى ضوء خافت فقط آت من خلال الباب

ليرشد العديد من الرجال الى الخروج من تلك الحجرة. وشق الرجال طريقهم سباحة وتسلقا عبر خليط من الاشياء التي يصعب اجتيازها البعض باتجاه فتحة الدخول الوحيدة. وفي المكان الذي كان يوجد فيه جدار قبل لحظات، راحت تختبىء الان المعادن المثلمة تحت المياه السوداء اللون في غرفة مظلمة. وبذل الرجال جهدهم للوصول الى الباب، اذ كانت تعيق تحركاتهم الكبلات والمعدات والفولاذ المشوه والطاولات المقلوبة المنطرحة هنا وهناك.

وشعر الرقيب البحري النحيل الجسم والصلب الارادة برايس لوكوود بوجود جسم تحت قدميه وبحركة ما. فغطس تحت الماء ليجد رجلا مثبتا تحت قسم من طبقة من الصفائح المعدنية المزدوجة القالب والتي كانت تشكل ظهر السفينة الثالث. وقد وجد لوكوود الوقت والقوة الكافيتين لتخليصه. وقد دفع بذلك الرجل المتبقي على قيد الحياة باتجاه الباب، ثم توقف ليساعد شخصا آخر.

وبينما كان يستدير باتجاه رجل بدا انه في ورطة، كانت المياه قد وصلت اخيرا الى فتحة الدخول. وكان لوكوود منشغلا لدرجة جعلته يغفل عن حقيقة مهمة وهي ان منفذه الوحيد قد أصبح مغمورا بالمياه التي اندفعت عبر الفجوة كسيل جارف الى ظهر السفينة العلوي. وقد تطلب الامر جهد ثلاثة رجال لمحاربة تدفق المياه بالضغط على الغطاء لغلقه. الا ان لوكوود لم يكن على علم باي شيء من هذا القبيل. ولم يعلم الا عن وفاة الرجل الذي اراد مساعدته وان الظلام خيم على الغرفة فجأة.

وفي الظلام حاول تذكر الاتجاه المؤدي الى الضوء. ومع تحركه نحو الباب سابحا احيانا وجارا نفسه غالبا بوضع يد فوق يد على طول الانابيب والكبلات التي كانت ممتدة على طول السقف، اكملت السفينة تمايلها باتجاه جانب الميمنة لينخفض مستوى الماء مرة اخرى عن الباب. واخيرا، ضربت رجل لوكوود بدرجة السلم المتهشمة والتي ما زال بالامكان تمييز فولاذها المتين. ومن تلك النقطة اصبح من السهل ايجاد فتحة الدخول في الظلام.

ووصل اليها بسرعة، الا انه كان من الصعب تحريك المسكة. هل كانت موصدة؟ ام لاصقة؟ وراحت تتحرك المياه بعنف من حوله بينما هو اخذ يلعن البحارة الشياطين الذين اوصدوا فتحة الدخول والذين بلا شك كانوا واقفين عليها. وواجه لوكوود الامر بغيظ في ظرف كان سيخيف غيره من الرجال. هل كانت السفينة تغرق؟ هل سيغرق معها؟ ولم يكن في امكانه الا ان يحرز الامر بينما راح يضرب بعنف وتكرار على الباب الثقيل. وكلما راح يضرب بعنف كلما اخذ غيظه يزداد عنفا.

واخيرا، شع ضوء ابيض حول طوق منع التسرب المطاطي الثقيل عند فتح فتحة الدخول. وعند خروجه منها، صرخ بغضب على كل من كان بقربه قائلا: «من كان ذلك الغبي الاحمق الذي قام باغلاق الباب؟ الم تتمكن من سماع صراخي؟ الم تراني قادما؟ الم

تسمع طرقي على الفتحة؟ ايها الغبي الاحمق!» واستمر في رفع صوته عاليا، ملتقطا انفاسه، الى ان امر بحارا بالابقاء على فتحة الدخول مفتوحة. ثم عاد الى الغرفة الرهيبة. وكانت المياه قد غطت معظم السقف بينما شرع يبحث عن وجود اي اثر للحياة في المياه الغادرة. واضاء الرجال مصابيح حربية مشعة عبر الباب. واستمر لوكوود في البحث بمساعدة ضوء مقاوم للماء كان قد اخذه معه. الا انه لم يجد احدا في حاجة للمساعدة. واخيرا، زحف عبر فتحة الدخول عائدا وللمرة الاخيرة ليثبت في همس عليل: «لا يوجد احد على قيد الحياة هناك».



وكان الكابتن ماكفوناغل تقريبا بمفرده في مقصورة القيادةعندما ضرب الطوربيد وكان ملاحه قد لقي مصرعه والضابط المنفذ يصارع الموت وضابط ظهر السفينة وضابط ظهر السفينة الصغيرة الرتبة قد اصيبا كلاهما بجروح بالغة وغير قادرين على الاشتراك في اي نشاط. وجرح مدير الدفة، وتوفي الرئيس البحري. كما لقي مصرعه أو اصيب بجروح جميع المراقبين والرسل وعمال الاشارة. كلهم كانوا في الطابق السفلي، كلهم كانوا بعيدا عن هذه الابادة الكاملة التي حصلت في مقصورة القيادة. لولا الملازم البحري دافيد لوكاس والمتحدث بالهاتف جون لامار لكان كابتن السفينة بمفرده.

«لكن الكابتن كان هناك، إذ حضر لاجل الانقاذ وقفز الى الداخل ليساعدني على الخروج».

لم ير الطوربيد متوجها نحو السفينة، الا انه لن ينسى ابدا الصوت الذي احدثه. فقد انفجر بهدير مكتوم كقصف الرعد. ثم حجب الرؤية بغطاء من الدخان. واخفى دخان اسود لا يخترقه شيء السفينة عن العيان ممتدا بطولها ومرتفعا حتى علو الصاري. واندفع سيل من المياه عبر الدخان نتيجة الانفجار ليتساقط كمطر وسخ على القبطان وسفينته. وتمسك ماكفوناغل ولوكاس بحاجز الميمنة بينما اخذت سفينة ليبرتي تبتعد عن مكان الانفجار العنيف.

وسأل لوكاس: «هل علي ابلاغ الرجال للاستعداد لمغادرة السفينة؟»

وعلم ماكفوناغل، الذي لم يعرف بعد مدى الفيضان، انه كان محظوظا ان يكون على ظهر سفينة ڤكتوري ضربها الطوربيد. وهو كان على علم بان سفينة ليبرتي قد تغرق، الا انه تذكر ان المياه الضحلة كانت قريبة منهم. لذا فقد صمم الاتجاه بها نحو اليابسة اولا اذا لزم الامر.

وقال للوكاس: «لا، فنحن لن نغرق».



وارتعدت عندما اسكت انفجار الطوربيد الذي حصل على سطح السفينة السفلي الهمس الجاري من حولي ليطغى لفترة على صوت المدافع الرشاشة. ومالت سفينة ليبرتي نحو اليسار، بعيدا عن موقع الانفجار. واخذ التمايل يزداد. وصرخ احدهم بصوت عال طالبا المساعدة من ربه لما بدا اننا اخذنا نميل الى جنبنا. وفقد احد البحارة الذين كانوا بقربي قدرته على الوقوف ووقع ارضا في ممر يقع بشكل زاوية مع السفينة منحدر للغاية.

وكان الملازم البحري جون سكوت موجودا على ظهر السفينة الذي يعلو مكان انفجار الطوربيد وربما كان بعيدا عنه بحوالي الستين قدما. وبحكم كونه ضابط تحكم بالاضرار، فقد كان مسؤولا عن اي نشاط هدفه التحكم بالاضرار في اي مكان من السفينة. ولكي ينجز ذلك، كان يعمل في مركز التحكم بالاضرار بحيث يبقى على اتصال مع مقصورة القيادة ومركز التحكم بالمحرك الرئيسي وبعدة فرق تصليح بمساعدة اثنين من مستخدمي هاتف خاص في انحاء المركب. وعند حصول الضرر، يبلغ عنه هاتفيا الى سكوت الذي كان يقوم بتخمين خطورته ومدى ضرورة تصليحه. ثم كان يرسل الرجال لتصليحه كلما استدعى الامر ذلك.

وكان يتحكم باجهزة الهاتف ضابط من الرتبة الدنيا يدعى ستيفن غورشيك وحلاق السفينة ذو الشعر الاحمر ثوماس مولين. وكان هؤلاء الرجال الثلاثة يتلقون كل التقارير عن الاضرار ويدرسونها. وكانوا حينها يعلمون اكثر من اي شخص آخر بأن الوضع لم يكن على ما يرام قبل حصول انفجار الطوربيد. وبفضل هؤلاء الرجال، تم توجيه الانذار بهجوم الطوربيد عبر جهاز الاعلان العام اولا، ثم اكده البحار جون لامار عبر دارة هاتف مقصورة القيادة.

وتلا غورشيك صلاة الرب.

واتصل الاطفائي جون بيتي هاتفيا من غرفة مكافحة الحريق في حالة الطوارىء، حيث كان يقف الى جانب مضخة الاطفاء عند الطوارىء، طالبا الاذن بالخروج من فسحة سطح السفينة السفلي المعرض للهجوم. وقد منح الاذن على الفور.

وظهر الملازم البحري ريتشارد ب. تايلر، ضابط التموين، فجأة في المدخل، وهو ينزف دما وعليه إمارات الضياع، متوجها الى مركز التضميد. وقد اعلن الرئيس هارولد تومبسون عن توليه المسؤولية في ورشة التصليح الثانية لكي يتمكن تايلر من تضميد جروحه من محاولة وقف النزيف. وتعثر تايلر عبر الممر متواريا عن الانظار وتاركا خلفه اثارا من الدم. وقام سكوت باستدعاء بينتر طالبا منه ارسال المساعدة، إذ بدا ان تايلر لن يكون قادرا على الابتعاد اكثر بمفرده.

واصابت رصاصة طائشة، وهي الطلقة الوحيدة التي اخترقت هذه الفسحة، مصرف

بواليع صحي موجود في حاجز بعيد عن وسط السفينة لتكسر صماما وتفجر انبوبا وتضيف رائحة مياه البواليع الى رائحة الحرب واخذت تسمع الان اصوات نيران المدافع الرشاشة اكثر إذ اصبح من الممكن سماعها عبر الثقب الذي احدثته الرصاصة.

ودفعت صدمة الطوربيد الرجال الثلاثة الى التدحرج عبر الغرفة.

وراحت تعلو اصوات الصلاة لتصبح اكثر الحاحا: «ابانا الذي في السموات...»

ومع انحراف السفينة الحاد بعيدا عن الطوربيد، حاول سكوت وغورشيك ومولين الوقوف على ارجلهم. واخذ انحراف السفينة يزداد. وانزلت اقدامهم باتجاه الحاجز البعيد عن وسط السفينة حيث اختلط الرجال مع اجهزة الهاتف وكبلاته وكرسي وجداول وخرائط ومنشورات. ومع ازدياد انحراف السفينة، حاولوا استعادة قدرتهم على الوقوف. والان وعلى ظهر السفينة المنحرف بشكل حاد والذي كانت تهزه حركات فجائية وسريعة، سيطرت نفسية الخوف والعجز عليهم، ثم شاهدوا الأنوار تنطفىء.

وكان سكوت يعلم ان مولد الطوارىء الموجود في حجرة السطح الامامية قد عطله صاروخ، لذا فهو لن يحقق الهدف المقصود. الا ان اضواء الطوارىء التي يتم تشغيلها بالبطارية اشتغلت اوتوماتيكيا. ومع توقف السفينة عن الانحدار، استعاد سكوت قدرته على الوقوف.

وكان يوجد على طاولته مميلة، جهاز يقيس درجة الانحدار وقد تسمرت عينا سكوت عليها بينما راحت سفينة ليبرتي تكمل ردة فعلها الاولية على الانفجار لتميل باتجاه جانب الميمنة. ثماني... عشر... احدى عشرة درجة... وببطء، توقفت السفينة عن الانحدار عند الدرجة الثانية عشرة حسب جدول الميمنة لمدة لحظة، ثم عادت الى التسعة درجات حسب جدول الميمنة.

«ليكن ملكوتك، لتكن مشيئتك...»

وعادت دارة هاتف مقصورة القيادة الى العمل. «ورشة التصليح الثالثة، هذه هي مقصورة القيادة. لقد دمر الطوربيد مركز التحكم بالاضرار. عليك تولي مسؤولية التحكم بالاضرار».

واعلم سكوت بسرعة مقصورة القيادة بان مركز التحكم بالاضرار لا زال شغالا. وفي هذا الوقت، ارسل السعاة الى ارجاء السفينة ليعودوا اليه بتقارير عن مدى حجم الفيضانات الحاصلة لكي يزود المنصة بالمعلومات المستجدة وفي نفس الوقت يقوم بما يستطيع القيام به لتصليح الاضرار.

ووقع ضابط الصف البحري جون راندال ارضا في حجرة السطح الامامية نتيجة صدمة

الطوربيد. وكان موقعه هناك، في الورشة الالكترونية. وقد انطفأت الانوار في مرحلة مبكرة من الهجوم، ولم يكن لديه نظام اتصال داخلي او اجهزة هاتف شغالة. لذا فقد كانت لديه مجرد فكرة غير واضحة عما يدور. الا انه كان من الواضح ان السفينة تعرضت لهجوم طوربيدي.

واندفع راندال مسرعا من ورشته متجها الى سطح السفينة الرئيسي في الوقت المناسب ليرى مركب الطوربيد تاهماس يقترب ببطء من جانب ميمنة السفينة ومدافعه مسددة نحو مقصورة القيادة في السفينة. ومد راندال الذي افقده الغضب الشديد القدرة على تملك اعصابه، اصبعه الاوسط كعلامة تشير الى الاحتقار. ثم راح يراقب دوران مدفع الـ٤٠ ملم الى ان اصبح مواجها لصدره تماما. الا ان غضبه الشديد حال دون تملك الخوف لمشاعره وكبرياؤه حال دون تحركه من مكانه. وحدّق بتحد بالمدفعي عند مرور المركب من جانبه. ومن حسن حظه، انه لم يكن لدى ذلك المدفعي رغبة في اطلاق النار على هدف سهل كهذا. وبدأت بعد لحظات من ذلك ثلاثة مراكب في الدوران حول سفينة ليبرتي بسرعة عالية بينما راحت تطلق النار على خط الماء وعلى اي رجل يشاهد يتحرك.



وعندما رأى سكوت انه غير قادر على الاتصال هاتفيا بمركز البحوث، ارسل فيليب تورني من ورشة التصليح الامامية ليتبين الاضرار التي قد تكون لحقت بمركز البحوث. وتبين لتورني ان الاضرار قد لحقت فعلا بها. وتردد في البداية الرجال الذين كانوا يشتغلون في مركز البحوث في السماح له بالدخول كونه لم يكن يحمل ترخيص الامان بالدخول. الا ان رأي الاشخاص المتعقلين تغلب على بقية الاراء وسمح لتورني بالدخول في الوقت المناسب ليرى البقية الباقية على قيد الحياة تزحف، وقد بللها ماء البحر وغطاها اللون الاسود الناتج عن الزيت الآسن، عبر فتحة ضيقة الى حيث الامان في ظهر السفينة الثاني الذي لم تغمره المياه بعد.

وقال مخاطبا مقصورة القيادة، «هذا هو مركز التحكم بالاضرار. الطوفان محصور بسطح السفينة الثالث وما تحته، من القاعدة الثانية والخمسين الى القاعدة الثامنة والسبعين. وقد غمرت المياه كليا فسحات مركز البحوث في اسفل ظهر السفينة الثاني ولم يبلغ عن اي طوفان آخر خطير. ويبدو ان السفينة لا تواجه خطرا حاليا، الا اننا لا نستطيع تحمل تلقي ضربة طوربيد اخرى دون ان نغرق».

واستجاب متحدث بالهاتف من مقصورة القيادة قائلا: «تبلغنا الرسالة». ثم اعلن نفس المتحدث بما يتعذر تفسيره قائلا: «الى جميع المراكز، من مقصورة القيادة. استعدوا لمغادرة السفينة». وتلقى متحدثون آخرون بالهاتف البلاغ نفسه وكرروها على دارات اخرى.

واعلن جهاز الاعلان العام الذي يشتغل الان في اقسام من السفينة فقط: «استعدوا لمغادرة السفينة!».

وصرخ بحار بالقرب مني بينما كان ينظر عبر فجوة احدثها صاروخ الى مراكب الطوربيد قائلا: «يا للعنة، لا نستطيع الخروج الى هناك. سيقتلوننا إذا ما فعلنا ذلك».

ووقف ساع لبرهة وجيزة في مؤخرة الممر الذي كنا فيه صارخا: «استعدوا لمغادرة السفينة! استعدوا لمغادرة السفينة!»

ولم يتحرك احد. ربما كانت السفينة مشرفة على الغرق، ولكن البقاء على ظهر سفينة على وشك الغرق كان اكثر امانا من مغادرتها امام تلك المدافع الرشاشة.

واتى أحد المسؤولين عن تشغيل المحركات بانباء تفيد بان الرصاص كان يصفر فوق خزانات مياه السفينة وصرخ قائلا: «ان المراكب تطلق النار على خط الماء. انهم يحاولون تفجير خزانات الماء!» الا ان معظم الرصاص كان يمر عبر السفينة دون ان يلحق اي ضرر بها.

ولم تكن هناك أية وسيلة لدينا تعلمنا بان طائراتنا النفاثة كانت جاثمة على سطح حاملة طائرات الاسطول السادس، وقد اقعدتها الدبلوماسية والتخطيط غير الكفوء.

وسألنا بعضنا بعضا «اين هي طائراتنا النفاثة؟» وقد تلقينا وعدا بالمساعدة وابلغنا بانها في طريقها الينا. الا اننا لم نر أية قوات صديقة في اي مكان بالقرب منا، بينما العدو ـ الذي كنا ما زلنا نجهل هويته ـ يطلق علينا نيران رشاشاته. وراح الرجال الذين اطبقوا اسنانهم باحكام يطلبون المساعدة وكأنهم يلعبون بورق الشدة او النرد قائلين بتوسل: «اين انت ايتها الطائرات النفاثة! الان يا طائرات الفانتوم! في الحال! تعالوا الى هنا وانتقموا لنا من اولاد الحرام اولئك قبل ان يغرقوننا».

وبالرغم من انه كان على ظهر حاملتي الطائرات امريكاوساراتوغا اكثر من ١٥٠ طائرة، فان هذه القوة الفعالة وجدت نفسها غير قادرة على المجيء في الوقت المناسب لمساعدتنا مستخدمة الاسلحة التقليدية. وبانه كان قد تم استدعاء الطائرات الجاهزة التي كان يمكن لها ان تدافع عن السفينة، منحت الادارة في واشنطن اخيرا الاذن بارسال طائرات مزودة بالسلاح التقليدي. ولكن، ومما لا يمكن تصديقه، ان كل طائرة تقريبا كانت اما معطلة او مخصصة لتنفيذ مهمات نووية او اي مهمات اخرى (حماية القوة او شن هجمات جو ارض او هجمات ضد الغواصات او القيام بمهمات استطلاعية) أو منعت من الطيران لسبب ما. وعلى اي حال، وقبل ان يصبح بالامكان ارسال طائرات للدفاع عن سفينة ليبرتي، كان من الضروري استبدال حاملات القنابل النووية بحاملات قنابل تقليدية وذخائر مدافع وحاملات صواريخ جو جو، وجلب الاسلحة التقليدية من المخازن الموجودة بعيدا في قاع

السفينة. وكل هذا يستغرق وقتا طويلا.

وبينما شرع بحارة حاملات الطائرات في تنفيذ المهمة المتعبة المتمثلة بتغيير حاملات القنابل في الطائرة، تم استلام رسالتين اضافيتين من سفينة ليبرتي. وأصدرت حاملة الطائرات ساراتوغا الرسالة الاولى، « القوارب الحربية تقترب الآن »[1] ثم بعد لحظات اصدرت الرسالة الثانية، « تم هجوم بالطوربيد على جانب الميمنة. السفينة جانحة. بحاجة الى المساعدة على الفور »[2]. ثم خيم الصمت. ولم يسمع اي شيء من السفينة بعد ذلك. وبعد ساعة امر القائد العام لقوات الولايات المتحدة البحرية في اوروبا من لندن سفينة ليبرتي بالاتي: « قومي باتصالات على الفور... اكدي التقرير عن الهجوم[3]. وكانت تصغي ثلاث محطات اتصال بحرية على كل موجة،الا ان ليبرتي لم تعد على الخط.

وسمعت صوت مضخة التغذية المطرد ثو ـ رونك ثو ـ رونك ثو ـ رونك عند سحبها الماء من خزان مياه التغذية لتغذي به خزانات الماء التي يجب ان تملأ باستمرار. ولم ينقطع الصوت مطلقا في الوقت الذي تكون فيه السسفينة مبحرة. وكان الصوت ثو ـ رونك ثو ـ رونك يشكل موسيقى خلفية دائمة يمتد من حجرة طعام الضباط الى صالة سينما المساء. وتغير الصوت الان. ثور ـ رونك ثوور ـ رونك. ثم اصبح اكثر بطأ ثوور ـ روونك. ثنك.

وكانت السفينة ما زالت ترتجف بسبب انفجار الطوربيد عندما توقفت المضخة. وتوقفت المراجل عن توليد البخار بسبب فقدان الماء وبالتالي توقفت المحركات عن الدوران بسبب فقدان البخار. وسرت في جسدي موجة باردة من الغثيان عندما اخذت المعدات تتوقف الواحدة تلو الاخرى عن العمل. وتوقفت المحركات. وضعفت الاضواء ثم انطفأت، فاشتغلت اضواء الطوارىء. كما ان الضغط الرئيسي لمكافحة الحريق قد توقف. وشتم اطفائي بصوت عال عندما ارتخى خرطوم المياه الذي يستخدمه، ليجبره على التراجع بسرعة من امام نهر من النابالم المشتعل الذي كان يعمل على اخماده بجهد كبير. وتوقفت مراوح الهواء ومعدات تكييف الهواء. ثم ساعد صمت. ورحنا نسمع فقط خطوات الرجال واصوات وقعقعة رشاشات مراكب الطوربيد المتواصلة وهم يثقبون الثقوب بلا رحمة على جانب السفينة الذي كنا فيه.



(١) رسالة حاملة الطائرات الامريكية ساراتوغا في الساعة ١٢,٤٥ بتوقيت غرينيتش من ٨ حزيران/يونيو ١٩٦٧.

(٢) رسالة حاملة الطائرات الامريكية ساراتوغا في الساعة ١٢,٥٤ بتوقيت غرينيتش من ٨ حزيران/يونيو ١٩٦٧.

(٣) رسالة القائد العام للبحرية الأمريكية في اوروبا في الساعة ١٣,٤٠ بتوقيت غرينيتش من ٨ حزيران/يونيو ١٩٦٧.

وظهر ضابط الصف البحري جفري كاربنتر من مقصورة البحوث المغمورة بالمياه ليجد الممرات مغطاة بدخان اسود اللون خانق. بعد ان تمت له النجاة من قوة الانفجار الذي لم يلحق ضررا به ولنجاته من خطر الغرق، والماء لا زال يتساقط منه وصوت الطوربيد ما زال يرن في اذنيه، تلمس كاربنتر طريقه عبر ممر مظلم. وتذكر العبارة التالية التي كانت تتردد في مركز التدريب لمكافحة النيران «ابق منخفضا، فهناك هواء قرب ظهر السفينة». فحاول ان يبقى منخفضا، الا ان انحراف ظهر السفينة بشكل يشكل خطرا وتحركه بغدر الى جانب وجود الزيت الذي ترك الرجال الذين سبقوه آثارهم عليه كما انه لم يستطع البقاء وقتا كافيا منخفضا عن الدخان، لذا فقد اقحم طريقه الى السلم الذي كان يعرف انه امامه في مكان ما. واخيرا، وصل الى ظهر السفينة الرئيسي، امام مقصورة القيادة تماما، ووقف بمفرده تحت السماء الزرقاء التي ظن انه لن يراها مطلقا. وكان فوقه مكفوناغل وقد اتكأ على سياج جناح ميمنة مقصورة القيادة الامامي، فناداه مكفوناغل صارخا «اننا بحاجة لمكافحي النيران هنا». وصعد كاربنتر السلم مسرعا وقد خنقه الدخان، باصقا طعم الزيت والمتفجرات من فمه، متجها نحو النيران التي كانت تحتاج لمن يكافحها.

وقد وجد لهب النار ترتفع في كل مكان. واندلعت النيران بسبب اشتعال البنزين من على يسار السفينة واحتراق النابالم في حاضنات المدفع والمراكب الطويلة التي تحملها السفينة. ووجد كاربنتر كولستون وجيمي سميث على يسار السفينة يكافحان النيران بالماء وثاني اكسيد الكربون. فالتقط بسرعة قنينة ثاني اوكسيد الكربون وتوجه بها الى الجحيم. الا انه اضطر فورا الى التراجع نتيجة نيران المدافع الرشاشة التي كانت تطلق من مراكب الطوربيد التي استمرت في الدوران حول السفينة. وخرق رصاص المدافع الرشاشة هذه المرة خرطوم مكافحة الحريق في عدة اماكن ليخفض كثيرا من نسبة تدفق المياه. وبعد دقائق قليلة ارتخى الخرطوم كليا، بينما اختار الملازم غولدين الموجود في غرفة المحرك، الغير قادر على الاتصال مع مقصورة القيادة والمجبر على اختيار احد الامرين التاليين اما تزويد الخزانات او المواسير الرئيسية التي توصل بها خراطيم مكافحة النيران بالماء، واما تزويد المحركات على امل تشغيلها. فالماء لن يخمد حريق سببه البنزين، الا انه يمكن له ان يخفف من حدته، اذ يساعد على منع الومض الخلفي وحماية الرجال. والان اخذت النيران تطلق حرارة شبيهة بفرن متفجر. وقد توفر الكثير من قناني ثاني اوكسيد الكربون، الا ان الرجال لم يتمكنوا من الاقتراب منها بما يكفي لكي يتمكنوا من استخدامها. واكثر ما كان يمكنهم فعله هو بسط طبقة رغوة حول المكان.

وطرأت فكرة على كاربنتر. وقام بتنفيذها بفتح الصمام على قنينة ثاني اوكسيد كربون جديدة. ثم أغلاق الصمام في الموضع المفتوح وتصويب القنينة باكملها باتجاه وسط الجحيم. ونجحت العملية. وللمرة الاولى تمكن الرجال من شق طريقهم نحو اللهب.

واعيد اذاعة الامر التالي « استعدوا لمغادرة السفينة ». وقد سمع الملازم الاول غولدن الموجود في غرفة التحكم بالمحرك الرئيسي هذا الامر من قبل ايضا. وخلال غزو اكيناوا في نيسان عام ١٩٤٥، كان غولدن ملتحقا بالمدمرة هيزلوود الامريكية، عندما انقضت ثلاث طائرات انتحارية يابانية عليها من بين غطاء من الغيم المنخفض. وناورت المدمرة هيزلوود لتتجنب قصف طائرتين، الا ان الطائرة الثالثة القادمة باتجاه مؤخرة السفينة، اصطدمت بالمدخنة الثانية من على يسار السفينة وتحطمت على مقصورة القيادة. وامتد البنزين المشتعل على ظهر السفينة والحواجز وانهار صاري السفينة وتعطلت المدافع الامامية. وقتل عشرة ضباط وسبعة وستون رجلا، من بينهم ضابط قائد، وفقد خمسة وثلاثون. ومالت المدمرة هيزلوود الى جانبها وتحتم على البحارة مغادرتها.

وتذكر غولدن انه تم انتشاله من الماء في ذلك اليوم. واستلم ضابط مهندس المدمرة هيزلوود القيادة وقاد فريقا عاد الى متن السفينة لاخماد ما تبقى من لهب النار المستعرة وتصريف المياه من الاماكن التي كانت قد غمرتها وانقاذ السفينة. وكان غولدن في ذلك الفريق. ويشغل غولدن الان منصب ضابط مهندس سفينة ليبرتي. لقد كان يحمل ثالث اعلى رتبة في سفينة ليبرتي. كما انه كان من بين الاشخاص الاوائل الذين ابحروا فيها عندما اصبحت جاهزة للخدمة الفعلية.

وقد ابلغ هاتف صوتي من مقصورة القيادة غولدن بالآتي: « عطل المحركات الرئيسية واغرق السفينة ». وبدا ان الامر قد صدر من قبطان السفينة، الا ان غولدن اراد التأكد من ذلك. كما أنه يجب افراغ السفينة من طاقمها قبل اتخاذ اي خطوة لاغراقها. ولم يتلق غولدن اية اوامر للتوجه الى جانب السفينة. لقد ابلغ الطاقم فقط للاستعداد لذلك. وطلب من مقصورة القيادة تأكيد امر اغراق السفينة، الا انه لم يتلق جوابا. ونادى مقصورة القيادة ثانية. ولكنه قرر اخيرا اهمال الامر.

وراح الرجال اينما كانوا يتصرفون بحماس اثر سماعهم امر تدمير السفينة الذي كان يتكرر عبر جهاز الاعلان. والمعدات التي لم يدمرها المهاجمون، وقعت تحت رحمة فرق التدمير. ففي غرفة الرادار، رمى بحار فنجانا من القهوة على انبوب اشعة كاثودية فانفجر الانبوب مصدرا صوتا يؤكد انفجاره. وهاجم شخص آخر في مؤخرة السفينة مجموعة من الكبلات الالكترونية مستخدما فأسا مقاومة للنار. وفي مكان آخر، تناول الرجال فؤوسا مقاومة للنار وتوجهوا بها الى البوصلة الكهربائية التي كانت قد تعطلت اثر الهجوم.

وتلقى الملازم البحري جون سكوت الموجود في مركز التحكم بالاضرار امر الاستعداد لمغادرة السفينة من مقصورة القيادة عبر دارة هاتفه، ثم رحلها الى فرق التصليح. وكانت ورشة التصليح الثالثة حينها، تحت قيادة الملازم الاول باينتر والموجودة في قاعة طعام البحارة، التي أصبحت مركزا للواجبات الرئيسية وقد غصت بالجرحى والقتلى.

واقترح سكوت بان يقوم باينتر بنقل بعض الجرحى الى سطح السفينة الاعلى والاقرب الى قوارب النجاة. وفحص باينتر الوضع في الجزء الاعلى من السفينة، فلم ير اثرا للمهاجمين. فبدأ المهمة الصعبة المتمثلة بنقل الجرحى عن طريق تسلق السلم العالي. وكان الكثير من الجرحى قادرين على المشي إذا توفرت لهم بعض المساعدة، لذا لم يشكلوا عقبة. اما الجرحى الذين كانت حالتهم اكثر خطورة، ويتوجب نقلهم وهم على النقالات، فقد كانوا بحاجة لقوة قاصمة للظهر بحيث كان الامر يستدعي رجلين او ثلاثة او اربعة رجال ليقوموا بحمل النقالات الثقيلة متسلقين السلم العمودي متجهين نحو سطح السفينة الرئيسي.

ونظم باينتر خروجا جماعيا منظما مقبولا من هذا المكان في الظروف القائمة. وفي بضع دقائق، جمع معظم الجرحى في حجرة على ظهر السفينة قريبة من مراكز مغادرة السفينة. وعند التقاط الرجال انفاسهم، لاحظوا ايضا انهم لن يكونوا قادرين على مغادرة السفينة. إذ كانت زوارق الطوربيد ما زالت مستمرة في اطلاق النار عليهم. وكانت القذائف الثاقبة تمر بسهولة عبر السفينة. ولم يبدو على سفينة ليبرتي انها ستغرق. فجنوحها باتجاه الميمنة لم يزدد. ولم تصدر أية كلمة من مقصورة القيادة تشير الى هذا الامر، كما لم يسمع شيء منذ اصدار اوامر الاستعداد لمغادرة السفينة وتعطيل المحركات وتدمير واغراق السفينة، وهي اوامر كانت ما تزال سارية المفعول. ولم يصدر امر بالتوجه الى جانب السفينة. فارتأى باينتر اعادة الرجال الى حجرة طعام البحارة، حيث الوقت سيكون كافيا لنقلهم عندما يصدر امر بمغادرة السفينة، إذا صدر. وفي الوقت الحالي، ستكون الحماية من الرصاص الذي استمر في الصفير متوفرة بشكل اكبر على اسطح السفينة العليا.



وسمع توماس سميث، الذي كان يعمل في مركز غسل الملابس، اوامر الاستعداد لمغادرة السفينة. فبدأ مع مجموعة من البحارة على اتخاذ الاستعدادات اللازمة. وتمنى سميث ان لا يضطر الى التوجه الى جانب السفينة. إلا ان هذا الامر كان يدعو الى مغادرة السفينة، فهو يتطلب تجمع الرجال في مراكز قوارب النجاة المعينة لهم مع معداتهم وستر النجاة والاستعداد الى النزول الى الماء إذا دعا الامر.

وانتظر سميث توقف صوت المدافع الرشاشة. واخيرا عندما تراجعت زوارق الطوربيد، سارع الى مركز مغادرة السفينة حيث انزعج لرؤية المادة المطاطية المانعة للتسرب ترشح من قوارب النجاة. وقد احرقت النيران جميع قوارب النجاة الموجودة في منطقته او ثقبها الرصاص او شظايا الصواريخ. واخيرا، وجد سميث في حاملة لقوارب النجاة على يسار السفينة عددا منها في حالة سليمة. وعندما سحب الحبال من اسطوانات ثاني اوكسيد الكربون، تبين ان ثلاث قوارب فقط كانت محتفظة بالهواء. فقام بتثبيتها بحبال متينة وانزلها على جانب السفينة، لتكون جاهزة للاستعمال إذا صدر امر بمغادرة السفينة.

وراح طاقم زورق الطوربيد ، المتربص بتمهل على بعد بضعة مئات من ياردات والمنتظر غرق سفينة ليبرتي بصبر ، يراقب هبوط زوارق النجاة الى الماء . ورأى سميث شخصا ما يتحرك في الزورق الاوسط الذي بدأ محركه يهدر واخذت مؤخرته تنخفض في الماء . وزاد اقترابه من ليبرتي . وعندما اصبح على مدى جيد لاطلاق نيران المدافع الرشاشة ، اطلق النار على قوارب النجاة الفارغة ، مفرغا الهواء من قاربين وقطع حبل القارب المطاطي الثالث الذي ابتعد وهو يطفو كبالون طفل على سطح الماء .

وقد اطلق سميث اللعنة وقد استبد به اليأس عندما توقف زورق الطوربيد لوضع قارب النجاة المطاطي على متنه . ثم زادت الزوارق من سرعتها ، آخذة قارب النجاة معها ، متجهة صوب قاعدتها في أشدود ، الواقعة على بعد خمسة وستين ميلا .



وبعد أن تورات زوارق الطوربيد بعيدا ، امكن رؤية طائرات عمودية تقترب من السفينة . واعلن جهاز الاعلان بصوت عال : « استعدوا لصد المهاجين » . بينما ركض السعاة في ارجاء السفينة صارخين : « الطائرات العمودية في طريقها الينا ! الطائرات العمودية في طريقها الينا ! استعدوا لصد الهجوم » .

وصرخ بحار بالقرب مني بينما راح الرجال يتسابقون الى المراكز المعينة في وقت سابق لصد الهجوم ، قائلا : « يا للعنة ! » . و « صد الهجوم » هو تمرين قديم يتدرب عليه البحارة بشكل مكثف على متن السفن الحربية ، وهو يذكرنا بالمراكب الشراعية الخشبية ، حيث كان البحارة يقومون بتحصين جوانب المركب مزودين بالبنادق والسلاح الابيض . ووجد الرجال الذين لبوا النداء انفسهم وجها لوجه مع طائرتين اسرائيليتين عموديتين هجوميتين من نوع هورنت ، وكانت كل منهما محملة بالرجال المسلحين والمرتدين بزة الميدان . وترك بحار مركزه وركض صارخا في ارجاء السفينة : « لقد جاؤوا للقضاء علينا » . الا ان الطائرتين العاموديتين لم تحاولا الهبوط ولم تقوما باي جهد لاجراء الاتصال . وقد دارت الطائرتان الاسرائيلية هـ٤ وهـ٨ الذين دمغت عليهما بوضوح نجمة داوود باللون الازرق او الاسود على ارضية دائرية بيضاء اللون ، حول السفينة عدة مرات بسرعة معقولة ، واقتربتا اكثر للاستطلاع عن قرب ثم غادرتا[٤] .

(٤) وسيصف شاهد هذه الطائرات العمودية لاحقا امام محكمة التحقيق بأنها طائرات روسية شبيهة بطائرات سيكورسكي . وبالطبع ، فان سيكورسكي هي طائرة امريكية الصنع . الا ان الطائرات العمودية لم تكن روسية ولا امريكية . والصور الفوتغرافية التي التقطها ماكفوناغل تكشف عن انها طائرات ايروسبسيال اس إي ٣٢١ سوبر فريلون (هورنت) العامودية الفرنسية الصنع . وقد صممت لتنفيذ هجمات واسعة النطاق وعمليات ضد الغواصات . وهذه الطائرة العمودية

هي اضخم طائرة عمودية تم صنعها في فرنسا، فيمكنها نقل ثلاثين جنديا مسلحا. وهيكلها يبدو كهيكل المركب. وتوجد فيها زعانف لحفظ التوازن لتسمح بعمليات برمائية.

واستغل الرجال فترة هدوء إطلاق النار المؤقت لاطفاء الحرائق وتصليح ما تضرر ومد خطوط هاتف الطوارىء والعناية بالجرحى وتجميع الجثث إذا سمح الوقت بذلك ولم يسمع اي شيء من مقصورة القيادة فيما خص امر مغادرة السفينة. وفي فترة من الفترات اتكأ الكابتن مكفوناغل على سياج مقصورة القيادة آمرا بعض الرجال بعدم التعاطي مع قوارب النجاة. وقد تم بوقت قصير نسيان الأوامر المتنوعة في وقت بلغ فيه التشاؤم اوجه وانصب الانتباه على البقاء على قيد الحياة والعوم.

وحاول الملازم الاول غولدن والرئيس برووكس جاهدين ابقاء دوران المحركات في مستوى معين، الا ان هذا اصبح تقريبا مهمة مستحيلة التنفيذ بسبب الضرر الكبير الذي لحق بالاليات وبالعدادات الحيوية الرئيسية التي اصبحت تشير الى قراءات خاطئة. وقد قام هذان الرجلان بمراقبة قوة متلهفة وقادرة. وبدأت المحركات بالهدير والدوران لبضع دقائق ثم توقفت. واخذت الانوار والمعدات المساعدة تضيء وتنطفىء. وقرب الساعة ١٥٢٠ عادت المحركات الى العمل، الا ان مكفوناغل لم يستطع التحكم بالدفة من مقصورة القيادة. وتم ارسال الرجال الى مركز ادارة الدفة الخلفية لتنفيذ اجراء قديم آخر كانوا قد تدربوا عليه كثيرا، وهو تشغيل الدفة يدويا. وتم ربط المزيد من اسلاك هاتف الطوارىء لتمكين هؤلاء الرجال من الاتصال بمقصورة القيادة، كون دارة الهاتف العادية قد تعطلت. ولو كانت الاحوال عادية لأعطي الرجال مهمة تسيير السفينة في خطها المقرر، الا ان البوصلة كانت معطلة. فكان على مكفوناغل الاكتفاء باصدار اوامر التحكم بالدفة. وبجهد كبير، استطاع الرجال دفع الدفة عبر قوس يبلغ حوالي عشر درجات. ثم أعطي الأمر التالي من مقصورة القيادة: «حرك الدفة الى اليمين خمس درجات». واستجابت الدفة ببطء. واخذت السفينة تدور ببطء اكثر. ثم أعطي الامر مرة أخرى: «الى الدفة نحو وسط السفينة». وعلى هذا النحو ابتدأت سفينة ليبرتي في تنفيذ حركة متعرجة باتجاه مياه أكثر عمقا.

وفي الساعة ١٥,٣٠ وبعد اكثر من ساعة ونصف من بدء الهجوم، اخذ يتضح لنا اننا سنبقى على قيد الحياة. وفي هذه اللحظة على الاقل، لم يكن احد يطلق علينا النار. وقد ابلغ السعاة البحارة قائلين: «يبدو ان الهجوم قد انتهى. يبدو ان الهجوم قد انتهى» واعلن ذلك ايضا جهاز الاعلان العام في الاماكن التي لا زال يعمل فيها.

وكنا لا نزال نجهل مطلق النار علينا والدافع له. ولم يشاهد الاشارات الاسرائيلية على الطائرات العمودية إلا عدد قليل من الرجال. كما لم يكن احد على يقين بأن الطائرات

العمودية كان لها صلة بالطائرات أو زوارق الطوربيد. وقد طرح علي احد الضباط رأيه الجليل بان الاتحاد السوفياتي كان هو المسؤول عن الهجوم وان الحرب العالمية الثالثة ستتبع ذلك بالتأكيد. وكان آخرون على يقين بان المهاجمين كانوا من المصريين. وبالكاد انتاب اي شخص منا الشك بأن القوات الاسرائيلية قد تكون وراء هذا الهجوم.



واخيرا، تبلغ الرئيس جونسون خبر الهجوم في البيت الابيض بعد حوالي ساعتين من ابتدائه. وكان موظفو البنتاغون وبكل وضوح على علم بالوضع لمدة تقارب الاربعين دقيقة عندما اتصل مستشار الامن القومي والت روستو هاتفيا بالرئيس ليبلغه بان سفينة بحرية امريكية تواجه مشكلة.

وامر جونسون بعقد اجتماع طارىء خلال ساعة في غرفة استعراض الحالات الطارئة في البيت الابيض. واستدعى روستو وماكنارا شخصيا. كما دعي الى الاجتماع وزير الخارجية دين راسك ورئيس اللجنة الاستشارية المختصة بالاستخبارات الخارجية كلارك كليفورد ووكيل وزارة الخارجية نيكولاس كاتزنباخ والمستشار الخاص ماكجورج باندي.

ومن ثم، ولتخوف الرئيس من ان الاتحاد السوفياتي قد يكون مسؤولا عن الهجوم، استدعي سفيرنا في الاتحاد السوفياتي لولين تومبسون، الذي صادف وجوده في واشنطن، الى الاجتماع.

وبدى الرئيس متمالكا أعصابه، عندما تابع ممارسة اعماله العادية بينما كان ينتظر اجتماع مستشاريه. وطلب من سكرتيره مستخدما الهاتف الخاص: «اعلمني في غضون عشرين دقيقة كم عدد الولايات التي قمت بزيارتها منذ ان اصبحت رئيسا». وقد استغرق اعداد ذلك التقرير مجرد خمس عشرة دقيقة. وتبين انه زارها كلها ما عدا اربع ولايات منها.

في تلك الاثناء، وعلى مقربة من جزيرة كريت، أكمل بحارة الأسطول السادس إعادة تسليح الطائرات التي تأخرت كثيرا عن تقديم المساندة الجوية للسفينة ليبرتي. وصدر بصوت عال، من أجهزة الاعلان العامة نداء يقول: «القيادة العامة! القيادة العامة! على كل الرجال أن يحتلوا مواقعهم القتالية. ان هذا النداء ليس للتدريب». بينما أسرع الطيارون الى طائراتهم. واطلقت من حاملة الطائرات أمريكا أربع طائرات فانتوم من طراز ف ـ ٤ ب مجهزة بصواريخ سبارو وسايدويندر، وأربع طائرات سكايهوك من طراز أ ـ ٤ مجهزة بصواريخ جو ـ أرض. كما أطلقت من حاملة الطائرات ساراتوغا أربع قاذفات قنابل من طراز دوغلاس أ ـ ١ سكايريدر «سباد» تدار بمكبس. وكما في السابق، صدرت التعليمات للطيارين لازالة العقبات من الجو والمياه التي تحيط بالسفينة، ولكن ليس للاقتراب من اليابسة القريبة منها مهما تكن الظروف. ولكنه، جرى تذكيرهم بأن السفينة ليبرتي تبعد

مسافة ٤٠٠ ميل عن حاملة طائرات قوة المهام الخاصة وبذلك يكون موقعها ما بعد ميدان القتال العادي للطائرة التي سيلزم إعادة تزويدها بالوقود. وأعلم الطيارون بأنه ستوجد طائرة معدة لنقل البترول في الجو، وستزود هذه الطائرة الصهريج أربع طائرات دفاعية بالوقود. وقد ترسل طائرة أخرى معدة لنقل البترول في الوقت المناسب. لكن ما لا يقل عن أربع طائرات، وربما ثماني طائرات، لا يمكن تزويدها بالوقود، وقد تضطر الى أن تغطس في البحر عندما ينفذ الوقود منها.

وشاركت في المهمة ثلاثة أسراب من الطائرات. لكنه نظرا لخطورة هذه المهمة والتوقعات بخسارة الطائرات، انتخب قائد سرب لقيادة كل سرب من هذه الأسراب(٥). وهكذا انطلقت النجدة، أخيرا، بسرعة البرق، باتجاه السفينة ليبرتي رغم انها جاءت متأخرة، ولم تكن كافية أيضا.

في غضون ذلك، استدعت الحكومة الاسرائيلية على عجل، الملحق البحري الأمريكي كي تبلغه بأن سفينة غير محددة الهوية «قد تكون تابعة للبحرية» هوجمت خطأ. وعند الساعة ١٦,١٤ بتوقيت السفينة ليبرتي، نقلت رسالة أسبقية عاجلة من السفارة الامريكية الاعتذار الاسرائيلي لكل من يهمه الامر، من ضمنهم قائد الأسطول السادس، والبيت الأبيض، ووزارة الخارجية.

وتسلم الفريق أول بحري، مارتن، الرسالة بعد ان توارت طائراته النفاثة الاثنتي عشرة عن الأنظار بلحظات معدودة فقط، وقبل موعد وصولها الى اجواء السفينة ليبرتي بقليل. ومتأثرا، دون شك، بالأمر الذي وجه الى الطيارين «للغطس في البحر» في حالة الطوارىء، قام الفريق أول بحري، مارتن، باستدعائهم بسرعة جميعا ـ الاثنتي عشرة طائرة. ولم يسمح حتى لطائرة واحدة فقط من بعض الطائرات التي كان يمكن إعادة تزويدها بالوقود، بالاقتراب من السفينة ليبرتي للتحقق من حالتها وطمأنة بحارتها.

وتلقى الرئيس جونسون الاعتذار الاسرائيلي في اللحظة التي كاد يبدأ فيها اجتماعه الطارىء. فاستخدم بعض الوقت كي يبعث برسالة الى رئيس الوزراء كوسيغن عبر الخط الساخن بين واشنطن وموسكو لاطلاع السوفيات على أن طائراتنا كانت في طريقها الى السفينة، ومن المحتمل أنه يتم استدعاؤها. ثم مع تخفيف مقدار كبير من التوتر، ذهب بسرعة الى المكتب ذي الشكل البيضاوي برفقة وزير الاعلام، جورج كريستيان، قبل أن

(٥) يتكون السرب من الطائرات الرابضة على الحاملات من حوالي عشرين طائرة توضع تحت امرة ضابط قيادي يكون عادة برتبة قائد بحري، ولا يقوم قائد السرب عادة بقيادة كل مهمة. وفي هذه الحالة قام قواد الاجنحة الجوية وقواد المجموعة الجوية للحاملات فيما بعد بمعاقبة قواد الاسراب لانهم عرضوا انفسهم للاخطار كان يمكن ان يتحملها طيارون أحداث يسهل على ما يبدو الاستغناء عنهم.

يحضر فجأة الى قاعة الاجتماعات المهمة، بعد أن تأخر مدة ست دقائق عن الموعد المحدد للاجتماع.

وترك كريستيان كي يرد عنه جماعة من الصحفيين في واشنطن، متشوقة لمعرفة ما يجري. وكان المخبرون الصحفيون قد شعروا بأن هناك مشكلة عندما علموا بأن راسك قد استدعي من اجتماع للجنة، وهو حدث لا مثيل له، فانقضوا فورا على وزير الاعلام للحصول على الأجوبة، ولكنهم وجدوه لائذا بالصمت.

وجرى الحديث الصحفي كالاتي:

سؤال: جورج، هل الوزير راسك في المبنى؟

جواب: نعم.

سؤال: هل يجتمع به الرئيس؟

جواب: نعم.

سؤال: ...لقد استدعي من مقر الكونغرس لحضور «اجتماع طارىء». هل هذا صحيح؟

جواب: إن الوزير راسك هنا.

سؤال: هناك بعض الشكوى حول اللجنة...

جواب: إن الوزير هنا في البيت الابيض، ويجتمع بالرئيس.

سؤال: هل يمكنك ان تصرح بشيء اخر؟

جواب: لا، لا أستطيع.

سؤال: هل أنت على علم بأي امر طارىء، يا جورج؟

جواب: لن أعلق على هذا السؤال.

سؤال: ... لا تستطيع أن تقدم لنا أية مساعدة حول هذا الوضع؟

جواب: لا.

كان رد الفعل المباشر الصادر من البيت الابيض حول الهجوم، استنادا الى ما أطلعني عليه موظف سابق في البيت الأبيض، قبول اعتذار إسرائيل ظاهريا رغم ان الشكوك كانت كبيرة بشأن اعتبار الهجوم عرضيا بصورة تامة. وكان الاحساس قويا بأنه ليس لدى إسرائيل الشيء الكثير لتكسبه بل على العكس هناك الكثير لتخسره من مهاجمة سفينة تابعة للولايات المتحدة الأمريكية. وبالتالي إذا كان الهجوم مقصودا بالفعل، فإنه لم ينجم عن سابق إصرار وتصميم من قبل الحكومة الاسرائيلية، بل قد يكون ناجما عن قرار تكتيكي اتخذه أحد الرسميين العسكريين المحليين. ولم تكن البراهين متوافرة حتى لدعم هذا الشك. بالاضافة الى ذلك، كانت المواجهة مع إسرائيل فوق طاقة الرئيس. وكان همه الرئيسي ان يضع حدا للحرب قبل تدخل الاتحاد السوفياتي، لذلك فإن المواجهة مع إسرائيل يمكنها أن

تقضي على هذه الوسيلة التي يحتاجها لتحقيق غرضه. وبعد إجراء البحث لبعض الوقت، كلف جونسون كلارك كليفورد بترأس عملية تحقيق في الظروف التي حدث فيها الهجوم. ووطد كل من في البيت الابيض العزم على التزام الصمت حتى يصدر تقرير كليفورد.

وقد أعد جونسون ومستشاروه رسالتين إضافيتين بعثوا بهما الى رئيس الوزراء كوسيغن عبر الخط الساخن، كانت إحداهما تتعلق بالسفينة ليبرتي، والأخرى بمفاوضات وقف إطلاق النار. بعد ذلك، ذهب الرئيس لحضور حفلة غداء اتسمت بطابع دبلوماسي واستغرقت مدة طويلة. ولدى عودته أجرى مشاورات مقتضبة مع بندي ورستو قبل أن يبعث برسالة أخرى عبر الخط الساخن بشأن السفينة ليبرتي. وبالاجمال، تم تشغيل الخط الساخن خمس مرات خلال اليوم: ثلاث مرات لنقل رسائل الى كوسيغن حول الهجوم على السفينة ليبرتي، ومرتين لنقل رسائل بشأن مفاوضات وقف إطلاق النار[٦].

وعندما صدر تقرير كليفورد، أخيرا، بشأن الظروف التي حدث فيها الهجوم، لم يتضمن أية براهين حول كونه مقصودا. وهكذا أصبحت إمكانية تحمل البيت الابيض للمسألة بانها مجرد خطأ «يسهل ارتكابه» في أحوال الحرب، إمكانية دائمة.



في محطة التضميد الرئيسية لليبرتي التي تستخدم اثناء المعركة قام المجند فان كليف بتقديم الاسعافات الاولية للجرحى العديدين. وقام الدكتور كيبغر بفحص جميع افراد الطاقم وترك اوامر باعطاء مورفين للعديد منهم أو البدء في اعطاء محاليل عن طريق الوريد، كما كلف رجالا بالبقاء الى جانب بعض الذين يعانون من اصابات بالغة، ومراقبتهم عن كثب تحسبا لوقوع اي تغييرات في النبض أو التنفس، ثم اتجه بعد ذلك الى مقصورة القيادة لفحص حالة القبطان.

وجاب احد السعاة جميع انحاء السفينة ركضا وهو يصيح بأنه «هناك طائرات مقاتلة صديقة تحلق في المنطقة»، غير ان ما كان يقوله كان خطأ. فقد تبين بعد وقت قصير ان الطائرات التي كانت تستطلع من بعد هي نفسها الطائرات ذات الاجنحة المردودة التي قامت بمهاجمتنا.

وكان الملازم اول بينتر يساعد فان كليف في تعليق زجاجة لحقن المحاليل وريديا وجعلها تتدلى من مكان لتثبيت مصباح نيون عندما سمع الجميع فجأة صوتا يصيح عبر جهاز الاعلان العام قائلا: «هناك طائرات وزوارق طوربيد تقترب من الناحية اليمنى،

(٦) نشر مجلس الامن القومي رسالتين من هذه الرسائل، ولكنه يرفض نشر نص رسالة اعدت لتوصيلها الى الرئيس المصري عبد الناصر.

تأهبوا استعدادا لمواجهة هجوم بالطوربيدات من الجهة اليمنى ».

وهنا عم الهرج والمرج الغرفة في الوقت الذي اسرع فيه الرجال الى السلم. وكانت كل منضدة تحمل رجلا مصابا، وقد وثب الذين كانت لديهم القوة منهم من على المنضدة واتجهوا الى السلم وهم يترنحون ويسقطون ويتعثرون. كما نزع الرجال من اذرعتهم انابيب اعطاء المحاليل وريديا التي حقنوا لتوهم بها في محاولة عشوائية لترك المكان قبل ان يمتلىء بالماء وذلك بعد ان عرفوا بان غرف الابحاث كانت مغمورة. وعلا صراخ المصابين غير القادرين على الحركة وغيرهم الغير القادرين على الوقوف على اقدامهم حتى مع خوفهم من الموت العاجل، وكان الجميع يصيح: « النجدة! » « ارجوك، اوه، النجدة! » « اماه، اماه ».

وكان الملازم اول بينتر، الذي كان يخشى الهلع الذي يسود المكان بنفس قدر خشيته من الطوربيدات، قد وصل الى السلم قبل معظم بقية الرجال. وبوثبة كبيرة هبط على الدرجة الثالثة من السلم ثم استدار ليواجه الحشد الذي كان خلفه والذي جن جنونه بسبب الخوف.

« اخرسوا، اللعنة، توقفوا! » قالها بينتر صارخا في الوقت الذي احتشد فيه جمع من البحارة المذعورين حوله. وقد امسك احدهم بقدمه محاولا جذبه الى اسفل، ولكنه اطاح بالرجل برفسه في عنقه.

وبعد ان هدأ من حدة الموقف، امر الرجال بالابتعاد عن السلم. وصاح قائلا: « لن يترك احد هذا المكان الى ان تكفل سلامة كل جريح! لن يترك احد هذا المكان! »

كان بينتر يخشى ان يمزقوه اربا، ولكنهم تراجعوا الى الخلف. وبسرعة، ولكن بدون هلع هذه المرة، ساعد الرجال اقرانهم في الخروج من هذه الغرفة التي كان الجميع متأكدين من انها ستنهار في اية لحظة. وكان التوتر يسود المكان، كما كان الرجال يرتجفون واصواتهم تتهدج، ولكنهم تحكموا في الشعور بالذعر الذي تملكهم. وكان هناك مساعد اول بحري تزيد خبرته في البحرية على خمس عشرة سنة فضلا عن انه امضى فترة طويلة في تعليم الآخرين كيفية استخدام معدات الانقاذ، ولكنه عجز في هذا الموقف عن التحكم في الرجفة التي تملكته عندما ادرك انه نسي كيف يقوم بنفخ سترة الانقاذ، واحس بالاحراج عندما ذكره شخص اصغر منه سنا بأنه عليه ان يلف انبوب الهواء لفتح الصمام.

وقامت مجموعة من الطائرات الاسرائيلية بالتحليق فوق السفينة على ارتفاع منخفض بدون إطلاق مدفعيتها. وزفر الرجال بهدوء بعد ان كانوا قد استجمعوا قواهم استعدادا لمواجهة المزيد من الصواريخ. وكانوا على أمل انه ربما يكون كل شيء قد انتهى، وربما ان زوارق الطوربيد التي كانت تقترب بهذه السرعة الكبيرة لن تشن اي هجوم. ربما، وربما فقط، قد يكون كل شيء قد انتهى.

وكما حدث من قبل، فقد اقتربت الزوارق الثلاثة واخذت مصابيح الاشارات فيها تومض. وكان يمكن رؤية الاشارات بوضوح هذه المرة بعد انقشاع الدخان، غير انه لم

يتمكن احد في مقصورة القيادة من قراءة الضوء الوماض. وتم استدعاء عامل اشارة وعامل لاسلكي الى المقصورة، وعلى الرغم من ان العديد من الرجال حضروا الى المكان، لم يستطع اي منهم قراءة الاشارات.

وكان ضابط الصف كاربنتر في مقصورة القيادة في هذا الوقت، وكان يعمل كساع ومضيف ومجند طبي ومراقب ويقوم بأي شيء حسب الضرورة. وبعد وقت قصير اصبح مصورا واخذ يلتقط صورا لزوارق الطوربيد بالكاميرا « كانون » مقاس ٣٥ ملم التي كنت قد انتقيتها ووضعتها في مقصورة القيادة قبل الهجوم بأيام قليلة. واصدر مكفوناغل التوجيهات اليه قائلا: « التقط الصور طالما كان ذلك في امكانك، واذا لزم الامر دمر الكاميرا وحاول اخفاء الفيلم ».

وكان يمكن رؤية علم صغير عليه نجمة داوود. وعلق مكفوناغل قائلا: « يبدو انهم اسرائيليون ».

وفي الساعة ١٦,٣٢، بعد مرور اكثر من ساعتين ونصف على اطلاق اول صاروخ على ليبرتي، دون عامل الرادار كوكنافيتش في سجله اول تعريف لهوية القوات المهاجمة: « ١٦,٣٢ ـ زوارق ترفع العلم الاسرائيلي. القبطان يقول يبدو ان زوارق الطوربيد اسرائيلية ».

وعاد التيار الكهربائي الى غرفة اللاسلكي، وعلى الفور قام كبير عمال اللاسلكي واين ل. سميث بالاتصال بقائد الاسطول السادس، وابلغ ما يلي: « زوارق الطوربيد ترفع علما عليه نجمة داوود. يبدو انهم اسرائيليون ».

وازداد اقتراب الزوارق.

واجتهد مكفوناغل محاولا قراءة الارقام المكتوبة على جسم الزوارق والتي كانت الامواج المتلاطمة تغطي جزءاً منها. « اثنان أو اربعة واحد سبعة » قالها مكفوناغل بصوت عال مبلغا مساعد القبطان الذي دون بدوره الارقام التي كان سيتم بعد ذلك ابلاغها الى الفريق اول بحري مارتن والى مراسلي الصحف حول العالم. غير انه لم تكن لدى اسرائيل زوارق تحمل الارقام ١٧ـ ٢٠٤. فما قرأه مكفوناغل خطأ على انه الارقام العربية ١٧ كان في الحقيقة الحرف العبري « ت » المكتوب على الزورق الاسرائيلي « تحماس » ورقمه ٢٠٤ ت والذي كان يقف الآن بالقرب من ليبرتي.

وصعد القائد طومسون من مخزن ادوات التصليح الذي يقع في مقدمة السفينة، وكان هاري طومسون قد درب في السابق على القيام بوظيفة عامل اشارة، لذلك حاول ان يقدم المساعدة، غير ان الاضواء المنبعثة من الزوارق لم تكن تعني اي شيء. فحاول استعمال ملوحة الاشارات ووقف في الهواء الطلق ملوحا بالاعلام في محاولة للاتصال بالزوارق، ولكن مرة اخرى لم يكن هناك اي رد.

واقترب قائد الزورق « تحماس » من اجل استعمال مكبر الصوت. وجاءت الرسالة عبر الماء باللغة الانكليزية وبنطق واضح وبطيء : « هل تحتاجون لاية مساعدة؟ »

وهنا تملك الغضب مكفوناغل الذي حدد لمساعده الكلمات البذيئة التي رأى انها مناسبة للرد في مثل هذه الظروف، وتم نقل هذه الرسالة القصيرة، على عكس عادة مكفوناغل في الرسائل، الى « تحماس ». فانسحبت زوارق الطوربيد في صمت واستأنفت مراقبتها من مسافة اكثر امنا. وبعد ذلك بدقائق قليلة استدارت الزوارق للمرة الاخيرة واختفت وراء الافق.

وفي ذلك الوقت كانت ليبرتي مائلة بشدة ناحية اليمين وباتجاه المقدمة، وكانت معظم معداتها الحيوية مدمرة. كما كان ثلثا افراد طاقمها مصابين وعدد القتلى فيها اثنين وثلاثين وعدد آخر غيرهم يحتضر، فضلا عن ان ربع مساحة السفينة كان مغمورا بالاضافة الى اصابة قبطانها بجروح بالغة. وكانت السفينة وهي بهذه الحالة تترك وراءها في الماء خطا ملتويا من الزيت الذي كان يتسرب منها(٧).

(٧) انظر الملحق « د » الذي يتضمن مناقشة للجهود التي بذلت من اجل إرسال طائرات للدفاع عن ليبرتي.

الفصل الثامن

إسترداد واصلاح وملتقى

تستطيع ان تضغط النحلة في يدك حتى تصاب بالاختناق، ولكنها لن تختنق قبل ان تلسعك.
وقد تقول ان تلك اللسعة مسألة تافهة، وهي بالفعل كذلك. ولكن لو لم تلسعك النحلة، لكان النحل قد انقرض منذ اجل طويل.

جين بولهام ١٨٨٤- ١٩٦٨

استمرت إستعادة الموتى وجمع الجرحى في الوقت الذي جاهد فيه ميكانيكيو السفينة وفنيو المحركات وفرق التحكم بالاضرار للتحكم بالسفينة التي اصيبت باضرار بالغة. وتلقى الملازم سكوت في مركز التحكم بالاضرار عشرات التقارير حول المياه التي دخلت السفينة بسبب الثقوب التي احدثتها الصواريخ والرصاص بالقرب من خط الماء. وكان الرجال قد سدوا هذه الثقوب بالخرق، ثم ادخلوا فيها قطع خشب مخروطية الشكل ليحكموا سدها. واحكم سد الثقوب الاكبر حجما بإستخدام قطع خشبية عملاقة لادخال كتل الخشب او الصناديق التي لا تسرب المياه في تلك الثقوب.

وتسلم سكوت تقريرا عن تسرب كبير في منطقة تقع بعد مركز التحكم بالاضرار مباشرة، في حجرة الالعاب الرياضية الخاصة بالبحارة. ودار الماء كالدوامة على ارتفاع قدمين داخل الحجرة وكان قد اندفع كسيل عظيم من ثقب كبير تحت الماء. وما كانت الطرق العادية لتنفع في سد ذلك الثقب. وجرى الرجال داخل السفينة ليجمعوا الفرش من اجنحة نوم البحارة. وحشرت ثلاث فرش في الثقب، وقد عملت على ابطاء تدفق الماء ولكنها فشلت في وقف الفيضان، ثم جرفت في البحر.

وساعد جنوح السفينة على حصر الفيضان في نطاق حجرة واحدة. واصبح عمق الماء الذي كان بمستوى الحذاء بالقرب من الباب اكثر من قدمين في الاجزاء الاخرى من المقصورة. واستطاع سكوت ورجاله سد الثقب باستخدام الواح كبيرة من الخشب الرقائقي لضغط الفرش على الثقب والابقاء عليها في مكانها بإستعمال المداوير والملفافات والاخشاب.

وبعد ان ضخوا الماء الى خارج الحجرة وجدوا وشلا صغيرا من الماء يسيل ولكن يمكن التحكم به.

كانت قاعة الاستراحة الخاصة بالمساعدين البحريين الاوائل لا تبعد كثيرا عن المكان الذي كنت مستلقيا فيه في الممر خارج ردهة السفينة. وكانت تلك الغرفة التي ما اريد لها ابدا ان تكون مكانا للقيام بالواجبات، آمنة نوعا ما من الصواريخ والرصاص والنابالم وذلك بسبب موقعها القريب من خط وسط السفينة. وقد اصبحت محطة لتجميع الجرحى. ووجد بينتر الضابط التنفيذي في الممر في الخارج ـ متماسكا غاضبا والدم ينزف منه. واشعل له سيجارة، ثم كسر سداد زجاجةويسكي من طراز جوني ووكر كان قد احضرها من حجرة الضابط التنفيذي الخاصة. وشرب آرمسترونغ كمية مريحة من الوسكي، ثم دس الزجاجة تحت بطانيته البحرية البنية اللون حيث احتضنها بذراعه الايسر. وبقيت الزجاجة هناك إلى أن، بعد فترة وجيزة، رفعت مجموعة من الرجال نقالته لتنقلها في رحلة مضنية نحو حجرة تضميد الجروح الرئيسية في صالة طعام البحارة. وقد احتج فيليب بمرارة حين كادت النقالة تقف على حافتها لتدور به دورة حادة في الممر، ولكنه لم يتخل عن الزجاجة.

وجاء دوري بسرعة. وكانت ساقي قد تورمت على نحو بشع عندما كنت انقل بشكل اقرب الى الخشونة عبر ممرات دائرية. كان الوقت عند الغسق عندما رفعوني فوق قسم من السطح الرئيسي الذي يقع بالقرب من مؤخرة حجرة السطح. وحومت فوقي وعلى مستوى منخفض جدا طائرة هليكوبتر صغيرة خضراء اللون ولم يظهر انه كان على متنها رجال. ثم اختفى الطائر الاخضر عن ناظري لان شخصا ما غطى وجهي ببطانية ليحميني من التيار الهوائي الذي احدثته مراوح الطائرة.

وظهر في مقصورة قيادة السفينة واحد من بحارتنا ووقف بجانب القبطان وهو يحمل بندقية من عيار ٣٠ وقال، « ايها القبطان، استطيع ان اصطاد الطيار بسهولة ».

واجاب مكفوناغل بسرعة، « لا، إن ذلك سيدفعهم فقط ليعودوا ويقضوا علينا ».

وبينما استمرت طائرة الهليكوبتر في التحليق بالقرب من مقصورة قيادة السفينة، حاول الرجال الذين كانوا على متنها ان يوضحوا بايديهم وبالايماء انهم كانوا يريدون الهبوط على ظهر السفينة. ولكن مكفوناغل لوح لهم لينصرفوا لانه لم يكن في وضع مزاجي يسمح له باستقبال الزوار[١].

(١) فيما بعد وصف القائد كاسيل إيماءة ماكفوناغل بأنها مثل رفع إصبع الابهام وقد قصد بها توصيل رسالة مفادها ان الموقف كان تحت سيطرته. وقال ضابط كان في مقصورة القيادة ان الاصبع الذي ابرز لم يكن ابهاما ولكن الاصبع الاوسط كدليل على التحدي. ومن المفترض ان كاسيل الذي كان يرتدي الملابس المدنية على متن الهليوكبتر الاسرائيلية كان إسرائيليا.

واقتربت الطائرة اكثر من مقصورة ربان السفينة واستمر الرجال الذين كانوا على متنها في التعبير بالاشارة عن رغبتهم في الهبوط، وظل مكفوناغل متمسكا برفضه بشدة. وفي النهاية سقطت رسالة من الطائرة وعند إحضارها الى الربان، وجدها بطاقة تحمل رقم هاتف ملحق الطيران البحري بسفارة الولايات المتحدة في تل ابيب، القائد ببحرية الولايات المتحدة ايرنست كارل كاسيل. وعلى ظهر البطاقة كتب الاستفسار المهذب التالي، « هل وقعت بينكم إصابات؟ »[٢]

واجاب مكفوناغل « نعم » مستخدما مرة اخرى مصباح ارسال الاشارات الضوئية. ولكن بدا ان القائد كاسيل لم يفهم الاشارة، وفي ظرف دقائق قليلة، غادر هو ايضا متجها نحو تل ابيب. وقال فيما بعد في رسالة بعث بها، « لقد كانت الرحلة برمتها مخيبة للآمال ».

واخيرا وصلت الى مركز تضميد الجروح لاجد المشهد الدموي الذي يذكر نوعا ما بالحرب الاهلية الامريكية. واستطعت ان ارى بعد فك وثاقي من النقالة ووضعي على سطح الطاولة البارد، رجالا جرحى آخرين مستلقين على اسطح الطاولات الاخرى. واستخدمت نحو اربع وعشرين طاولة كأسرة في المستشفى وكانت كل واحدة منها ملحومة بسطح السفينة كما هي العادة بالنسبة للطاولات التي توضع على متن السفن. وتدلت من تثبيتات مصابيح الفلورسنت الكهربائية زجاجات كانت تقطر سوائل حيوية عبر انابيب بلاستيكية في اذرع الرجال الممددين تحتها. وقد فرشت مراتب رقيقة جمعت من مقصورات نوم البحارة على السطح بين وتحت الطاولات ليوضع عليها المزيد من الرجال.

كان الرجال الجرحى في كل مكان. وكان معظمهم مستلقين في صمت يحملقون فيما هو فوقهم. وكان بعضهم يتحادث بصوت خافت مع اصدقائهم. وبدا على العديدين منهم الاسى العميق الواضح وهم ينتظرون وصول الدكتور كيبغر او المجند البحري المدرب على اعمال الاسعاف، وكان زملاء هؤلاء البحارة يقومون بمؤاساتهم. واكتظت الحجرة بالضمادات والحمالات وادوات كبس القطن من كل حجم وشكل.

ودخل الرجال الى الحجرة يقدمون الماء وعصير الفواكه او القهوة وعلمنا انه قد سمح بتناول الويسكي الدوائي كما كانت تتوافر كمية من البراندي والنبيذ والبوربون. وقبلت ربع علبة من عصير الكريب فروت المثلج وشربته دون ان اتوقف لاتنفس. وقال لي بحار بجفل، « هل تطلب اي شيء آخر، يا سيدي؟ »

وقلت، وانا مندهش مثل البحار من حسن ادائي، « نعم، المزيد من العصير من فضلك ».

واستطعت ان ارى الرائد ا لبحري ديف لويس، رئيس دائرتي على طاولة بالقرب مني. لم تكن به جراح واضحة، ولكن كان لون وملمس وجهه بلون وملمس الاسفلت الحديث.

(٢) انظر الملحق و.

وناديته، « ديف » ولكنه لم يجبني.

وقالوا لي، « إنه اعمى واصم. لقد كان في الحجرة مع الطوربيد. لقد رآه يأتي عبر جانب السفينة. وحرق الانفجار عينيه وفجر طبلتي اذنيه ». وفكرت في قصة ميدوسا.

جلس الرئيس بنكرت معي وزودني باول اخبار مفصلةعن الاصابات. قال وهو يشير فوق كتفي بسرور ملحوظ « هناك يوجد زميل غرفتك ». واجبت باصرار، « لا، انه ميت. ولكن كان اوكونور حيا. من الواضح انه كان مريضا جدا، يرقد على مرتبة منتقعة بالدم موضوعة بين طاولتين. وعندما التقت عيناي بعينيه ابتسم وحيا.

واستطعت ان ارى الضابط التنفيذي عبر الحجرة فوق طاولة بالقرب من خط تقديم الطعام في الايام العادية. وكان فيليب الذي استلقى على جنبه، شاحبا ولكنه متيقظا، وقد رفع جسمه على مرفقه ليستكشف الحجرة. وكان قد وصل لتوه واراد ان يعرف من نجا معه من الموت. ولوحت له بيدي. ورد علي ملوحا بيده.

وقلت « شكرا لله ان الضابط التنفيذي بخير ».

كان خط الخدمة، حيث اعتاد الرجال ان يحملوا اطباق طعامهم، مكتظا بالاربطة والعقاقير والزجاجات والمحاقن وكمية من الامدادات الطبية الاخرى. ووقف الدكتور كيبفر ليراني بعد بضع دقائق من وصولي.

وسألني، « كيف تشعر ؟ »

كان كيبفر هادئا وغير متعجل وبدا غير مضطرب بسبب الفوضى والمجزرة التي من حوله وكان يوحي لمن حوله بالثقة والاطمئنان وذكرني بطبيب المستشفى الذي يقوم بجولات عادية.

« اشعر بانني محظوظ جدا. سأكون على ما يرام، يا دك ».

وقال الطبيب وهو يتحرك ليرعى الرجال الذين كانوا يعانون بوضوح من المشاكل، « إذا احتجت لأية مساعدة فدعني اعرف ».

وسأل فيليب آرمسترونغ، « كيف تشعر ايها الضابط التنفيذي ؟ »

وقد كذب الضابط التنفيذي عندما بدأ الطبيب يفحص النزيف بالقرب من اربيته وقال، « إنني على ما يرام، ايها الطبيب. إن حالة بعض الرجال اسوأ من حالتي بكثير. قدح من القهوة وسأكون على ما يرام ».

واجابه الطبيب بعد ان فحص جروحه وقاس ضغط دمه ونبض قلبه، « حسنا، ايها الضابط التنفيذي. سأعود لأرى مدى تحسن حالتك ».

وعندما تحرك الطبيب الى البحار سلفادور بايان وجده غير مستجيب وكان على وشك

الموت. كانت هناك مادة رمادية اللون تسيل في اذنه اليسرى وهو يبحلق في السقف لا يسمع شيئا ولا يرى شيئا وترتسم على وجهه تكشيرة تنم عن الاسى.

وعلم كيبفر انه لا يستطيع ان ينقذ الرجل. وإذا عاش بايان فلن يكون كيبفر هو الذي انقذه. إن كيبفر يستطيع فقط ان يجعله يشعر براحة اكثر. وبمزيج من العلم والحاسة السادسة اللذان ميزا شخصية الطبيب في ذلك اليوم، خمن ان الكثير من اسى بايان ناتج من حاجته البسيطة للتبول. وبعد ان ادخل قسطرة لنزح المثانة التي عجز جهاز بايان عن التحكم بها، سمع قهقهة السرور التي اكدت له صحة تشخيصه. وبعد ان وصف له المورفين مضى في سبيله.

والان جلس الضابط المسؤول عن المضيفين في السفينة تروي غرين مع آرمسترونغ. كان غرين هو مضيف غرفة الضابط التنفيذي، ولكنه كان صديقه ايضا ورفيق كأسه وموضع ثقته. لقد احضر غرين القهوة التي طلبها آرمسترونغ وبقي ليواسيه.

ولما كان مكفوناغل غير مدرك لمدى الاصابات التي لحقت بضابطه التنفيذي، تحدث من جهاز الاعلانات العام وقال، «ارجو من الضابط التنفيذي ان يحضر الى مقصورة القيادة».

وضحك آرمسترونغ مستمتعا بسخرية الاقدار من موقفه. وقال وهو يبتلع المزيد من القهوة، «قولوا للقبطان انني لا استطيع ان اذهب الى مقصورة القيادة توا..» وشاركه غرين الضحك وقهقه الاخرون الذين سمعوا تبادل الحديث. إن الانسان لا يستطيع ان يقول للقبطان ببساطة انه لا يستطيع ان يذهب. على الانسان ان يذهب.

وبشكل مفاجىء بدأ آرمسترونغ يسعل ثم يتقيأ. وانزعج غرين من لون القيء الشديد الحمرة، وكان آرمسترونغ هادئا.

وقال غرين، «سأستدعي الطبيب». ثم صاح، «الطبيب! المجند البحري المدرب على الاسعافات الاولية!» وحذره فيليب قائلا، «لا، لا، لا، إنني بخير. قليل من الدم لا اهمية لذلك. اريد منك ان تأخذ هذه. لا، من فضلك، ارجوك. إحتفظ بها. وهذا».

ثم اخرج خاتم زواجه من اصبعه وقال، «تأكد من ان ويتي ستحصل على هذا».

واستعطفه غرين قائلا، «لا تقل هذا، ايها الضابط التنفيذي». ولكن كان آرمسترونغ قد لفظ نفسه الاخير.

وعندما نظرت عبر الغرفة بعد دقائق قليلة، وجدت طاولته خالية وبكيت لاول مرة في ذلك اليوم. كان فيليب آرمسترونغ لغزا. وقد احببناه جميعنا. وربما احبه مكفوناغل نفسه. والان قد مضى.

وعلمنا في وقت متأخر فيا بعد ان جرحا ضئيلا احدثته شظية في ظهر آرمسترونغ سبب ضررا داخليا ونزيفا شديدا بالقرب من القلب، وفي النهاية اصبح الضغط حول قلبه كبيرا جدا بدرجة جعلته عاجزا عن ضخ الدم. (٣).



اصيب مكفوناغل بالقلق خوفا من ان تجنح السفينة في مياه ضحلة. لقد تمت السيطرة على نزيف دمه بفضل مرقاة وضعها له مساعد الضابط البحري كاربينتر، ولكن اصيبت ساقه بالخدر. كان من الضروري فكها كل بضع دقائق للسماح بمرور الدورة الدموية، ولكن كان هناك اشياء كثيرة تجري انشغل الناس بها.

ـ كان متجها نحو عرض البحر. ومع ان البوصلة الكهربائية كانت تالفة ولا يمكن الاعتماد على البوصلة المغنطيسية، فقد وجه السفينة إلى حيث اعتقد ان المياه يجب ان تكون اعمق. كان مقياس العمق من المعدات المساعدة القليلة التي بقيت في حالة صالحة للعمل، ومع ذلك كانت المعلومات التي يوفرها غير مطمئنة. فحيث توقع مكفوناغل ان يجد عمقا مقداره خمسين قامة وجد اربعين قامة فقط. وحين قلل سرعة السفينة من ثماني عقد الى اربع، هبط عمق الماء الى خمس وثلاثين قامة.

واستدعى القبطان ضابط إدارة سطح السفينة، الملازم بحري ديفيد لوكاس ووجهه لان يجهز زمرة العاملين في رفع وتحريك المرساة. وكان مكفوناغل يعلم ان العديد من الرجال الذين كلفوا بهذه المهمة قد ماتوا او جرحوا. وقال القبطان، « فقط اجمع اكبر عدد من الرجال تستطيع جمعهم واسرع بالعمل ».

وفي اقل من خمس دقائق ابلغ لوكاس عن طريق التلفون الصوتي من مقدمة السفينة ان زمرة العاملين في المرساة جاهزة. وابلغ غولدين من غرفة التحكم الرئيسية ان الطاقة متوفرة لتشغيل دوارة المرساة. وانتظر مكفوناغل.

وقال مساعد القبطان الذي وقف بالقرب من مقياس عمق الماء، « ثلاثون قامة ».

واصدر مكفوناغل امره، « اوقفوا جميع المحركات ».

« ثماني وعشرون قامة ».

وصاح مكفوناغل، « اديروا جميع المحركات لدفع السفينة الى الخلف! »

(٣) فيا بعد قال لي اختصاصي في علم الامراض فحص جثة فيليب ان حلقه، والممرات الشعبية والرئتين والكليتين والكبد كانت جميعها في حالة سيئة بسبب سوء استعمال الكحول والتبغ. وقال لي الطبيب انه من المحتمل ان فيليب كان سيموت بعد عامين، تماما كما تنبأ هو وبدون مساعدة من إسرائيل.

وردد مساعد القبطان بينما اهتزت السفينة بسبب الضغط المفاجيء الناتج محاولة تغيير إتجاه ابحارها في الماء، « ثماني وعشرون قامة ». وزادت المناطق التي غمرها الماء من التوتر الذي احدثته مقاومة تغيير إتجاه السفينة. وانتفخت الحواجز المجاورة لغرفة الابحاث وانبعجت وكادت ان تنهار تحت الضغط. وفي إدارة الامدادات، خلف خزانة صغيرة لخزن قطع الغيار الصغيرة في المخزن الرابع، سمح شق صغير بتسرب دفق من الماء من الغرفة المجاورة.

« ثماني وعشرون قامة ».

وفي مقدمة السفينة، جهز لوكاس المرساة للانطلاق. وكان كابح دوارة المرساة الذي يعمل بالاحتكاك لا يقبض على السلسلة الثقيلة إلا على نحو ضعيف، في الوقت الذي تحمّل فيه خطاف كبير الوزن الاساسي.

وقف مساعد عريف بحري يحمل مرزبة، مستعدا لضرب الصفاد وتخليص الخطاف بمجرد صدور الامر بذلك.

واصدر مكفوناغل توجيهه قائلا، « اطلقوا مرساة الميمنة ».

وردد لوكاس امر مكفوناغل بواسطة تلفون في مقدمة السفينة قائلا، « اطلقوا مرساة الميمنة ».

ورفع مساعد العريف البحري المرزبة الثقيلة.

ثم عكس مكفوناغل امره بسرعة مستخدما التلفون الصوتي وقال، « اوقفوا ذلك ». وكانت المرزبة في تلك اللحظة في منتصف المسافة التي تفصلها عن الصفاد لان امر الايقاف جاء متأخرا وما كان من الممكن ايقاف الضربة. لهذا حول مساعد العريف البحري الضربة لتقع على سطح السفينة المصنوع من الصلب واخطأ الصفاد. وبدا صوت الضربة، بالنسبة للرجال الذين كانوا في تلك المنطقة، كصوت إنفجار صاروخ ولذلك اجفل بعضهم وبحث البعض الاخر عن ساتر يحتمون به. وبقيت المرساة في انبوب السرفة.

ومرة اخرى قرر مكفوناغل عدم القاء مراسي السفينة وان يحاول، بدلا عن ذلك، التراجع عن المياه الاكثر ضحالة التي وجد نفسه فيها. واستمرت السفينة في التراجع الى الخلف مدة عشرين دقيقة. والتحكم بالدفة اثناء رجوع السفينة الى الخلف يكون ضعيفا في احسن الاحوال، اما الان فقد كاد ان ينعدم تماما بينما تفاعلت السفينة ببطء في نطاق القوس الضيق الذي إستطاع الرجال ان يحركوه يدويا. ومع ذلك تحركت السفينة، عموما، في الاتجاه الذي اراد لها مكفوناغل الابحار فيه.

وكرر مساعد القبطان، « ثلاثون قامة، ثماني وثلاثون قامة ».

وفي النهاية وجد مكفوناغل مياها اعمق. وبعد ان استأنف الابحار الى الامام وغير إتجاهه الى اليمين، ناور حول المياه الضحلة.

« ثماني واربعون قامة ».

ولكن يبدو ان حالة طارئة تعود الى اخرى. قال غولدن في الخبر الذي ارسله من غرفة المحركات، « لقد توقفت محركات السفينة، لقد فقد ضغط زيت التزييت ». إن الفقدان المفاجيء لقوة إندفاع السفينة للمرة الثانية ادى الى إندفاع الماء بقوة الى داخل المقصورات المغمورة بالماء والضغط بشدة على الحواجز الامامية التي جرى إضعافها. وابدت صفائح حواجز الصلب انبعاجا واضحا الان بسبب وزن الماء الذي يضغط من الناحية الاخرى. وشبه البحارة هذه الحركة « باللهث » لان الصلب كان يهتز مثل الورق الرقيق بسبب الدفع المستمر من الماء الخضخاض. وتفاقم الشق الصغير، واصبحت قطرات الماء صغيرة ولكن منذرة بالشؤم.

وبسرعة شغل غولدن محركات السفينة التي استمرت في التحرك نحو مياه اعمق. وفي غضون دقائق كانت السفينة في مياه عمقها اكثر من ثمانين قامة. وقرر غولدن انه لم يعد هناك خوف من جنوحها. وكانت المحركات تعمل بصورة جيدة واستجابت لسرعة عشر عقد التي طالب بها.



عند الساعة ١٧,٣٥، أذيع من محطة الاتصالات البحرية في اسمرا الامر الذي اصدره قائد الاسطول السادس بان تبتعد السفينة عن غزة. وكان عمر تلك الرسالة في ذلك الوقت اكثر من ست ساعات، كما كانت الاحداث قد تجاوزتها منذ وقت طويل. وكانت اجهزة الاستقبال المفترض فيها تسلم تلك الرسالة قد تعطلت، كما ان معدات فك الرموز التي تستخدم لاعادة الرسالة الى شكلها المفهوم كانت مطمورة في الماء، وكان الرجال الذين عليهم ان يتعاملوا مع هذه الرموز قد لاقوا حتفهم. ولكن بدت السفينة بعيدة عن الخطر نسبيا ولاول مرة منذ عدة ساعات.

وفي الغرفة الرئيسية للتحكم بالمحرك، سمح غولدن لنفسه بالاسترخاء. واحضر رجل الاطفاء، ايش، ابريقا كبيرا مملوءاً بماء بارد واخذ يصبه ببطء على رأس غولدن. ثم ناوله منشفة واشعل له سيجارة.

وفي مقصورة قيادة السفينة، تحرك مكفوناغل الى الجناح الايسر حيث استلقى على السطح واسند ساقه المجروحة على « كرسي القبطان ». وكانت هناك مقاعد متشابهة واسعة ومريحة ومرتفعة لتمكين الانسان من الأشراف على منظر جيد، مثبتة بشكل دائم على جناحي مقصورة القيادة. وكان مكفوناغل يستطيع وهو مستلق على ظهره في موقعه ذلك،

ان يشاهد مؤخرة السفينة من فوق أعلى سطح من سطوح السفينة حيث يستطيع ان يحكم على تقدم السفينة من الاثر الذي يخلفه سيرها على المياه، ويعطي اوامره بسهولة للرجال الموجودين في غرفة الملاحة على بعد اقدام قليلة منه.

وفي رسالة صوتية لاسلكية بلغة عادية بعث بها الاسطول السادس ابلغ مكفوناغل ان يبحر نحو الشمال تقريبا لمسافة مائة ميل، حيث تقابله مدمرتان تحملان مساعدات طبية. لقد كان كل شخص على ظهر السفينة مصابا، نوعا ما، بجروح، وكان نحو ثلث البحارة مصابين، بصورة او اخرى، بجراح خطيرة. وكان مكفوناغل يتقدم للقاء قوى صديقة، ولكن ذلك كان عملا شاقا بسبب تحكم ضعيف بمعدات السفينة، وحاجز رئيسي واهن قد يؤدي انهياره حتما الى غرق السفينة.

وعندما ظهر الملازم بينيت في مقصورة الربان، املى عليه مكفوناغل تقريرا حول الهجوم الذي تعرضت له السفينة، وكان موجها الى رؤساء ليبرتي في واشنطن ولندن والاسطول السادس. وبعد ان سجل بينيت كلمات القبطان طبع الرسالة بنفسه في مكتب السفينة، وارجعها الى مقصورة القيادة ليوقع عليها القبطان، ثم سلمها الى الرئيس سميث في غرفة اللاسلكي الرئيسية لبثها[٤].

بعد ذلك، استدعى القبطان الملازم مالكولم «باتريك» اومالي، ووجهه بان يرسل تقريرا عن الاصابات التي لحقت بالاشخاص الى مكتب الموظفين البحريين. وفي النهاية استدعى الطبيب كيبفر، وتأكد من انه بذل كل ما في وسعه وقام بكل مجهود في سبيل العناية بالجرحى، وان جثث القتلى كانت تلقى العناية المناسبة، ثم سمح في النهاية للطبيب بان يفحص جراحه. وبعد الانتهاء من هذه الاشياء إستسلم مكفوناغل للارهاق.

كان قد فقد كمية كبيرة من الدم. كم انه قد اصيب بجراح في ذراعه الايمن وساقه اليمنى، وفي اكثر اجزاء جسمه من جراء الشظايا المتطايرة من الصواريخ، والتي كانت في معظمها جزئيات من الالومنيوم والماغنزيوم. وكانت ساقه خدرة، ويعاني من الارهاق. كما يحاول جاهدا الاحتفاظ بوعيه بشق النفس.

وعندما سأله كيبفر عن اسمه، لم يستطع مكفوناغل الاجابة. لم يستطع ان يقول من هو، ولا اين كان، او ماذا حدث، ولا الى اين يتجه. وفكر كيبفر في الاعلان عن ان القبطان في حالة إعياء جسدي لا تسمح له بتولي القيادة، وتشاور في الامر مع الملازم غولدن. لقد فقد القبطان دما كثيرا ولم يعد بوسعه ان يفكر بطريقة سليمة. ومن المؤكد انه لم يكن في وضع يمكنه من إتخاذ قرارات هامة تتعلق بالسفينة. وقرر كيبفر وغولدن انه ما دام القبطان

(٤) رسالة السفينة الامريكية ليبرتي الساعة ١٧,١٥ بتوقيت غرينتش في الثامن من يونيو/حزيران ١٩٦٧. راجع الملحق ز.

ليس في وضع يمكنه من إتخاذ اية قرارات إطلاقا ، فإن الاحتمال باتخاذ قرارات خطيرة ضعيف جدا . وقرر الطبيب ان مشكلته بمعظمها ناتجة عن الارهاق ، وفقدان قدر كبير من الدم ، ويمكن التغلب على كل ذلك بسرعة ، بالراحة ومرور الوقت . وترك كيبفر القبطان على السطح فاقدا الوعي ، وارسل رجل الاشارة ديفيد ، ليبحث عن ضابط يستطيع الحضور الى مقصورة القيادة لتولي قيادة السفينة .

وقبل الغسق مباشرة ، وجد رجل الاشارة ، ديفيد ، الملازم بينتر يساعد في الاهتمام بالجرحى في مركز تضميد الجروح .

وقال له ، « انت لها يا سيدي » .

« نعم ، ماذا تقول ؟ »

واضاف ديفيد ، « السيد غولدن مشغول في غرفة التحكم الرئيسية . وانت الضابط الذي تليه في التدرج الوظيفي . إن القبطان موجود بمفرده في مقصورة القيادة ويحتاج الى مساعدة » .

وذهب بينتر مباشرة الى مقصورة القيادة حيث وجد دورية حراسة بها عدد قليل من الرجال . وكان مكفوناغل فاقد الوعي . وتولى بينتر القيادة وابلغ غرفة الملاحة بذلك وحل محل القبطان المصاب . ولما لم تطرأ حالات جديدة مستعجلة ، ارسل ساعيا الى غرفته الخاصة ليحضر له كاميرته الفورية التي استخدمها لالتقاط العديد من الصور مستعينا بما تبقى من اشعة الشمس التي مالت الى المغيب . وكان من بين ما التقط صورة القبطان المغمى عليه .



وفي المساء ابلغ قائد الاسطول السادس ليبرتي انه سيرسل طائرة لتقدم مساندة ملاحية(٥) ، وطلب من المراقبين ان يبحثوا جيدا عن هذه الطائرة ، ولكنها لم تصل . وفي إحدى المرات شوهد ضوء من مسافة بعيدة ، ولكنه لم يقترب ، ولم يستجب لنداءات الراديو التي بثتها ليبرتي . ولم نعلم ابدا بما حدث للطائرة ، ولكن ساعدت عمليات البحث عنها على شغل وقت ضابط القيادة والمراقبين .

وفي هذه الاثناء اصاب الطبيب كيبفر قلق على البحار ، غاري بلانشارد ، وكان بحارا شابا اصيب بجراح خطيرة نتيجة إنفجار صاروخ في القسم الاوسط من السفينة . وكان لدى كيبفر العديد من المرضى الذين لم يكن بوسعه ان يفعل شيئا من اجلهم . وكانت جراح

(٥) رسالة قائد الاسطول السادس الساعة ١٩,٥٣ بتوقيت غرينتش في الثامن من يونيو/حزيران ١٩٦٧ .

بلانشارد في الكليتين وتشكل خطرا كبيرا على حياته إلا انه كان بالامكان انقاذه بعملية جراحية.

« كيف حال إصابتي؟ وهل سأموت يا دكتور؟ »

اجابه الطبيب قائلا، « الاصابة سيئة، يا غراي. وإذا لم اتمكن من اجراء عملية جراحية، فمن المؤكد انك ستموت. وإذا اجريت العملية الجراحية فإنك قد تموت على اي حال. إن فرص نجاتك ليست جيدة في كلتا الحالتين، ولكن إذا اجريت العملية الجراحية، فقد اتمكن من إنقاذك».

والملازم بينتر، الذي حل محله شخص آخر في مقصورة القيادة، كان قد اخذ يساعد مرة اخرى في رعاية الجرحى. فأدار وجهه الى الناحية الاخرى تفاديا للمشهد المؤلم وحاول إخفاء المشاعر التي احس بها بينما لم يظهر بلانشارد الشاب اي خوف.

وقال، « حسنا، إذا من الافضل ان نجري العملية الجراحية ».

وبعد ساعة اجرى كيبفر عملية جراحية كبرى في ظروف ملحة على طاولة حجرة طعام البحارة. ولم يستعد بلانشارد وعيه ابدا بعد ذلك، وكانت كليتاه قد ثقبتا بشظايا الصواريخ.



وقف الملازم موراي بينيت ليراني في وقت مبكر جدا من المساء. وقد علمت ان المركز الذي خصص لعمله كان في المنطقة التي غمرتها المياه، كما اخبرت انه توفي هناك. وكنت افكر بزوجته جوي، وابنه موريس الثالث، وبناته اللائي لا يمكن نسيان اسمائهن، هيدي وهولي وهيثر وهيلاري. وبينما كنت اتفجع عليهم، ظهر موراي امامي.

وقلت، « يا الهي يا موراي، حسبت انك مت! »

ولا اعتقد انه فهم مدى فرحتي برؤيته، او لماذا تهدج صوتي او لماذا مسحت دموع عيني.

وقال لي، « لقد ارسلت لتوي التقرير القتالي حول هذا الشيء الى رئيس العمليات البحرية. وإني لآمل ان تطلع عليه. إنك لن تصدق ما قاله القبطان ».

« وماذا قال؟ »

« بقراءتك للتقرير، ستظن انه لم يكد يحدث شيء على الاطلاق. يقول التقرير ان طائرتين فقط قامتا بهجمات بالقنابل قد يصل مجموعها خمس هجمات على مدى فترة قد تصل الى خمس او ست دقائق. ثم الهجوم الطوربيدي. وانتهى كل شيء نظيفا وبسيطا بهذه الصورة تماما ».

« بحق المسيح! من كتب التقرير اللعين؟ »

« حسنا، كتبته انا. لقد املاه علي القبطان ».

« يا الهي، يا موراي، ما السبب الذي يدعك تجعله يرسل مثل هذا التقرير المجنون؟ إنه مريض جدا. الا يعلم ما حدث بالضبط؟ »

« ماذا تعني حين تقول تدعه؟ إنه هو القبطان. وما كان بامكاني ان اجلس هناك واجادله حول تفاصيل تقرير المعركة. لقد أملى علي ما اقول وانا قلته ».

« بحق المسيح، يا موراي! »

ولم ار موراي مرة اخرى في ذلك المساء. وعندما ذكرت التقرير الى لويد بينتر وآخرين اثناء الليل، عبروا عن إنذهالهم. ولم يستطع احد ان يفهم السبب الذي من أجله يقلل التقرير من اجله من شأن الحادثة. ولكن كانت تلك الرسالة هي اول تقرير مفصل يخرج من السفينة، وفيما بعد اذاعته وزارة الدفاع الامريكية للصحف.



وجمع بات اومالي التقرير الخاص بالاصابات وجاءت مسودة الرسالة تحت ثلاثة عناوين: الذين قتلوا اثناء القتال، الذين فقدوا اثناء القتال، والذين جرحوا اثناء القتال. وبعد ساعات قليلة اطلعني على القصة.

كان بات رجلا صغير القامة. ولانه تخرج من مدرسة الضباط قبل اسابيع قليلة فقط، فقد كان اصغر ضباط ليبرتي رتبة وبالتالي كان هدفا لكل نكتة معروفة لدى زملائه الضباط. وكان يقال له، « ستكون دائما ملازما بحريا بالنسبة لي، مثلك مثل الملازمين البحريين الاخرين. » وكان بات يتقبل هذه المزحة بروح طيبة. ولكنه كان غاضبا الان.

قال: « اللعنة على هذا المكتب الغبي. لقد استلموا تقريري حول الاصابات، ولكن هل تعلم ماذا قالوا؟ لقد ردوا برسالة يتساءلون فيها، جرحوا في اية معركة؟ قتلوا، في اية معركة؟ انهم يدعون ان تلك لم تكن معركة ولكن مجرد حادثة. انني اود ان اقول لهم تعالوا الى هنا وانظروا الفرق بين المعركة والحادثة. أيها الاغبياء ابناء السفاح ».

وبقي بات معي برهة من الوقت، واحضر الي علبة مثلجة اخرى من عصير الكريب فروت، وشربتها حتى آخر نقطة، وامدني بالمزيد من المعلومات حول ما كان يحدث في السفينة والاسطول السادس، وكيف كان رد فعل العالم بالنسبة للهجوم.

وفي النهاية ذهب بات ليتجول في السفينة، وكان ما يزال غاضبا لانه كان عليه ان يرد على ما بدا له استفسارا غير عاقل من مكتب البحرية للموظفين.



عندما تلقى ضابط التحكم بالاضرار، جون سكوت، التقارير الخاصة بحواجز السفينة المتداعية والمسربة للمياه في المخزن الرابع امام مقصورة الابحاث التي غمرتها المياه، تفقد المنطقة بنفسه. ولان الموقف قد روعه جند اكثر الاعضاء خبرة في فريق التحكم بالاضرار ليسندوا صفائح الصلب الضعيفة بالدعامات، ومع ذلك لم يهدأ باله للنتائج التي تم الحصول عليها.

كانت المقصورة المغمورة بالماء مثل حوض السباحة العملاق، الموضوع على شاحنة يقودها سائق شاحنة ثمل على ارض وعرة. وكلما تمايلت المقصورة كان الماء يصطدم بجنون بجنبات السفينة، مما يزيد في تمايلها، ويؤخر عودتها الى توازنها العادي. وتحركت اطنان من الماء بحرية في تلك المقصورة الكبيرة والتي كانت مقصورة المخزن الثالث عندما كانت السفينة تعمل في مجال النقل التجاري، ومع الماء كانت تتحرك المكاتب الثقيلة واجهزة الاستقبال اللاسلكي وخزائن الملفات والابواب المكسرة والحواجز وجثث الاصدقاء. وقد اصطدم كل شيء بلا هوادة بجنبات السفينة والحواجز الامامية المتداعية التي بدأ الماء يتسرب منها بالفعل. وقام سكوت بكل ما يجب ان يقوم به. فقد اسندت الواح الخشب الرقائقي الثقيلة على الواح الصلب المتهالكة، وابقى على كل شيء في مكانه بالخشب. واخذ الغضب الداخلي يعوي طلبا للخروج، ولكن اصبح الحاجز، وإن لم يكن آمنا، مساويا للجهد.

كان من الضروري وضع رجل بالقرب من المنطقة التي وضعت فيها الحواجز ليقوم بالانذار، بواسطة الهاتف في حالة تزحزح مواد الاسناد او تسرب جديد للماء. ويعين الحراس لاداء مثل هذا الواجب، عادة، في دوريات مدة الواحدة منها اربع ساعات. ولكن، وبسبب المخاطر والهلع التي تتميز بها هذه المهمة طلب التطوع للقيام بها، وفي دورية مدتها عشر دقائق فقط. وكعادة بحارة ليبرتي كان هناك فيض من المتطوعين.

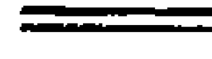


امضى الرئيس جو بنكرت وكبير الرؤساء ستان هوايت معظم الليل معي، يطلعاني على ما يجري في السفينة ويعتنيان بصحتي وراحتي. ومع ان الكمادات قد وضعت على كل جرح مهم، ظل الدم ينزف ويتجمع في شكل قذارة لزجة على ملابسي. وتجمع الدم على جسمي وفوق سطح الطاولة وتحت ظهري، كما تقطر من الطاولة على سطح السفينة.

وتذكرت ما قاله بنكرت، «إهدأ عليك اللعنة، إنني اريدك ان تكون هنا عندما نقوم برحلتنا التالية».

ولم يكن يخطر على بال اي واحد منا بان ليبرتي ستقوم برحلة اخرى. وكنت ما ازال ثملا بالمورفين، وبنجاتي من الموت ولمن اكن أبدي اهتماما كبيرا بالنزيف. ومما ساعد على

إحتفاظي بثقتي كانت تلك الزيارات التي كان يقوم بها من وقت لاخر الطبيب كيبفر والبحار المدرب على الاسعافات الاولية. فقد كانا يخبراني بعد قياس ضغط دمي ونبض قلبي ان ذينك المؤشرين الحيويين كانا عاديين.



استمر الرجال الذين كانوا في مقصورة القيادة يتفحصون السماء بعيونهم ويفتشون في الافق بحثا عن سفن وطائرات امريكية. ولكن لم تشاهد اية قوات امريكية. بل لم يكن اول شيء شاهدناه امريكيا، وإنما روسيا. فقد وصلت بعد منتصف الليل المدمرة السوفيتية المزودة بالصواريخ الموجهة رقم ٦٢٦/ ٤- وكان ذلك قبل ساعات من وصول قوات مارتن - وبعثت برسالة ومضية باللغة الانجليزية. هل تحتاجون الى مساعدة؟ واجاب الضابط القائد، «لا، شكرا».

وجاء الرد الروسي، «سأقف على اهبة الاستعداد لتلبية مطالبكم اذا ما احتجتم الينا». وهكذا احتفل القبطان السوفيتي بإنجازه بحذر وبقي بالقرب من ليبرتي منتظرا معها وصول السفن الامريكية.

ومر الليل ببطء. وفي مقصورة القيادة تناوب على قيادة السفينة مع القبطان ذلك العدد القليل من الضباط الذي ظل قادرا على العمل. وبعد أن استعاد بعضا من قوته، تحرك القبطان الى غرفة الملاحة عند الساعة ٠٢,٠٠ فجرا بتوقيت السفينة. وامضى بقية الليل في كرسي خاص به صمم منذ وقت طويل باستخدام كرسي مهمل لطيار هليكوبتر. وقد ثبت الكرسي المريح الصغير، باتقان الى جانب رادار مقصورة القيادة المعطل وامام كوة في جانب السفينة. ومن فوق ذلك الكرسي كان بإمكان القبطان ان يراقب الموقف من الكوة كما كان بامكانه ان يتكيء على مكرر راداري ليستند إليه.

وعندما وجده كيبفر هناك وقدم له تقريرا عن وضع الجرحى، ظل مكفوناغل غير متماسك وبدا وكأنه لم يفهم ما قيل له.

وابلغني بنكرت قرب الفجر ان مدمرتين من اسطول المدمرات رقم ١٢ هما السفينة الامريكية ديفيس والسفينة الأمريكية ماسي كانتا تتقدمان حسب المواعيد المحددة وستصلان سويا مع مساعدات طبية بعد وقت قليل من شروق الشمس. وكان الفرق ساعات قليلة بين وقت وصول المدمرتين وبارجة قائد الاسطول السادس ليتل روك واحدث حاملة طائرات امريكية، السفينة «امريكا»، وحاملة الطائرات «ساراتوغا». وغيرها من السفن. وبدأت طائرات الهليكوبتر بنقل الجرحى الى حاملات الطائرات عند منتصف الصباح.

كان البحار ناثان كولمان قد عمل طوال الليل وساعد على سد الثقوب التي احدثتها

الصواريخ واصلح الاضرار حيثما استطاع كما ساعد في إدارة الدفة من مركزها في خلف السفينة. وجرى في السفينة من مكان الى آخر حاملا الرسائل كما ساعد في العناية بالجرحى. والآن بما أن سفن البحرية كانت في طريقها الى ليبرتي، تذكر «كاميرته» من طراز كانون مقاس ٣٥ ملم والموجودة في خزانته في مقصورة النوم. ولانه مصور جاد في هوايته وجد نفسه في قلب دراما عظيمة، كان لا بد من تحميل كاميرته الجديدة باول افلامها.

لم يكن البحار ناثان كولمان قد ذهب الى مقصورة النوم إطلاقا اثناء الليل. وبدت الحجرة بصورة لم تظهر بها من قبل ابدا. كانت تلك الحجرة، عادة، نظيفة كل النظافة. اما في ذلك اليوم فقد لطختها آثار اقدام تلوثت بالشحم في كل مكان. وكانت اسرة البحارة المثبتة على جنبات الغرفة، عادة، مرتبة بطريقة انيقة جدا، وتتدلى منها المناشف البيضاء النظيفة وهي معلقة بالقرب من الوسائد. اما في ذلك اليوم فقد علقت الخرق المزيتة بدلا من المناشف البيضاء. وراح عدد قليل من الرجال الذين يستلقون على الأسرة بنوم خفيف وهم انصاف عراة. وقد تخلوا عن احذيتهم لتصبح جزءاً من خليطة على السطح جنبا الى جنب مع اقمشة الجينز التي اصبح من الصعب التعرف عليها والتي كانت في يوم من الايام ملابس يرتديها الناس. وقد جرد نصف عدد الاسرة التي كانت في تلك الغرفة من مراتبها التي اخذت ليرقد عليها الجرحى.

ووجد كولمان الكاميرا سليمة في خزانة ملابسه الصغيرة، ووضع فيها فيلمه الوحيد ثم انطلق الى الامام. وتوقف عند مركز تضميد الجروح والتقط صورتين بسرعة مستفيدا من الضوء الموجود.

وقال له احد البحارة، «انت يا ناثان، لا اعتقد انه من المفروض ان تلتقط اية صور».

وتحرك الى الامام نحو مقصورة القيادة.

إن غرفة الملاحة في اية سفينة تابعة للبحرية تكاد تكون مكانا محرما. ولا يذهب إنسان الى ذلك المكان إلا إذا كان عليه تأدية عمل هناك. فالمزاح والتحدث بصوت مرتفع محظور في تلك الغرفة. لذلك يمتنع البحارة عن الانغماس في الحديث الفارغ فيها. وبالنسبة لليبرتي فإن مكفوناغل كان يبدي تسامحا نحو التدخين فقط عندما يتعلق الأمر بضابط يعمل في برج القيادة اثناء نوبة عمله.

ودخل كولمان الغرفة من باب خلفي بعد ان جهز كاميرته حتى يكون على استعداد لالتقاط الصور، مع انه لم يكن يعرف ما الذي سيجده هناك. لقد كان يعلم ان عليه الا يتواجد هناك إطلاقا، ولكن كانت هناك صور يجب التقاطها. ولم ينبس رجال الحراسة ببنت شفة، وبدوا وكأنهم لم يشاهدوه وهو يقف بالقرب من طاولة الخرائط الى اليسار من

الدفة. وكان قد استعيد التحكم بتوجيه السفينة ووقف مدير الدفة خلف الدولاب، وكانت قدماه منفرجتين وهو يعلم ان جنوح السفينة الشديد وبطنها الممتلىء بالماء يجعلان من قيادتها أمرا في منتهى الصعوبة. وبما أن مدير الدفة كان منشغلا كليا باداء مهمة صعبة للغاية، كان يؤديها في يوم من الأيام بحكم العادة المتأصلة فيه، فقد بدا انه لم يلحظ كولمان.

وفي غمرة الصمت احس كولمان ان القبطان الذي كان يجلس على كرسيه في الجناح الايسر من مقصورة قيادة السفينة، ربما كان على بعد عشرة اقدام من غرفة الملاحة، ورفع الكاميرا وهو يتحرك نحو الباب لتحاذي مستوى عينه وعدل البؤرة بحرص. كان مكفوناغل يجلس على الكرسي بعناد وهو يمسك بيده اليسرى كوبا ورقيا ويشرب القهوة. وكانت ساق سرواله المصنوع من الخاكي قد قطعت لتكشف عن الجرح الذي اصاب ساقه وسبب له هذه الاساءة البليغة.

والتقط كولمان الصورة الاولى.

وشاهد القبطان يتصلب، وبما أنه، حتى تلك اللحظة، لم يكتشف وجوده احد. أعد الكاميرا مرة اخرى ثم استدار والتقط صورة ثانية.
وعندها صاح مكفوناغل، « يا هذا، اوقف ذلك الرجل ».

واستدار كولمان بسرعة واندفع مجتازا مدير الدفة المندهش وكاد يسقط عبر الباب الخلفي. ووثب نازلا السلم الى السطح الثاني وهو يمسك بالكاميرا ويضمها الى صدره بيده اليسرى. وقد كانت كل السلالم زلقة بسبب زيت الوقود الذي سال من الخزانات المتفجرة وزلت به القدم بينما كان يعبر بسطة الدرج خارج مقصورة القبطان ولكن يده اليسرى امسكت بالحاجز، واستطاع ان يستعيد توازنه دون ان يؤذي نفسه او كاميرته، وأن يسمع خلفه صوت احد زملائه الذي بعث به مكفوناغل ليطارده. ولكن كلومان كان اسرع منه واكثر تصميما. وعندما وصل الى السطح الاول اندفع بسرعة فائقة على طول ممر طويل عبر منطقة الضباط واندفع عبر باب مفتوح الى منطقة تقود الى السطح الرئيسي. واوصلته خطوات قليلة الى داخل حجرة السطح الخلفية بالقرب من صالون الحلاق.

وتوقف ليسترق السمع الى صوت خطوات مطارده وليلتقط انفاسه. وسأل نفسه، « ماذا فعلت؟ » واخذ يفكر بالشكوى التي ستقدم ضده عندما يلقى القبض عليه. ومع ان مطاردته كانت قد توقفت إلا ان رجال الحراسة سبق وتعرفوا عليه. وقال لنفسه ان المسألة لن تعدو ان تكون مجرد دقائق قليلة قبل ان يبلغ احدهم عنه. ولكن لا بأس. لقد حصل على جائزته ولن يتخلى عنها ابدا. لقد التقط صورة او صورتين في الخفاء لقائد سفينة بحرية امريكية وهو في مقصورة قيادة سفينته اثناء لحظة تاريخية في البحر.

· واخرج الفيلم من الكاميرا وخبأه. فقد يلقى عليه القبض ويعاقب، ولكنه لن يتخلى عن الفيلم.[٦]



صاح احد المراقبين وكان في مقصورة القيادة، « هناك سفينة تبدو امامنا مباشرة ». ثم اضاف، « سفينتان، يا سيدي، ويبدو جسماهما على خط الأفق ».

ونهض مكفوناغل عن كرسيه ناسيا المصور الشبح، واخذ يتفحص الافق بمنظاره. في ذلك الوقت كانت السفينة تتجه غربا وكانت الشمس المشرقة خلفها. واستطاع ان يرى في البعد الهيكلين الاساسيين لسفينتين يكاد أن يخفيهما منحنى الارض. وما كان بوسع العين غير المدربة ان ترى شيئا على الاطلاق. وادرك مكغوناغل رغم مرضه ان الاشكال الرمادية اللون البعيدة هي مدمرات تابعة للبحرية الامريكية.

وبعد اكثر من ست عشرة ساعة من بداية الهجوم، وصلت المدمرتان ديفيس وماسي. وتجمعت السفن الثلاث، بعد ان اوقفت محركاتها، في الوقت الذي صعد فيه القائد البحري ليهي من اسطول المدمرات الثاني عشر الى سطح السفينة قادما من سفينة قيادته « ديفيس »، ومعه طبيبا البحرية بيتر فلين من السفينة « امريكا » وجوزيف اوتز من السفينة « ديفيس ». كما ارسل الى السفينة كذلك مجندان بحريان مدربان على الاسعافات الاولية الطبية وخمس عشرة من فنيي التحكم بالاضرار وجمع من الاختصاصيين.

اصطحب القائد البحري ليهي الى مقصورة قيادة السفينة حيث وجد مكفوناغل في كامل وعيه واقفا على قدميه، ولكنه كان مريضا ومرهقا. وكان من الواضح ان الوقت قد حان لكي يذهب مكفوناغل الى مكان آخر في السفينة ليرتاح ويعتني بجراحه الخاصة. وعرض القائد البحري، برفق، على مكفوناغل ان يتولى هو قيادة ليبرتي. ومع ان مكفوناغل كان متعبا بدرجة اخذ معها يتلفظ بكلماته بشكل غير واضح إلا أنه رفض التخلي عن القيادة. وعقد ليهي اجتماعا سريعا مع الدكتور كيبفر والملازم اول غولدن، ثم استأنف محادثاته مع مكفوناغل.

اتكأ الرجلان على حاجز مقصورة القيادة لعدة دقائق وهما يتحدثان. وفي النهاية تم الاتفاق على ما يلي: يذهب مكفوناغل الى غرفته في الجزء الاسفل من السفينة ليرتاح ويتعافى. وبما ان المقدم البحري غولدن كان اعلى ضباط ليبرتي رتبة بعد القبطان، فقد تقرر ان يتولى قيادة السفينة على ان يبقي مكفوناغل على علم بما يفعل وينفذ اوامره، وعلى

(٦) يرفض البحار كولمان، وهذا هو اسمه المستعار، السماح بنشر صورة ماكفوناغل. وبالرغم من إنصرام عدة سنوات، فإنه يخاف من إنتقام البحرية او الحكومة بسبب اية مواد منشورة تتعلق بالهجوم.

ان يأتي المقدم البحري وليام بيتيجون وهو أحد أركان ليهي، الى متن ليبرتي ليساعد في الملاحة وإدارة السفينة.

وعندما ذهب مكفوناغل الى غرفته ليستريح وجدها في حالة من الخراب. فقد سفعت نيران النابالم الاثاث واذابت اجزاء من بساط الغرفة المصنوع من النايلون. ومزقت الصواريخ حواجز الغرفة وملأتها بثقوب تراوح اتساعها بين ثماني وعشر بوصات كما هشمت الكوات. وانفجر صاروخ على وسادته ورقدت في حامه قذيفة لم تنفجر طولها ثماني بوصات. واحتاج مكفوناغل فقط الى وقت كي تزال فيه القذيفة ثم اخلد الى النوم.



عند منتصف الصباح وصلت اول هليكوبتر من السفينة «امريكا» لتبدأ عملية نقل القتلى والجرحى البطيئة. وتقرر ان اقوم بتلك الرحلة مع خمسين آخرين. ومرة اخرى كان يجب حمل النقالات فوق سلالم السفينة الشديدة الانحدار. ومرة اخرى كادت نقالتي تقف على حافتها وهي في وضع عمودي بينما جاهد الرجال لينقلوني نحو الهليكوبتر.

كان الهواء الطلق على السطح الرئيسي منعشا. وكانت السماء زرقاء كما كان الطقس معتدلا بينما انتظرت في صف من النقالات المتشابهة لنرفع في الهواء وفي النهاية جاء دوري وبينما كانت طائرة الهليكوبتر البحرية الضخمة زرقاء اللون تحلق فوق مقدمة السفينة، تدلى منها سلك وخطاف من آلة تدار باليد وامسكت بنقالتي ورفعتني الى السماء. ومع ان المسافة لم تكن تزيد على اثني عشر قدما، إلا انها بدت لي اطول وانا اسحب وسط الحرارة والضجيج والزيت والدخان والضغط الذي يسببه التيار الهوائي الناتج عن مروحة الهليكوبتر. وبعد دقائق قليلة وضعنا على سطح مدرج الطيران في السفينة «امريكا».

واستقبلني على متن السفينة وكيل مدني من مكتب الاستخبارات البحرية، ومشى الى جانب نقالتي وهي تحمل بعيدا عن الهليكوبتر مارة بمجموعة من المراسلين والمصورين الصحافيين. وحذرني الرجل وهو ينحني فوق النقالة المتحركة ليريني هويته، «لا تجب على اية اسئلة. لا تتحدث الى الصحافة او الى اي شخص آخر حتى يؤذن لك بذلك».

ومضت اكثر من ساعة قبل ان تصل حاملة الطائرات الى ليبرتي. وكانت السفينة في حالة يرثى لها. كان من الممكن رؤية جنوحها من مسافة تبعد اميالا، إذ أن مقدمتها كانت مغمورة في الماء أكثر من مؤخرتها بعدة أقدام. وكان يجللها السواد بسبب الدخان والزيت والدم ويحمل هيكلها مئات الثقوب التي احدثتها الصواريخ والرصاص. ومع ذلك كانت طافية على الماء وتتحرك بقوتها الذاتية وعلى ساريتها يرفرف علمها الامريكي.

وحين زاد اقتراب السفن، وقف كل رجل غير مكلف بالحراسة على السطح. ومن سريري في جناح المرضى على حاملة الطائرات «امريكا» سمعت صيحات آلاف الرجال

وهم يحيون سفينتنا بالهتاف تكريما لها.

كان ضابط الصف البحري جيفري كاربنتر، وقد انهكه النزيف اخيرا، يرقد على نقالة على سطح ليبرتي الرئيسي ينتظر الهليكوبتر. ورفع ستان هوايت طرف نقالته حتى يستطيع جيف رؤية التقدير الذي عبرت عنه حاملة الطائرات لليبرتي.

وقال جيف، «الآن اعرف اننا سنكون على ما يرام».

وصل الجرحى الذين عانوا من اكثر الجروح خطورة الى متن حاملة الطائرات واصبحوا تحت رعاية خبير وفريق طبي مزود بمعدات جيدة. ودبت الحياة في القسم الطبي باكمله وقضى كبير اطباء السفينة، القائد البحري جون ج. غوردون اكثر من اثنتي عشرة ساعة مستمرة في إجراء عمليات جراحية حيث ساعده الطبيب دونالد غريفيث والطبيب بيتر فلين عندما عاد من ليبرتي.

وقام الطبيبان فرانك فيديريكو وجورج لوسير بجولات في اجنحة المرضى. وقدم المجندون البحريون المدربون على اعمال الاسعافات الاولية رعاية مستمرة للرجال الذين عانوا من حالات خطيرة جدا. وتطوع الرجال الذين انتهت فترات دوامهم للمساعدة في إطعام المرضى وتغيير فرشهم وتحميمهم وغير ذلك من الواجبات. لقد كانت ثقة كاربنتر في محلها، فمع ان الاطباء قرروا في بداية الامر ان حالات عدة مصابين ميئوس من شفائها إلا انه لم يمت رجل واحد.

لقد قام مجند بحري مدرب على الاسعافات الاولية يطلق عليه لقب لا ينطبق عليه «سموكي ذا بير» بتركيب جبيرة خاصة اعدها لساقي فريق امريكا الطبي. ولاول مرة تخلصت نسبيا من الالم بفضل ذلك المجند. ولانه ادرك ان حاجتي الاولى كانت للنوم، فقد تخلصت نسبيا من الالم بفضل ذلك المجند. ولانه ادرك ان حاجتي الاولى كانت للنوم، فقد كتب لافتة تقول: لا تزعج. إن الحياة التي تنقذها قد تكون حياتك. ثم وقع على اللافتة باسمه بوصفه المسؤول عن الجناح. وطوال بقاء تلك اللافتة معلقة لم يزعجني احد[٧].



في نورفولك والكثير غيرها من انحاء الولايات المتحدة، انفعل اصدقاء رجال السفينة ليبرتي وافراد اسرهم وذويهم مع الاخبار التي افادت ان ليبرتي ضربت في البحر. وتلقى

(٧) بعد اشهر قليلة من الهجوم اختفى المجند البحري المدرب على أعمال الاسعافات الطبية واللقب بـ «سموكي ذا بير». فإذا قرأ هذا الكتاب، ندعوه أن يكتب الى المؤلف بواسطة راندوم هاوس، لان الكثيرين من مرضاه يحتفظون له بذكريات طيبة ويودون ان يسمعوا عنه.

معظمهم الأخبار اول الامر من الاذاعة او التلفزيون. وعاشوا جميعا اربع وعشرين ساعة من التعاسة المشوبة بالقلق قبل ان يعرفوا إذا ما كان ذووهم قد نجوا.

وتلقت زوجتي، تيري، الاخبار قبل ظهر يوم الخميس بينما كانت تعمل في مطبخ منزلنا في نورفولك. وكانت زوجة بحار يعمل في غواصة في البحر قد ظهرت امام باب بهو منزلنا وابلغت زوجتي بالاخبار التي سمعتها من الاذاعة.

وذهبت تيري مباشرة الى ساندي اوكونور، التي كانت تسكن بالقرب منها، ولكن كانت ساندي مع ويتي آرمسترونغ، زوجة الضابط التنفيذي على ليبرتي. وطلبت ويتي بالتلفون ثم قضين بقية اليوم في بيت واحدة من زوجات رجال ليبرتي، يأملن في الحصول على معلومات وهن يعرفن ان رسائل الوفيات والجرحى تذاع عادة قبل إذاعة اسماء الناجين. وفي خلال انتظارهن زادت الاخبار تجهما.

افادت تقارير الاخبار الاولية ان عدد القتلى بلغ عشرة وان عدد الجرحى بلغ مائة. وبسرعة أذيعت اخبار تفيد ان خمسة عشر من الرجال اصيبوا بجراح خطيرة. ثم ورد تقرير افاد ان اربعة وعشرين رجلا كانوا من المفقودين، احتجزوا في مقصورة السفينة التي غمرتها المياه. وقد علم كل انسان ان اولئك الرجال اعتبروا في عداد الموتى. وفي النهاية، وفي وقت متأخر من بعد الظهر قررت الزوجات الذهاب الى منازلهن والابقاء على خطوط التلفونات مفتوحة حتى يتلقين اي اخبار قد تصلهن من واشنطن.

كانت باولا لوكاس في كوريغانفيل، بميريلاند، تزور والدتها مع طفلها الوليد حين سمعت بول هارفي يذيع في نشرته الاخبارية ان « سفينة اتصالات في البحر الابيض المتوسط » قد ضربت بالطوربيد. كانت بولا تعلم ان ليبرتي هي سفينة الاتصالات الوحيدة التي كانت في البحر الابيض المتوسط. وبمحادثة تلفونية مع صديق لها في محطة الاذاعة تأكدت ان ليبرتي قد ضربت. وبعد دقائق قليلة اتصل ابن عم باولا الذي يعمل في سوق السندات وقال انه رأى خبر ضرب ليبرتي في مبرقة شركة داو جونز.

كانت بولين بيرس في طريقها الى نيويورك حين سمعت الخبر من مذياع سيارتها. واتصلت تلفونيا بويتي آرمسترونغ من احد الموتيلات. ولانها لم تكن تعرف بالتأكيد ما الذي يجب عليها ان تفعله، انتظرت لسماع المزيد من الاخبار من الاذاعة. وفي النهاية عكست إتجاهها وعادت الى بيتها في إنتظار اي اخبار تصلها.

اما المقدم البحري المتقاعد، جوزيف سي. توث فقد سمع الاخبار بينما كان ينتظر امام إشارة للمرور. وذهب مباشرة الى البيت وانتظر السيدة توث. كان ستيف هو ابنهما الوحيد وكان النقيب توث فخورا لان ستيف قد اختار السير على دربه وتخرج من الاكاديمية البحرية تماما كما فعل والده واصبح ملازما بحريا وملاحا في ليبرتي وضابطا لعملياتها. ولم

يتحرك المقدم توث من امام التلفزيون. كان يفتش المحطات الاذاعية في الراديو في الفترات التي تفصل بين نشرات اخبار التلفزيون. وبعد زمن طويل من منتصف الليل آوت السيدة توث الى فراشها. وفي النهاية استسلم المقدم توث للنوم على الكرسي.

استيقظ المقدم توث من النوم بعد الساعة ٠٦,٠٠ بقليل على صوت جرس باب منزله. واستطاع المقدم توث ان يرى شخصين من خلال ستارة الباب. وبخوف متزايد نهض من الكرسي. واستطاع ان يرى ان الشخصين كانا ضابطين في البحرية. وكان احدهما قسيسا.

لقد اخبرني المقدم توث بعد ذلك بوقت طويل انه لم يكن من الضروري للضابطين ان يتكلما. فقد عمل كضابط قيادي اثناء خدمته العسكرية وقام بمثل هذه المهام بنفسه. لقد حاول صرفهما ولكنهما رفضا الذهاب. وكان يخامره بصيص من امل بانه ما زال نائما وان الرجلين كانا جزءاً من حلم بغيض، ولكن ظل المشهد باقيا. وفي النهاية فتح الباب وقبل الرسالة في صمت وشكر الضابطين لكياستهما واقفل الباب ببطء شديد.



في هذه الاثناء إنشغل ضباط ورجال ليبرتي بالابقاء على السفينة طافية وإبلاغ واشنطن بما يحدث. وكانت التقارير الضرورية ما تزال قيد الاعداد. وتم القيام بالتصليحات الحيوية وارسلت الاجابات على الرسائل العاجلة التي جاءت من واشنطن ولندن.

وفي وقت مبكر من بعد ظهر يوم الجمعة، وبينما وقفت سفن عديدة من الاسطول السادس على اهبة الاستعداد، صعد الى متن ليبرتي الفريق بحري مارتن مصحوبا بالملازم لوكاس الذي قام معه بطواف قصير في السفينة ثم اخذه الى القبطان[8] واستقبل الكابتن مكفوناغل الذي كان خائر القوى، الفريق البحري في مقصورته.

وفي ذلك الوقت اصبح لدى جون سكوت وفريقه الخاص بالتحكم بالاضرار فكرة جيدة عن مدى الأضرار التي لحقت بالسفينة وحجم الثقب الذي احدثه الطوربيد. فقد استطاعوا ان يروا الجزء الاكبر من الثقب خلال مياه البحر الابيض المتوسط الصافية، وبالكشف على ذلك الثقب بواسطة خرطوم طويل لاطفاء الحريق حددوا ان اتساع الثقب بلغ ثلاثين قدما على الاقل. واصبح من الواضح انه لا يمكن إصلاح مثل ذلك الثقب والسفينة في عرض البحر. ومع ذلك ازعج كبار الضباط في السفن الاخرى غولدن وجون بطلبهم السماح للغطاسين بقياس الثقب واعداد تقرير بما يمكن ان يفعل لرقعه.

(٨) كان لوكاس قد بلغ حدا من الانهاك كما وصلت حالته العقلية مستوى جعله ينسى الزيارة التي قام بها الفريق اول بحري مارتن للسفينة ليبرتي. وقد وصلتني قصة زيارة الفريق اول بحري من ضباط آخرين ومن خطابات وصف فيها لوكاس إصطحابه للفريق اول بحري، ولكنه لم يستطع بعد ايام من ذلك التاريخ ان يتذكر انه شاهد الفريق اول بحري مارتن شخصيا.

وتبرع الملازم بوب روبرتس، الضابط القيادي في سفينة الجر « باباغو » التابعة للاسطول السادس بمعدات للغطس وقاد فريقا صغيرا من الغطاسين. وقام هذا الفريق بمد حبال النايلون من طرف الثقب الى الطرف الآخر وعمل عقدة في كل طرف ثم قطع الحبل الى اجزاء بطول الثقب وأرسلت تلك الاجزاء الى السطح الرئيسي لتقاس. وقطعت اطوال عديدة بهذه الصورة ولكنها جميعها اوصلت الى النتيجة ذاتها: كان اتساع الفتحة في جانب ليبرتي اكثر من اربعين قدما. وما كان هناك داع لقياس الارتفاع لانهم استطاعوا ان يروا ان الثقب امتد من اعلى خط الماء الى قاع السفينة على عمق اربعة وعشرين قدما. وتم التخلي بسرعة عن اي امال متبقية في سد الثقب.

وازداد قلق غولدن بإضطراد بسبب تسرب مائي كبير في الجزء الامامي من السفينة لم يتم اكتشافه. وازدادت السفينة انخفاضا في الماء. ومع ان جنوحها الحاد من ناحية الميمنة كان اقل سوءاً فقد بدا انها اخذت تغرق من مقدمتها بالرغم من عدم اكتشاف إنغمار بالماء او اي سبب آخر يبرر ذلك. وضخ غولدن بعض مياه البحر في خزانات خاصة لحفظ توازنها، ومع ذلك كان انخفاضها يزداد بضع بوصات كل ساعة. وقرر التخلص من سلسلة المرساة إذا كان ذلك ضروريا لتخفيف الجزء الامامي من السفينة، واستمر في البحث عن اسباب الانغمار بالماء الذي لم يكتشف بعد.

بعد ان استعار منشارا دائريا من السفينة ديفيس (ليحل محل منشار السفينة الذي استعاره ضابط وفشل في رده)، جمع الملازم البحري سكوت بعض البحارة وكلفهم بان يستبدلوا الدعامات المؤقتة التي اقيمت لتسند حواجز السفينة المتداعية في المخزن الرابع. واستغرق انجاز هذه المهمة معظم الوقت بعد الظهيرة، وتطلب إنجاز تلك المهمة تشغيل كل رجل امكن الحصول عليه وعدد من رجال السفينة ديفيس ايضا. وقد استخدمت كل قطعة وجدت في السفينة صالحة لان تكون دعامة وكل قطع الخشب الرقائقي. وساعد في هذه المهمة دويليو ديموري وكذلك ريتشارد نيس وجيمز سميث وفيليب تورني وغيرهم. وعندما انتهوا من مهمتهم بدت الحواجز آمنة نوعا ما. ومع انها ظلت تسرب الماء، إلا ان التسرب كان بسيطا. لقد كانت الدعامات مجموعة من الاخشاب القوية التي ركبت بطريقة فنية متطورة بدت وكأنها ستفي بالغرض. وكان الرجال فخورين بعملهم لدرجة ان العديدين منهم وقفوا بالقرب من السقالات لتلتقط لهم الصور التذكارية:

ولم يستطع غولدن ابدا معرفة سبب إختلال توازن السفينة. ومن حسن الحظ، ان الوضع استقر بعد الظهر ولم يكن من الضروري إتخاذ اي إجراء متطرف.

الفصل التاسع

التستر

إن الحواجز التي تقيمها فوارق الرتب الوظيفية بين الناس هي اعلى حواجز في طريق التوصل الى الحقيقة.

ب. هـ ليدل هارت،

افكار حول الحرب،

رقم ١١ (١٩٤٤)

عندما كانت السفينة ما تزال تتعرض للهجوم وتناضل دفاعا عن حياتها، كان من الواضح ان موظفي وزارة الدفاع الامريكية في واشنطن اخذوا يتصارعون مع اخبار الهجوم الاولى. وعلى الفور واجهتهم المشكلة المربكة الخاصة بكيفية وصف مهمتها.

لقد جادل فيل ج. غولدينغ مساعد امين الشؤون العامة بان السفينة كانت مختصة بجمع معلومات إستخباراتية ويجب ان تعرف بهذا المعنى. واضاف غولدينغ، « هذه السفينة تجمع المعلومات الاستخباراتية. ويجب علينا الامساك بزمام المبادرة فيما يتعلق بالشؤون العامة وان نبقى في مستوى شعبنا منذ البداية ».

ولكن لم تعلن حكومة الولايات المتحدة رسميا ابدا ان اياً من سفنها التي عملت في زمن السلم استخدمت في مجال جمع المعلومات الاستخباراتية، بينما جادلت السلطات الدبلوماسية والاستخباراتية ضد إصدار مثل هذا الاعلان الان. ويقول غولدينغ في كتابه « اكد او انف » (CONFIRM OR DENY) انهم قدموا ثلاث نقاط: اولا، بأن على موظفي وزارة الدفاع الا يناقشوا، ابدا، المسائل المتعلقة بالاستخبارات مهما كانت الظروف، والا تتخذ أية إجراءات لتغيير هذه السياسة او يقدم اقتراح بتغييرها. ثانيا، مع ان الصحافة ستطلق على ليبرتي لقب سفينة تجسس، فإن ذلك يختلف عن الاعتراف الحكومي الرسمي. إن القطر المحايد قد يقبل سفينة ابحاث فنية في مينائه بصرف النظر عن الصفة التي تلصقها بها الصحافة، ولكنه قد لا يقبل سفينة تجسس معترف بها تابعة للولايات المتحدة. ثالثا، لقد جادل المسؤولون بأن اعتراف الولايات المتحدة علنا بانها ارسلت سفينة إستخبارات

للتنصت على مكالمات اسرائيل ومصر اللاسلكية سيثير غضبها.

وقد استمع وزير الدفاع مكتارا الى وجهات النظر هذه بحرص قبل ان يرضخ في النهاية الى الحجج الدبلوماسية والامنية. وقرر ان على وزارة الدفاع ان تستخدم وصف ليبرتي الرسمي غير السري كسفينة للابحاث الفنية وان تتوسع نوعا ما في وصف مهامها لتشير الى مهمة إتصالات معينة. واعد غولدينغ البيان المبدئي مضيفا فقرتين اخريين في الوقت الذي تدفقت فيه معلومات جديدة عن الحادث. وسرعان ما اجازت وزارة الخارجية والبيت الابيض ذلك البيان ثم سلم للصحافة. جاء في البيان:

هوجمت اليوم سفينة الولايات المتحدة للابحاث الفنية، ليبرتي (AGTR-5) حوالي الساعة التاسعة صباحا (بتوقيت شرقي البحر الابيض المتوسط) على بعد ١٥ ميلا الى الشمال من سيناء في المياه الدولية بالبحر الابيض المتوسط.

وكانت ليبرتي قد غادرت روتا، باسبانيا، في الثاني من شهر يونيو/ حزيران ووصلت الى موقعها هذا الصباح لتؤمن الاتصالات بين مراكز حكومة الولايات المتحدة في الشرق الاوسط ولتساعد في تحويل المعلومات المتعلقة بإجلاء الرعايا الامريكيين وغيرهم من الاشخاص الآخرين ذوي التبعية الأمريكية. وقد اخبرت الحكومة الاسرائيلية حكومة الولايات المتحدة بان الهجوم وقع نتيجة خطأ ارتكبته القوات الاسرائيلية وتم استلام اعتذار من تل ابيب. وتفيد الاخبار الاولية عن الاصابات ان هناك اربعة قتلى وخمسة وثلاثين جريحا. إن ليبرتي تبحر الان نحو الشمال بعيدا عن المنطقة بسرعة ثماني عقد لتلتقي بالقوات الامريكية التي تتحرك لمساعدتها. وتفيد التقارير انها ليست عرضة لخطر الغرق[١].

مع ان حاملة الطائرات امريكا كانت تعج بالصحافيين ـ كان هناك ٢٩ منهم، بما في ذلك ممثلين لكل وكالات الانباء الرئيسية، ومحطات التلفزيون والعديد من الصحف الكبرى بالاضافة الى صحافيين من إنجلترا واليونان والمانيا الغربية ـ فإن الفريق اول بحري مارتن استطاع بصورة ما ان يحجب الاخبار المتعلقة بالهجوم على ليبرتي عن هؤلاء الرجال لاكثر من خمس ساعات. وكان اولئك الرجال من خيرة الصحافيين، ولكن كان من الممكن ان يتلقوا معلومات اكثر لو كانوا على البر. لقد نقل اليهم الفريق اول بحري مارتن فقط ما ارادت وزارة الدفاع إذاعته. ومن الواضح انه كان ينتظر تعليمات من وزارة الدفاع قبل ان يخبرهم اصلا بالهجوم.

واحتج المراسل بوب هورتن الى مقر صحيفته قائلا، «بقينا على جهل تام عن الهجوم على ليبرتي حتى وقع نظري على برقية صحفية عن قصتها عند الساعة الخامسة والنصف بعد

(١) فيل غولدينغ، اكد أو انف ـ إطلاع الشعب حول الامن القومي (نيويورك: هاربر وروو، ١٩٧٠)، ص ١٠٢.

الظهر بتوقيت غرينتش. كما اشتكى بوب هورتن للمكتب الرئيسي في بلده. وفي النهاية، عندما تحدث الضباط الذين اوكل اليهم إيجاز الموقف لم يكشفوا إلا قدرا ضئيلا، وجاء ما قالوه مغلفا بالقيود الامنية.

وبسبب الاحباط الذي اصابهم لفشلهم في إرسال اخبار الحادث بعث الصحافيون نيل شيهان من صحيفة النيويورك تايمز، وبوب هورتون من الاسوشييتد برس وهاري ستاثوس من اليونايتد بريس إنترناشونال برسائل عاجلة الى مقار صحفهم ووكالاتهم يطلبون الأتصال فورا بإدارة الشؤون العامة التابعة لوزارة الدفاع لاطلاق سراح الاخبار. ولكن لم تبعث تلك الرسائل الى مكاتبهم الرئيسية وإنما وجهت الى وزارة الدفاع الامريكية بوصفها معلومات يحظر الاطلاع عليها.

ولان بعض المراسلين الصحافيين الاخرين قد اغتاظوا من القيود التي فرضت عليهم فقد خرقوا النظم العادية المتبعة في السفينة وحاولوا اجراء مقابلات صحافية محظورة وخططوا لتهريب رسائل غير مجازة. وحاول مراسل مغامر معين، بعد ان اثار عداوة العشرات من ضباط السفينة، ان يبعث برسالة صحفية لم يحصل عليها بطريقة مشروعة وذلك تحت ستار الرسالة الشخصية. وقد طلب من قائد طائرة هليكوبتر ان يرسلها له بالبريد. وبعث الطيار بالرسالة، ليس الى مكتب صحيفة الصحافي، ولكن الى رئيس قسم الاعلام بوزارة الدفاع، والذي ردها الى الصحفي مرة اخرى دون أن ترسل الى الصحافة كمادة صالحة للنشر.

وازداد الارتباك. وسرعان ما اذيع للصحافيين التقرير الرئيسي الذي املاه القبطان مكفوناغل على الملازم بنيت عندما كان مكفوناغل مريضاً ويوشك ان يغمى عليه. وقد جاء في ذلك التقرير: هاجمتنا طائرات مجهولة الهوية يعتقد انها إسرائيلية. لقد قامت بقصف السفينة ست مرات واصاب طوربيد ميمنة السفينة[٢]. وقد اصبح هذا التقرير المعتدل الذي قلل من شأن الحادث محور القصة الرئيسية لحادث ليبرتي. ولم يسأل احد إذا كان ممكنا ان تلحق ست هجمات الضرر الذي الحقته بالسفينة ليبرتي او كم هو عدد الطائرات المطلوبة لتنزل بالهدف الضربات التي تلقتها ليبرتي. وعندما قدم تقرير موجز عن الحادث الى مجموعة من كبار ضباط البحرية، وافقوا فيما بينهم على إن إنجاز تلك المهمة احتاج الى عشر طائرات على الاقل، ولكن لم يحدث ابدا ان جرت محاولة للتوفيق بين وجهات نظرهم الفنية والتقرير الرسمي.



كانت واحدة من اوائل استجابات إسرائيل العلنية لاخبار الهجوم إصدار بيان صحفي يؤكد ان إسرائيل طلبت من حكومتنا، على وجه الخصوص، ان تحدد مواقع اية سفن

(٢) انظر الملحق «ز» حيث تجد النص الكامل لرسالة ماكفوناغل.

امريكية بالقرب من الشاطىء الاسرائيلي ولكنها لم تتلق اية اجابة. وقد سبب ذلك الذهول في وزارة الخارجية الى ان ادرك المسؤولون، بعد تبادل سريع للرسائل، ان مثل ذلك السؤال لم يوجه على الاطلاق - وان البلاغ الصحفي كان مجرد مناورة علاقات عامة لخداع الاخرين.

ثم نشرت الصحف الاسرائلية ان العلم الامريكي لم يكن يرفرف على السفينة. واضاف موظفو وزارة الدفاع الامريكية ان الرياح كانت قليلة في المنطقة وان من الجائز ان يكون علمنا «قد تدلى مرتخيا على ساريته بشكل لا يمكن معه التعرف عليه». واقتنع الرأي العام في ذلك الوقت إما بعدم وجود العلم على الاطلاق او انه كان يتدلى مرتخيا على ساريته في يوم انعدمت فيه الرياح.

- وبدا ان الاخبار الواردة من واشنطن كانت تنقسم الى اتجاهين. فمن ناحية كانت هناك حاجة الى نشر القصة باسرع وادق صورة ممكنة دون الكشف عن المعلومات التي يحظر الاطلاع عليها، ومن الناحية الاخرى كانت هناك اسباب دبلوماسية وسياسية تدعو الى اعطاء إسرائيل فرصة الاستفادة من الشك المعقول.

وكان فليب آرمسترونغ قد قال قبل ساعات قليلة من وفاته، «سيسمى هذا الابقاء على كل شيء في موقع تقدير الاشياء بالنسبة لاهميتها».



وفي يوم السبت، بعد يومين من الهجوم، ظهر هذا الخبر الذي نشرته إحدى وكالات الانباء:

واشنطن ١٠ يونيو/حزيران (يونايتد برس انترناشونال)

قال المسؤولون العسكريون الامريكيون يوم السبت انهم مقتنعون بان الهجوم الاسرائيلي الذي شن على سفينة الاتصالات الامريكية ليبرتي كان واحدا من اخطاء الحرب المأساوية.

وقالوا انهم لم يستلموا بعد تقريرا كاملا حول الهجوم من قبطان ليبرتي، ولكن ما علموه حتى الان يوضح انه لم تكن لاسرائيل نية في ان تدمر عمدا سفينة امريكية.

وقال المسؤولون في وزارة الدفاع الامريكية ان ملابسات الهجوم، كما عرفت حتى الان، تجعل الخطأ البشري تفسيرا مقبولا له.

وقالوا ان ليبرتي كانت تتحرك ببطء وكانت الرياح قليلة في الوقت الذي وقع فيه الهجوم الجوي والبحري، وهو ما يجعل تدلي العلم الامريكي مرتخيا وعدم امكانية التعرف عليه لحظة اقتراب الطائرات النفاثة الاسرائيلية امرا ممكنا.

وبعد وقت قليل من الهجمات وبعد ان عرفت الحكومة الاسرائيلية هوية السفينة صدر

بيان في تل ابيب زعم ان السفينة لم ترفع اي علم. ولكن اصر المسؤولون الامريكيون على انها كانت ترفع العلم الامريكي وظهر اسمها بوضوح على مؤخرتها كما كان رقمها المميز مكتوبا على مقدمتها.

وقالت وزارة الدفاع الامريكية يوم الجمعة وهي تصف أحداث الاشتباك ان فاصلا زمنيا مدته عشرون دقيقة تخلل الهجمات الست التي شنتها الطائرات النفاثة الاسرائيلية والهجوم الذي شنته بعدها زوارق الطوربيد الاسرائيلية.

ولكن يعتقد المسؤولون الان ان التتابع الزمني لم يكن دقيقا لانه لم يعرف بعد ما إذا كان زمن الفترة قد قيس ابتداءاً من اول تحليق قامت به الطائرات النفاثة او بعد فترة من ذلك الوقت. ويعتقد هؤلاء المسؤولون ان الفاصل الزمني بين الهجمات الجوية والبحرية قد يكون اقصر بشكل ملحوظ.

واضاف المسؤولون ان من المحتمل ايضا ان زوارق الطوربيد كانت على بعد بضعة اميال من السفينة الامريكية عندما بدأت هجمات الطائرات النفاثة، وشاهدت المعركة من مسافة واطلقت الطوربيدات وهي تتقدم مسرعة للاشتراك في المعركة.

واضافت وزارة الدفاع ان طوربيدا ضرب السفينة ليبرتي، وهي سفينة مسلحة تسليحا خفيفا ومزودة باحدث المعدات الالكترونية وتنتمي الى مجموعة سفن فيكتوري التي عملت في الحرب العالمية الثانية. وقد ابلغت السفينة عن اضرار واسعة النطاق لحقت بها، وان كانت سطحية، شملت الجانب الاعلى منها وبعض الاماكن في المنطقة الامامية من سطحها السفلي. ولكن السفينة ليست عرضة للغرق[٣].

قرأ الرئيس جونسون الخبر بمجرد ظهوره على التلغراف الكاتب في البيت الابيض واستدعى الوزير مكنمارا على الفور. ولم يكن لذلك الهجوم أي سبب يمكن القبول به. لقد كان إساءة بالغة وهجوما وحشيا، إذ قتل من جرائه اربعة وثلاثون امريكيا وجرح الكثيرون. لقد كان هجوما لا يغتفر ولا يمكن لاي احد في حكومة الولايات المتحدة ان يقلل من شأنه[٤].

واملى فيل غولدينغ البيان التالي واجاز نشره بسرعة:

إننا في إدارة الدفاع، لا نستطيع ان نقبل بان هجوما يشن في المياه الدولية على سفينة امريكية تابعة للبحرية وغير محاربة وبها علامات مميزة واضحة سيكون «مقنعا» تحت اي ظروف مهما كانت.

(٣) انظر غولدينغ، اكد أو انف، ص ١٢٣ حيث يوجد سرد للظروف التي احاطت بالقصة.
(٤) غولدينغ، ص ١٢٣، واخبار وكالات الانباء.

إن الحقيقة المتضمنة والقائلة بأن علم الولايات المتحدة لم يكن ظاهرا وان الادعاء بأن العلامات المميزة كانت غير كافية باية صورة من الصور هما غير واقعيين وغير صحيحين على حد سواء.

لقد برهنت العلامات المميزة لهوية سفن البحرية الامريكية انها كافية لكي يتم التعرف عليها دوليا قرابة مائتي عام[٥].

لقد اصبحت مهمة السفينة موضوع جدل في واشنطن عندما نقلت الصحف عن ضابط في حاملة الطائرات امريكا قوله: «إذا تحدثنا دون مواربة فإنها كانت هناك لتتجسس لحسابنا. روسيا تفعل الشيء ذاته. لقد تحركنا الى مسافة قريبة لنرصد اتصالات مصر وإسرائيل على حد سواء. كان يجب علينا ان نفعل ذلك. يجب ان نلم بما يجري في ظرف ثوان[٦].

وجاءت الرسائل من وزارة الدفاع تأمر كل انسان أن يخفف من الكلام. كانت الاجابة الوحيدة المقبولة على الاسئلة المتعلقة بالتجسس هي، «لا تعليق».

ولان الفريق بحري مارتن فشل بصورة ما في تلقي الاوامر اعطى حين سئل عن مهمة ليبرتي تلك الاجابة التي تعطيها الحكومات دائما لمثل هذه الاسئلة وقال: «إنني انفي بشدة انها كانت سفينة تجسس»[٧].

وفي النهاية وفي محاولة للحفاظ على بعض المصداقية ولتجنب الروايات المتناقضة، اسدل مكنمارا ستارا على كل اخبار ليبرتي الى ان ينشر التقرير الذي ستعده محكمة التحقيق الرسمية. وطلب من البحرية ان تعجل بإعداده واصدر بيانا هذا نصه:

جرى تداول كثير من الاشاعات والاخبار حول الهجوم، وليس لوزارة الدفاع دليل يؤيد بعض هذه الاشاعات والاخبار. ويبدو ان بعض هذه الاشاعات والاخبار مبني على ادلة جزئية. ويبدو البعض الاخر دقيقا على اساس المعلومات المتوفرة هنا، وهي معلومات غير كاملة. والى ان تعطى المحكمة فرصة الحصول على الحقائق الكاملة، فإنه ليس لوزارة الدفاع اي تعليق[٨].

ـ ان هذا المقطع النثري الذي يتميز بالخداع، كما وصفه الصحفي فريد فارار في

(٥) غولدينغ، ص ١٢٤، واخبار وكالات الانباء.
(٦) غولدينغ، ص ١٢٤، واخبار وكالات الانباء.
(٧) غولدينغ، ص ١٢٥، صحيفة فرجينيان بايلوت الصادرة في نورفولك، ١١ حزيران ١٩٦٧، ص أ ٦، بالاضافة الى وكالات الانباء.
(٨) غولدينغ، ص ١٣٠، رسالة وزير الدفاع يوم ١٤ حزيران (يونيو) ١٩٦٧ الساعة ١٧,٤٧ بتوقيت غرينتش.

شيكاغو تريبيون، قد وزع على كل شخص في الاسطول السادس او بالقرب منه. واصبح اتباعه امرا. كما واصبح من الواجب عدم الادلاء باي تصريح للصحافة. وضاع مع ذلك الامر آخر امل في مواجهة الاخبار غير الدقيقة تماما والتي جرى تداولها وقبولها على نطاق واسع.

وفي يوم الاحد صعد الى متن ليبرتي اللواء بحري إسحق سي. كيد[٩] ومعه مجموعة صغيرة من الضباط ليرأس محكمة التحقيق التي ستتقصى حقائق الحادث. لقد رأيت ذلك الرجل الذي قل مثيله وهو يعمل وعرفت فيه رجلا صلبا ذكيا محبوبا وعبقريا طموحا. وتذكرت العاصفة الجليدية التي هبت عام ١٩٦٥، عندما كانت وزارة الدفاع الامريكية محاصرة بالجليد ولم يكن بالفعل بمقدور احد ان يتحرك داخل او حول واشنطن. وكان إسحق كيد يصل الى مكتبه كالمعتاد وهو يقود سيارته خلف جرافة للثلج تابعة للبحرية.

جاء الفريق بحري الى ليبرتي من المدمرة الامريكية باري قبل فجر يوم الاحد. واستقر في الغرفة الخاصة بالرائد البحري ديف لويس وكانت فارغة في ذلك الوقت. وكانت تلك الغرفة بجوار غرفة القبطان على السطح الثاني. وبعد اجتماع عقده مع القبطان مكفوناغل وناقش فيه معه الحادث بايجاز، ازال النجوم التي تبعث الرهبة في النفوس من ياقته كما كانت عادته ثم اختلط مع البحارة.

لقد امره رؤساؤه بالتأكيد ان يتنبّه الى كل ما يعلنه. إن الدبلوماسية الحديثة لا تسمح ببساطة لاحد ان يحرج دولة صديقة حتى إذا ضبطت تلك الدولة متلبسة بالجريمة وطوربيداتها في سفينة ذلك الشخص. وهنالك دلائل على ان الفريق بحري كيد لم يقبل تلك الاوامر بسهولة، إذ وردت انباء من ضابط في نورفولك افادت بانه احتج على القيود التي وضعت عليه، ولكن كان ارتباطه الشديد بالنظام لا يسمح له بعدم إطاعة الأوامر، خصوصا وقد صدرت تلك الاوامر من القائد العام، رئيس الولايات المتحدة ليندون بي. جونسون.

يستطيع الانسان ان يفترض ان الرئيس جونسون قد عانى العذاب ايضا بإصدار ذلك الامر، وذلك بعد ان أبدى مؤخرا رد فعل قوي تجاه القول بأن الهجوم له ما يبرره وما يجعله «مقبولا». اما الان، فبدخول وزارة الدفاع الامريكية الى المسرح بالاضافة الى اهمية القضية السياسية وتقدير الأمور بالنسبة لأهميتها كما تنبأ فيليب آرمسترونغ بوضوح قد

(٩) اللواء بحري اسحق كامبل كيد الابن، ولد سنة ١٩١٩، الاكاديمية البحرية الامريكية دفعة ١٩٤١، رقي الى رتبة لواء بحري في ١ ايلول (سبتمبر) ١٩٦٤. وحيث ان نجمه ساطع، فقد رقي بعد ذلك الى رتبة فريق بحري في ١ تشرين اول (اكتوبر) ١٩٦٩، والى فريق اول بحري في ١ كانون اول (ديسمبر) ١٩٧١. وقد تقاعد من البحرية في ١٩٧٨.

تحققت الغلبة على الحقائق.

ان المطلوب من الفريق اول بحري كيد هو جمع الادلة واستجواب الشهود واعداد تقرير بمثابة مرجع. ولكن ليس من المفروض عليه ان يجمع او ينشر قدرا كبيرا من التفاصيل المحرجة حول سرعة الرياح والعلامات المميزة ومدى ومدة الاستطلاع او كثافة الهجوم. كما لم يكن متوقعا منه ان يناقش فشل الاسطول في تقديم الحماية الجوية. إن مثل تلك التفاصيل كانت ستسبب مشاكل دبلوماسية وسياسية غير محدودة. ولذلك، وقبل ان ترتب المحكمة الرسمية المقابلات مع بحارة ليبرتي، كان من الحكمة ان يتحدث الفريق البحري مع الشهود المحتملين بصورة شخصية ليعرف الشهادات التي يتوقع ان يدلوا بها ليقرر من الذين يجب أن يستدعوا ليدلوا بشهاداتهم والاسئلة التي ستوجه اليهم في المحكمة.

استمرت هذه العملية حتى وصول السفينة الى مالطا. وقال كيد للبحارة وهو يشق طريقه بهدوء في السفينة ويتحدث بصورة غير رسمية مع مجموعات صغيرة من الرجال، «اعتبروني فقط زعيما كبيرا في السن». ودعي عدد قليل من الرجال الى غرفة الفريق اول بحري الخاصة لإجراء مناقشات مطولة. وحتى تلك النقطة كان التحقيق عرضيا وغير رسمي، وكانت كل المناقشات لا تتمسك بالرسميات وغير مسجلة.



ـ في تلك الاثناء استدعي في واشنطن الضباط وكبار الموظفين المدنيين الذين شاركوا في وضع برنامج السفينة ليبرتي الى اجتماع لم يسبق له مثيل تقريبا، بعد ظهر نهار السبت. وأدخل مكتيغ وفوسيت وريفين وبروير وغيرهم الى غرفة مملوءة بالدخان يشغلها رجال خلعوا عنهم ستراتهم.

حدق والتر ج. ديلي بعبوس من وراء كومة الوثائق نحو رأس الطاولة. وكان ديلي من كبار موظفي وزارة الدفاع التنفيذيين، له «رتبة عالية». وكان من الواضح انه برم بشأن المهمة التي ألقيت فجأة على عاتقه. ثم سأل مزمجرا: «هل يمكنك ان تكتب؟» وكانت نظاراته في وضع منحرف، وإطارها مكسورا، فبدا شكله متوحشا وكأنه على شيء من الخبل، ولكن لم يظهر عليه أنه يعرف ذلك، أو يهتم له. ثم أضاف قائلا: «يا للعنة، هيا أكتب بعض الاسباب التي دعت لارسال السفينة الى تلك المنطقة».

وكتب فوسيت الآتي: «أرسلت السفينة ليبرتي الى شرقي المتوسط كي توفر تغطية الاتصالات ذي التردد فوق العالي والتردد العالي جدا».

فقال ديلي: «حسنا، حسنا إنها اتصالات خط البصر. هذا كلام معقول. ثم اضاف قائلا: «والآن اكتب لماذا احتجت الى هذا النوع من التغطية، ومن الذي احتاج إليه؟

ولماذا ؟ أكتب كل ما يتعلق بهذه الاشياء » .

ولقد قضت جماعة ديلي طوال فترة نهاية الأسبوع في استجواب كل من استطاعت العثور عليه من الذين كان لهم أية علاقة بقرار مطالبة هيئة رؤساء الاركان المشتركة بتحويل وجهة السفينة ليبرتي نحو غزة. وعندما فرغت من القيام بذلك تمكنت من جمع تقرير زادت سماكته على مقدار بوصتين يتألف من إفادات وجداول ومعلومات خلفية ونشرات مطبوعة مطوية وأوراق شفافة ومتعددة الألوان. وبشكل بارز ظهرت على الصفحة الأولى الرسالة الموجهة الى هيئة رؤساء الاركان المشتركة التي تطالب بابعاد السفينة عن الشاطىء المتنازع عليه.

وتبحث التحفة الأدبية التي الفها ديلي الأسباب الفنية لارسال السفينة ليبرتي الى غزة في البداية، كما تشرح القرار بإبعاد السفينة عن الشاطىء ويقر التقرير بأن ديلي وجماعته لم يكونوا على خطأ، ولكنه لا يبحث في تغطية الظروف التي أحاطت بالهجوم. ويبدو ان جماعة ديلي ليست على علم بأية مساع تتعلق بالتغطية.

وبعد أن انتهت الجماعة من العمل بساعات قليلة أعدت نسخة عن التقرير بسرعة فائقة في محل للطباعة خاص بوزارة الدفاع ومجهز بطابعات حجرية مميزة الوضوح، ووزعت، على أساس « الحاجة الملحة للاطلاع »، على عدد قليل من كبار الرسميين. وبالرغم من التحقيقات المتكررة بشأن قانون حرية الاطلاع على المعلومات، فقد عارضت الحكومة بشدة الاعتراف حتى بوجود هذا التقرير.



كان الكابتن مكفوناغل يستعيد قواه. وفي الأثناء التي كان فيها الفريق أول بحري، كيد نائما كان مكفوناغل يستضيف مجموعة صغيرة من الزائرين في مقصورته. ولدى تذكر مكفوناغل أن ما زوده به الدكتور كيبفر من الكحول كعلاج طبي كان له أهميته في رفع معنوياته خلال الساعات التي تبعت الهجوم، قرر أن ضيوفه قد يستمتعون ببعض من هذه المشروبات الروحية.

وبعد أن عثر مكفوناغل على الدكتور كيبفر في جناح الضباط عن طريق الاتصال الهاتفي سأله بوقاحة: « هل لديك المزيد من تلك الكحول الخاصة للعلاج الطبي ؟ أعتقد انه يمكنك وصف بعض منها لزوارنا لمساعدتهم على التغلب على مشقة السفر التي عانوا منها اثناء رحلتهم ».

واجاب كيبفر قائلا: « بالتأكيد، ايها الكابتن، اعطني خمس دقائق لاحضرها الى مقصورتك ».

كان كيبفر يعرف أن الكحول المستخدمة للعلاج الطبي قد نفذت منذ مدة. وبما أنه ليس من الذين يعثر عليهم على غير استعداد، جمع الزجاجات الفارغة بسرعة (التي كان حريصا على الاحتفاظ بها)، وأحضرها الى غرفة خاصة اصبحت مقرا لجمع كثير من الكحول غير المخصصة للعلاج الطبي التي كان يعثر عليها. وبعد نزع سدادة زجاجة تحتوي على ربع غالون من البراندي الفخم، عبأ كيبفر بحرص الزجاجات الصغيرة المخصصة للكحول المستخدمة كعلاج طبي. ثم أعاد الزجاجة الكبيرة الى مخبئها وجمع الزجاجات الصغيرة التي كان يمكن للكابتن وضيوفه استهلاكها بضمير مرتاح.

وعند اللحظة التي كان كيبفر يستعد فيها للذهاب، لاحظ أن السرير المبيت لم يكن شاغرا. فلقد نسي أن هذه الغرفة اصبحت مخصصة الآن لاستخدام الفريق أول بحري، كيد الذي دفعته لالتزام الفراش فجأة عدوى الشعب الشديدة ومن هناك راقب العملية برمتها بصمت.

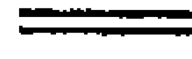


وفي يوم السبت استعادت السفينة باباغو جثة بحار تابع للسفينة ليبرتي كانت قد انطرحت في البحر عبر ثقب في جانب السفينة. وفقدت جثث أخرى بالاضافة الى فقدان كمية كبيرة وثابتة، الى حد ما، من الأوراق يفترض ان معظمها يحتوي على معلومات حساسة. وقد كلف الرجال على متن كل من السفينتين بمهمة المراقبة للعثور على الجثث، او على الأوراق. وفي اثناء الليل كانت السفينة باباغو ترسل اضواءاً كاشفة على المياه للقيام بهذه المهمة. ورغم أنه لم يعد يعثر على مزيد من الجثث، كانت تشاهد من وقت لآخر كميات كبيرة من الأوراق تغادر السفينة، فتبلغ السفينة باباغو عن ذلك بواسطة إرسال إشارة ضوئية. وتسترجع باباغو قدر ما تستطيع منها، وما لا تستطيع استرجاعه تحاول التخلص منه مستخدمة طريقة فنية معينة.

وفي نهار الأحد اتخذ القرار بأنه في حال لم يكن ممكنا سد الثقب يجب، على الاقل، التمكن من التحكم بما يمر عبره. وقد عمل معا كل من ضابط إدارة سطح السفينة، الملازم بحري لوكاس، وضابط التحكم بالأضرار، الملازم بحري سكوت، لتحقيق ذلك. فعثر على اربع شبكات شحن تبلغ مساحة كل منها عشرين قدما مربعا. فطرحها ضباط صف الخدمة على السطح الرئيسي للسفينة، وربطوا أطرافها معا فاصبحت تؤلف شبكة ضخمة تبلغ مساحتها اربعين قدما مربعا. ثم أنزلت الشبكة من جهة جانب السفينة وربطت في المكان المناسب بحيث كان الطرف الأعلى تحت سطح المياه بقليل. وأخيرا، قام بوب روبرتس مع الغواصين التابعين له من السفينة باباغو بنشر الشبكة بحيث غطت الجزء الأكبر من الثقب الذي أحدثه الطوربيد، وثبتوها في المكان المناسب بحبال طويلة حملوها تحت السفينة

وأوصلوها للرجال الذين كانوا ينتظرون على يسار السفينة.

وبعدما طوقت السفينة بحزام من الحبال لتثبيت الشبكة في المكان المناسب، والتي قد أطلق عليها البحارة تسمية «حمالات الصدر»، تابعت كل من السفينتين رحلتها ببطء باتجاه مالطا. ولقد انجرفت الشبكة حالما كانت السفينة على وشك الابحار بسرعة، وعندئذ حل رباطها لتجنب اشتباكها برفاصات السفينة. ولم يتم القيام بأية محاولات اخرى لتغطية الثقب.



وقد أجري اصطفاف البحارة للنداء مرات عديدة وفي كل مرة كان الاصطفاف مختلفا الى حد ما عن المرات الأخرى. والرجال الذين بلغ عنهم بأنهم في عداد المفقودين اكتشف أنهم كانوا منكبين على العمل مع إحدى فرق التصليح البعيدة. وكان إسم جيف كاربنتر الذي يعالج حاليا على متن حاملة الطائرات أمريكا، مفقودا من لائحة اولئك الذين نقلوا. ولم يتذكر أحد بأنه رآه، وبلغ عنه بأنه مفقود واعتبر متوفيا. وفي الوقت المناسب وصلت برقية الى زوجته من واشنطن يتم إطلاعها فيها على وفاته المفترضة. وفي حوالي الوقت نفسه تقريبا، تسلمت الزوجة برقية أخرى وكانت هذه البرقية مرسلة من زوجها من حاملة الطائرات أمريكا، وتطمئنها بأنه في صحة جيدة. ولدى شعورها بالاضطراب والخوف أجرت اتصالا هاتفيا بعضو الكونغرس الذي تؤيده، طالبة منه أن يستطلع عما يجري.

ومن المفترض أيضا ان زوجات أخريات اختلط عليهن الأمر اتصلن بمن يؤيدن من أعضاء الكونغرس. وسرعان ما حوصرت السفينة ليبرتي برسائل تعبر عن الغضب صادرة عن البحرية من واشنطن تطلع المسؤولين في السفينة على طلبات التحقيق الملحة في الكونغرس، وتطالبهم بتقرير دقيق وصحيح بأسماء أفراد الوحدة البحرية.

وقد طفح الكيل بالنسبة لغولدن. والآن سيجري اصطفاف البحارة للنداء على أكمل وجه، وبأكبر مقدار من الحرص يشهدها تاريخ البحرية. وبعد إطلاع الكابتن على قصده والحصول على موافقته، أوقف غولدن السفينة في وسط المحيط، وأمن على سلامة المحركات الرئيسية، وعلى كل قطعة من المعدات التي تتطلب وجود رجل بالقرب منها، ونادى كل رجل على متن السفينة، وجمع كل العناصر في صفوف على السطح الرئيسي وأجبرهم على الاحتفاظ بأماكنهم بينما قام شخصيا بتفتيش السفينة برمتها للعثور على المجهول الذي لا بد من العثور عليه لأن النداء لم يبلغه بالطرق الأخرى. واخيرا، بعد ان توصل الى قناعة بأن كل رجل حي وعلى متن السفينة ليبرتي كان واقفا في الصف على السطح الرئيسي، مشى مقتربا من كل رجل على حدة، وممسكا بلوح مشبكي، ووضع إشارة الى جانب إسم كل رجل على متن السفينة.



في الاثناء التي أبحرت فيها السفينة ليبرتي باتجاه مالطا بلغت مستشفى البحرية في نابولي بأن تستعد لاستقبال خمسين جريحا من الذين نجوا من الهجوم على السفينة ليبرتي. وقام موظفو المستشفى على الفور بصرف كل المرضى باستثناء أكثرهم حاجة للعناية الطبية من أجل إفساح المجال لاستقبال المرضى الجدد. ولقد خلت المستشفى من كل المرضى باستثناء حالتي ولادة، وضابط مصاب بالبرقان. وألغيت الاجازات في حين وضع الأطباء والممرضات في حالة تأهب خاصة ترقبا لاستقبال جرحى السفينة ليبرتي.

وعلى الرغم من ذلك، صدر عن حاملة الطائرات أمريكا، القرار بانه يمكن معالجة معظم الجرحى على متنها، في نهاية المطاف. ودون إبلاغ المستشفى بذلك، احتفظ بكل الجرحى ما عدا ستة رجال. اربعة منهم باصابات في الدماغ أرسلوا الى مستشفى الجيش في لاندستوهل، في ألمانيا، بينما أرسل رجل يده مكسورة، وأرسلت أنا معه الى نابولي للمعالجة، وظل الباقون على متن حاملة الطائرات. ووصلت مع الفني الالكتروني، باري تيمرمان بعد مغيب الشمس لنجد مستشفى بكامل موظفيها وشبه خالية من المرضى تنتظر بشوق لتقديم الرعاية لنا.

وبانفصالي عن رفيقي في السفر أعطيت غرفة خاصة حيث تم الاهتمام بتغذيتي واستحمامي وبوضع البودرة على جسمي بالاضافة الى تعرفي على بربارة وجويس وفليسيتي، وهن الممرضات اللواتي قدمن لي الرعاية. ووصف لي الطبيب الويسكي فشربتها. وزودتني فليسيتي الفاتنة المولودة في أستراليا برعايتها الرقيقة وبدأ مظهري يتحسن.



وفي مساء نهار الثلاثاء قبل ساعات من وصول السفينة الى مالطا، استدعى مكفوناغل الدكتور كيبفر الى مقصورته. وقال له، « أريد منك ان تقرأ البيان الذي حضرته لمحكمة التحقيق ».

وفي صفحات عديدة ومطولة نص البيان على شرح مستفيض عن التقرير الذي كان مكفوناغل قد قرأه على مسمع من بنيت في اليوم الذي حدث فيه الهجوم، والذي بعث برسالة الى واشنطن. ولقد تضمن الأخطاء نفسها، وحذفت منه المعلومات نفسها وعلى الرغم من أن كيبفر لم يكن علم بدرجة الاستطلاع ما قبل الهجوم، تذكر بوضوح جولات عديدة أمطرت فيها السفينة بوابل من القنابل استغرقت فترة طويلة من الوقت، وعرف أنه أطلقت النيران على السفينة بعد الانفجار الطوربيدي. وعرف بأن مكفوناغل كان تحت وطأة إجهاد لا يصدق، وبأنه كان ما يزال مريضاً ومشتت الذهن، وبأنه كان، في الواقع، ما يزال يشعر بالألم ويعاني من الضعف بسبب الجروح وفقدان كمية من الدم. ولم يكن يتوقع من أي رجل ان يتذكر تفاصيل هذا الهجوم، خصوصا مكفوناغل الذي كان منشغلا كثيرا بردود فعله ومناضلته للابلاغ بدقة عن التفاصيل المجردة مثل مدة الهجوم والوقت الذي حدث فيها، وعدد القوات المهاجمة، وتسلسل الهجمات وشدتها.

وحاول كيبفر بلباقة أن يشرح التناقضات التي اعتقد أن التقرير يتضمنها ولكن، لم يظهر أن مكفوناغل كان يصغي اليه. وفي كل الأحوال، لم يكن مكفوناغل يتقبل النصائح بصورة إيجابية، خصوصا عندما تصدر عن صغار الضباط، ولم يقبل برواية كيبفر عن الهجوم. ففي الواقع قضى كيبفر معظم الوقت الذي جرت فيه المعركة تحت سطح السفينة يعالج الجرحى. وكان مكفوناغل قد نقل روايته عن الحادثة عن طريق رسالة، ولم يكن لديه الرغبة بتغييرها الآن. وهكذا تساءل كيبفر عن سبب استدعائه.

ومن خلال الحديث اللاحق اتضح ان مكفوناغل كان قلقا إذ أنه قال لكيبفر، «أريد منك ان تتذكر أن الفريق أول بحري، كيد، قادم الى هذا المكان ليس لاعطائنا الميداليات. لست أدري ما هو الخطأ الذي ارتكبناه، ولكنهم اذا بحثوا بحثا وافيا، ففي مقدورهم ان يكتشفوا شيئا ما. لذلك يجب علينا ألا نساعدهم على التمكن من ذلك. وإنني سأجيب على اسئلتهم دون ان أضيف شيئا، ولا أتوقع منك أن تقوم بأكثر من ذلك».

وخلال المساء اجرى مكفوناغل محادثة مماثلة مع الملازم اول بحري، غولدن. وكما فعل كيبفر، اقترح الضابط المهندس بلباقة بأن الهجوم قد تضمن اكثر من ست جولات أمطرت فيها السفينة بوابل من القنابل، ومن هجوم طوربيدي منفرد التي كان قد وصفها مكفوناغل في تقريره عن الهجوم. ولكن الكابتن أصر على أن تقريره دقيق، ولم يعترف بأية اخطاء، ولم يرغب أن يأخذ بالاعتبار أية تغييرات في تقريره.

وخلال الأيام القليلة اللاحقة نبه مكفوناغل الضباط والعناصر المجندة الرئيسية الذين قد تطلب منهم الشهادة في المحكمة، عن كل ما يتعلق بهذا الصدد. وفي إحدى المرات جمع مجموعة من الضباط ومن هم برتبة مساعد أول بحري في قاعة الضباط وقال لهم: «إن أفضل اسلوب نتصرف فيه هو ألا نبوح بشيء من تلقاء أنفسنا. أجيبوا على أسئلتهم ولكن لا تطلعونهم على أي شيء لا حاجة لكم بالبوح به».

بدا مكفوناغل متألما بسبب الفكرة بأنه كان المسؤول الى حد ما، عما قاسته سفينته وعانى منه بحارتها. وكان يحاسب نفسه ضمنيا متسائلا: «أين ومتى ارتكب الخطأ؟ فهل كان من المفروض به أن يبتعد عن الشاطىء؟ أو هل تسبب وجود الرجال بلباس القتال في مواقع المدفعية للسفينة ليبرتي بالظهور بمظهر عدواني؟ وهل ضلت السفينة طريقها ودخلت المياه الاقليمية المصرية؟ وهل درب البحارة تدريبا صحيحا كي يتمكنوا من معالجة الحالات الطارئة؟ وهل كانت ردود فعل البحارة مناسبة في معالجة هذه الحالة الطارئة؟ او هل دربهم بالفعل تدريبا صحيحا؟ أو هل كان في مقدوره إنقاذ هؤلاء الرجال؟

ولقد توفي ثلاثة واربعون رجلا من رجال مكفوناغل إلا أن ثلاثمائة منهم تقريبا، كانوا أحياء رغم المواجهة بقوة جهنمية والتصميم على قتل آخر رجل. فإن التدريب الذي قدمه

مكفوناغل لرجاله، وكونه قدوة يقتدى بها، والقيادة والتشجيع التي زودهم بها قد حفظتهم احياء.

وهذا الرجل الشجاع الذي تحدى الرصاص والشظايا والنابالم بدا الآن قلقا بسبب شعوره بالتقصير في ما أنجزه. وهذا الرجل الذي بقي في موقعه في ظروف مستحيلة مؤديا واجبا انقذ به سفينته بدا الآن قلقا لأنه يعتقد أنه كان بامكانه تحقيق أمور اكثر بكثير مما حققه. وكما يبدو، كان متخوفا من هيئة المحكمة التي قدمت لاجراء التحقيق.

وفي يوم الأربعاء، يوم وصلت السفينة ليبرتي الى مالطا ويوم عقدت الجلسة الرسمية لمحكمة التحقيق، أحضر لي الضابط التنفيذي في المستشفى رسالة من وزارة الدفاع. وجاء في الرسالة أن سفير إسرائيل لدى إيطاليا كان يريد التحدث إلي، فهل أوافق على مقابلته؟

وكنت أول ضابط من السفينة ليبرتي موجودا على اليابسة. وكان كل الباقين إما ما يزالون على متن السفينة، أو جرحى وعلى متن حاملة الطائرات أمريكا، أو متوفين. وفكرت في الخيارات المتوفرة لدي، فإذا جاء لزيارتي، فلا شك أنه سيقدم التعازي والاعتذار. ولن يكون مناسبا لي أن أقبل اعتذاره، أو أن أرفضه. وفي كل الاحوال كنت مقتنعا أن الهجوم كان مقصودا وجريمة عن عمد وسابق تصميم. وبصفتي من صغار الضباط لم أستطع بالتأكيد، أن أسمح لنفسي التصرف بوقاحة، أو بغضب نحو هذا الرجل الذي تقدم بفكرة الزيارة بدافع المودة، دون شك، ودون معرفة منه لخلفيات الهجوم. لذلك رفضت المقابلة.

وفي يوم الخميس وصل الى نابولي من حاملة الطائرات أمريكا الأمريكية، جيم أوكونور وديف لويس والملازم بحري ديك تيلور المعروف «بالمراوغ» (ضابط التموين في السفينة ليبرتي)، والبحار جورج ويلسون وعشرون غيرهم. فلقد أصدرت السلطات العليا أخيرا، توجيهات الى حاملة الطائرات بإرسال جرحى السفينة ليبرتي الى مستشفيات يكون مقرها على اليابسة. وبالرغم من أن السفينة، ربما كانت قادرة على الاعتناء بمعظمهم، فإن وجود عدد كبير من الجرحى في قسمها الطبي كان يشكل عائقا أمام استعدادها للقتال، استنادا الى ما أطلعت عليه. لذلك يجب إخلاؤها من الجرحى.

والآن أصبحت نابولي ساحة معركة. وشغل موظفو المستشفى غرفة العمليات بشكل شبه مستمر لمدة يومين وهم يقدمون العلاج لكل فرد مهزول الجسم من أفراد جماعتنا. وكان معظم الرجال قادرين على التجول، وكثيرون يشعرون بالألم. وبعض منهم كان يريد العودة الى سفينتنا إلا أنه سمح لقلة بذلك. وثلاثة من الرجال المصابين بجروح بالغة ونازفة الذين أقنعوا الأطباء على متن حاملة الطائرات أمريكا بانهم كانوا في صحة جيدة، أصدرت الأوامر لهم بالعودة الى أداء الواجب. ولقد أوقف هؤلاء في المطار المحلي موظفون طبيون

من مستشفى نابولي، واعيد فحصهم وإدخالهم الى المستشفى.

كما تم تعيين الحراس على كل باب من أبواب الجناح الذي يشغله رجال السفينة ليبرتي للحؤول دون الاتصال غير المسموح به مع العالم الخارجي. واذا اضطر أحد الرجال لمغادرة الجناح، فكان هناك حارسا برفقته.

وصار جيم أوكونور رفيقي في الغرفة للمرة الثانية. وأصبح يمشي الآن ويشعر بالبهجة نتيجة لذلك. وكان الجرح البليغ في جنبه يتماثل للشفاء، واكتشف بأنه إذا تحرك بحرص، يمكنه أن يستحم. وبنظرة رضى مشى بحذر شديد من الغرفة نحو أماكن الاستحمام.

وعاد جيم متألما ووجهه شاحب اللون وهو يعض على شفته السفلى كي يسيطر على رغبته بالصراخ. فاتكأ على جانب الباب ممسكا بجنبه، ثم مشى مترنحا نحو سريره حيث جذب ركبتيه الى أعلى باتجاه صدره وكان يئن من الألم. ولدى مشاهدتي كل ذلك استدعيت ممرضة.

واجبتني ممرضة متكلّفة ليست كبربارة، او جويس، او فليسيتي، عبر جهاز الاعلان قائلة: «لا، لا أستطيع أن أستدعي الطبيب من غرفة الجراحة. لا، لا أستطيع أن أحصل على أي شيء لتسكين الألم». وكان كل الأطباء في غرفة الجراحة، ولم ترغب الممرضات باستدعائهم.

كان جيم يعاني من الألم، وبدا أنه لا يمكن فعل شيء حتى إنجاز كل العمليات الجراحية التي حدد موعدها في ذلك اليوم. وأخيرا بعد أكثر من أربع ساعات من الشقاء الذي لا ضرورة له، توقف طبيب جراح من أجل رؤية جيم. وبعد أن حدد المشكلة على الفور استدعى الطبيب مختصا ايطاليا محليا بالبول والمجاري البولية لاستشارته. وثبت هذا الرجل تشخيص الحالة. وكانت كلية جيم مثقوبة من الشظايا مما يوجب إزالتها.

وبعد دقائق معدودة حطت طائرة هليكوبتر تابعة للبحرية على مقربة من الباب الخلفي للمستشفى حيث حمل جيم إليها للذهاب في رحلة قصيرة الى المطار العام المحلي. وكان هناك طائرة عسكرية في انتظاره. وفي وقت لاحق من بعد ظهر ذلك اليوم انضم جيم الى غيره من الذين نجوا من الهجوم على ليبرتي، في مستشفى الجيش، في لاندستوهل، في ألمانيا الغربية حيث أزيلت الكلية، وفقا لما تم التكهن به. وكما في نابولي، وقف الحراس على كل باب من أبواب الجناح الذي شغله رجال السفينة ليبرتي.

في نفس الوقت كانت ليبرتي قد وصلت الى فاليتا في مالطا يوم الاربعاء بعد بزوغ الشمس بقليل وبعد الهجوم بستة ايام. وكانت ترافقها المدمرة ديفيز وسفينة القطر باباغو، وقد امضت معظم ساعات اليوم وهي واقفة في الميناء. وفي فترة بعد الظهر نقلت الى حوض جاف

لم يكن احد يستطيع ان يقوم بالمهمة الكريهة الخاصة بازالة رفات الاصدقاء والزملاء غير الرجال الذين عملوا عليها. وهكذا بقي حوالي خمسين رجلا للقيام بالتنظيف الاولي للاماكن التي اصيبت بالطوربيدات. ولاسباب امنية لم يسمح لاحد غيرهم بالدخول الى المقصورة.

مع ضخ المياه خارج الحوض الجاف ارتكز ثقل ليبرتي على كتل ضخمة وضعت سابقا على قاع الحوض الجاف. ومع هبوط منسوب المياه من حولها، هبط ايضا منسوب المياه داخلها. لم يكن من الممكن رؤية اي شيء من الخارج حيث كانت هناك تندة من الخيش تسد بفعالية الفجوة التي احدثها الطوربيد في جانب ليبرتي.

وقد جثمت مجموعة من البحارة الذين احسوا بالرهبة حول الطريق الوحيدة التي توصل من الداخل الى مكان الاصابة بالطوربيد وهي الفتحة التي توصل الى السطح الثاني للسفينة والتي استخدمها الكثير من البحارة للهرب قبل ذلك بعدة ايام. وخلال الايام الماضية كانوا يتصورون ما يمكن ان يجدوه هناك، اما الآن فقد رأوا ما كان هناك بالفعل، ولم يكن احد منهم مستعدا لخوض هذه التجربة.

كان السلم ما يزال في مكانه، وفيما عدا ذلك لم يمكن التعرف إلا على القليل من الاشياء. فهذا السلم الذي نزل عليه هؤلاء الرجال مرات ومرات كان يفضي في السابق الى ممر صغير كان يوجد فيه عدد من الابواب التي تؤدي الى المكاتب المحيطة. لم يعد هناك ممر، فقد اختفت الابواب والحواجز التي تدعمها، كما تحولت المكاتب العديدة الى مقصورة واحدة كبيرة تناثرت في انحائها الحواجز المصنوعة من الواح الصلب التي انثنت فضلا عن المناضد وخزانات حفظ الملفات ومعدات الاتصال. وقد غطي كل شيء بطبقة سميكة من الزيت الاسود الذي تسرب من الخزانات القريبة التي تشققت. وقد امتزجت رائحة الزيت بالرائحة النتنة لجثث الموتى لتوحي بالهول الموجود في الداخل. ولكن عندما نظر الرجال الى الغرفة من اعلى لم يتمكنوا من رؤية غير كتل المعدن. وكان قد تم استخراج جثة عن طريق الكوة بعد الهجوم بقليل، وطفت جثة اخرى خارج السفينة وعثرت باباغو عليها خلف ليبرتي. والآن كان الرجال يعلمون انه ما زالت هناك جثث ثلاثة وعشرين من اصدقائهم.

كانت الرائحة تغمر المكان. وصرخ احد البحارة وكان ذا وجه وردي قائلا: «أوه! يا للعنة!» وقرر انه لا يريد النزول حيث الجثث.

وقال آخر: «أواه!»

وتقيأ احدهم، وبكى آخر.

وعلا الصمت المجموعة الى ان تقدم بحار صغير، وكان اكثر خشونة من معظم الباقين، وقال وهو يثبت السلم: «كلما انتظرنا كلما ساءت الامور».

« احترس! المكان زلق! »

فرد قائلا: « ليست هناك مشكلة ».

وكان يلبس الافرول والقفازات والحذاء العسكري.

وعندما نزل على السلم وجد موطئا ثابتا بالقرب من القاع. واضاء البطارية التي تستعمل في البحرية والتي كانت مثبتة في حزامه حتى يتسنى له تفقد الغرفة المعتمة التي كان يدخلها الضوء من الكوة ومن فجوة الطوربيد المغطاة بالخيش.

وكان البحار يعلق باستمرار على كل شيء يراه وهو يتفقد الغرفة ببطاريته وقال: « هذا المكان سيكون عبارة عن جحيم! الزيت في كل مكان والحواجز جميعها مهدمة. يبدو ان نصف الاشياء التي كانت موجودة في المكان قد دفعت وتكومت في ركن واحد. لا استطيع ان ارى اية جثث. يبدو انها تحت المعدات. ها هو مكتب، وعلى جانبه... اوه اوه اوه! ».

والقى بالبطارية.

لم يستطع الرجال الذين كانوا يراقبون المكان من اعلى ان يروا ما الذي افزع البحار الذي تراجع للخلف وانزلق على المعدن المغطى بالزيت وزحف ليصل الى موطىء لقدمه وانزلق مرة اخرى وتمكن اخيرا من الامساك بالسلم. وزحف صاعدا على السلم وهو يئن ويشهق بطريقة لا يمكنه التحكم بها، وكانت يداه وقدماه تنزلق وسط الرعب الشديد الذي تملكه الى ان تمكن اصدقاؤه الذين كانوا يمدون له اذرعتهم عبر الكوة من الامساك به.

وعندما تم رفعه عبر الكوة كان يتلعثم بضعف وغير قادر على الكلام. وفي النهاية جثم على سطح السفينة ورأسه بين ركبتيه وهو يرجف، ثم بكى.

« ماذا يوجد في الاسفل بحق السماء؟ »

لم يتمكن من الاجابة. كل ما استطاع عمله هو البكاء.

مضى وقت طويل قبل ان يجسر شخص اخر على الولوج الى الفجوة السوداء الزلقة ليرى ما كان هناك. فالشخص الثاني الذي قام بالمحاولة وجد زميلا له ميتا منذ ستة ايام وبملابسه الكاملة، وقد اخترقت جسده بعض المواسير الحادة التي كانت تحمله. كما كانت اصابع قدميه تلامس الارض بالكاد وكانت عيناه وفمه مفتوحة، وكان في مكانه كمن يحرس السلم. أما في السقف فقد كان هناك ضابط ميت منذ فترة ومحشور بين الاسلاك الكهربائية والمواسير يراقب المكان بوجه خال من التعبير.

عمل هؤلاء الرجال بدون توقف لعدة ايام للقيام بهذه المهمة الشنيعة. فقد كان عليهم اخراج الاوراق والمنشورات السرية من وسط الحطام وتدميرها. كما كان عليهم قطع الواح الصلب والواح الالمنيوم والعوارض الحاملة والتي كانت كلها منثنية ـ وكان يتم ذلك باليد

لان لم يكن من الممكن استعمال الآلات الكهربائية وسط الزيت القابل للاشتعال. بالاضافة الى ذلك كان على الرجال اكتشاف جثث زملائهم والتعرف عليها وفي الكثير من الاحيان تجميعها.

عمل الضباط والبحارة معا، وازدادت الرائحة النتنة سوءاً في جو حزيران الحار في مالطا. وعندما انتهى العمل بقي هناك ثلاثة رجال مفقودين يبدو انهم انجرفوا مع التيار الى البحر، كما لم يتم التعرف على ثلاثة اخرين. وقد تم دفن هؤلاء في النهاية مع بعض الاطراف المتناثرة والاجزاء الاخرى التي لم يتم التعرف عليها في قبر جماعي في المقبرة الوطنية في آرلنغتون.

في نفس الوقت نشرت مجلة نيوزويك القصة التالية:

إغراق ليبرتي، حادث عرضي ام مدبر؟

- لقد خلف الهجوم الاسرائيلي على سفينة الاتصالات البحرية ليبرتي موجة من المرارة والاتهامات السياسية البالغة الخطورة. اولا، إن ليبرتي ليست سفينة عادية ولكنها كانت سفينة جمع معلومات تقوم بمهمة استكشاف. وكانت تحمل اجهزة معقدة لتحديد مواقع اجهزة اللاسلكي والرادار الاسرائيلية والمصرية على السواء، ولمراقبة وتسجيل جميع الرسائل العسكرية التي ترسلها مواقع القيادة الى ساحة المعركة. وبالرغم من ان الاعتذارات التي قدمتها اسرائيل قد تم قبولها رسميا، فإن بعض كبار الموظفين السياسيين في واشنطن يعتقدون ان اسرائيل كانت على علم بقدرات ليبرتي ويشكون في ان الهجوم لم يكن مجرد حادث عرضي. كما انه هناك نظرية تسري في اعلى الاوساط السياسية تقول ان شخصا ما في جيش الدفاع الاسرائيلي امر باغراق ليبرتي لانه شك في انها سجلت رسائل تظهر ان اسرائيل هي التي بدأت المعركة. (وقد حاول احد المسؤولين في البنتاغون بالفعل ان يدحض ادعاء اسرائيل بأن طياريها لم يتعرفوا على السفينة). ولكن هذه النظرية ليست مقبولة من الجميع في واشنطن، غير ان بعض المسؤولين في الادارة العليا لن يقتنعوا إلا عندما تتوافر تفسيرات اكثر شمولا واقناعا لهجوم وقع على سفينة واضحة المعالم في المياه الدولية[١٠].

إن هذا التقرير الذي تم تداوله حتى قبل انعقاد الجلسات الرسمية السرية لمحكمة كيد بدا وكأنه يشير الى ان الحكومة لم تكن راضية تماما عن ادعاءات اسرائيل التي وجدت لها صدى في البنتاغون والخاصة «بالخطأ في التعرف» على السفينة. وقد شعر ضباط ليبرتي

(١٠) مجلة نيوزويك، ١٩ حزيران (يونيو) ١٩٦٧.

بالابتهاج عندما قرأوه، فقد كان بالنسبة لنا اكثر الفقرات التي كتبت عن الموضوع اتساما بعمق البصيرة. كما تضمن هذا التقرير اهانة شخصية لاسحاق رابين (فقد ابلغ احد كبار الضباط الاسرائيليين الملحق البحري الامريكي بأن «الجنرال رابين لم يغضب الى هذا الحد ابدا من قبل») فضلا عن انه اثار رد فعل فوري من حكومة اسرائيل:

إن مثل هذه الادعاءات تتسم بالخبث وسوء النية. فهذه القصص غير حقيقية ولا اساس لها على الاطلاق. فالمسألة كانت عبارة عن حادث مأساوي يؤسف له وقع في منطقة دارت فيها معارك برية وجوية ضارية في الايام الاخيرة.

ويصف فيليب غولدنغ في كتابه «اكد أو انف» الجملة الاخيرة لهذا الرد على انها «تبرهن عن موقف اسرائيل اللامبالي تجاه الحادث، وهو الموقف الذي يوحي منذ البداية ان الغلطة في المقام الاول تقع علينا». وفي الحقيقة اثار هذا الموقف اكثر من مجرد ايحاء فكما سنرى فيما بعد فإن اسرائيل وجهت اتهاما مباشرا مفاده ان جزءاً من اللوم يقع على مكفوناغل بسبب وجوده في منطقة القتال في المقام الاول ـ وهو الوجود الذي قالت عنه اسرائيل انه اظهر «عدم مبالاة» وساهم في التعرف على ليبرتي انها سفينة معادية.

بعد ايام قليلة من نشر قصة «نيوزويك»، اشارت جريدة التايمز التي تصدر في شريفبورت في مقال افتتاحي مليء بالانفعال ان حكومتنا كانت متورطة في عملية حجب المعلومات، وتضمن المقال وجهة نظر جديدة عن دوافع المهاجمين وهي ان الهجوم قد يكون قد تم لمنع السفينة (ومنع الولايات المتحدة) من اكتشاف الهجوم المنتظر على سوريا قبل الاوان:

إن الهجوم المأساوي والآثم يزداد شناعة يوما بعد يوم مع نشر التفاصيل التي جرى اخفاؤها الى الآن. ومما يزيد من الصدمة هو ان واشنطن هي التي قامت بالجانب الاكبر من عملية التستر وليس اسرائيل.

وكانت الطريقة التي بدت فيها واشنطن ـ وخصوصا وزارة الدفاع ـ وكأنها تحاول تبرئة اسرائيل من اي تهمة منذ البداية تساوي في فظاعتها فظاعة الهجوم نفسه. بل ان بعض المحاولات بهذا الخصوص قد تكون مثيرة للضحك لولا المأساة الشنيعة التي انطوى عليها الهجوم.

غير انه هناك ٣٤ من امهات وآباء بل ايضا زوجات واطفال هؤلاء البحارة الاميركيين الـ٣٤ الذين قتلوا في مأساة نتجت عن تصرف اهوج لم يبرر منطقيا ولو بكلمة واحدة من قبل اسرائيل او واشنطن. ولكن البنتاغون «سرب» لمراسلي وسائل الاعلام بعضا مما يسمى «بالتبريرات» التي تتراوح بين «كانت الشمس تسطع في عيني قائد زوارق الطوربيد» و«كان هناك خطأ في تحديد هوية السفينة» و«كان الجو هادئا لذلك لم يكن العلم مرفرفا»

(وكان قائد ليبرتي قد قال ان العلم كان مرفرفا) ووصلت الى التبرير القائل « بأنهم قد يكونوا قد اعتقدوا بأن ليبرتي كانت سفينة مصرية ».

عندما اعلن البنتاغون عن وقوع الهجوم يوم ٨ حزيران (يونيو)، ذكر بدون تحفظ ان الهجوم جاء نتيجة خطأ في تحديد هوية السفينة، وأن اسرائيل قدمت اعتذارا قبلت به الولايات المتحدة. وبمعنى آخر ان كل شيء انتهى وليس امامنا غير ان نأسف على الذين قتلوا وان نواسي عائلاتهم. وفيا عدا ذلك يجب ان ننسى كل شيء.

ولكن قد تكون هناك دلالة للتسلسل الزمني الذي جرت به الاحداث في تل ابيب وواشنطن وفي الامم المتحدة بنيويورك لدى وصول ليبرتي الى موقعها في شرقي البحر المتوسط وفي اليوم الذي هوجمت فيه وفي اليوم الذي تلاه. على سبيل المثال:

يوم ٧ حزيران (يونيو): اتخذت ليبرتي موقعها امام شاطىء شبه جزيرة سيناء. وفي نيويورك التي اسرع اليها ابا ايبان وزير خارجية اسرائيل قادما من تل ابيب لشرح وجهة نظر بلاده من على منبر الامم المتحدة وليعلن ان « اسرائيل وحدها هي التي قبلت باعلان الامم المتحدة بوقف اطلاق النار ». غير ان التطورات اللاحقة اظهرت انه حتى في الوقت الذي كان ابا ايبان يصرح بذلك، كانت اسرائيل تحشد طوابير من الدبابات، وقوات مشاة مؤللة ضخمة واسراب من الطائرات الحربية النفاثة على الحدود السورية بغرض « غزو سوريا ».

وكانت اسرائيل قد اغلقت المقر الرئيسي لمراقبي الامم المتحدة في الشرق الاوسط في مدينة القدس. وبذلك منعت اسرائيل مجلس الامن في الامم المتحدة من معرفة الحقيقة من مراقبيها في الشرق الاوسط في ما يتعلق بتطور مسألة وقف اطلاق النار أو عمليات المراقبة. ولم تكن هناك طريقة طبيعية تتيح للولايات المتحدة أو الامم المتحدة معرفة تزايد الحشود العسكرية على الحدود السورية إلا من خلال ليبرتي التي كانت على بعد ١٥ ميلا من شواطىء مصر واسرائيل و٩٠ ميلا فقط من تل ابيب.

يوم ٨ حزيران (يونيو): عطلت اسرائيل ليبرتي عن العمل.

يوم ٩ حزيران (يونيو): اجتاحت اسرائيل سوريا، وهو العمل الذي اصاب العالم بصدمة كبيرة تساوي الصدمة التي سببتها الحرب نفسها.

ونحن لا نعرف ما إذا كان هذا الجدول الزمني ذا مغزى ام لا فهذا الامر متروك لواشنطن وتل ابيب وحدهما. ولكن الشعب الامريكي ـ وخصوصا عائلات البحارة الذين قتلوا بطريقة وحشية تثير الشفقة عليهم ـ له الحق في معرفة من الذي اصدر الامر بالهجوم على ليبرتي. وقد شهد كبار افراد طاقم السفينة بأنهم يؤمنون بأن الهجوم كان مقصودا وان

المهاجمين كانوا يعلمون تماما ان السفينة امريكية[11].

اعتبر المقال الافتتاحي لجريدة التايمز الصادرة في شريفبورت نموذجا يمثل الطلبات التي اتت من كل حدب وصوب والتي تطالب بإعطاء تفسير افضل لما حدث للسفينة. والشيء الذي يميز مقال التايمز عن غيره (بالاضافة الى النبرة الغاضبة التي اتسم بها) هو انه طرح على العامة لاول مرة سببا محددا للهجوم.

وكما سنرى بعد، فإن الادلة تشير الى ان تقرير هذه الجريدة كان صحيحا: فليبرتي هوجمت بالفعل لمنعها من الكشف عن الاستعدادات لغزو سوريا والابلاغ عنها. ومن اجل الخوض في هذا الجانب من الموضوع، كان من المفترض ان يتحدث افراد طاقم ليبرتي الى الصحافة بحرية وعلى الملأ، غير ان هذه الفرصة لم تتوافر في الحقيقة إلا لعدد قليل منهم.

فقد كان يتم تذكير البحارة يوميا ـ على لسان ضباط الاقسام ومن خلال المذكرات التابعة للخطة اليومية للسفينة وعلى لسان الفريق اول بحري كيد شخصيا وذلك في اجتماعات عقدها قبل الوصول الى مالطا ـ بأنه «ليس هناك شيء» يمكن ان يقال للصحافة: «يجب احالة جميع الاسئلة الى ضابط القيادة او الضابط التنفيذي أو الفريق الاول بحري كيد. لا تردوا على اية اسئلة. واذا حدث وحوصرتم بالاسئلة يمكنكم القول بأن كل شيء كان عبارة عن حادث وان اسرائيل اعتذرت عنه، وفيما عدا ذلك ليس هناك ما يقال».

وعندما اقترب المراسلون من السفينة لاجراء المقابلات، قيل لهم انه لا يمكن الافصاح بشيء الى حين انتهاء محكمة التحقيق من عملها. وكما جاء على لسان البحرية، فانه متى يتم نشر تقرير هذه المحكمة سينتهي الحظر المفروض على افراد الطاقم وسيمكنهم بعد ذلك التحدث الى الصحافة بحرية. غير ان ذلك لم يتم ابدا.

(١١) صحيفة التايمز الصادرة في شريفبورت، ١٨ تموز (يوليو) ١٩٦٧.

الفصل العاشر

محكمة التحقيق

في حين انه كان من المفترض ان تكون السفينة ليبرتي تحت قيادة قائد الاسطول السادس إلا ان الحال لم تكن كذلك.

فتحركاتها لم تكن تحت توجيه قائد الاسطول السادس بل تحت امر هيئة رؤساء الاركان المشتركة وذلك نظرا لمهمتها الخطرة.

إفادة لمحكمة التحقيق من رئيس الاركان المساعد،
القائد العام، القوات البحرية الامريكية، اوروبا.

إن محكمة التحقيق البحرية هي هيئة رسمية لتقصي الحقائق تعقد للتحقيق في حادث ينتج عنه مقتل عدد كبير من الاشخاص أو يحتمل ان تكون له عواقب دولية او قانونية مهمة. والغرض من هذه المحكمة، كما تقول التعليمات المتبعة في البحرية، هو « صياغة القرارات التي توصلت اليها المحكمة عن الحقائق الثابتة والمعلنة بوضوح بهدف إطلاع الجهات المسؤولة في وزارة البحرية بشكل كامل ومختصر على الحادث واسبابه والجهة المسؤولة عنه ». وهذ المحكمة هي مجرد هيئة ادارية لا قضائية، كما ان تقريرها استشاري بحت.

انعقدت محكمة التحقيق للنظر في الهجوم عل السفينة الامريكية ليبرتي بناء على تعليمات من الفريق البحري ماكين في مقر قيادته في لندن. وقد ارسل ماكين خطابا الى الفريق الاول البحري كيد بتاريخ ١٠ حزيران (يونيو) كلفه فيه « بالتحقيق في جميع الوقائع والظروف ذات الصلة الوثيقة التي ادت الى وقوع الهجوم المسلح وتلك المرتبطة به والتحقيق في الاضرار التي نتجت عنه وعدد القتلى والجرحى بين طاقم السفينة ».

تكونت المحكمة من الفريق كيد كرئيس لها ومن الكابتن برنارد ج. لوف والكابتن برت م. اتكنسون كاعضاء لها. وقد تم تعيين الكابتن وارد م. بوستون، وهو ضابط قانوني بحري، كمستشار للمحكمة وعين المقدم البحري الن فاينغرش كمساعد للمستشار، وهو ضابط متخصص في المعارك التي تدور على سطح البحر ويبلغ من العمر اربعة وثلاثين عاما. كما عين المساعد الاول البحري جوراي، سبنسر كمسجل لوقائع المحاكمة.

تم فحص أول عضو في الطاقم في حجرة طعام الضباط على السفينة ليبرتي بعد الافطار مباشرة في يوم ١٤ حزيران (يونيو) اثناء رسو السفينة في ميناء مالطا. فقد ادلى الملازم البحري دافيد لوكاس بشهادته لمدة ثلاث ساعات تقريبا، مزودا لجنة التحقيق بذكريات حية عن الاحداث التي وقعت على مقصورة القيادة وحولها اثناء الجزء الاكبر من الهجوم، غير ان ما كان يتذكره قد بدى غير واضح ومتناقض عندما سئل عن تسلسل الاحداث. فعلى الرغم من ان الفريق الاول البحري كيد قد طرح على لوكاس الاسئلة عدة مرات، الا ان هذا الاخير عجز عن تقدير الفترة التي انصرمت بين انفجار الطوربيد والعرض بالمساعدة، كما لم يتمكن من تذكر ما اذا كانت السفينة قد تعرضت لاطلاق النار عليها في هذه الفترة ام لا. فبالنسبة للوكاس كانت الفوضى التي وقعت على مقصورة القيادة عبارة عن شيء مشوش وفي حالة فوضى ضبابية. فبالرغم من انه قد تذكر التفاصيل إلا انه عجز عن وضعها في تسلسل زمني مرتب.

بعد ذلك جاء دور مكفوناغل للمثول امام المحكمة، وقد ادلى بشهادته لست ساعات تقريبا في يوم ١٤ و١٥ حزيران، وقد ملأت شهادته سبع وثلاثين صفحة من محضر التحقيق. فقد اعطى مكفوناغل وصفا لمهمة السفينة والاوامر الصادرة لها وموقعها في المياه الدولية ووضعها الملاحي. وقد اطلع المحكمة على السرعة التي غادرت بها السفينة ميناء ابيدجان ومرورها عبر البحر المتوسط، ووصف الروتين العادي الذي تعمل بمقتضاه السفينة، وذكر نوع الاستطلاع الذي تتعرض له عادة، واشار الى حادثة حاول فيها دكتاتور دولة افريقية صغيرة الصعود على السفينة بالقوة، ثم إعطى وصفا مفصلا بعض الشيء لطلعات الاستطلاع التي سبقت الهجوم. وكما هو الحال مع لوكاس فقد اعطى مكفوناغل وصفا واضحا للوضع كما رآه من مقصورة القيادة اثناء المعركة، ولكن على عكس لوكاس فقد ادعى انه تذكر كل شيء، غير ان ما لا يمكن تعليله هو ان الكثير من المعلومات التي تذكرها كان خاطئا.

وامام المحكمة ادلى مكفوناغل بأقواله وقال:

اثناء فترة المناوبة الصباحية التي تبدأ الساعة ٨ الى ١٢ من يوم ٨ حزيران، في حوالي الساعة ١٠,٣٠، حامت طائرتان مجهولتا الهوية ثلاث مرات حول السفينة على ارتفاع حوالي ١٠٠٠٠ قدم وعلى مسافة ميلين تقريبا. ولم يكن ممكنا التعرف على اية شارات على الطائرتين ولذلك بقيت هويتها مجهولة. [كما اعطى مكفوناغل وصفا لطائرة دورية صغيرة تم رصدها في الصباح وهي تطير على طول الساحل على ارتفاع يبلغ حوالي ٥٠٠ قدم]. وفي حوالي الساعة ١٠,٥٦ ... عبرت طائرة تشبه عربة نقل امريكية صغيرة خلف السفينة على مسافة تتراوح بين ثلاثة وخمسة اميال، ثم دارت حولها ... وعادت ادراجها في اتجاه شبه جزيرة سيناء. وقد عاودت هذه الطائرة ظهورها بنفس الاسلوب كل نصف ساعة تقريبا،

ولكن لم يكن ممكنا رؤية اية علامات على الطائرة وبقيت مجهولة الهوية، كما انها لم تقترب من السفينة بأي شكل استفزازي[١].

وقد تمت تلاوة اجزاء من إفادة وقعت عليها في نابولي امام المحكمة وبحضور الكابتن مكفوناغل:

كانت الطائرة التي تشبه عربة النقل قريبة لدرجة انه كان يمكنني رؤية الطيار، وقد ظهرت نجمة داوود اسفل احد الاجنحة. وفي احدى المرات كان الكابتن موجودا في مقصورة القيادة عندما مرت الطائرة فوق السفينة مباشرة على ارتفاع منخفض جدا، وقد وقفنا معا ننظر اليها وهي تقترب. وقد قال الكابتن حينذاك: «إذا رأيت ابواب خزانات القنابل في الطائرة تنفتح اعط أوامرك بالانحراف الى اليمين بحدة»[٢].

فسألته المحكمة: «كابتن مكفوناغل، هل يمكنك إيجاد تفسير لهذا الاختلاف بين شهادتك في المحكمة وإفادة الملازم اول اينيس؟»

«لا يا سيدي، لا يمكنني ايجاد تفسير لذلك، إلا انني اود الاشارة الى ان الافادة لا تتفق مع شهادتي امام هذه المحكمة، كما انه ليس هناك ما يؤكدها في سجلات السفينة».

لم يحدث أي اعتراض على هذا الرد المبهم. كما لم تطلب شهادة المراقبين والمدفعيين وطاقم مقصورة القيادة الذين كان بامكانهم وصف مهمات الاستطلاع التي سبقت الهجوم، ولم يتم اخطاري بأن هناك اعتراض عل إفادتي كما لم يطلب مني تفسير الاختلافات بينها وبين شهادة مكفوناغل[٣].



وقد وصف مكفوناغل بداية الهجوم كما يلي:

حوالي الساعة ١٤,٠٠ ابلغ المراقبون عن وجود طائرات نفاثة بالقرب من السفينة... ذهبت الى الجانب الايمن من المقصورة وهناك راقبت إحدى الطائرات... كانت مشابهة للطائرتين اللتين تم رصدهما من قبل في نفس اليوم وكان قد قدم تقرير بذلك. وكانت

(١) جميع شهادات ماكفوناغل (وهي مختصرة هنا) مستمدة من الملفات الرسمية التي تقع في ثمان وعشرين صفحة التي سمح بنشرها رسميا تحت اسم «النسخة طبق الاصل للشهادات وملخص محاضر محكمة التحقيق البحرية التي تنظر في الهجوم على السفينة الاميركية ليبرتي».

(٢) هذه الافادة اعيد تركيبها من الذاكرة، ولا يمكن العثور عليها في اي من سجلات المحكمة التي نشرت.

(٣) علمت بهذا الحوار من احد ضباط السفينة، ولا يمكن العثور عليه في اي من سجلات محكمة التحقيق المتوفرة.

زاوية اتجاه الطائرة حوالي ١٣٥ وزاوية الموقع ٤٥ او ٥٠ درجة. اما ارتفاعها فكان ٧٠٠٠ قدم تقريبا وكانت على مسافة تتراوح بين خمسة وستة اميال من السفينة.

لم يكن باستطاعة الطائرة ان تكون في الموقع الذي قال عنه مكفوناغل لان المثلث الذي وصفه مستحيل، فتقرير مكفوناغل خاطيء بنسبة ٣٠٠٪ لانه اذا كانت الطائرة على ٤٥ درجة فوق الافق كما يقول فان ارتفاعها وبعدها فوق المياه عن السفينة سيكونان متماثلين. بالاضافة الى ذلك هناك العديد من الاخطاء المماثلة في شهادة مكفوناغل التي لا يمكن اثباتها ولكنها في ضخامة الخطأ المذكور اعلاه.

سيتذكر القاريء هنا ان اول تقرير عن اقتراب الطائرات جاء من عاملي الرادار الذين اكتشفوا ظهور طائرات عالية الاداء على بعد ستة عشر ميلا وبزاوية اتجاه تبلغ ٨٢ درجة. ومع اختفاء الطائرات من شاشات رادارات المسح السطحي حلت محلها زوارق، ومرة اخرى ابلغ عاملو الرادار عنها وكانت هي الاخرى على بعد ستة عشر ميلا وبزاوية اتجاه ٨٢. كما اكتشف لويد بينتر بصفته ضابط السطح ظهور هذه الزوارق على الرادار واستدعى الكابتن ليرى ذلك وقال: «كابتن، يجب عليك ان ترى ذلك! فأنا لم أر اي شيء يتحرك بهذه السرعة من قبل».

ثم جاء التقرير من عاملي الرادار بأن الزوارق كانت تقترب بسرعة خمس وثلاثين عقدة. وبهذه السرعة فإنه يمكنها ان تكون بجانب السفينة في غضون ثلاثين دقيقة تقوم خلالها الطائرات بإفقاد السفينة القدرة على الحركة قبل ان تصل زوارق الطوربيد للقضاء عليها تماما.

يجدر الذكر هنا ان الزوارق والطائرات كانت تقترب من نفس الاتجاه على فترات مثالية للقيام بضربات متعاقبة مميتة، وهنا يبرز الشك في ان العملية كانت عبارة عن هجوم مخطط ومنسق ـ وهو ما كان عليه بالفعل، غير ان محكمة التحقيق لم تنشر اية شهادة من هذا النوع.

واستمر مكفوناغل في شهادته وقال:

وفي خلال دقيقتين سمعنا صوت انفجار مدو من الناحية اليسرى من السفينة وقد اصدرت اوامري باطلاق صفارات الانذار فورا وهو ما تم فعلا... وكان هناك برميلا بنزين سعة كل منهما ٥٥ غالونا يحترقان بشدة. وبعد ذلك بلحظات اصيبت السفينة بقنبلة بالقرب من قارب النجاة الموجود على الجهة اليمنى، خلف مقصورة القيادة مباشرة. وقد دفع الانفجار بالسيد آرمسترونغ والسيد اوكونور وآخرين الى الخلف داخل مقصورة القيادة، كما قذف بعدد آخر من طاقم القيادة.

وكما وصفت في السابق فإنه في الهجوم الاول الذي اصبت خلاله كنت اقف على اعلى سطح في السفينة كالمغفل اواجه الطائرات المقتربة، والتي امطرت ليبرتي بحوالي ثلاثين صاروخا بصورة متقطعة مما ادى الى اصابة السفينة بسلسلة من الانفجارات السريعة ادت الى رفع عاملي المدافع من القصعات خلف المدافع وقذفهم الى الجو والتسبب بالصدفة بانفجار في قارب النجاة المزود بمحرك. ولم ينفجر البنزين إلا عند قدوم الطائرة الثانية، وهنا كان اوكونور مصابا بالفعل ومغطى بالدم وعاجزا لدرجة ان بعض افراد الطاقم اعتقدوا انه اصبح في عداد الاموات.

واستمر الكابتن في اقواله:

لقد بدا لي ان الهجمات كانت على شكل خطوط متقاطعة فوق السفينة مع وجود فترة تتراوح بين ٤٥ ثانية ودقيقة بين كل هجوم وآخر... وقدرت الفترة التي استكمل فيها الهجوم الجوي باكمله بخمس الى ست دقائق تقريبا.

وافراد الطاقم الذين كانوا يتنقلون من مكان لآخر في السفينة اثناء الهجوم الجوي يعلمون انه ما من شخص كان يمكنه ان يقوم بالشيء الكثير وان يتواجد في عدة اماكن في فترة خمس أو ست دقائق. فمثلا قام الدكتور كيبفر والمجند توماس فان كليف المتخصص في الاسعاف الاولي بعدة جراحات اثناء الهجوم الجوي. وعندما طلب من كيبفر تقدير فترة الهجوم بالمقارنة مع الزمن الذي استغرقه عمله فأفاد في البداية انه استمر لمدة ساعة.

في اللحظات النهائية من الهجوم الجوي لوحظ اقتراب ثلاث زوارق عالية السرعة من السفينة من ناحية الشمال الشرقي بزاوية اتجاه نسبي تبلغ ١٣٥ درجة تقريبا على مسافة ١٥ ميلا... ومن المعتقد ان اول رصد لزوارق الطوربيد كان الساعة ١٤,٢٠ وقد بدت في تشكيل يشبه الاسفين يقوده الزورق الموجود في الوسط، وقد قدرت سرعة الزوارق بحوالي ٢٧ الى ٣٠ عقدة.

غير انه لم يذكر في اي مكان من الاقوال التي نشرت ان الزوارق رصدت اولا بواسطة الرادار وهي تقترب بسرعة كبيرة في تشكيل هجومي «قبل» الضربة الجوية الاولى بلحظات.

لقد بدا الامر وكأنها تقترب من السفينة استعدادا للهجوم بالطوربيدات، وحيث انه لم يكن لدي اتصال مباشر بوحدة التحكم بالمدافع او مواقعها، فقد امرت البحار تحت التمرين ديل لاركينز بالذهاب الى موقع المدفع ٥١ واطلاق النار على الزوارق...

وفي اثناء ذلك الوقت تقريبا لاحظت ان علمنا قد ازيل باطلاق النار عليه اثناء الهجوم الجوي فأمرت عامل الاشارة راسل دافيد برفع علم ثان على العارضة الكبرى. وخلال

الهجوم الجوي كان علمنا العادي يرفرف، وقبل الهجوم الطوربيدي تم رفع علم ذي حجم كبير...

وعندما اصبحت الزوارق على بعد ٢٠٠٠ ياردة تقريبا كان زورق القيادة في المنتصف يرسل اشارات لنا... ويبدو انها كانت ترفع العلم الاسرائيلي.

كان مكفوناغل مخطئا بالتأكيد في ما يتعلق بمشاهدة العلم الاسرائيلي في تلك اللحظة من الهجوم لسبب واحد وهو استحالة التعرف على نجمة داوود صغيرة ترفرف بقوة على بعد ميل، وخصوصا ان اية اعلام ترفعها زوارق الطوربيد كانت سترفرف الى الخلف، اي بعيدا عن مكفوناغل وخارج خط رؤيته.

صرخت الى عامل المدفع ٥١ كي يوقف اطلاق النار ولكنه وجه طلقات سريعة باتجاه الزوارق قبل ان يتمكن من فهم اوامري... ثم بدأ المدفع ٥٣ في اطلاق النار على زورق القيادة في الوسط... وفي هذه اللحظة فتحت الزوارق نيران مدافعها وفي خلال ثوان لوحظ مرور طوربيد نحو مؤخرة السفينة على بعد ٢٥ ياردة... وبدون انذار مسبق اصيبت السفينة بطوربيد وجنحت الى جهة اليمين بمقدار ٩ درجات... وقد شل الانفجار حركة السفينة تماما وتعطلت جميع اجهزة التوجيه فضلا عن انقطاع الكهرباء. وقد قررت فورا ان السفينة ليست مهددة بالغرق ولذلك لم اعط اوامري باتخاذ احتياطات لترك السفينة، فقد كانت نيتي ان اجنح بالسفينة في المياه الضحلة الى اليسار من المسار التي كانت فيه لمنع غرقها إن تطلب الامر.

يتذكر طاقم ليبرتي بوضوح ان الامر قد صدر فعلا بالاستعداد لترك السفينة، وقد نقل هذا الامر بواسطة الساعي وبواسطة الهاتف الصوتي وفي الاماكن التي كان نظام الاعلان العام ما زال يعمل في السفينة. وفي قسم التحكم بالمحرك الرئيسي تلقى الملازم اول غولدن امرا من مقصورة القيادة «باعطاب المحركات الرئيسية وإغراق السفينة». وفي مكان اخر جاءت الاوامر من مقصورة القيادة «بتدمير السفينة» وفي سجل السفينة كتب ما يلي «الساعة ١٤٣٣ ـ امر بتدمير السفينة».

ويستكمل مكفوناغل شهادته:

بعد اصابة السفينة بالطوربيد مباشرة توقفت الزوارق تماما ودارت حول مؤخرة السفينة على مسافة ٥٠٠ الى ٨٠٠ ياردة تقريبا. وقد ارسل احد الزوارق اشارات ضوئية بالانكليزية تقول «هل تحتاجون للمساعدة؟» ولم تكن لدينا وسيلة للاتصال بالزورق ولكننا اعطينا اشارات بواسطة العلم بما معناه اننا غير قادرين على التحكم بحركات السفينة. وقد اردنا بهذه الاشارات توضيح ان السفينة كانت تناور بصعوبة وانه يجب على الزوارق ان تبقى بعيدا.

هذه هي المرة الوحيدة التي لم يوافق فيها كيد تماما على شهادة مكفوناغل، فهو لم يؤيد ادعاء هذا الاخير بأن الزوارق عرضت المساعدة «فورا»، على الرغم من ان هذا التوقيت يتطابق الى حد كبير مع تقرير من حكومة اسرائيل تقول فيه ان المساعدة عرضت ورفضت في الساعة ١٤٢٧، وبدلا من ذلك ختم كيد تحقيقه السري للوقائع بقوله ان الزوارق عرضت المساعدة «بعد الهجوم بثلاثين دقيقة» (٤). غير ان حتى هذا الاستنتاج كان خاطئا. فكما رأينا قبل ذلك، لم نتلق العرض بالمساعدة سواء عن طريق الاشارات الضوئية او عن طريق مكبرات الصوت إلا الساعة ١٦٣٢، اي حوالي ساعتين بعد انفجار الطوربيد. وخلال هذه الفترة اطلقت النار من الرشاشات على بحارتنا اثناء محاولاتهم اخماد النيران التي كانت ما تزال تستعر، كما اطلقت النيران على اطواف النجاة التي كانت قد انزلت للماء تنفيذا للامر الذي صدر بالاستعداد لترك السفينة، وظلت الزوارق تحوم حول السفينة وقد اطفئت محركاتها منتظرة غرق ليبرتي.

إن الكابتن مكفوناغل بطل حقيقي ذو شجاعة نادرة. فقد ادلى بشهادته تحت إجهاد هائل، وكان مريضا ومنهك القوى وغارقا في الحزن، وبدا عليه القلق من ان يتهم بارتكاب جرم غير معروف بعد. ونحن لا نعرف الان، وقد لا نعرف ابدا، لماذا كانت شهادته بعيدة كل البعد عن الصواب. وانا هنا لا اسخر من شهادته للتقليل من شأنه ـ فمكانته محفوظة ـ ولكن لكي ابرهن على ان الكثير مما قاله كان خطأ بشكل واضح وان اخطاءه كان يجب ان تكون واضحة لمحكمة التحقيق (وهي بالتأكيد كانت واضحة).

بعد الاستماع الى شهادة مكفوناغل استجوبت المحكمة بشكل محدود اثني عشر من ضباط وافراد طاقم ليبرتي، واخيرا استجوبت مكفوناغل باقتضاب مرة اخرى لاستلام بعض السجلات التي كانت قد طلبت منه ان يجمعها ثم رفعت الجلسات في ١٥ حزيران على ان تستأنف في لندن بعد يومين تعقد خلالها جلسات رسمية على متن السفينة. وقد قال لي الرجال الذين استجوبوا بعد ذلك انهم احسوا بالاحباط الشديد بسبب عدم اهتمام المحكمة فيما يبدو بتفاصيل الهجوم ومدته وشدته ومدى الاستطلاع الذي جرى قبل الهجوم وما الى ذلك. وعندما اتضحت سطحية الاسئلة التي تطرحها المحكمة، لم يأخذ معظم الضباط

(٤) إن إدعاء اسرائيل بأنها عرضت المساعدة الساعة ١٤,٢٧ يتطابق تماما مع أول تقرير لماكفوناغل الذي قال فيه ان الهجوم بالطوربيدات قد وقع في هذا الوقت. بالطبع فإن انفجار الطوربيد وقع بعد ذلك بثماني دقائق، وقد غير ماكفوناغل في تقريره في النهاية وقال ان اسرائيل عرضت المساعدة في الساعة ١٤,٣٥ وذلك بعد التصحيح الذي ادخله على التقرير نتيجة وجود خطأ في التوقيت سببته انفجارات الصواريخ. وقد يشك الواحد منا ان اسرائيل قد اختارت الساعة ١٤,٢٧ بعد قراءة تقرير ماكفونغل الاول الذي تم بثه على الملأ عن طريق دارة راديو غير محمية.

التحقيق مأخذ الجد على اعتبار انه مجرد عملية تستر.

وهناك ضابط كانت شهادته تشرد بشكل متكرر للاجابة على اسئلة لم تطرح مباشرة من قبل المحكمة، فتم ابعاده عن قاعة المحكمة وتوبيخه على انفراد. فقد تلقى الامر بالرد على اسئلة المحكمة فقط وعدم التحدث عن اي شيء اخر إلا عندما يطلب منه ذلك، فإذا كانت المحكمة ترغب في الاستماع الى شهادة تتعلق بأمور اخرى غير التي تسأل عنها، فهي عندئذ ستوجه اليه اسئلة بهذا الخصوص. كما تم تحذير ضابط ثان حاد هو الاخر عن مسار الاسئلة الضيق التي تطرح عليه وقيل له ان المحكمة لاتريد الاستماع الى المعلومات الاضافية التي يتطوع بالادلاء بها.

ما هي نوعية الاسئلة التي طرحتها المحكمة؟ قليل منها هو الذي كان يتعارض مع شهادة مكفوناغل، ولا شيء منها كان يمكن ان يحرج اسرائيل. أما الاقوال التي كانت تتعارض مع شهادة مكفوناغل أو كانت تميل الى احراج اسرائيل فقد تمت التغطية عليها على انها « بالغة السرية »، هذا إذا حدث وقبلتها المحكمة.

على سبيل المثال، في حين ان مكفوناغل قال للمحكمة انه يصدر الامر بالاستعداد لترك السفينة قال بينتر ان هذا الامر قد صدر بالفعل. هنا تم تجاهل شهادة بينتر ولم تطرح اية اسئلة اضافية في هذا الموضوع بعد ذلك. كما انه بعد ان قال مكفوناغل ان الهجوم استمر خمس دقائق، قال بينتر وطومسون للمحكمة انه استمر لفترة تتراوح بين خمس وعشرين وثلاثين دقيقة. ومرة اخرى تم تجاهل شهادتها كما لم يتم سؤال بقية افراد الطاقم عن مدة الهجوم.

بالاضافة الى ذلك فانه عندما اخبر عمال اللاسلكي انه تم التشويش على موجات اجهزة اللاسلكي في ليبرتي تم تصنيف شهاداتهم على انها « بالغة السرية » ولم تجر متابعة الموضوع. فقد كانت هناك ادلة على ان الهجوم جرى له التخطيط من قبل وان هوية سفينتنا كانت معروفة للمهاجمين (لأنه من المستحيل عمليا التشويش على موجات اللاسلكي لسفينة غريبة)، غير انه تم التستر على هذه المعلومات كما لم تنته المحكمة الى قرار بشأنها.

تم سؤال عدة شهود عن العلم، وقد شهد سكوت بأن العلم كان يرفرف بوضوح في الهواء اثناء نوبة حراسته في الصباح الباكر وقد استخدمه لتحديد اتجاه الريح. كما شهد الملازم أول « ماك » واطسون انه رأى العلم مرفرفا اثناء عملية الاستطلاع التي وقعت في الظهر ولاحظ انه مفرود في الهواء. وقد وصف بينتر العلم الذي رآه في الصباح عندما صعد لمشاهدة إحدى طائرات الاستطلاع. كما قال غولدن للمحكمة انه رأى العلم مفرودا في الهواء اثناء الظهر اثناء مرور طائرات الاستطلاع فوق السفينة. اما انا فقد قدمت إقرارا كتابيا للمحكمة اقسمت فيه ان العلم كان مرفوعا طوال ساعات الصباح ومرفرفا في الهواء الذي

كانت سرعته ثماني عقد. وكان يتم تدوين حالة الطقس كل ساعة في سجل خاص في السفينة، مما يوفر برهانا قاطعا بان سرعة الهواء النسبية كانت ثماني عقد او اكثر طوال معظم فترة الصباح واصبحت اثنتا عشرة عقدة قبل الهجوم بوقت قصير.

واثناء انعقاد المحكمة تلقى كيد تقريرا مفاده انه تم التقاط موجات اللاسلكي لطائرات قوات الدفاع الاسرائيلية وهي تبلغ محطة ارضية انها قامت بالمرور مرتين او ثلاث مرات فوق إحدى السفن التي ترفع علما امريكيا لتحديد هويتها ـ ولا يمكن ان تكون غير ليبرتي. غير انه تم تجاهل جميع هذه الادلة او تصنيفها على انها « بالغة السرية »، وبذلك حجبت عن الجمهور.

في حين ان العديد من الشهود كانوا حريصين على الاثبات في السجلات انه تم استخدام النابالم في الهجوم على ليبرتي، فقد وجدوا انه من الصعب أو من المستحيل ان يشهدوا بذلك، وقد جمع الملازم بحري لوكاس عددا من القطع اللزجة الهلامية الخضراء من قذيفة لم تنفجر وقدمها للمحكمة في زجاجة دواء. وقد قبلت المحكمة بذلك على الرغم من انها بدت للوكاس انها غير مهتمة بالموضوع بشكل يثير الاستغراب. وقد سألت المحكمة بالفعل دكتور كيبفر عن اصابات الحروق بسبب النابالم في الذين نجوا من افراد الطاقم، غير ان هذا الحوار بالاضافة الى المناقشات القليلة الغامضة التي جاء فيها ذكر للنابالم صنفت على انها « بالغة السرية » وحجبت بذلك عن الجمهور.

اما الدكتور كيبفر الذي قلد رتبة ملازم اول بعد تخرجه من كلية الطب فقد كان له في الخدمة اقل من تسعة اشهر، ولم يكن يرهب لا الرتب العالية ولا جلسات المحكمة. وقد قال للمحكمة: « لم يأت احد لمساعدتنا »، واضاف: « كان عندنا وعد بالمساعدة ولكن لم تأت هذه المساعدة ». كما قال للفريق اول بحري كيد: « لقد وصلت السفن السوفيتية قبل سفننا » وقال في النهاية: « لقد طلبنا بمواكبة قبل ان نقترب من منطقة الحرب، ولكن رفض طلبنا ».

هنا اتخذت المحكمة موقفا متصلبا لانه لم يكن لديها نية الخوض في هذا الموضوع وهو ما قيل بالفعل للدكتور كيبفر. وقد رد عليه كيد بحدة منهيا حوارا غير موجود في النسخة الاصلية لجلسات المحكمة وقال: « يجب ان تتقيد بالاسئلة التي تطرح عليك يا دكتور ». وكما هو الحال مع الآخرين، فإنه لم يطرح على كيبفر إلا القليل من الاسئلة التي قد تتعارض مع شهادة مكغوناغل، وعندما انتهى من شهادته قيل له كما قيل لغيره ممن ادلوا بشهاداتهم: « انا فخور بارتداء نفس البزة العسكرية التي ترتديها ».

وقد سئل الضباط الآخرون عن حالة الاستعداد في السفينة وعن اداء الطاقم اثناء المعركة وعدد التمرينات العادية الذي تم على متن ليبرتي وموقف الكابتن تجاه التمرين. ولم يطرح إلا

القليل من الاسئلة التي تخرج عن ذلك.

وقد طرحت على هؤلاء الضباط اسئلة مثل: «هل تعتقد ان الكابتن ماكغونغل كان يسمح بقدر كاف من التمرينات على اجراءات التحكم بالاضرار؟» و«هل استجاب الطاقم للتمرينات بشكل ناشط؟»(٥)



بعد الهجوم بوقت قصير، قدمت اسرائيل تقريرا اوليا عن الظروف المحيطة بالحادث. وقد ارسل المقدم الاسرائيلي مايكل بلوخ التقرير تليفونيا الى السفارة ونقله القائد كاسل بالحرف، وقد جاء فيه ما يلي:

(١) شوهدت السفينة وتم التعرف عليها على انها سفينة حربية وهي على بعد ١٣ ميلا من الساحل.

(٢) إن التواجد في منطقة قتال مخالف للاعراف الدولية.

(٣) المنطقة ليست ممرا عاديا للسفن.

(٤) اعلنت مصر ان المنطقة مغلقة في وجه السفن والطائرات المحايدة.

(٥) تشبه ليبرتي سفينة الامداد المصرية «القصير».

(٦) لم تكن السفينة ترفع العلم عندما شوهدت كما انها تحركت بسرعة كبيرة غربا في اتجاه سواحل العدو.

(٧) تلقت قوات الدفاع البحرية الاسرائيلية تقارير سابقة عن قصف مدينة العريش من البحر(٦).

(٥) كان ماكفوناغل يؤمن إيمانا عميقا بالتدريب والتمرين لدرجة ان افراد الطاقم وبعض الضباط كانوا يعتقدون انه مهووس بذلك. فمثلا قبل ان نصل الى ابيدجان امضى الطاقم ساعات عدة في التمرن على اجراءات الطوارىء الواجب اتخاذها في حال فقدت السفينة التحكم في الدفة من مقصورة القيادة ـ وهو اجراء وقائي يتخذه ماكفوناغل عادة قبل دخول ميناء ضيق وصعب الرسو فيه. ثم كانت هناك تمرينات تحديد الخسائر وتدزيبات المدفعية والتمرينات الهندسية وتلك المتعلقة بقوارب النجاة وتدريبات الرجال في البحر خارج السفينة. وقد اصبح الرجال بسرعة متمكنين من كل واحد من هذه التدريبات في الوقت الذي بدأ الرجال يشكون في ان ماكفوناغل معتوه في ما يتعلق بالتدريب. وقد أصبح هذا الموضوع واضحا في ٨ حزيران. والتدريب الذي اشرف عليه ماكفوناغل كان اكثر من اي شيء آخر السبب الذي كتب النجاة للسفينة ولمعظم افراد الطاقم.

(٦) مكتب الملحق العسكري لسفارة الولايات المتحدة بتل ابيب، رسالة سرية يوم ٩ حزيران يونيو ١٩٦٧ الساعة ١٢,٥٠ بتوقيت غرينتش.

لقد كان كاسل يشعر بعدم الرضى لبطء الاسرائيليين في الرد على استفساراته، كما انه يبدو من الواضح انه لم يكن راضيا عن التفسير السطحي والمراوغ. وقد الح عل بلوخ كي يذكر له عنوان التقرير، وعندما لم يتمكن هذا الاخير من ذلك، الح على كاسل ان يعاود الاتصال به تلفونيا. وبعد فترة قصيرة اتصل بلوخ كي يمد كاسل «بمعلومات اضافية عن حادث الامس مع السفينة الاميركية» وكان هذا هو العنوان الرسمي المصرح به للتقرير.

ارسل كاسل فورا نسخا من التقرير الى البيت الابيض ووزارة الخارجية والى جهات حكومية عليا اخرى، واضاف اليه ملاحظاته الخاصة:

إن ضابط الارتباط للبحرية الامريكية (الملحق البحري) لا يستطيع ان يستوعب الفكرة التي تفيد بان ضباط بحريين محترفين ومدربين يمكن ان تنقصهم الكفاءة الى هذا الحد كي يقوموا بهجوم الامس لانه من المؤكد ان قوات الدفاع البحرية الاسرائيلية مدربة تدريبا جيدا على التعرف على السفن المصرية. فحجم السفينة «القصير» هو اقل من نصف حجم ليبرتي واقدم منها بسنوات عديدة وينقصها هذا النظام من الهوائيات المعقدة التركيب والعلامة المميزة على جسم السفينة. إن ضابط الارتباط في البحرية الامريكية يقيم هجوم الامس الخاطىء على انه نتيجة للهفة على اطلاق النار حتى تفوز البحرية بجزء من النصر العظيم الذي كانت تتقاسمه حتى الآن قوات جيش الدفاع الاسرائيلي البرية والجوية[٧].

مما لا شك فيه ان الحكومة الاسرائيلية كانت في اشد الحاجة لكبش فداء حتى تختار السفينة «القصير». فالبحرية المصرية بأكملها كانت مكونة من عدد قليل من المدمرات والفرقاطات والغواصات التي كانت قبل ذلك تابعة للبحرية السوفيتية والبريطانية وجرى تحويلها، وبعض كاسحات الالغام، وعدد من السفن، ويختين وسفينة نقل واحدة هي «القصير» التي يستبعد ان تشكل اي تهديد في اثناء الحرب. فقد تم بناؤها قبل ثمانية وثلاثين عاما وكانت عبارة عن سفينة نقل ساحلية طولها ٢٧٥ قدما ومجهزة لحمل عدد يصل الى اربعمائة رجل واربعين حصانا لمسافات قصيرة، بل قصيرة جدا على ما اعتقد. فضلا عن ذلك فهي لم تكن سفينة قتال وكانت ستواجه صعوبة كبيرة في افراغ اية حمولة بالقرب من العريش وقد بلغت حالتها من السوء درجة يفرض بيعها كخردة في اقرب مدة. من المؤكد انها لم تكن السفينة المشكوك فيها بأنها قامت بالقصف الوهمي للعريش من البحر، ولا يمكن لاحد ان يدعي انه اخطأ واعتقد ان ليبرتي هي مدمرة أو غواصة أو اليخت الملكي

(٧) نفس المرجع.

السابق، لذلك لم يكن بد من الخلط بينها وبين « القصير » التي كانت تشكل كبش الفداء الوحيد المتوافر[٨].

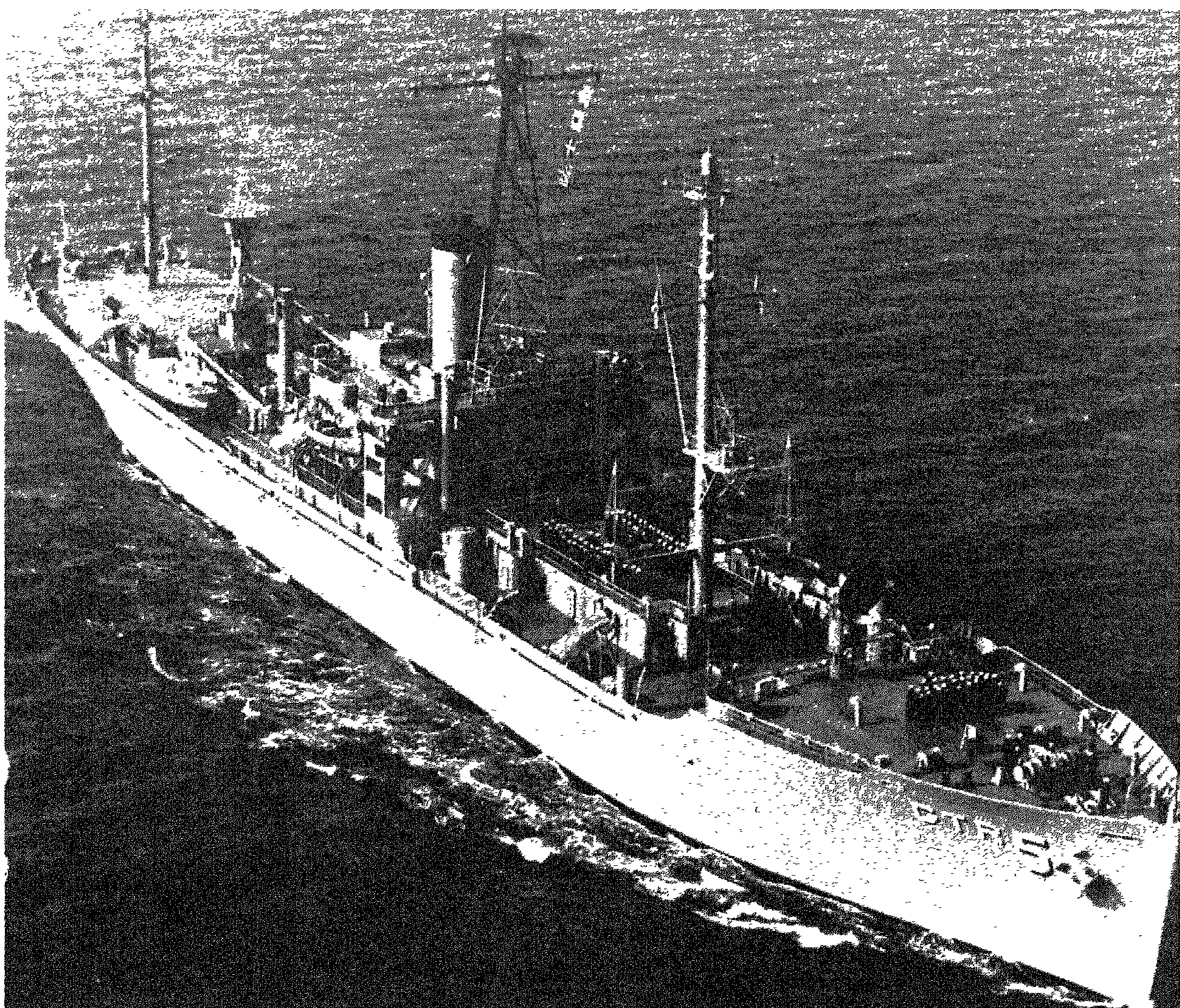
لقد وصل تقرير كاسل الى كيد حتى قبل انعقاد المحكمة، واصبح جزءاً من المستند القضائي رقم ١٠ الذي يدخل ضمن سجل المحكمة البالغ السرية وتم التحفظ عليه مع عدد من الرسائل التي كان كيد قد نسخها من ملفات المقر الرئيسي للقيادة البحرية في لندن.

في الرسائل التي تلت ذكرت حكومتنا حكومة اسرائيل ان هذه الاخيرة تمكنت من التعرف على ليبرتي تماما قبل الهجوم بست ساعات على الاقل، وقد وافقت حكومة اسرائيل على ذلك. غير ان اسرائيل ادعت ان المعلومات لم تصل الى القوات التي تقوم بمهمات عسكرية، وان الضباط في غرفة العمليات الحربية الذين كانوا على علم بهوية ليبرتي وموقعها عجزوا عن الربط بينها وبين السفينة التي هاجموها. وعلى هذا الاساس فإن البيان الاسرائيلي الذي ذكر ان « السفينة شوهدت وتم التعرف عليها على انها تابعة لقوات بحرية » معناه ان اسرائيل تعرفت عليها كإحدى السفن التابعة للقوات البحرية الامريكية. وبالرغم من ان كيد كان على علم بهذه الحقيقة الخطيرة وكانت بحوزته نسخ من العديد من الرسائل التي تمت الى الموضوع إلا انه تم تجاهل هذه المعلومات التي لم تسوغ التعليق من ضمن نتائج آخر ما توصل اليه في بحثه.

في ١٥ حزيران (يونيو) تلقى كيد تقريرا من السفارة الامريكية عن مقابلة مع ضابط بحري اسرائيلي كان على متن احد زوارق الطوربيد المهاجمة، وقد ادعى ان الزوارق افترضت ان ليبرتي هي سفينة معادية ومن ثم انضمت الى الهجوم عليها بسبب مهاجمة الطائرات الحربية الاسرائيلية لها. ومما يثير الاهتمام هنا هو ان روايته تتعارض مع اعتذار اسرائيل « الرسمي » الذي جاء بعد ذلك بأيام قليلة. وفي ذلك الاعتذار ادعت اسرائيل ان الطائرات الحربية قامت بالهجوم نزولا عند طلب زوارق الطوربيد. غير انه لا كيد ولا اي شخص آخر في الحكومة علق جهرا ولو مرة واحدة على هذه الروايات او على مصداقيتها.

(٨) مما لا شك فيه ان ضباط المخابرات الاسرائيليين كانوا على علم بأن « القصير » لم تتواجد في اي مكان بالقرب من العريش. ففي اوائل عام ١٩٧٦ كتب جون سكوت (ضابط تحديد الخسائر في ليبرتي) الى سفارة جمهورية مصر العربية نيابة عني مستفسرا عن مكان « القصير » يوم ٨ حزيران (يونيو) ١٩٦٧، وقد جاء الرد بعد عدة شهور من اللواء محمد عبد الحليم ابو غزالة في خطاب اتبعه بتأكيد بواسطة الهاتف ان « القصير » كانت راسية في ميناء الاسكندرية طوال حرب الايام الستة. وتقع الاسكندرية على بعد حوالي ٢٥٠ ميلا من العريش، وتقطع السفينة القديمة « القصير » هذه المسافة في اربع وعشرين ساعة تقريبا. فإنه في بيئة معادية لهذه الدرجة والتي ادت الى إبقاء زوارق الدورية المصرية ذات الصواريخ الموجهة آمنة في مراسيها، لا يمكن لاحد ان يعتقد ان « القصير » ارسلت الى مكان بالقرب من الساحل الاسرائيلي.

الباخرة الاميركية ليبرتي المجهّزة برادار متخصّص.

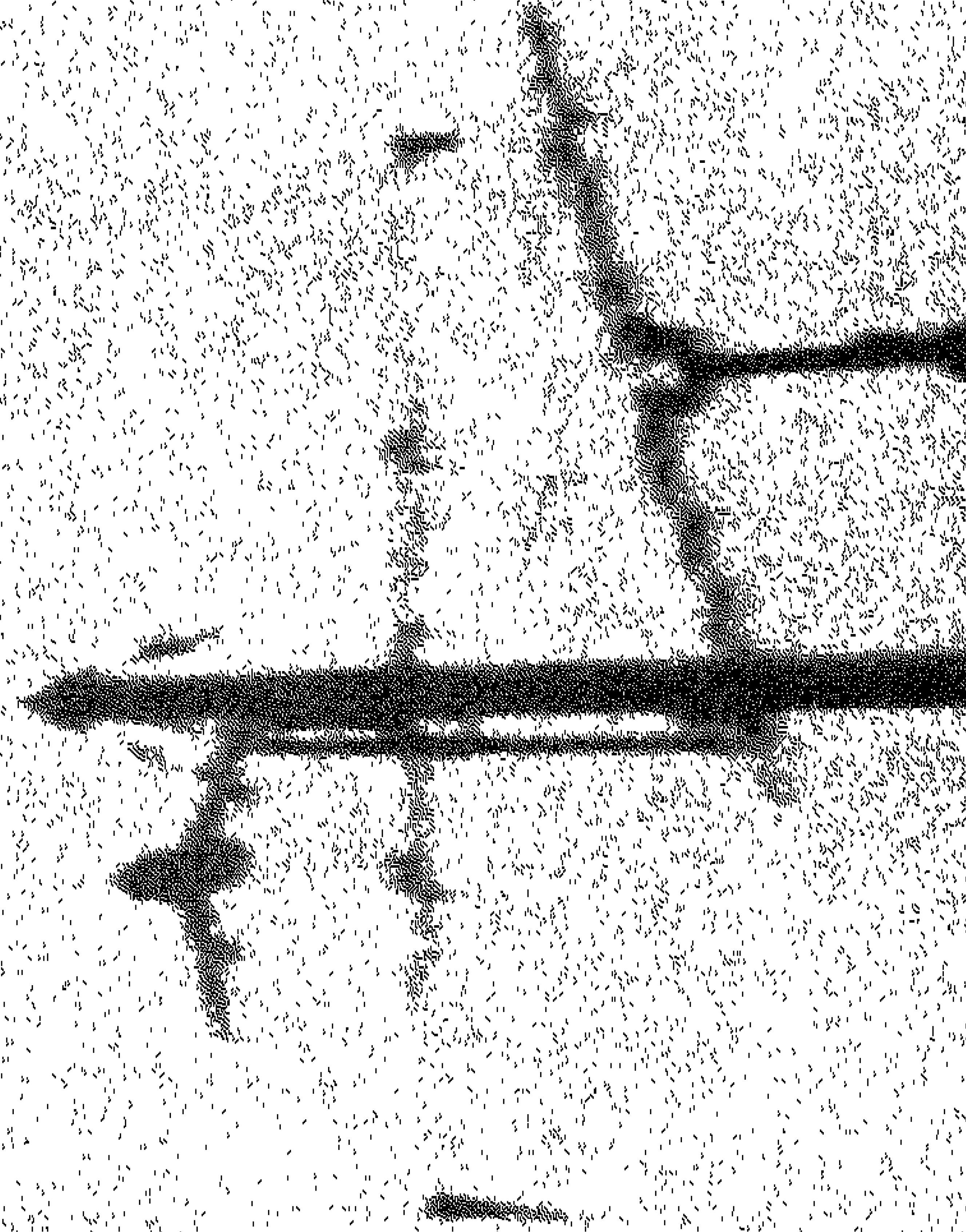


لقد تمّ الهجوم عليها بواسطة طائرات الميراج الفرنسية الصنع المتمتعة بقدرات عالية ومزودة بمدافع وصواريخ . وقد الحقت بطائرات الـ « ميستار » التي اطلقت صواريخ وقنابل النبالم (والتي تظهر في هذه الصورة التي التمطها مكونغل McGonagle) .

ملحق : قتل رجلان في مقدمة مربض المدفع وهما يدافعان عن السفينة .

US NAVY PHO

LLOYD C. PAINTER



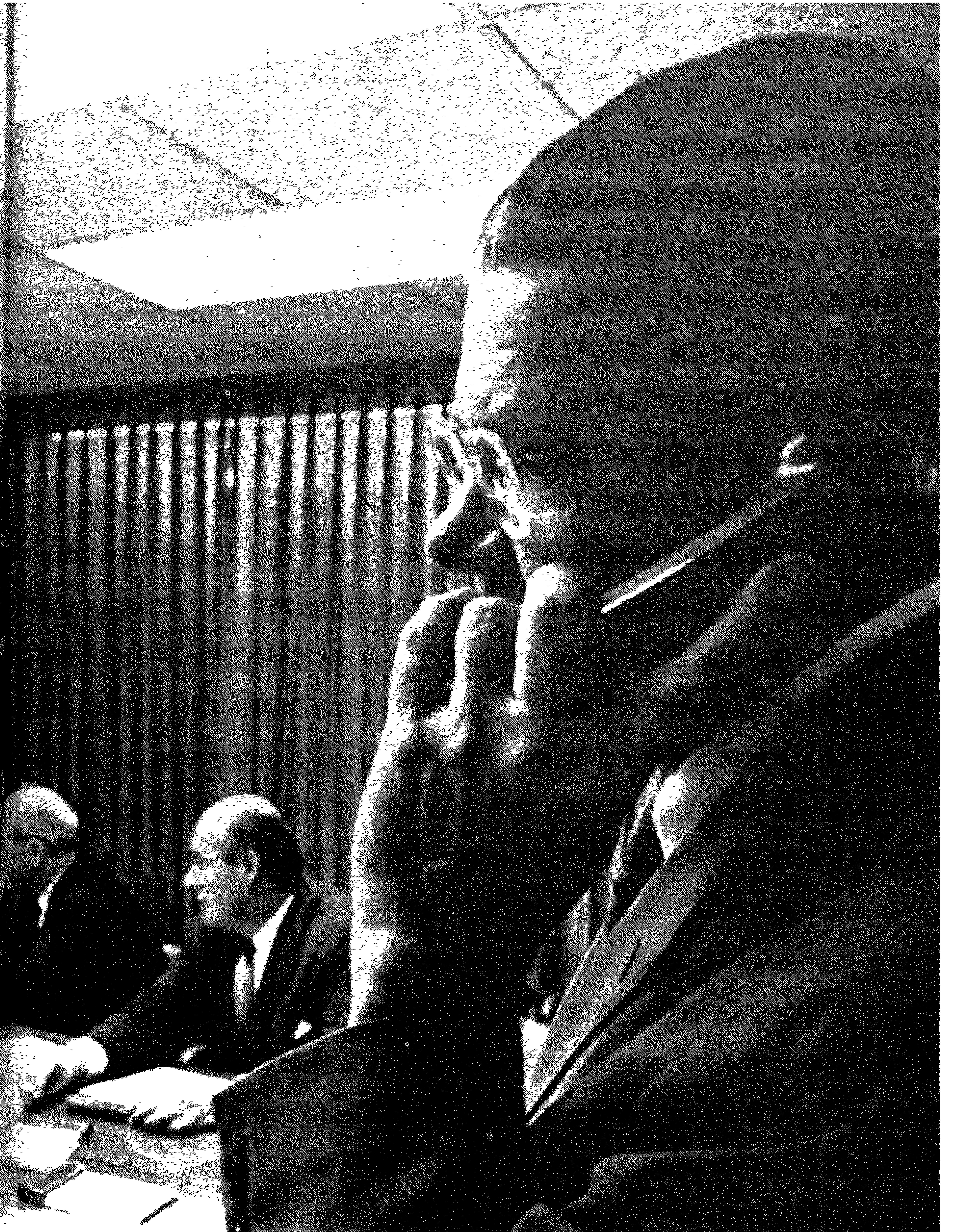
صالة مطعم السفينة كانت تستعمل كمستشفى للطوارىء .



على الطاولات وضعت بعض الأغطية . وقد تمكن طبيب السفينة مع ثلاثة من مساعديه ، وفي ليلة واحدة ، من انقاذ العشرات من المصابين باصابات خطرة .

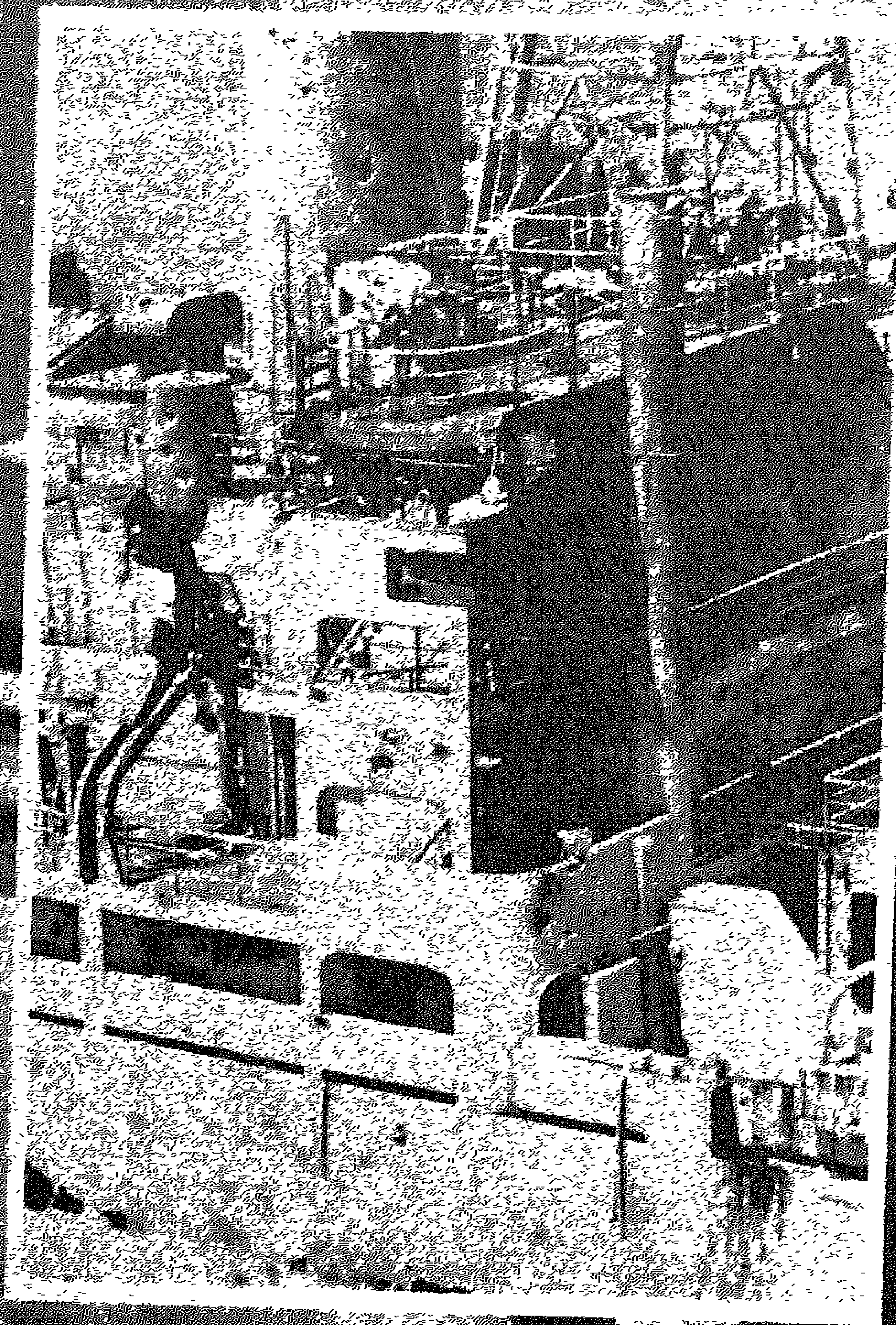


الملازم الثاني ريتشارد تايلور الأقرب في الصورة والملازم جيمس أوكونور الذي أرسل الى المانيا لاجراء عملية مستعجلة في كليته ونزع بعض الشظايا الحادة منها .



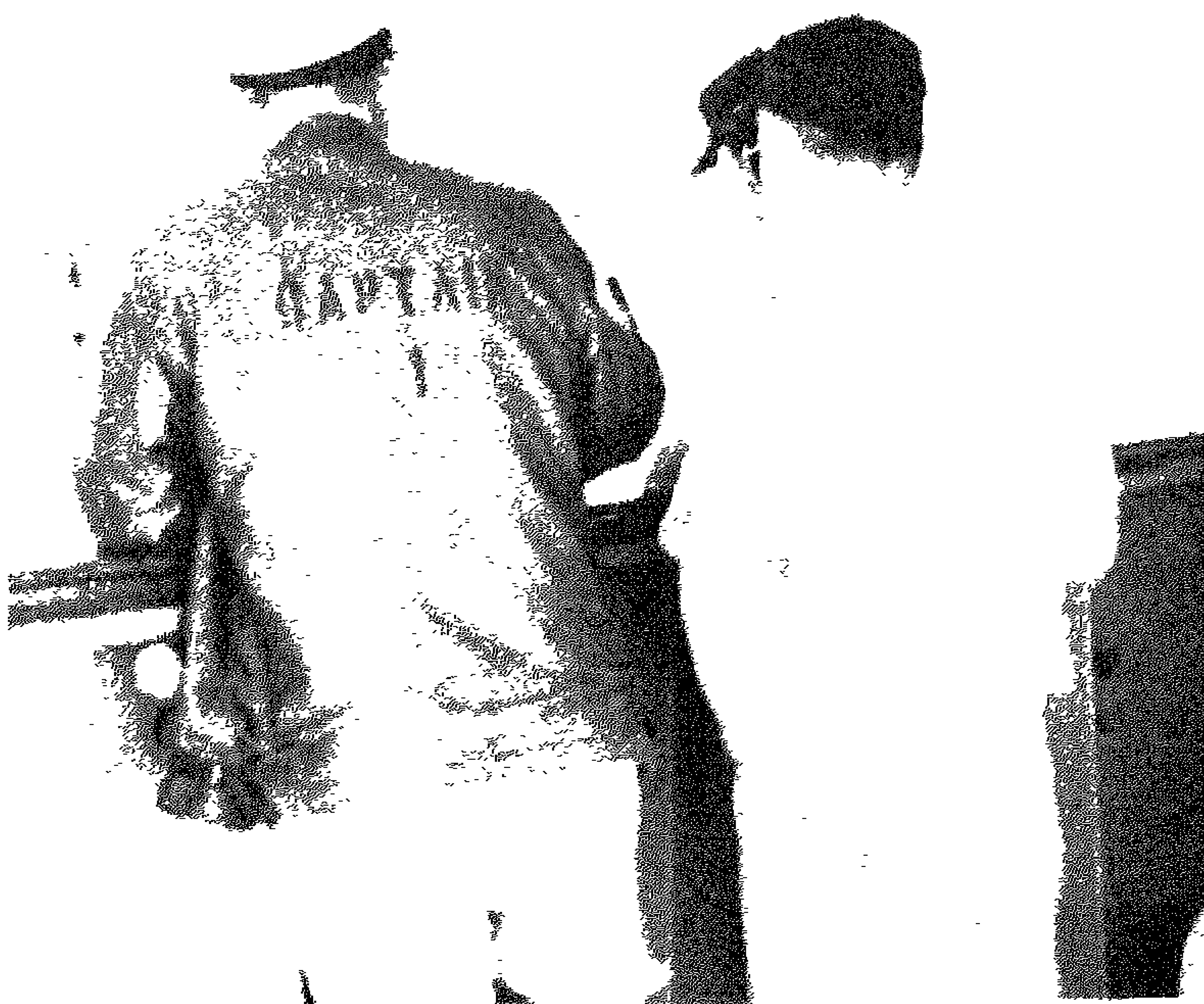
دعا الرئيس «جونسون» مستشاريه الى اجتماع طارىء بينما كانت السفينة تتعرض للهجوم، ولكن معارضة البيت الأبيض حال دون تقديم النجدة الفورية لها.

ملحق: كانت السفينة أشبه بكتلة ناريّة مشتعلة من جرّاء قصفها المباشر بقنابل «النابالم».

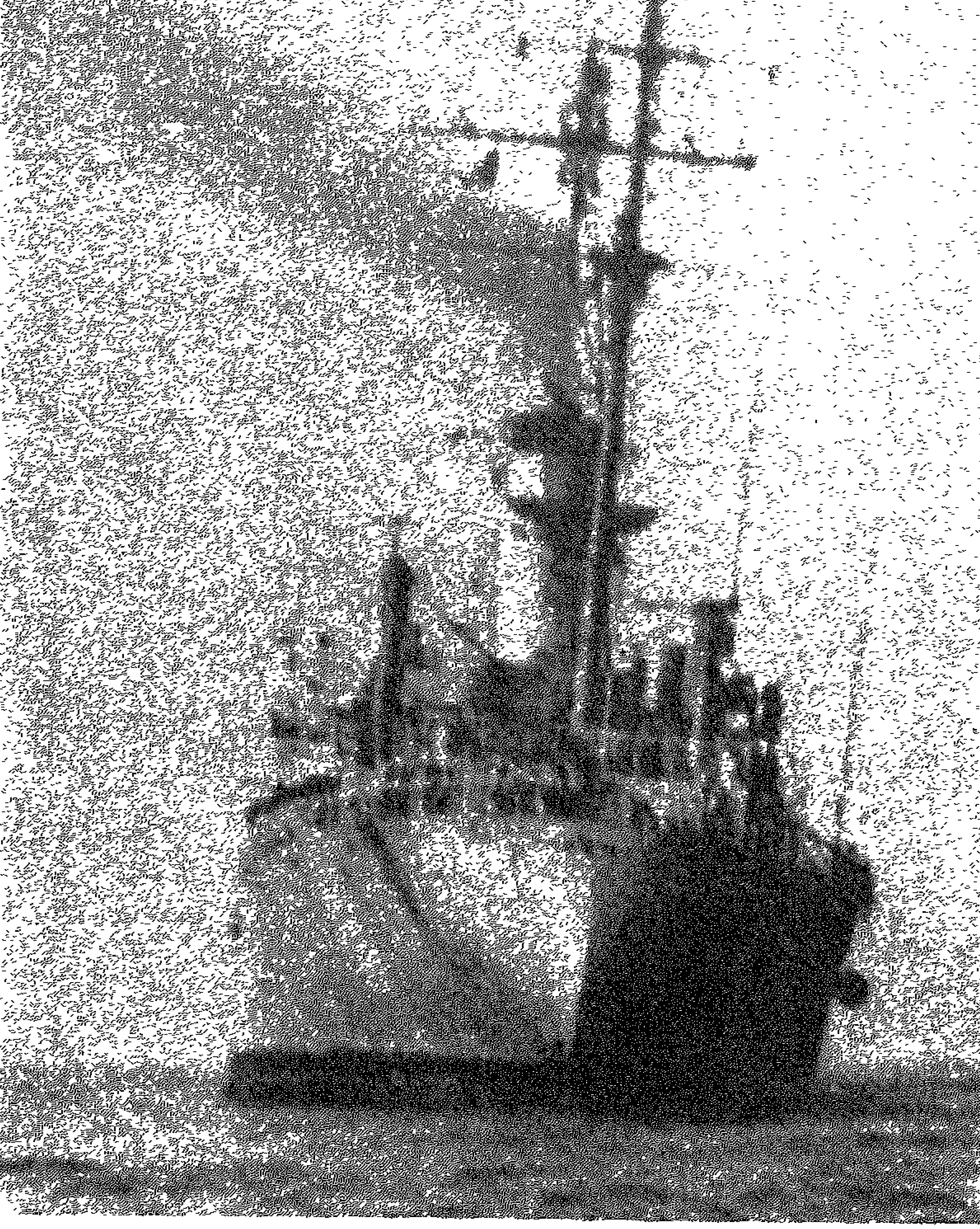


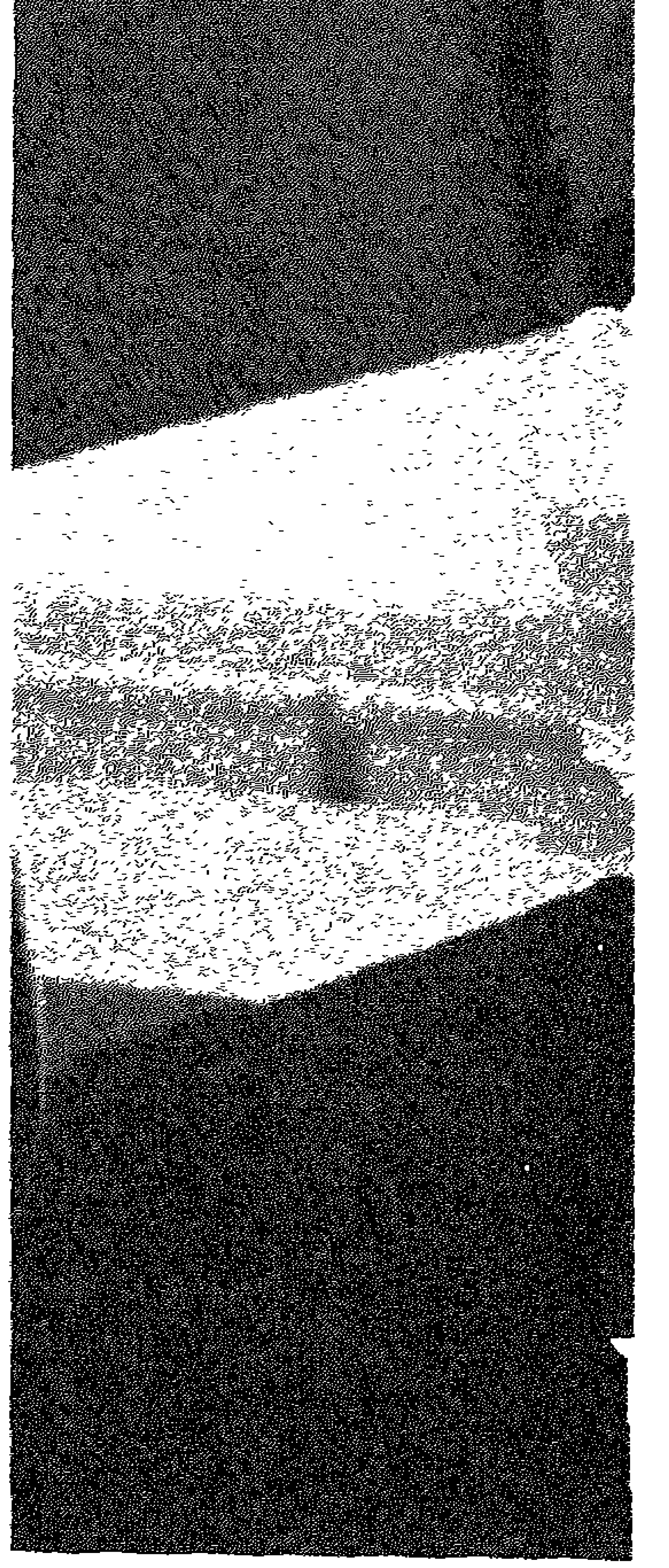


ولم يَكْتَفِ بالهجوم الجوّي بالمدافع والصواريخ والنابالم، بل ارسلت طوربيدات السفن الحربية لتقضي على ما تبقّى من السفينة.



وصلت مدمرة بحرية مع مساعدات طبيّة بعد سبع عشرة ساعة من الهجوم.
نزع القسم الاسفل لسروال الكابتن مكونغل McGonagle لمعالجة رجله المصابة.





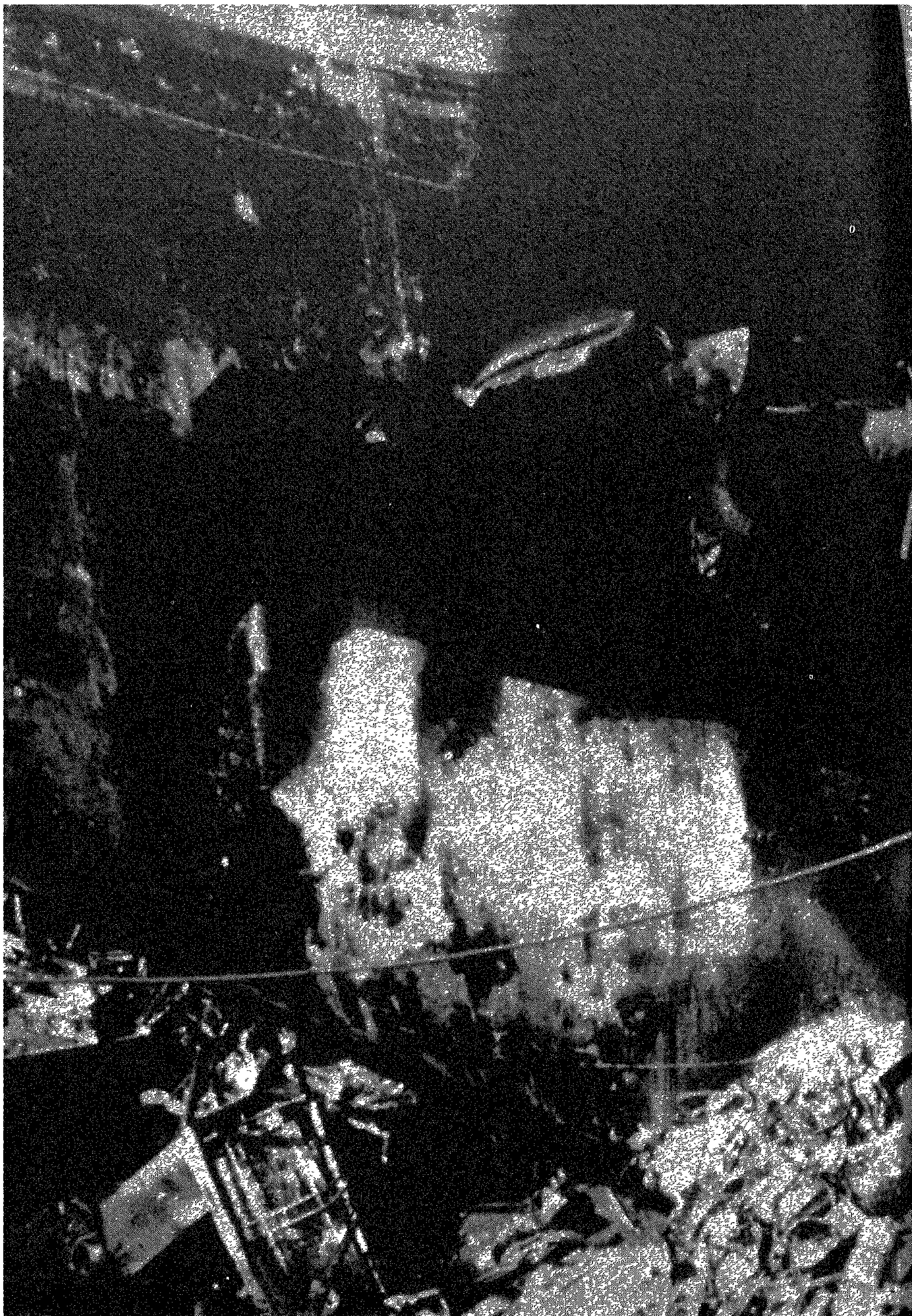
اصيبت السفينة بطوربيد في طرفها الايمن، فتح فيها فجوة عمقها اربعون قدماً مما جعلها تنحني تسع درجات. حصيلة هذا الاعتداء، خمسة وعشرون قتيلاً.

لم يكتشف النقاب عن الاضرار من جرّاء الطوربيد، إلاّ بعد ان رست السفينة وجففت في مرفأ في مالطا.

ملحق: انضم الاميرال Kidd (بالسهم) الى السفينة وهي في عرض البحر ليجري التحقق بالحادث.



US NAVY PHOTO





دعّم الحائط الجانبي للمقصورة المغمورة بالماء بدعائم فولاذيّة وخشبيّة بعدما كان قد هدد بالانهيار .

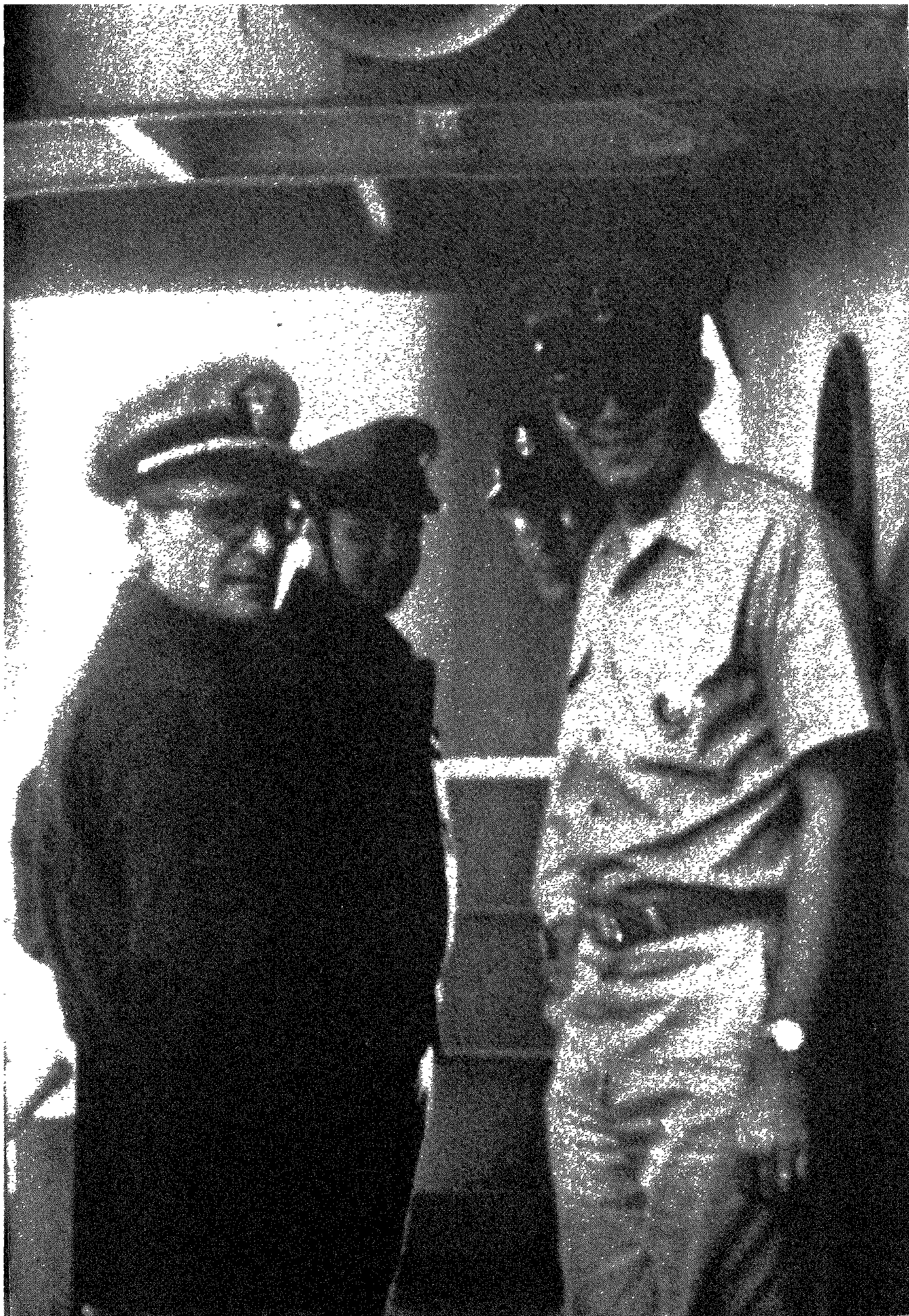
اشرف الملازم الثاني جون سكوت John Scott على الفرق المكلفة بالسيطرة على الاضرار في السفينة .

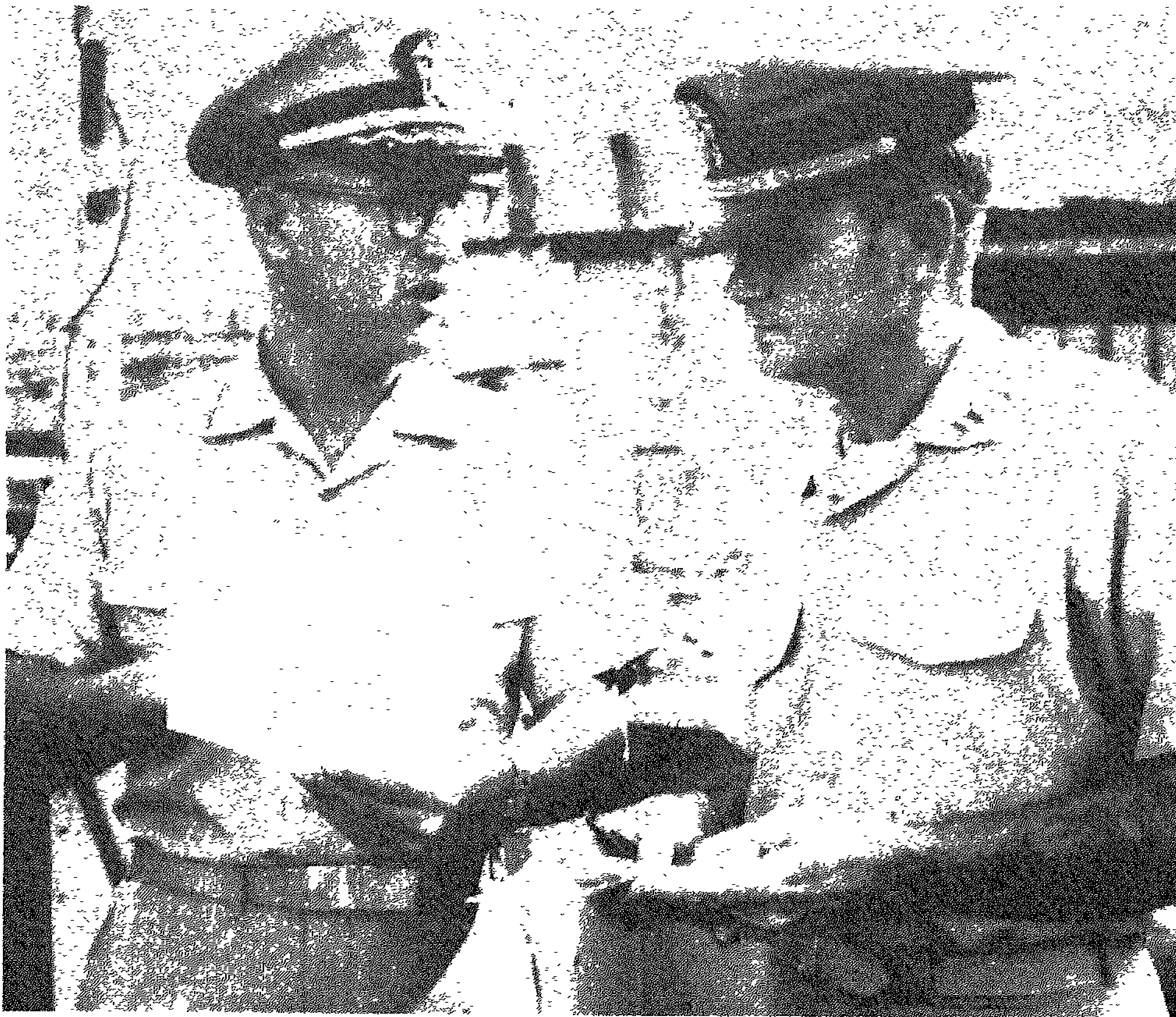
ساعد الملازم باينتر Painter كثيراً بتهدئة افراد طاقم السفينة الذين فقدوا اعصابهم من جرّاء قصفها بالطوربيد .



ظلّ طاقم السفينة يقوم بعمل دؤوب عدة ايام ليتمكنوا من سحب الجثث المتبقية في المقصورة وتنظيفها بعد قصفها بالطوربيد .





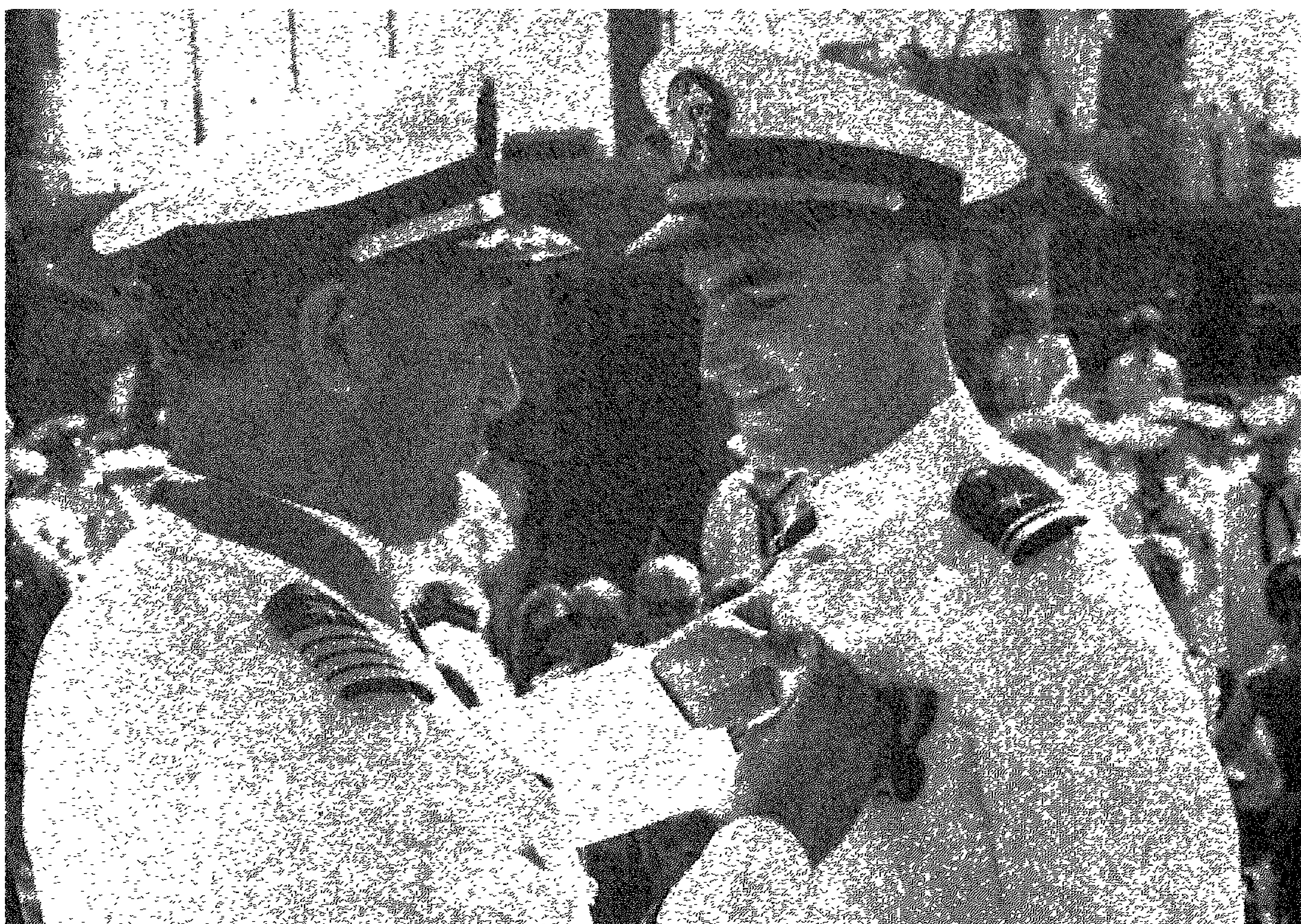




الملازم جورج غولدن George Golden الضابط المهندس (الى اليمين، ويظهر بجانب القبطان مكونغل McGonagle) كان قد أخلى غرفة المحرك من طاقمها بعد ان انذر بأن طوربيداً يقترب وقاد السفينة بمفرده تقريباً.

من الشمال الى اليمين: الآمر في البحرية فيليب أرمسترونغ Philip Armstrong ، الضابط هارولد تومبسون Harold Thompson ، الضابط جوزف بنكرت Joseph Benkert ، الظابط ملفن سميث Melvin Smith .

بعد بضعة ايام من التقاط هذه الصورة سميث Smith وأرمسترونغ Armstrong قتلا في الاعتداء وقد نوّه بالضباط الاربع لشجاعتهم واعمالهم الخارقة ساعة الهجوم.



بالرغم من الاصابة الخطرة في رأسه، فقد بقي الملازم دايفد لوكاس David Lucas في سدة ربان السفينة في اشدّ اوقات المعركة. هنا يقلّد القبطان مكونغل McGonagle الملازم لوكاس Lucas بمدالية فضيّة منجّمة تقديراً لشجاعته. الرجلين رقيّا بعد هذا الهجوم.

فريق عمل من طاقم سفينة ليبرتي Liberty في استراحة لهم بعد العمل المضني الذي قاموا به من سحب جثث رفاقهم من المقصورة المقصوفة بالطوربيد.



بالاضافة الى ما سبق فقد كان كيد على علم بتهديد جاء على لسان رئيس مخابرات القوات الجوية الاسرائيلية قبل عدة شهور. فعندما اخترقت إحدى طائرات البحرية الامريكية المجال الجوي الاسرائيلي بالصدفة لمح الضابط الى انه « في المرة القادمة قد يجبر على مهاجمة الطائرة او السفينة » المتسللة. وعلى الرغم من ان الضباط الاسرائيليين اعتبروا الامر انه مجرد دعابة، فإن الامريكيين لم يعتبروه كذلك. ولكن محكمة التحقيق تحفظت على هذه الملاحظة ولم يصدر اي تعليق بشأنها.

في الوقت الذي كانت فيه المحكمة التي يرأسها كيد في حالة انعقاد شكلت اسرائيل محكمة التحقيق الخاصة بها، واسندت المهمة الى العقيد رام رون، وهو ملحق عسكري اسرائيلي سابق في واشنطن. وعندما استكمل التقرير استدعي القائد كاسل الى مكتب الاتصال الخارجي الاسرائيلي حيث قام المقدم افرات، وهو احد مساعدي رئيس اركان جيش الدفاع الاسرائيلي، بترجمة النقاط الرئيسية من العبرية وقراءتها بصوت عال. وقد دون كاسل ما تلي عليه بالحرف، وفيما يلي تلخيص لما جاء في التقرير:

★ كان هناك بلاغ خاطىء مفاده ان العريش قد تعرضت لقصف من البحر. (ولكن كما تبين بعد ذلك فإن البلاغ الخاطىء جاء قبل وصول ليبرتي الى مكان الحادث بيوم كامل).

★ إن زوارق الطوربيد التي ارسلت متأخرة للتحري عن البلاغ الخاطىء عن القصف ابلغت خطأ عن ان ليبرتي تتحرك بسرعة ثلاثين عقدة (في الوقت الذي كانت تتحرك فيه في الحقيقة بسرعة خمس عقد).

★ إن مفاهيم علم المدفعية الاسرائيلية تسمح للقوات الاسرائيلية بفتح النيران على السفن مجهولة الهوية التي تبحر بسرعة تزيد على عشرين عقدة بالقرب من شاطىء تم قصفه. وقد اقر رون ان هذا المفهوم صادر عن عدم ترو.

★ حيث ان الاخطاء السابق ذكرها ادت الى اعتبار ليبرتي سفينة « معادية » فقد اتصل قائد زوارق الطوربيد بالشاطىء لاسلكيا لطلب شن هجوم جوي عليها.

★ ابدى قسم مشكك ينتمي الى العمليات البحرية التابعة لجيش الدفاع الاسرائيلي ارتيابه في التقرير الذي جاء فيه ان السفينة كانت تتحرك بسرعة ثلاثين عقدة والذي بناء عليه تأكد قائد زورق الطوربيد من جديد من سرعة السفينة وثبت السرعة خطأ بثلاثين عقدة.

★ قال رون « حتى الضباط الذين تعرفوا على هوية ليبرتي في الصباح الباكر من نفس

اليوم لم يربطوا بينها وبين السفينة المجهولة التي بلغ عنها انها تقصف العريش ». « وحتى إذا ساد الاعتقاد بأن السفينة المجهولة الهوية هي ليبرتي، فإن مجرد حقيقة الافادة عن ان سرعتها كانت تزيد على الثلاثين عقدة كافية لتنفيذ الادعاء بالتعرف عليها لأنه عندما تم ذلك التعرف على ليبرتي في الصباح حددت سرعتها بـ١٨ عقدة ».

★ بعد ان اقتنعت القوات الساحلية بذلك طلبت شن هجوم جوي.

★ بعد انتهاء الضربة الجوية اعتقد رجال زوارق الطوربيد الاسرائيلية خطأ وبالاعتماد على البصر ان ليبرتي هي سفينة الامداد المصرية « القصير » (التي من المعروف ان سرعتها القصوى هي ١٤ عقدة أو اقل) ودونوا انها بدت وكأنها تطلق النار عليهم ثم بدأوا الهجوم بالمدافع والطوربيد.

★ قال رون: « لقد ارتكبت ليبرتي خطأ اضافيا فادحا لا يقل جسامة عن اخطاء جيش الدفاع الاسرائيلي... فالسفينة الامريكية تصرفت بلا مبالاة بسبب اقترابها من الشاطىء بشكل خطير في منطقة كانت مسرحا لحرب في وقت كان معروفا فيه جيدا ان هذه المنطقة ليست ممرا عاديا للسفن، هذا فضلا عن عدم إبلاغ السلطات الاسرائيلية عن وجودها وبدون الاعلان عن هويتها بشكل واضح. بالاضافة الى ذلك فإنه يبدو ان السفينة بذلت مجهودا لاخفاء هويتها، اولا لانها كانت ترفع علما صغيرا يصعب التعرف عليه عن بعد، وثانيا عندما بدأت بالهرب عندما اكتشفتها قواتنا ولم تبادر فورا بالاعلان عن هويتها عن طريق الومضات الضوئية، وعندما رفضت القيام بذلك حتى بعد طلب زوارق الطوربيد. نتيجة لما تقدم فإن الضابط المحقق يستنتج ان السفينة ليبرتي حاولت اخفاء كلا من وجودها في المنطقة وهويتها قبل ان تكتشف وحتى بعد تعرضها لهجوم القوات الجوية الذي تبعه هجوم البحرية، وبذلك فقد اسهمت بشكل حاسم في تقديراتنا بأنها سفينة معادية ».

★ وخلص رون الى القول: « يمكن الاستنتاج بوضوح وبشكل لا يرقى اليه الشك من الادلة ومن المقارنة بين يوميات الحرب المدونة ان الهجوم على السفينة الامريكية ليبرتي لم يكن ناتجا عن سوء نية، كما انه لم يكن هناك اهمال يصل الى حد الاجرام وقد تم الهجوم نتيجة خطأ بريء »[٩].

لم يتمكن افرات من تجاهل نظرة الدهشة وعدم التصديق على وجه كاسل، وعندما انتهى من القراءة سأل كاسل عن رأيه الشخصي في قرارات المحكمة. وبالرغم من ان كاسل لم يرد فقد ابلغ البيت الابيض في رسالته بهذا السؤال واضاف:

(٩) مكتب الملحق العسكري بسفارة الولايات المتحدة، رسالة سرية يوم ١٨ حزيران ١٩٦٧ الساعة ١٠,٣٠ بتوقيت غرينتش.

... تظاهر ضابط الارتباط في البحرية الامريكية بأنه لم يسمع السؤال وشكر العقيد على منحنا هذا الجزء من وقته. فقد كان عبء الدبلوماسية ثقيلا على ضابط الارتباط في البحرية الامريكية الذي قيم الحادث كما يلي:

أ ـ الامر الدائم بمهاجمة أية سفينة تتحرك بسرعة تزيد على ٢٠ عقدة هو امر غير مفهوم.

ب ـ ... إذا كانت «السفينة التي تتحرك بسرعة ثلاثين عقدة لا يمكن ان تكون ليبرتي» فلا يمكن ان تكون «القصير» ايضا.

ج ـ وإن في استطاعة ضابط بحري محترف ان ينظر الى ليبرتي ويقدر سرعتها ثلاثين عقدة هو امر يصعب قبوله.

د ـ إن الدخان الذي كان يغطي ليبرتي وجعل من الصعب التعرف عليها يحتمل ان يكون ناتجا عن هجمات القوات الجوية التابعة لجيش الدفاع الاسرائيلي.

من الواضح إن تقرير محكمة التحقيق التي يرأسها رون غير مرض. فهو تقرير مراوغ ويبدو انه دبر بعناية لاخفاء حقيقة ما حدث وإلقاء اللوم على مكفوناغل. كان يجب إعادة التقرير الى اسرائيل مرفقا بطلب اعطاء توضيح افضل. فالتحقيق الاسرائيلي كان يجب في المقام الاول ان يقوم به ضابط قيادي. فالظروف كانت تتطلب فعلا ان يقوم ضابط من قيادة البحرية بذلك. فقد كان على رون ان يحقق في اداء قوات يقودها ضباط اعلى منه رتبة لتأتي النتيجة خالية من اخطاء. لذلك لن تأخذ الدهشة احدا بسبب الاستنتاج الذي توصل اليه ضابط صغير الرتبة نسبيا مفاده ان البحرية الاسرائيلية اقترفت عدة اخطاء لا تليق بها (ولكنها ليست اخطاء بدافع الاجرام او الاهمال)، وانه فيما عدا ذلك ليس هناك لوم على احد من بين الذين قاموا بالهجوم. واهم من ذلك ان رواية رون تتضمن خطأ مميتا وهو ان قائد زوارق الطوربيد لا يمكن ان يكون قد طلب القيام بضربة جوية كما ادعى لان الزوارق كانت بالكاد قد دخلت مجال الرادار عندما بدأ الهجوم وكانت على بعد اميال كثيرة خارج نطاق الاتصال اللاسلكي مع ليبرتي عندما تم طلب شن الضربة الجوية. إذن فلا بد ان الضربة الجوية قد استدعيت ونسقت من قبل قوات موجودة على الارض وليس من قبل قائد زوارق الطوربيد لأن رجال الطوربيد على متن الزوارق كانوا بعيدين بدرجة يستحيل معها اكتشاف السفينة على الاطلاق قبل لحظة بدء الضربة الجوية.

تلقى كيد التقرير الاسرائيلي في الوقت المناسب كي يضمن المستند القانوني رقم ٤٨ نسخة طبق الاصل بالغة السرية، غير انه لم يعلق عليه، كما يبدو ان التقرير لم يكن له اثر على نتائج تحقيقه. قد يكون وقع تحت تأثير رسالة من سفارتنا بتل ابيب التي ارسلت طلبا لابقاء التقرير الاسرائيلي طي الكتمان يتصف بلهجة الشكوى: «إن ملابسات الهجوم تعري البحرية الاسرائيلية تماما». وما هو اكثر احراجا من عدم الكفاءة البحرية التي اعترفت بها

اسرائيل ان التفسير الرسمي الاسرائيلي للهجوم كان لا يمكن ان يتحمل التعرض للفحص الدقيق، وهو لم يتعرض، فعلا لفحص من هذا النوع. وقد وافق مسؤولو الحكومة باستكانة على عدم احراج اسرائيل بنشر تقريرها، ولم يرشح إلا القليل عنه منذ ذلك الحين(١٠).

وفي لندن عمل العميد البحري كيد والفريق اول بجري معا لتنقيح تقرير المحكمة ووضعه في شكله النهائي: سجل محاضر الجلسات الكامل نوعا ما الذي تضمن المستندات القضائية والصور والرسائل واقوال الشهود والكثير من المعلومات المتضاربة والمتناقضة، وقد صنف هذا السجل على انه « بالغ السرية ». وبالرغم من وجود نقط ضعف كثيرة في نسخة

(١٠) ظهرت وقائع تحقيق محكمة التحقيق الاسرائيلية لاول مرة في مجلة نيوزويك يوم ٦ ايار (مايو) ١٩٦٨ وببعض التفصيل في كتاب غولدنج « اكد أو انف » (نيويورك: هاربر وروو، ١٩٧٠). ولم تثمر محاولات المواطنين العاديين للحصول على نسخة موجزة من مريض كان قد حصل عليها بمقتضى قانون حرية الاطلاع على المعلومات. أما الطلبات التالية للحصول على نسخة عن طريق مكتب البنتاغون لحرية الاطلاع على المعلومات فقد رفضت. كما رفض طلب الاستئناف لهذا الرفض الذي كان قد قدم على أساس ان هذه المعلومات قد نشرت من قبل في الصحافة (كتاب غولدنج ومجلة نيوزويك) وللجمهور (الرسالة التي تلقاها كيبفر من المريض). ولكن حتى مع رفض البنتاغون لطلب الاستئناف فإن وزارة الخارجية ـ التي كانت تجهل ما تفعله الجهة الاخرى ـ رفعت الحظر عن المعلومات ونشرت الرسالة بأكملها. وفي نفس الوقت تقريبا قام النائب العام البحري بنشر تقرير محكمة التحقيق البحرية (بما فيه الرسالة المطلوبة) بمقتضى قانون حرية الاطلاع على المعلومات، واصبح الطرد الذي يبلغ وزنه تسعة ارطال متوفرا للجمهور لقاء ٢٧ دولارا للنسخة.
غير انه تم بعد ذلك نشر النص الكامل لتقرير محكمة التحقيق الاسرائيلية، والنسخة المسموح بالاطلاع عليها هي عبارة عن الملخص الذي تلي على القائد كاسل الذي ابرق النص بعد ذلك البيت الابيض. وحسب احد ضباط البحرية الامريكية الكبار الذي كانت مهامه تسمح له بالاطلاع على النص الكامل فإن التقرير الاسرائيلي كشف عن امر غامض يتعلق بما اعلنته اسرائيل عن عدم تعرفها على هوية السفينة. ففي هذه الرواية يدعي العقيد رون انه بالرغم من انه تم التعرف على ليبرتي وتم رسم مسارها على خريطة كبيرة في غرفة العمليات الحربية، قام احد رجال المراقبة بإزالة السفينة عن الخريطة عن غير قصد وذلك في نهاية نوبته، ونتج عن ذلك انه عندما شوهدت السفينة بعد ذلك ورسم مسارها مرة اخرى اعتبرت انها « مجهولة الهوية ». وكما تضيف الرواية، فقد تصادف وجود ضابط في وقت الفراغ داخل غرفة العمليات الحربية تعرف على الخطأ، فتم إرسال امر بوقف الهجوم « غير ان ذلك جاء متأخرا. فقد صرخ عمال اللاسلكي في زورق الطوربيد قائلين: اوقفوا النار! اوقفوا النار! في نفس اللحظة التي تم فيها إطلاق الطوربيدات » إن رون في هذه الرواية فاتته مرة اخرى حقيقة مهمة وهي ان اطلاق النار استمر لفترة طويلة بعد اطلاق الطوربيدات.

المحاضرة الاصلية الا إنها تقدم سجل ادلة كامل للمحكمة متضمنا الكثير مما يتعارض مع نتائج التحقيق. فمثلا تتضمن هذه النسخة ملخصا لجلسات محكمة التحقيق الاسرائيلية على الرغم من ان الرسالة وصلت في الجلسات الاخيرة وتم تجاهلها. كما ان معظم الرسائل التي استعرضتها المحكمة موجودة في الملف سواء كانت هذه الرسائل تؤيد موقف المحكمة او تميل الى دحضها.

من ناحية اخرى فإن كمية كبيرة من الاوراق والمواد ـ بما فيها شرائح اصلية وشظايا رصاص وصواريخ وتسجيلات صوتية وإفادتي التي أديتها تحت القسم وادلة اخرى اتضح انها خارجة عن نطاق البحث أو كبيرة الحجم أو مربكة أو حساسة ـ تضمنها ملف كبير منفصل صنف هو الاخر على انه « بالغ السرية ». وقد سلم هذا الملف في النهاية ليحفظ في الجناح الخامس من فرع قوات البحرية في ارلنغتون، فرجينيا، حيث تكون في حوزة وحماية المشاور العدلي العام. ولا يحتوي سجل المحكمة اية اشارة لهذه المواد، كما لم يعترف بوجودها امام الصحافة او اي باحثين آخرين.

في ١٨ حزيران وافق الفريق اول بحري ماكين على التقرير الكامل، وخلال الايام العشرة التي تلت ذلك عمل كيد مع نائب فيل غولدنغ، ريتشارد فرايكلاند، لاختصار النسخة الاصلية البالغة السرية التي تقع في ٧٠٧ صفحات الى نسخة مسموح بالاطلاع عليها تقع في ثمان وعشرين صفحة.

كانت المشكلة هائلة. فبالرغم من انه صدر عن المحكمة العديد من « نتائج تحقيق للوقائع » التي لا تستند الى ما يؤيدها أو التي كانت خاطئة بشكل لا يقبل الشك والتي يبدو ان الهدف منها كان إيجاد الاعذار للهجوم، فإن قراءة دقيقة للتقرير بأكمله كانت تكشف نقاط ضعف نتائج التحقيق. غير ان « الملخص » المختصر جدا لم ينشر إلا نتائج تحقيق مختارة وجزءاً من شهادة مكفوناغل، فليس هناك ادلة مضادة او اقوال متضاربة في النسخة المسموح بالاطلاع عليها، ونتيجة لذلك فإنه في حين ان التقرير البالغ السرية كان معتدلا بشكل كاف، فقد جاء « ملخص جلسات المحكمة » ولطف من تقرير المحكمة بشكل اكبر بالتخلص من الحقائق غير المتبصر بها او المرغوب فيها.

وقد كانت الفقرة الافتتاحية كما يلي:

لقد قررت محكمة التحقيق البحرية ان السفينة الامريكية ليبرتي كانت في المياه الدولية وكانت هويتها وجنسيتها واضحتين وكان الجو هادئا وصافيا عندما تعرضت لهجوم لم يسبقه اي استفزاز من قبل طائرات اسرائيلية وزوارق طوربيد في ٨ حزيران في منطقة شرقي البحر المتوسط.

لقد برهنت المحكمة بالادلة ان القوات المسلحة الاسرائيلية كان لديها الفرصة السانحة للتعرف على ليبرتي بشكل صحيح، وليس لدى المحكمة المعلومات الكافية لاصدار حكم عن سبب قرار الطائرات وزوارق الطوربيد الاسرائيلية بالهجوم.

وقد قال البنتاغون في اعادته لصياغة التقرير البالغ السرية:

تتفق الادلة المتوفرة لتشير الى ان الهجوم كان مجرد خطأ في تحديد الهوية. فالجو الهادىء المحيط بليبرتي بالاضافة الى سرعتها البطيئة التي كانت تبلغ خمس عقد، وهي السرعة التي يلجأ اليها عند القيام بدورية، كل ذلك قد يكون سببا في عدم هبوب ريح يكفي لجعل العلم يخفق بالشكل الذي يمكن الطيارين من رؤيته. اما اطقم زوارق الطوربيد فمن المحتمل ألا يكونوا قد تعرفوا على الوان العلم إلا عندما اقتربوا من السفينة بدرجة كافية تسمح لهم بالرؤية بوضوح وسط الدخان وألسنة اللهب. فإنه ليس هناك ما يشير الى أن الهجوم قد دبر مسبقا ضد سفينة امريكية(١١).

أما الفريق أول بحري كيد فقد عالج موضوع تقارير عمليات الاستطلاع التي سبقت الهجوم كما لو كان مكفوناغل هو الشاهد الوحيد الذي يعتمد عليه. كما ان إفادتي التي اقسمت عليها ازيلت من التقرير السري. أما الشهادات الاخرى المتعلقة بالاستطلاع فقد تم تجاهل الجزء الاكبر منها، ولم يكن لها إلا تأثير ضعيف على نتائج التحقيق، هذا في حال وجود اي تأثير على الاطلاق.

احتوت النسخة المسموح بالاطلاع عليها على ملخص لنتائج التحقيق عن هذا الموضوع جاء فيه انه «كانت هناك ثلاث عمليات استطلاع مهمة على ليبرتي من الجو في اوقات مختلفة قبل الهجوم»، وقد كانت الطلعة الجوية المهمة الاولى في الساعة ٠٨,٥٠ عندما «عبرت طائرة نفاثة مجهولة الهوية خلف السفينة على بعد خمسة اميال» والثانية الساعة ١٠,٥٦ عندما عبرت طائرة تشبه شاحنة صندوقية خلف السفينة على بعد يتراوح بين ثلاثة وخمسة اميال» والثالثة الساعة ١١,٢٦ عندما «حلقت طائرة اخرى حول السفينة».

وبذلك فقد اعتبرت المحكمة والبنتاغون ان عمليات الاستطلاع كانت من مسافة ابعد بكثير مما كانت عليه في معظمها، كما لم تأخذ بالواقعة التي حلقت فيها طائرتان نفاثتان حول السفينة على اعتبار انها غير مهمة، وتجاهلت الوصف الذي تقدمت به والذي لم يلق ترحيبا والذي يتعلق بواقعة الطيران المنخفض على مستوى اعلى الصاري مباشرة، وفشلت

(١١) مرت تسع سنوات بعد الهجوم قبل ان اتمكن من اثبات ادعائي بأن الريح كانت قوية بشكل يكفي لابقاء العلم مرفرفا. ففي عام ١٩٧٦ سلمني احد ضباط السفينة السابقين «التقرير الاصلي لمراقبة حالة الطقس في السفينة» يوم الهجوم. وقد حصل الضابط، الذي اصيب بالاحباط من عدم اكتراث المحكمة بهذه الاشياء، على سجل السفينة بعد فشل المحكمة في الحصول عليه.

في اقرار تقرير قدمه جون سكوت عن طلعة الاستطلاع التي قامت بها طائرة تشبه شاحنة صندوقيةعند بزوغ الشمس وتغاضت عن اقوال ضباط ليبرتي التي افادت عن حدوث طلعات اضافية في اثناء الظهر.

اما في ما يتعلق بنقاط بلوغ السبعة التي بلغها لكاسل تليفونيا في ٩ حزيران، فإن البنتاغون اعاد صياغة رأي قانوني في التقرير السري (بدون ذكر اعتذار اسرائيل) جاء فيه:

اكدت المحكمة حق ليبرتي في التواجد حيث كانت. فقد افادت المحكمة ان الدولة المحايدة لها الحق في ارسال سفينة الى المياه الدولية محاذية لمنطقة قتال. واشارت المحكمة انه طالما حافظت هذه السفينة المحايدة على موقفها الغير متحيز فإنه من واجب كل طرف مشترك في القتال الامتناع عن مهاجتها[١٢].

ومرة اخرى بدون الكشف عن مصدر المعلومات، قال البنتاغون:

لاحظت المحكمة ايضا وجود تقارير عن شائعات مفادها ان مدينة العريش قد تعرضت لقصف من البحر، ولكنها اشارت الى انه لا السفينة ليبرتي، المجهزة باربعة مدافع رشاشة من عيار ٥٠ ملم، ولا «القصير»، المسلحة بمدفعين من عيار ثلاثة ارطال، يمكن الشك في ان اي منها قد قامت بعملية قصف للشاطىء.

وفي ما يتعلق بالخطأ في تحديد هوية السفينة والذي اعتبرته اسرائيل الخطأ الحاسم في الحادث، فإن البنتاغون اورد نصا في التقرير السري مباشرة (دون الكشف عن مصدر الرواية المتعلقة بالسفينة «القصير») جاء فيه:

في حين ان السفينة «القصير» لا تشبه ليبرتي إلا بشكل سطحي جدا، فإنها تشبه بصورة اكبر اغلبية سفن الشحن البخارية القديمة العاملة في المحيطات. «فالقصير» يقل حجمها عن نصف حجم ليبرتي، وتنقصها شبكة الهوائيات المعقدة والعلامة المميزة على جسم ليبرتي. بالاضافة الى ذلك فإن مكان التجهيزات التي تقع فوق سطح السفينة تختلف تماما، وهذه سمة اساسية للتعرف على السفن التجارية. وإذا كان هذا المقياس مبررا للهجوم فإن اي سفينة تشبه «القصير» ستكون معرضة للخطر.

وقد وصف التقرير السري الاخفاق في الاتصال بالسفينة والذي زاد بالتأكيد من احتمالات وقوع الهجوم، وجاء فيه:

... اثار التقرير عن موقع ليبرتي في ٧ حزيران والذي ذكر وجهتها النهائية القلق في

(١٢) يظهر النص الكامل للرأي القانوني كما جاء في «سجل وقائع محكمة التحقيق» السري في الملحق «ط».

البنتاغون... وقد ادى ذلك الى سلسلة من الاجراءات اللاحقة والتوجيهات الصادرة للسفينة... ومن المعروف ان السفينة لم تتلق خمس رسائل على الاقل، كل واحدة منها كانت... حاسمة...

إن الجملة الاولى بالطبع ليست صحيحة تماما، وهذا ما لا يعرفه كيد. فمحاولة هيئة رؤساء الاركان المشتركة لاستدعاء السفينة لم تكن نتيجة ادراك مفاجىء لكونها قريبة من منطقة حرب، ذلك ان موقع ليبرتي كان معروفا جيدا للمسؤولين في البنتاغون وغيره. وبدلا من ذلك، كما رأينا، فإن الامر بالعودة كان نتيجة «دراسة اركان» تابعة لوزارة الدفاع اوصت بسحب السفينة فورا ونتجت عنها رسالة عاجلة جدا ارسلت في الدقيقة الاخيرة تطلب من هيئة رؤساء الاركان المشتركة إصدار الامر لليبرتي فورا بالابتعاد عن الساحل.

وعن الموضوع ذاته، اورد التقرير المسموح بالاطلاع عليه جزءاً من نص الفريق اول بحري ماكين الذي صدق به على التقرير السري وقال فيه:

في ساعة مبكرة من ٨ حزيران كانت هيئة رؤساء الاركان المشتركة قد اصدرت الاوامر الى ليبرتي بالتحرك بعيدا عن الساحل، حتى ولو كان هذا التحرك سيحط من شأن مهمتها بعض الشيء. لقد وجهت الرسائل الى الجهة الخطأ وتأخرت ولم يتم تلقيها إلا بعد الهجوم... وحيث ان مكفوناغل كان في المياه الدولية فإن الرموز العادية للتعرف على هوية السفينة كانت ظاهرة بوضوح، وكانت الطائرة الغريبة قد قامت بمراقبته ثلاث مرات في هذا اليوم ولم يكن هناك سببا يدعو للاعتقاد بأن السفينة كانت معرضة لخطر الهجوم... ولم تصل المحكمة الى قرار يحدد ما إذا كان وصول الرسائل في وقت مبكر كان سيقلل من احتمالات وقوع الهجوم.

بالرغم من بيانات سفارتنا والادلة التي تثبتت لدينا والتي تفيد بأنه قد تم بالفعل التعرف على ليبرتي من قبل اسرائيل اثناء الصباح، فإن كيد تجاهل هذه الادلة. وقد اورد البنتاغون للمحكمة نتائج التحقيق السلبية التي تعتمد على هذه الادلة بالطريقة التالية:

نظرا لأن هذا التحقيق لم يكن له الصفة الدولية فإنه لا توجد هناك ادلة عما إذا كانت اي من هذه الطائرات قد تعرفت على ليبرتي أو ارسلت اية معلومات عنها الى قيادتها العليا.

وكمقدمة «للملخص» المسموح بالاطلاع عليه، اضاف البنتاغون:

ليس من مسؤولية المحكمة إصدار الحكم بتوجيه اللوم للمهاجين، كما لم تتوافر اية ادلة من الدولة المهاجمة. وقد اشار الشهود الى انه يحتمل ان يكون المهاجون قد وجدوا صعوبة في رؤية العلم لسببين احدهما هو بطء سرعة السفينة، والثاني لأنه بعد خمس أو ست هجمات جوية منفصلة قامت بكل منها طائرتان على الاقل، فإن الدخان وألسنة اللهب قد تكون

ساعدت على حجب الرؤية عن زوارق الطوربيد.

إن إضافة جملة « هجمات... قامت بكل منها طائرتان على الاقل » التي تظهر في النسخة السرية والنسخة المسموح بالاطلاع عليها على حد سواء يبدو انها محاولة قام بها كيد في اخر دقيقة لازالة التناقضات من بين اقوال الشهود. غير انه لم يتم إلا ازالة القليل من هذه التناقضات. فالتقرير المسموح الاطلاع عليه لا يشير الى وجود ادلة متناقضة ومتضاربة، كما ان النسخة السرية، التي تلمح الى وجود مثل هذا التناقض (لأنها تحتوي على اقوال الضباط وافراد الطاقم بالاضافة الى العديد من الرسائل والادلة الاخرى التي لم تعرض على الجمهور) قدر لها ان تقضي عدة سنوات بعد ذلك في خزائن خاصة مخصصة للوثائق البالغة السرية ولا يسمح بالاطلاع عليها إلا لعدد قليل جدا من كبار المسؤولين. واحد من ضباط الفيلق، وهو نائب عام قانوني (بحري) تمكن في النهاية من الاطلاع على الوثيقة، قال لي بعد ان درس الـ ٧٠٧ صفحات من الحجم القانوني التي تحتوي على اقوال الشهود والصور والادلة والآراء القضائية ونتائج التحقيق: « إن التقرير مشوش. فبعد ان تقرأ اقوال الشهود وتراجع الادلة ثم تقرأ نتائج التحقيق، فإن أول إحساس يدفعك الى مراجعة ما قرأت لتتأكد من انك لم تغفل قراءة حوالي مائتي صفحة، ذلك ان الادلة ببساطة لا تقود الى نتائج التحقيق المذكورة. كما ان العديد من النتائج ليس مدعوما بالادلة على الاطلاق. فإنك تفهم من التقرير ان الفريق أول بحري كيد تلقى بعض الاوامر التي لم تذكر في خطاب تعيينه رئيسا للمحكمة ».



على الرغم من ان محكمة التحقيق التي يرأسها الفريق أول بحري كيد كانت الهيئة المحققة الوحيدة التي اثارت انتباه الجماهير، كانت هناك جهات محققة اخرى غيرها. فكما رأينا، قام والتر ديلي بإجراء تحقيق لحساب وزارة الدفاع نتج عنه تقرير كبير شائق. كما اسندت هيئة رؤساء الاركان المشتركة الى اللواء جوزيف روس رئاسة لجنة لتقصي الحقائق. ويبدو ان مجموعة هيئة رؤساء الاركان المشتركة قد ارسلت مندوبين الى البحر المتوسط للقيام ببعض التحقيقات في مكان الحادث، وخصوصا في ما يتعلق بسوء إدارة عمليات الاتصال، ونتج عنها تقرير ما زال سريا حتى مع وجود قانون حرية الاطلاع على المعلومات. بالاضافة الى ذلك اعدت وكالة المخابرات المركزية تقريرا ملخصا عن الهجوم قام به الضباط. وكما نعرف، فقد عين كلارك كليفورد، وهو رئيس اللجنة الاستشارية الخاصة بالاستخبارات الاجنبية، من قبل الرئيس جونسون للقيام بتحقيقات فورية في الموضوع لحساب الرئيس. ويبدو ان جميع هذه التحقيقات قد اجريت على عجل. وقد تم جمع مجلدات من المعلومات وامضى الرجال ساعات عمل لا عد لها، ولكن الكثير من المعلومات لم يكن له اية علاقة، كما ان مجموعة كيد كانت هي الجهة الوحيدة التي جمعت المعلومات من مصدرها الاصلي من

على سطح السفينة. أما الجهات الاخرى فقد اعتمدت اساسا على اقوال مكفوناغل امام محكمة التحقيق، أو اجرت التحقيقات في جوانب اخرى للحادث مثل الاتصالات. وكل من هذه التقارير إما انتهى الى رأي بأن الهجوم يحتمل ان يكون قد جاء نتيجة خطأ، أو تفادى التوصل الى نتائج باستخدام حجج واهية تفيد بأنه لم تكن هناك ادلة تشير الى ان الهجوم كان مقصودا.

وقد تكون اكثر الملاحظات الرسمية التي تميزت بالفهم الثاقب قد جاءت على لسان القائد كاسل في تقريره الختامي للبيت الابيض الذي قال فيه: « ... جيش الدفاع الاسرائيلي فقط هو الذي يعلم بالتأكيد التسلسل الدقيق للاحداث التي ادت الى وقوع الحادث المأساوي».

الفصل الحادي عشر

الارشاد الصحفي

... لا يكون الاطلاع على المعلومات محظورا لمجرد ان الكشف عنها قد يؤدي الى انتقاد وزارة الدفاع.
أنظمة الشؤون العامة للبحرية الامريكية، عام ١٩٧٤

فيما كانت جلسة المحكمة منعقدة قضى مراسل صحيفة الاسوشيتدبرس كولين فروست وقته يتسكع في بارات مالطا التي يتردد اليها بحارة السفينة ليبرتي. وكان فروست قد استنتج في بداية المأساة انه لم يتم ذكر كل شيء حول الهجوم، وقد فقد الكثير من شعبيته بالنسبة لضباط الشؤون العامة من جراء طرحه للاسئلة الصعبة، كما أنه لم يكن راضيا عن الاجوبة الرسمية عليها. اما الآن فأخذ يشارك بحارة السفينة ليبرتي احتساء الجعة وكله آذان صاغية. وفي البداية توصل الى معرفة القليل إذ ان بحارة السفينة ليبرتي كانوا قد تمرسوا في عدم الوقوع في مخاطر الثرثرة والوقوع ضحية فضولية المخبرين الصحفيين.

على الرغم من ذلك، تملك الغضب جورج غولدن. فقد كان نائب قائد الوحدة خلال الفترة التي كان فيها مكفوناغل يتماثل للشفاء على اليابسة. ولقد حاول ان يسرد قصة الهجوم امام المحكمة التي لم يبد انها كانت راغبة في الاستماع اليها، وسمع غيره من الضباط والرجال يعبرون عن تضايقهم من سير التحقيق. واقتناعا منه أنه لا يمكن الكشف عن الحقيقة عبر الطرق الرسمية، جالس غولدن المخبر الصحفي وأطلعه على ما أراد التصريح به في المحكمة. وقبل نصف الليل كانت قصة فروست خبرا تتناقله وكالات الأخبار، كما تصدرت القصة معظم الصحف العالمية صباح نهار السبت.

فاليتا، مالطا، ١٧ حزيران (يونيو) (أسوشيتدبرس) ـ إن البحارة ذوي الرتب العليا من البحرية الأمريكية التابعة للسفينة ليبرتي مقتنعون أن الهجوم الجوي والطوربيدي الاسرائيلي على سفينتهم الذي كبدهم خسائر في الارواح قدرت بـ٣٤ امريكيا كان مقصودا، نسبة الى قول مصدر مسؤول نهار الجمعة في فاليتا. وتقدموا بشهاداتهم أمام محكمة التحقيق التابعة للبحرية التي تعقد حاليا جلسات سرية على متن السفينة التي تجري

عليها إصلاحات طارئة في حوض جاف في مالطا . ويستند ما يعتقده البحارة الى الواقع انه كان لدى الاسرائيليين الوقت الكافي لمعرفة هوية السفينة ، ومدى قوة الهجوم.

وفي اعتذارها بشأن الحادثة صرحت إسرائيل بان الهجوم حدث خطأ . الا أن البحارة ذوي الخبرة الذين كان لهذا المخبر الصحفي حديثا معهم يرفضون هذا الاعتذار . وحجتهم في ذلك هي أن لاسرائيل في هذه المرحلة من حرب الشرق الاوسط مصلحة كبرى في تغطية الأبعاد الحقيقية لنجاحها الخاطف خوفا من أن تجر المعرفة التامة بالمأزق الحرج الذي تمر فيه مصر الى نوع من التدخل السوفياتي. وكانت السفينة ليبرتي مزودة بكل من البحارة والمعدات التي تمكنها من تقدير ما تحرزه إسرائيل من تقدم لذلك كان يجب القضاء عليها .

ولأربع ساعات قبل الهجوم تعرضت السفينة لجولات استطلاعية متواصلة قامت بها الطائرات الاسرائيلية التي كانت تحوم فوقها . ولقد صرح أحد الذين نجوا من الهجوم قائلا : « لقد سبق وقدنا الطائرة الاستطلاعية أولد غلوري ومن المستحيل على الاطلاق ألا يتمكن من يقود هذا النوع من الطائرات من التعرف على هوية سفينتنا »، وأضاف: « إن هذا الهجوم كان مقصودا ومخططا له ، والشيء المميز بشأنه كان مدى الدقة في قصفهم الجوي » .

ولقد تركز القصف على مقصورة قيادة السفينة حيث قتل الضابط المنفذ . واخترقت رصاصة مقصورة قائد الوحدة ، القائد وليام مكفوناغل ، محدثة ثقبا في الصفيحة المعدنية التي تعلو وسادته بقليل . ولو كان مستلقيا في سريره المبيت ، لكان قد قتل بالتأكيد ، ولكنه أصيب في ساقه بشظية وهو في مقصورة قيادة السفينة.

ونظرا للسرية التي فرضتها محكمة التحقيق لا يمكن في هذه المرحلة أن يحدد عدد الطائرات التي اشتركت في الهجوم بدقة . وعلى الرغم من ذلك هناك مؤشرات تدل على أن ثلاث طائرات تسببت بالأضرار الفعلية . وعندما استخدمت قوارب الطوربيد في الهجوم كانت السفينة ليبرتي ما تزال تحترق من جراء هجوم الطائرات . ولقد أطلق على السفينة ما لا يقل عن ثلاثة طوربيدات وذلك بالطريقة الكلاسيكية ، واحد على مقدمة السفينة ، وواحد على وسطها ، وواحد على مؤخرتها .

وإن كيفية تمكن السفينة من القيام برحلتها الى مالطا التي استغرقت ستة ايام حيرت الخبراء في حوض تصليح السفن الذين سبق لهم أن شاهدوا بعض سفن الحرب العالمية الثانية التي كانت قد تعرضت لاسوأ عمليات القصف . وكل حركة للسفينة كانت تدفع بالمياه داخل عنابرها لتصطدم بالحواجز المانعة للمياه التي بدأت تنتفخ وكأنها على وشك الانهيار مما دفع المهندسين الى دعمها بألواح خشبية تشبه الدعامات التي تستخدم أحيانا في سند المباني القديمة[1] .

(١) صحيفة النيويورك تايمز ، ١٨ حزيران (يونيو) ، عام ١٩٦٧ ، ص ٢٠ .

ولقد أطلعني غولدن لاحقا على أن كولين فروست قام بعمل جيد بشأن تلك القصة. فقال: «لقد فهم كل شيء أطلعته عليه بكل صراحة ونقل التعابير التي استخدمتها بدقة». وأضاف قائلا: «كنت آمل ان يدرك العاملون في الصحافة من خلال قصة فروست أنه كان هناك تغطية، فيستمرون بالاستقصاء والبحث. ولكن كان يجب ان اعرف انه لا فائدة من ذلك، فهذا ما حدث بالفعل بالاضافة الى أنه تسبب فقط بكثير من المشاكل».

وبدلا من ان تثير القصة اهتمام الصحف اثارت اهتمام البحرية وأدت الى تفاقم مسألة التغطية. وفي الواقع كانت القوى المساندة للتغطية تعمل على إحباط مساعي غولدن حتى قبل ان تنشر القصة. وبمحاذاة قصة فروست التي نشرتها صحيفة النيويورك تايمز ظهرت قصة وكالة رويتر للأنباء هي الآتية:

فاليتا، ١٧ حزيران (يونيو) (رويتر) - رفض ضباط السفينة ليبرتي اليوم الفكرة بأن الهجوم عليها كان مقصودا. وصرح أحد الضباط بأن كل من أدلى بأن الهجوم كان مقصودا كان فاقد الرشد. وأضاف بقوله أنه عندما أدرك قائد قارب الطوربيد خطأه بعث بالرسالة: «خطأ كبير. هل في وسعنا تقديم المساعدة؟»

وقال ناطق باسم السفارة الامريكية هنا: «لقد قبلنا الاعتذار الاسرائيلي قبولا تاما، وليس هناك أية علامات استفهام حول كون الهجوم لم يحدث خطأ»[٢].

وفي خطوة عدم تشجيع على إجراء المزيد من المقابلات التي لا تخضع للمراقبة صدرت من مكتب الفريق أول بحري، ماكين، في لندن، رسالة أولوية الى سفينة ليبرتي جاء فيها:

في حين أن بعض ما ورد في القصة صرح به ناطق رسمي، يبدو ان أجزاء من القصة تستند اما الى مقابلات صحفية لم يصرح بها، أو الى تخمينات المخبر الصحفي. وبما أنه اعرب عن اعتقاد ثابت بأن الهجوم لا يمكن ان يكون قد حدث بصورة عرضية بالنسبة لضباط الشؤون العامة قبل وصول السفينة الى مالطا، فإن الامكانية الاخيرة لا تعد بعيدة الاحتمال. في الوقت نفسه، هناك ما يدعو للاعتقاد ان المخبر الصحفي حاول التحدث في هذا الموضوع مع بحارة السفينة ليبرتي على اليابسة. ولأنه يمكن لغيره من المخبرين الصحفيين المحاولة في متابعة الموضوع قد تجدون أنه من المناسب تكرار التحذير السابق لبحارتكم الرائعين، بالامتناع عن التحدث حول مواضيع يجري التحقيق بشأنها حتى يعلن عن نتائج محكمة التحقيق[٣].

(٢) راجع الملاحظة رقم (١).

(٣) الرسالة السرية جدا والصادرة عن القائد العام للقوات البحرية والأمريكية في أوروبا في ١٨ حزيران (يونيو) الساعة ١,١٠ بتوقيت غرينتش، عام ١٩٦٧.

وقد بلغت رسالة ماكين لضباط آخرين من مجموعة القيادة، وللسفير الأمريكي لدى مالطا في فاليتا، جورج جي. فيلدمان. ووبخ السفير فيلدمان غولدن هاتفيا بشأن تسرب الاخبار غير المصرح بها (التي كان ما يزال يعتقد أنها صدرت عن احد البحارة غير الانضباطيين)، ثم أوفد ملازما أول في البحرية لمتابعة الامر شخصيا. أما الفريق أول بحري، مارتن، فأرسل كابتن في البحرية للقيام بذلك.

كمحام من بوسطن في الثانية والستين من عمره شغل السفير فيلدمان كثيرا من الوظائف المهمة في الكونغرس بمجلسيه، وفي وزارة الشؤون الخارجية، وكعضو، أو مستشار لجان حلف الأطلسي وهيئة الأمم المتحدة. وخلال الحملات السياسية الاخيرة احتل مناصب مهمة في اللجنة الوطنية الديمقراطية. كما ان الرئيس جونسون قرر تعيينه كسفير في عام ١٩٦٥. وباستطاعتنا أن نتحزر فقط بشأن التعليمات الخاصة التي تلقاها السيد فيلدمان من واشنطن، ولكننا نعرف ان نسخا من رسالة ماكين قد بعثت الى فيلدمان، وأن فيلدمان رأى ان ضبطه لتسرب الانباء من هذا النوع هو أمر واجب عليه. في كل الأحوال، إن الخلفية التي يتمتع بها السفير فيلدمان وفرت له إمكانية تقييم الاعتبارات الدبلوماسية والسياسية في حادثة دولية كهذه الحادثة، وشرع يعمل كي يرى أن الأمور حقا «تحفظ حسب تقدير اهميتها».

وفي الحال وجد غولدن نفسه يتحمل جعجعة الخطب الرنانة يوميا، التي كان ممثلو البحرية، أو السفارة يلقونها عليه عندما يزورونه، أو يتصلون به هاتفيا كي يشكوا بمرارة من كل فقرة من الأنباء التي يمكن أن تكون قد صدرت عن بحار في سفينة ليبرتي.

وفي ٢٨ حزيران (يونيو) أوقف رسميا التعتيم على الأخبار، وسمح لبحارة السفينة ليبرتي بالتحدث بحرية الى وسائل الاعلام، وذلك لأول مرة. وعلى الرغم من ذلك، اتضح في الحال ان هذه «الحرية» الجديدة كانت مثقلة بكثير من القيود لحد أنها لم تكن حرية على الاطلاق. ورافقت الازالة المفترضة للتعتيم على الأخبار أربع وعشرون رسالة تتضمن «إرشادا صحفيا» اي تعليمات مفصلة حول كيفية التعامل مع وسائل الاعلام. وكثير من الرسائل صنف بأنه «سري»، ووصل معظمها بعد ٢٨ حزيران (يونيو)، وقلما عالجت رسالة منها اي شيء يتعلق بالأمن. والمسألة الوحيدة تقريبا التي كانت تعد حساسة هي المدى الذي كان يمكن للحكومة أن تذهب إليه للتأكد من ألا يتحدث احد بحرية، أو على انفراد مع أي مخبر صحفي.

هكذا أشير على بحارة السفينة ليبرتي بشأن حريتهم في التحدث مع المخبرين الصحفيين أن يتبعوا النص الآتي الذي كان يقرأه لهم رؤساؤهم وضباط الفرق، ويعلق على لوحات

البلاغات الخاصة بهم:

لا يسمح للأفراد باعطاء التصاريح والبيانات لوسائل الاعلام، واجراء المقابلات معهم بشأن الهجوم على السفينة ليبرتي في ٨ حزيران (يونيو). فإذا فاتحكم احدهم بانه يريد اجراء مقابلة، او يأخذ تصريحا، فاعلموه بانه عليه الاتصال بضابط الشؤون العامة التابع للقائد العام لأسطول الأطلسي الذي سيقوم بكل الترتيبات. واعلموا أيضا قائد الوحدة، أو ضابط التنفيذ بما حاولوا طلبه منكم. فالمعلومات الوحيدة التي يسمح لطاقم السفينة ببحثها هي تلك التي سبق وزودت بها وسائل الاعلام. لذلك ليس هناك من جديد قد يمكننا التصريح به في مقابلة(٤).

ولقد أعطيت لضباط الفرقة نسخ من البلاغ الرسمي، ونصح البحارة «باستعارة النسخة الخاصة بضابط فرقتهم لقراءة البلاغ»، علما بأن «أية تصريحات، أو تعليقات تعطى للآخرين يجب ان تكون مقيدة بدقة بالتعابير الواردة في هذا البلاغ».

وقليلون هم الذين اكترثوا لقراءة البلاغ. أما الذين قرأوه فقد هزوا أكتافهم استهجانا وشعروا بالارتباك لفشلهم في التعرف منه على الحدث المقصود الذي اختبروه. إلا ان وسائل الاعلام كانت قد بدأت تفقد اهتمامها بالأمر في كل الأحوال. وكانت ثلاثة أسابيع قد انصرمت على وقوع الهجوم عندما أزيل غطاء الأنباء عن الحادثة. وكانت القصة قد بدأت تضمحل من تغطية الصحف والتلفزيون للحادثة التي طواها النسيان لدى معظم الأمريكيين. وبقي على متن السفينة حوالي مئة بحار فقط من بحارة السفينة ليبرتي الذين كانوا في الأصل ٣١٥ بحارا، والباقون إما توفوا، أو نقلوا الى المستشفى، أو الى محطات وظائف جديدة حيث لم يكن في مقدورهم القيام بمقارنة الملاحظات.

كان ضابط الصف البحري جوزيف أ. بنكيرت الذي سبق أن جالسني طوال الليل في ٨ حزيران (يونيو)، في نورفولك عندما أزيل التعتيم على الأخبار بعد أن غادر السفينة في مالطا. وفي مدة وجيزة أطلعه رؤساؤه على أنه باستطاعته أن يرتب مقابلات صحفية إذا اختار ذلك طالما أنه يتذكر «الالتزام بتجاربه الخاصة، وإطلاع ضابط الشؤون العامة على ذلك مسبقا». ولم يكن بنكيرت يريد إجراء مقابلة إلا إذا كانت لديه الحرية في التحدث بصراحة ودون قيود. لذلك عندما اتصل به المخبر الصحفي كليفورد هابرد لصحيفة

(٤) نشر هذا البيان في «خطة اليوم لسفينة ليبرتي الأمريكية» لنهار السبت، ٢٢ تموز (يوليو)، عام ١٩٦٧. واستخدام أسلوب مشابه في التعبير «لخطط الأيام» الواقعة في ٣٠ حزيران (يونيو)، ١ و٢٨ تموز (يوليو).

فيرجينيان بايلوت في نورفولك ، اعتذر بلطف عن إجراء المقابلة . وتبين لاحقا أن الخيار لم يكن له في هذا الصدد .

وفي فترة وجيزة تلقى بنكيرت مكالمة هاتفية من القائد ديفيد أم . كوني ، ضابط الشؤون العامة لدى القيادة العامة لأسطول الأطلسي الذي أعلمه بأنه ينتظر منه أن ينقل بدقة معلومات لوسائل الاعلام يتم اطلاعه عليها في مقر القيادة العامة لأسطول الأطلسي .

وقال بنكيرت : « قررت ألا أسمح باجراء المقابلة معي » .

إلا أنه سمع ما يأتي في المقابل : « لقد تم اجراء الترتيبات ، أيها الرئيس . احضر في الوقت المناسب ، من فضلك » .

ولمدة ساعتين تلقى بنكيرت « التعليمات » بشأن المقابلة المتوقعة التي ستستغرق ثلاثين دقيقة من الوقت . وبحضور العميد البحري رينكن ، ولكن قبل وصول المخبر الصحفي سئل بنكيرت كل الأسئلة التي يمكن أن تراود الذهن حول السفينة والهجوم . وفي اثناء محاولته الاجابة على الأسئلة كان يتم تذكيره بانه ليس في مقدوره أن يبحث بشأن مهمة السفينة ، ولا بشأن الوعد الذي قطعه الفريق أول بحري مارتن لتزويد الحماية بواسطة مقاتلات نفاثة ، أو عدم وصول المقاتلات . وبما أنه لم ير شخصيا طائرات الاستطلاع ، فليس في مقدوره أن يبحث الامر ، ولم يكن موجودا في مقصورة قيادة السفينة ولم يوقت الهجوم الجوي ، فلا يمكنه أن يبحث بشأن المدة التي استنفدها الهجوم الجوي ، ولم ير تقرير المختبر عن النابالم ، فليس في مقدوره ذكر شيء عنه . ولم يكن في وسعه بحث إطلاق النار من الرشاشات على القوارب المطاطية للنجاة . كما لم يتمكن من أن يفيد عن الترتيبات حول الأمر بترك السفينة ، أو أية أوامر أخرى بإغراقها ، أو تدميرها . ولم يسمح له أن ينقل الخبر بأن العلم كان يرفرف على متن السفينة ، ومنع من ذكر أن الريح كانت تهب أيضا .

وكان هناك القليل جدا من المواضيع المهمة التي كان جوزيف بنكيرت يستطيع التحدث بشأنها للصحف . وصرح بأنه كان يأكل التشيلي (لحمة بالصلصة والفلفل) عندما بدأ الهجوم مضيفا بأنه أسرع ليحتل مركز واجباته ، ورأى زوارق الطوربيد ، وعالج الجرحى كما وصف مدى التقدير الذي شعرنا به جميعا تجاه قائد الوحدة . وعلى الرغم من أنه تضايق من ذلك ، حرص على تجنب أي حديث حول التفاصيل العديدة التي أوصاه من أطلعه على التعليمات بكتمانها عن وسائل الاعلام .

وكان هناك المزيد من الاشياء التي كان بنكيرت يرغب بالافصاح عنها ، لكن القائد كوني بقي في الغرفة نفسها ، وكذلك العميد البحري رينكن ، وكابتن من موظفيه ، وكابتن آخر في البحرية ، وبعض الضباط الذين لم يكن على معرفة بهم . وعندما انتهت المقابلة سمح لبنكيرت بالمغادرة وبقي المخبر الصحفي . ولم يشارك بنكيرت في الحديث الذي تبع المقابلة ،

ولكنه منذ ذلك الحين ظل يتساءل بشأنه لان القصة التي نشرت بدت له أنها حتى على مستوى أعلى من المداهنة والكتمان من المقابلة.

وقال لي بنكيرت لاحقا، «لا أعرف من أين جاؤوا بالاستشهادات لتلك القصة. وهي لم تصدر عني. لم يستخدموا ما قلته ولفقوا أشياء لم أصرح بها. وان ما لا يقل عن تسعين بالمئة من القصة هو هراء».



بينما كان التحقيق مستمرا في المحكمة وصلت السفينة ليبرتي طلبات بإجراء مقابلات تقدم بها الصحفي إد ماك غراث، مندوب صحيفة غلوب في بوسطن، والصحفي إرفينغ ر. ليفين من شبكة إن. بي. سي. التي كانت في روما آنذاك. وبعد تأخير دام أكثر من أسبوعين، أفيد ماك غراث أخيرا انه لم يبق على متن السفينة بحارة من بوسطن، وطوى طلبه النسيان تدريجيا. اما ليفين فاعطي الاذن بإجراء مقابلة لمدة ساعة مع الفريق أول بحري كيد في نابولي، وأنجز كيد هذا التبادل الدقيق في الآراء بثقة بالنفس مميزة.

ولقد أطلع ليفين على نسخة تقرير محكمة التحقيق التي كان الاطلاع عليها غير محظور، وأجاب كيد على كل الاسئلة المتبقية إجابات موفقة رضي عنها ليفين. وردا على طلب ليفين لاجراء مقابلة مع مكفوناغل أجاب كيد بالايجاب وهو بأنه يمكن احضار مكفوناغل لهذا الغرض ولكن الكابتن لا يريد في الحقيقة انتشار النبأ. وتعهد ليفين بان يوصي المكتب الرئيسي لشبكة إن. بي. سي. بألا يلاحق موظفو التصوير المقابلة مع مكفوناغل.

ولقد زودت كل القيادات الرئيسية الواقعة شرقي تمثال لنكولن التذكاري بإعلام دقيق عن اجتماع ليفين ـ كيد، وأرسلت تسجيلات حرفية من المحادثة الى البنتاغون. ومع ليفين تبدد آخر اهتمام مهم للصحافة، وبذلك انتهت طلبات إجراء المقابلات. ولم يفضل سوى القليل من المواضيع التي تتصف بالاهمية التي يحتمل وجود فائدة منها(٥).

وفي إسرائيل، عملت السلطات بسرعة على الاستفادة من تقرير المحكمة المضلل عن الهجوم. واختلقت منه رواية خيالية هدفت الى تصوير السفينة ليبرتي بصورة شبح غير مميز يتخبط بالارتباك ويغري بالهجوم مما يحمل السفينة كامل مسؤولية محنتها. وأطلق هذه القصة للنشر شخص يدعى ميخا ليمور ادعى أنه جندي احتياطي كان على متن أحد زوارق الطوربيد.

تل ابيب، ٦ تموز (يوليو) (اسوشيتدبرس) بقلم ميخا ليمور.

(٥) قانون دعم البحرية، رسالة نابولي في ١١ تموز (يوليو)، الساعة ٢,٤٠ بتوقيت غرينتش، عام ١٩٦٧.

كانت الشمس في كبد السماء عندما تلقينا اشعارا بأن سفينة غير محددة الهوية تبحر على مسافة حوالي اثني عشر ميلا من شاطىء العريش اشتبه بأنها سفينة تابعة للعدو.

أخذ البحارة مواقعهم، وأديرت المحركات، وفي أقل من خمس دقائق انطلقنا في سرب، كل زورق طوربيد تلو الآخر باتجاه عمق البحر. وحددنا الهدف مرة واحدة على شاشة الرادار. فكانت السفينة تبحر في خط ثابت باتجاه جنوبي شرقي وبسرعة حوالي عشر عقد. فأبحرنا نحوها بمزيد من السرعة ناظرين اليها عبر المنظار في محاولة لتحديد هويتها.

وبعد مرور بضع دقائق حلقت فوق رؤوسنا طائرتان من طائراتنا، وشاهدناهما تحومان حول السفينة مرات عديدة ثم تنقضان لشن الهجوم. وأطلقنا صاروخين اخترقا السفينة الرمادية اللون التي انبعثت منها خيوط الدخان، ثم اتجهنا بعيدا عن الشاطىء وعلى بعد حوالي ٢٠٠٠ ياردة من السفينة شاهدنا منظرا عجيبا. فالصواري العالية والهوائيات العديدة وغير الاعتيادية دلت على أن هذه السفينة هي سفينة حربية. وكان الدخان يخفي جانب السفينة ولم نستطع ان نرى اي شيء بوضوح باستثناء ثلاثة أرقام على جانبها لم تعن لنا شيئا.

لم نتمكن من رؤية علم على الصاري ولا اي شخص على سطوح السفينة، أو في مقصورة قيادة السفينة. وبالنسبة للبحارة يمكن لذلك ان يعني شيئين فقط: إما شبح سفينة، او سفينة تابعة للعدو. وبالنسبة لنا - نحن الذين لا نؤمن بالاشباح - كان واضحا ان هذه السفينة تابعة للعدو. قضينا عدة دقائق من الوقت نحاول فيها الاتصال بالسفينة ونطلب منها تحديد هويتها عن طريق اللاسلكي والراقم الشمسي، ولكن دون جدوى. وتم التوصل الى القرار باجتيازها على صورة تشكيل معركة ومطالبتها بتحديد هويتها عن طريق إطلاق النار عبر مقدمتها. وهكذا اجتزناها بسرعة فائقة مطلقين النار عبر مقصورة قيادة السفينة ومقدمتها. وفجأة ظهر بحار وبدأ يطلق النار علينا من رشاش ثقيل من مقصورة القيادة في السفينة. فقابلنا التحدي بتوجيه مدفع عليه أسقطه بعد لحظات مع الرشاش.

هكذا لم يعد هناك شكا أننا نواجه عدوا. فالرفض المطول في التعريف عن هويتها، وعدم وجود أي علم، واطلاق النار علينا، وعلاوة على ذلك التركيبات الآلية الغريبة وغير الاعتيادية كلها لم تترك لنا مجالا للشك في ذلك. وقد أردنا ان نجعل السفينة تستسلم دون اغراقها. وللمرة الثانية درنا حول السفينة على صورة تشكيل قتالي مطلقين النار مرارا. ولم يؤد ذلك الى نتيجة إذ ان أحدا لم يظهر، أو يرد علينا. ونجمت عن القذائف بعض الأضرار الطفيفة في هيكل السفينة إلا أنها استمرت في سبيلها. وكان يمكن تقريبا سماع صرير أسنان الرجال على متن زورقنا، فلا شيء يمكنه ان يغيظ بحار زورق الطوربيد اكثر من تجاهله تماما.

عندئذ أعطي الامر للتحضير للهجوم الطوربيدي.

تجمعنا من جهة الجانب الأيسر للسفينة ثم تقدمنا باقصى سرعة قتالية. وكما نفعل تماما في عشرات التمارين التدريبية، وجدنا الزاوية المناسبة والمدى الملائم ثم أطلقنا الطوربيد. وفكرنا بأن معجزة فقط يمكنها أن تنقذ السفينة. وأصاب احد الطوربيدات وسط السفينة تبعه انفجار كبير ودفق هائل من المياه.

اندلعت النيران ومالت السفينة الى جانب واحد وكأنها على وشك الغرق. وانتظرنا خروج الناجين وفقا للعادة المتبعة لدى البحارة في حال التعامل مع صديق، او عدو، ولكن لم يكن هناك أثر لاحد على ظهر المركب. وفجأة سقط شيء ما في البحر، فدنا منه أحد زوارق من سربنا ولدى التقاطه من المياه اكتشف أنه زورق نجاة مطاطي كتب عليه الكتابة التالية: «البحرية الامريكية».

وكانت هذه اول اشارة تحديد للهوية. وبعد لحظة وصلت الى مكان الحادثة طائرة مروحية كان يفترض أنها ستنقل السجناء. فحلق قائدها فوق السفينة ثم ابلغنا بالاشارة ما يأتي: «إنهم يرفعون العلم الامريكي».

كان من الواضح وضوحا جليا أننا قد اصبنا اصدقاء لنا. لقد دعت الحاجة الى عشرات القذائف والصواريخ والطوربيدات لجرهم الى الافصاح عن هويتهم، قال أحد البحارة التابعين لقيادتي والذي بلغ به الانزعاج اقصى حدوده كما أصاب بقية رفاقه، بشأن الاتجاه المفاجىء للاحداث.

وكان البحار مصيبا في ما قاله. فإن إظهار النجوم والخطوط منذ البداية كان قد حال دون كل ما حدث فيما بعد(٦).

لم يكن في الامكان نشر قصة ليمور دون موافقة رسمية من الحكومة الاسرائيلية. واستنادا الى الاخطاء والتحيز الذي بدا واضحا في القصة لم يعرف ليمور حتى من اي جانب قصفت السفينة (يكتب في قصته أن زورق الطوربيد «أخذ موقعه من الجانب الأيسر للسفينة» رغم أنه اقترب من السفينة من جانب ميمنتها)، ويستخدم تعابير غير بحرية لا يمكن لإي بحار، ولا حتى لإي جندي احتياطي استخدامها. ويحتمل أن يكون قد كتب القصة ضابط إسرائيلي في الشؤون العامة لم يسبق له ان رأى السفينة ليبرتي، أو زوارق الطوربيد.

لو كان ليمور قد دار حول السفينة كما يدعي، ولو كان، بالفعل، قد نظر إليها بدقة، لرأى الاسم «ليبرتي» مكتوبا باحرف ضخمة على مؤخرتها، ولرأى العلم الامريكي الكبير الحجم الذي كان مرفوعا على أحد طرفي عارضة الشراع الافقية عندما كانت الزوارق

(٦) «بحار إسرائيلي يصف الهجوم على السفينة الامريكية ليبرتي.» صحيفة النيويورك تايمز، ٧ تموز (يوليو)، عام ١٩٦٧، ص ٣ (ملخص).

تقترب من السفينة علما بأن العلم الاصلي قد أطلقت عليه النار بواسطة الطائرات، ولكان قد شاهد الكابتن مكفوناغل والملازم البحري لوكاس وغيرهم على منصة مقصورة القيادة في السفينة ورأى مكافحات النيران العديدة التي كانت تعمل للسيطرة على النيران التي شبت بسبب النابالم والبنزين، حتى الوقت الذي اخترقت فيه الرصاصات التي أطلقها خراطيم الماء المستخدمة لاطفاء الحريق.

ويقول ليمور في وصف الهجوم: « كانت هناك ثلاثة ارقام على جانب السفينة لم تعن لنا شيئا ». فهذه كانت بصورة واضحة رموز هيكل السفينة (GTR-5)، ومكتوبة بأحرف بحجم الانسان على مقدمة السفينة. فاللغة الانكليزية معروفة بشكل عام في إسرائيل، وكان من الممكن لبحارة زوارق الطوربيد تمييزها. ويخبرنا ليمور بانهم قرأوا الكلمتين « البحرية الامريكية » التي حددت هوية طوافة الانقاذ التابعة لنا (بعد أن اطلقوا النار عليها برشاشاتهم فانفصلت عن السفينة). وفي كل الأحوال، يجب على كل بحار إسرائيلي أن يعلم أن السفن المصرية تسجل أرقام هيكل السفينة على جوانبها بأحرف عربية متصلة.

وبينما كان بحارة السفينة ليبرتي يهزون رؤوسهم بسبب القنوط الذي سببته القصة أدرك بعض منا الى أي حد تشبه رواية ليمور النسخة « الرسمية » عن الهجوم للفريق اول بحري، كيد. كما ان « الارشاد الصحفي » الصادر عن البنتاغون منع من أراد منا نقض ادعاءات ليمور، عن إجراء اي اتصال ذي معنى مع الصحافة.

الفصل الثاني عشر

مالطا

إن العبء الدبلوماسي كان حملا ثقيلا ... القائد إيرنست كارل كاسيل في رسالة الى البيت الابيض،،
١٨ حزيران (يونيو)، عام ١٩٦٧

في مالطا بينما كان الكابتن مكفوناغل يتماثل للشفاء في غرفته، في فندق فينيسيا، كانت عناصر البحرية التابعة لمكهيل تستعيد روحها القتالية. وعندما لم يكن موظفو السفارة يشتكون من تسرب الأخبار، كانوا يتذمرون من المشاجرات. وقيل لغولدن مع توجيه التهديدات الوقحة والأوامر «لضبط عناصره»: «لديك أسوأ مجموعة من الاشقياء بين العناصر الذين سبق وعرفناهم في هذا المرفأ».

وكان بحارة السفينة ليبرتي يلطخون بالدم ويصابون بالكدمات بعد العراك الذي يخوضونه مع غيرهم من البحارة الأمريكيين، وعناصر السفن الأخرى تتعرض للمقدار نفسه من الأذى، وحتى بعض الضباط كانوا يشتركون في المشاجرات. وبدا ان كل خمارة كانت تحوي على الاقل على منتصر واحد نصف ثمل الذي كان عليه أن يكتشف بنفسه ما إذا كان بحارة السفينة ليبرتي حقا يتمتعون بقوة الاحتمال التي تلمح اليها الروايات.

وأخيرا، اتخذ غولدن اجراءاً حاسما. ففي عام ١٩٦٧، لم يكن مسموحا للرجال المجندين بارتداء الملابس المدنية على متن السفينة، ولكن هذا الوضع كان وضعا خاصا. لذلك أصدر غولدن الأوامر بأن يحصل كل من الرجال على الملابس المدنية ويرتديها عندما ينزل الى الشاطىء. وبما أنه لم يعد من السهل التعرف على المجند التابع لسفينة ليبرتي من الاشارة على بزته كان غولدن يأمل ان تتوقف المشاجرات، وتعهد بان يضبط رجاله المحبين للقتال، ونجح في ذلك.

في فترة وجيزة قدم عشرات من كبار الضباط الى فاليتا. وخلال الايام القليلة الاولى

بدا لمن هم على متن السفينة ان كل من هو برتبة فريق اول بحري في اسطول الاطلسي يتناول حتما وجبة الغداء في قاعة طعام الضباط على السفينة ليبرتي. وان قاعة طعام الضباط التي تتسع عادة لضباط السفينة فقط توسعت الان ليس لمجرد تقديم الوجبات لاثني عشر، او ستة عشر شخصا بل لثلاثين شخصا بصورة نموذجية. وكان معظم هؤلاء اعلى رتبة من مكفوناغل.

ولقد حضر الى مالطا قائد الأسطول السادس، وقائد سرب الخدمة ٨، ونائبه. كما حضر معظم من هم في رتبة نائب القائد العام لاسطول الاطلسي بالاضافة الى العديد ممن هم في رتبة نائب القائد العام للقوات البحرية الأمريكية في اوروبا. وكان تقديم وجبات الغداء على السفينة ليبرتي لثمانية أشخاص برتبة فريق أول بحري وللعديد غيرهم برتبة كابتن امرا روتينيا.

ولقد تولى الدكتور كيبفر القيام بوظيفة أمين صندوق قاعة الطعام بدلا من ستيفن توث الذي توفي في الهجوم. وفي فترة وجيزة اكتشف ديك أن ذوق ستيفن في اختيار المأكولات والخمور كان يتعدى ما تسمح له به ميزانيته. وكان قد ملأ غرفة تموين قاعة طعام الضباط بالنخبة من شرائح لحم البقر وغيرها من اللحوم الغالية الثمن، وبمئات المعلبات الصغيرة من الاطعمة الشهية المترفة والغالية الثمن، والكافيار والحلويات والمكسرات والاجبان. وكانت قاعة طعام الضباط مكان متعة من يحسن اختيار المأكولات والمشروبات، ولكن قريبا كان سيصبح حساب الفاتورة على وجه التقريب ثلاث أضعاف التكاليف العادية في الشهر.

كان كيبفر شخصا متميزا، وقد اظهر ذلك في الحياة اليومية كما في المعركة. وبما انه بارع في لعبة البريدج منذ سن المراهقة يلعب دوره في الحياة بالطريقة نفسها، وذلك عن طريق تحليل اللعبة، ثم البحث عن أفضل خطوة، ومن وقت لآخر تنفيذ حيلة بذكاء، او ممارسة ضغط مذهل للفوز باللعبة. وبعد درسه المجموعة الكبيرة من الانظمة المختصة بإدارة عمله كأمين صندوق قاعة طعام الضباط وجد ان القانون يسمح له باتخاذ خطوة بسيطة الى حد ما، وغير مثيرة لكثير من الجدل والتي كانت تهدف الى تحميل الزائرين ضعف التكلفة العادية لوجبة الطعام في البحرية. وبعد فترة قصيرة اصبح تقديم الوجبات في قاعة طعام الضباط بمثابة عملية مربحة.

وعندما اتضح لكيبفر ان حتى الزيادة في العمل ستفشل في التأثير الى حد كبير على الكمية الفائضة والمتوفرة من لحم البقر التي كان توث قد اتى بها الى السفينة، عمل على إيجاد الحل.

وعلم كيبفر بالصعوبة التي كانت تعترض السفارة الامريكية في الحصول على لحم البقر

من النوع الجيد. وبما ان توث كان قد انتقى بدقة افضل الشرائح من أجود نوع من لحم البقر، وقد اشترى كمية كبيرة منها بـ٧٩ سنتا للباوند الواحد فقط. وبما ان السفارة كانت تضطر لدفع ١،٧٩ دولارا ونيف ثمن الباوند الواحد عندما تستطيع الحصول على لحم البقر الامريكي، لذلك قبلت بسرور العرض الذي تقدم به كيبفر بالحصول على عدة مئات من الباوندات بسعر ١،١٠ دولارا للباوند.

ولقد أصبحت ميزانية قاعة طعام الضباط قادرة على إيفاء ديونها من جديد للمرة الاولى منذ مغادرة نورفولك. وفي الواقع، كانت قيمة فواتير وجبات الطعام الفردية لشهر تموز (يوليو) تنقص مقدار خمسة دولارات: أي أن كل عضو في قاعة طعام الضباط كان يقبض خمسة دولارات عندما يتناول الطعام بدلا من ان يدفع ثمن وجبات طعامه. ولأن كل معاملة كانت تبلغ بصورة تامة وصحيحة الى مكتب شؤون الموظفين في البحرية تمكن كيبفر من الحفاظ على عملية ناشطة لتبادل الرسائل مع المكتب لاكثر من ثلاث سنوات في حين كانت واشنطن تحاول سبر غور ما يجري.



بدأ غولدن يتسلم التقارير التي تتحدث عن بطولات فردية خلال الهجوم. وأجرى التحقيق الدقيق بشأنها عن طريق إجراء المقابلات شخصيا مع شهود، وتوجيه التعليمات بإعداد مقالات تقريظية للحالات الملائمة كي تقدم الى السلطات العليا [1].

واوصى بمنح اوسمة تعطى بعد الوفاة لخمسة رجال، وسام صليب البحرية لفيليب آرمسترونغ وفرانسز براون، وميداليات النجوم الفضية لستيفن توث والكسندر تومبسون وديفيد سكولاك. كما أوصى بمنح الذين نجوا ثمانية وثلاثين وساما تراوحت بين ميداليات الجدارة بالثناء في البحرية وميداليات النجمة الفضية. ولقد أوصى الفريق أول بحري، مارتن، بمنح كل من كاربنتر وغولدن وكيبفر ولاركنز ولكوود ولوكاس وسكوت وغيرهم ميداليات النجمة الفضية، كما أوصى الفريق أول بحري، مكين منح مكفوناغل اسمى وسام عسكري في البلاد وهي ميدالية الشرف.

أما سكولاك الذي توفي في قاعدة أمامية للمدفعية في اثناء محاولته إطلاق النار على

(١) رشح شخص صفيق نفسه للحصول على جائزة البطولة. فكتب رسالة مثيرة كي يوقع عليها ماكفوناغل وصف فيها استغلاله المتخيل، وأعد تنويها ببطولته القصد منه إرفاقه بالوسام، ورشى شريكا له في المؤامرة كي يؤكد على صحة روايته الكاذبة، ثم أرسل بالطرد البريدي غير المشروع الى الملازم البحري غولدن الذي اكتشف المؤامرة على الفور وما يزال هذا الشاب الذي يثير الشفقة محتقرا لدى الكثيرين من رجال وضباط السفينة ليبرتي الذين يعرفون الرواية.

الطائرات الغازية، فكان مرشحا لبعض الوقت، للحصول على ميدالية الشرف. واستمرت التقارير تقول بأن سكولاك كان غير هياب، ويعرض نفسه للقصف واطلاق النار بينما كان يحاول استعادة المجروحين، كما عرض نفسه لمخاطر كبيرة من أجل عدم ترك موقع الرشاشات خاليا من الرجال، وبأنه استمر في القتال لمدة طويلة حتى بعد إصابته بجروح خطيرة. ولسوء الحظ، كان تومبسون أفضل شاهد على أداء سكولاك ولكنه توفي معه في موقع المدفعية. ولو أن سكولاك توفي على منصة مقصورة القيادة لاختلف الامر إذ كان هناك شهود ليثبتوا ما أنجزه. ولكن حسبما جرت الأمور لم يكن هناك ما يكفي من الشهود لتوفير الادلة القوية التي تمكن سكولاك من الحصول على ميدالية صليب البحرية، او ميدالية الشرف. لذلك تسلمت أسرة سكولاك ميدالية النجمة الفضية فقط.

وكان أحدهم قد رشح الملازم بينتر ليحوز على ميدالية النجمة البرونزية مكافأة له على ادائه كقائد فرقة التصليحات المسؤولة عن القسم الخلفي من السفينة. وكان بينتر قد أنهك نفسه في العمل معظم فترة بعد الظهر، وعرض نفسه لنيران الرشاشات مرارا بينما كان يتفحص الأضرار الناجمة عن القتال في المناطق التي تعرضت للقصف، وجابه نيران الصواريخ عندما كان يساعد في نقل الجرحى، وأخيرا توصل الى استعادة النظام عندما أصيب الرجال بالهستيريا كرد فعل على الانذار الثاني بشن هجوم طوربيدي.

وتم القيام بتحضير إشادة ببطولة بينتر قدمت للكابتن. لكن ضابطا كان يضمر العداوة لبينتر لمدة طويلة جاء برواية أن بينتر قد عرض، بلا ضرورة، جرحى للخطر عن طريق نقلهم الى السطح الرئيسي في الاثناء التي كانت فيها السفينة ما تزال تتعرض للقصف من زوارق الطوربيد. فأصغى مكفوناغل لهذه الرواية، وأصدر الأوامر بسحب الترشيح للوسام. يا للأسف، لو سئل الملازم بجري سكوت عن ذلك، لشهد أن بينتر كان يستجيب للامر « استعدوا لترك السفينة » الذي أطلقه سكوت شخصيا من منصة ربان السفينة.



في الفترة الأولى لبقاء السفينة ليبرتي في مالطا علم الطبيب كيفر أن السفينة تحمل صندوقين كبيرين من جوارب النايلون النسائية التي كان من المفروض ان يستفيد منها موظفو السفارة الذين يتوقع منهم التسوق من مخزن السفينة. لم يكن هناك إمكانية بإعادة الجوارب. لذلك أصبح الآن من الواجب التخلص منها كونها تشكل فائضا. وبما أن كيفر سارع الى استغلال الفرصة بسرعة تقدم بعرض كان العرض الوحيد، كما اتضح، حاز بموجبه على اثني وسبعين دزينة (٨٦٤ زوجا) من أجود أنواع جوارب النايلون النسائية بأحجام وألوان متنوعة، وبسعر منخفض يقل عن ستة سنتات للزوج الواحد.

ومن خلال جوارب النايلون الطويلة وقاعة طعام ضباط السفينة ليبرتي انفتحت أبواب

الزرق أمام كيبفر التي لم يكن ممكنا للنقود وحدها ان توفرها. اما الباب الذي كان من المستحيل عبوره، كما يبدو، فهو باب نادي اليخت الملكي غاريسون، الذي تملكه وتديره البحرية البريطانية الملكية. ولأن ضباط البحرية التابعين للبلدان الأخرى من شمال حلف الأطلسي كانوا يقومون بزيارة مالطا، كان النادي يقدم امتيازات شرف وضيافة للضباط الزوار التابعين لشمال حلف الأطلسي. وبهذه الطريقة أصبح ضباط السفينة ليبرتي يستمتعون باستخدام نادي اليخت الملكي غاريسون.

إن نوادي اليخوت البريطانية على كل حال لا تشبه نظائرها الأمريكية. لذلك يصنف ضباط البحرية الأمريكية كمواطنين من الدرجة الثانية في مثل هذه النوادي. وهكذا حدث أنه رغم منح ضباط السفينة ليبرتي إسميا إمتيازات بالانتماء الى النادي، كان من النادر توافرها عندما كانوا يريدون استخدامها. ونادرا ما توافرت الزوارق عندما أراد ضباط السفينة ليبرتي استخدامها. وكان من الممكن القيام بإجراءات الحجز إلا أن الزوارق كانت محجوزة مسبقا، عادة، في الأوقات التي يطلبها ضباط السفينة ليبرتي. وعندما كان أحد الزوارق متوافرا في إحدى الحالات النادرة، كان عادة، في مكان من عنبر الزوارق لا يمكن الوصول إليه، وتسد طريقه زوارق أخرى غير قابلة للتحريك من مكانها، وينقصه صار، أو دفة، أو شراع، أو في حالة أخرى غير صالح للاستعمال. وإذا عثر بطريقة ما على الأجزاء المفقودة وأزيلت الزوارق غير القابلة للتحريك من مكانها، فلم تكن المساعدة، أو التعليمات متوافرة حول كيفية استخدام رافعة الزوارق المطلوب استخدامها لنقل الزورق ووضعه في المياه.

وواجه كيبفر المشكلة باسلوبه المميز أي وجها لوجه.

فقال لموظف في النادي: «أيها السيد هاملتون جونز[٢] حصلت على كمية من جوارب النايلون الطويلة النسائية، وبما انني لست متزوجا لا أستفيد منها بشيء. كما أنني لا أستطيع أن أبيعها إذ انه لا يصح لي شخصيا أن أحقق أرباحا شخصية من الجوارب النسائية. وإني لأتساءل ما إذا كان لديك طريقة ما تمكنني من التخلص منها».

فتعهد السيد هاملتون جونز بدرس المسألة، لكنه لم يتوافر لديه حل جاهز.

فاقترح كيبفر عليه ما يأتي: «ربما يمكنك أن تأخذ بعضا منها لزوجتك. وإذا أحضرت لك، مثلا، عشرة أزواج، فهل تعتقد أن زوجتك ستقبل بها؟»

فافترض السيد هاملتون جونز أن ليس هنالك ما يمنع زوجته من القبول بها.

وفي اليوم التالي حضر الدكتور كيبفر حاملا معه علبة أنيقة تحتوي على عشرة أزواج من

(٢) ليس هو إسمه الحقيقي.

أجود أنواع جوارب النايلون الطويلة بالحجم واللون الذي يناسب السيدة هاملتون جونز بالضبط.

وبالمصادفة، كان هناك زورق متوفر للسيد هاملتون. وفي الحقيقة كان الزورق في المياه ومجهزا بشراع. وبالاضافة الى ذلك لم يكن الزورق محجوزا من قبل، وكان تحت تصرف الدكتور كيبفر وأصدقائه طوال مدة بقائهم في مالطا.

ومنذ ذلك الحين كان ضباط السفينة ليبرتي يبحرون بانتظام لأنهم كانوا عادة يجدون الزورق مجهزا بشراع وفي انتظارهم.



كان العميد بحري ألفونس مكفوت[٣] قائد الحملة في الأسطول السادس، وقد زار مكفوت السفينة ليبرتي في البداية خلال فترة تصليحها، وكان أيضا يجد متعة في الابحار. وبالرغم من ذلك، فإن من هم برتبة فريق أول بحري لا يعالجون شخصيا مثل هذه الأمور العادية كحجز الزوارق. ومثل هذه الأشياء هي من واجبات ضابط العلم. وكان للعميد البحري مكفوت ضابط علم شاب وقدير جدا.

لكن مكفوت الذي كان قادرا على تسبيب الارتعاش في عدد قليل ممن هم في رتبة فريق أول بحري، وجعل كبار الضباط يبكون، لم يكن قادرا على الحصول على زورق كي يستخدمه. وفي عدة مناسبات كان ضابط العلم يتصل بنادي اليخت الملكي غاريسون طالبا زورقا إلا أن الزورق لم يكن متوافرا أبدا. وبدأ ضابط العلم يشعر باليأس. ورغم كل ذلك، كانت وظيفته أن يلبي مثل هذه الحاجات عندما يشعر مكفوت برغبة في الابحار في زورق صغير. فقام ضابط العلم بزيارة السيد هاملتون جونز، وشرح له حاجته الماسة آملا ان تتحقق أمنيته بالحصول على زورق. لكن ذلك لم يتم.

وفي أحد الايام جلس العميد البحري مكفوت الى طاولة كيبفر في قاعة طعام الضباط، وخلال تناول وجبة الغداء ذكر له أنه يشعر بخيبة أمل لعدم تمكنه من الحصول على زورق من نادي اليخت الملكي غاريسون. فأصغى كيبفر الى مكفوت بالاهتمام الشديد الذي سرعان ما يتعلم ضباط البحرية على إبدائه في حضور من هم في رتبة فريق أول بحري.

وقال كيبفر: «حضرة الفريق أول بحري، سأبحث في الأمر فورا بعد الغداء».

وبعد الغداء مباشرة أجرى الدكتور ريتشارد كيبفر اتصالا هاتفيا مع السيد هاملتون جونز سأله في اثنائه ما إذا كان يمكن حجز زورق شراعي صغير ليستخدمه مكفوت.

(٣) ليس هو إسمه الحقيقي.

وأجاب هاملتون جونز بأن الأمر ممكن، وسيكون الزورق جاهزا متى رغب مكفوت في الابحار.

وهكذا تحدث العميد البحري مكفوت الى السيد هاملتون جونز في الأمر ليجد بعدها زورقا مجهزا بشراع في انتظاره.

وقال مكفوت لهاملتون: «إنني حقا، أقدر لك هذه الخدمة، سأمكث هنا بضعة أيام فقط وهذه المرة الأولى التي يتوافر فيها زورق لديك».

فأجاب السيد هاملتون جونز معتذرا: «لم أكن أعرف أنك صديق للدكتور».



وفي مدة وجيزة ثبت أن جوارب النايلون الطويلة هي ذات فاعلية لاجراء صفقات تجارية لا تقل عن النقود. وعن طريقها تمكن كيبفر ليس فقط من الحصول على الزوارق الشراعية بل على شتى أنواع وأشكال الخدمات الاخرى غير المتوافرة. فكان يتم من خلالها الحصول على الطعام والشراب والاقامة في الفنادق، وترتيب الجولات السياحية لمشاهدة معالم المدينة، وفي صباح أحد الأيام أرسلت سيارة كبيرة فخمة كاملة التجهيزات مع السائق الى السفينة لتظل تحت تصرف طاقمها لمدة شهر تقريبا. وعن طريق جوارب النايلون حصل كيبفر على مكان له بين خبراء البقشيش والذين يتعاملون بالتحف القديمة مقابل أسعار بخسة، فاستأجر فيلا بأربع غرف نوم كاملة التجهيزات مع خادمة مقابل مئة زوج من جوارب النايلون. وسرعان ما أصبح المكان مقرا لضباط السفينة في غير ساعات العمل، ومحطا لأحاديث الجيران إذ أنه بعث البهجة في المنطقة المجاورة التي كان الفتور وعدم البهجة يسيطران عليها من قبل، وذلك بسبب الحفلات التي كما يظهر لم تنقطع ابدا.

الفصل الثالث عشر

الدواء

يواتي الحظ على المدى البعيد من لديهم الكفاءة فقط.
هلموت فون مولتكي، ١٨٠٠- ١٨٩١

تم اختيار إثني عشر شخصا منا للانتقال من المستشفى الخاص بالبحرية في نابولي الى الولايات المتحدة الأمريكية عن طريق مستشفى الجيش في فرانكفورت. وقد قدم الأطباء الوقاية لساقي في أثناء الرحلة بواسطة ضمادة وجبيرة لكل الجسم غلفت جسمي بالجبس المجفف ابتداءاً من الابطين وحتى أصابع القدمين. ثم لاتمام التغليف ربطت الممرضات شريطا بشكل زهرة القرنفل الى قدمي وشكلت بجانبه بطاقة شحن كتب عليها: «في حال فقدانه، نرجو طرحه في أي صندوق بريد. يعاد الى ديلورس، المستشفى الخاص بالبحرية الأمريكية، صندوق بريد الأسطول، نيويورك ٠٠٩٥٢١

وبعد أسبوع وصلت مستشفى البحرية في بورتسماوث على مقربة من نورفولك، وذهب ديف لويس الى مستشفى البحرية في بثيسدا على مقربة من واشنطن، وجورج ويلسون الى مستشفى البحرية في غريت ليكس على مقربة من منزله في شيكاغو. أما جو لنتيني وديك كارلسون فرافقاني في الرحلة الى بورتسماوث، وجيف كاربنتر ودون هرولد فقدما لاحقا في رحلة أخرى بالطائرة. وتوزع الباقون هنا وهناك في مستشفيات قريبة من مساكنهم.

وكانت السفينة ليبرتي ما تزال في مالطا إلا أن معظم الفنيين والجرحى أرسلوا الى الوطن قبل مغادرة السفينة. ومن الضباط توفي آرمسترونغ وتوث وبيرس. وكان أوكونور قد أدخل المستشفى في لاندستوهل، في ألمانيا، كي يتماثل للشفاء بعد إزالة كليته، وديف لويس يعالج لفقدان حاسة السمع. ومن الضباط العشرة الذين ظلوا على متن السفينة أصيبوا كلهم بجروح ما عدا سكوت وأومالي. أما ديك تيلور، ضابط الامدادات، فقد أرسل حتى نابولي حيث توصل لاقناع الأطباء بالسماح له بالعودة الى السفينة لذلك رجع الآن ليبقى على متنها.

وبما أنني كنت اول ضابط من ضباط السفينة يعود الى نورفولك قام بزيارتي معظم بحارة

السفينة ليبرتي الذين كانوا في مدينة نورفولك. وخلال الهجوم قلما أدرك أحد ما يحدث خارج نطاق محيطه الضيق. أما الآن، فقد بدأت أتلقى التقارير من الذين كانوا في كل أنحاء السفينة. فأطلعني توماس سميث على إلقاء قوارب الانقاذ المطاطية من متن السفينة ردا على الأمر «بالاستعداد لترك السفينة»، وانه شاهدها تغرق من جراء إطلاق النار من الرشاشات. وأطلعني لويد بينتر وغيره على القصة نفسها لدى وصولهم. وأخبرني جيف كاربنتر عن تجاربه على منصة مقصورة القيادة ومشاهدته أنابيب رش الماء لاطفاء النار مثقوبة من رصاص الرشاشات التي أطلقتها زوارق الطوربيد. وقص علي جو لنتيني كيف وجد نفسه تحت سطح الماء في مقصورة مملوءة بالمياه. كما حدثني دوك ريتنبرغ عن أنه سبح في مياه مخلوطة بالزيوت في مقصورة الأبحاث التي اقتحمتها المياه. ولقد جمعت كل هذه القصص وكأنها لآلىء، ولم أكن واثقا بعد مما قد افعل بها، ولكنني كنت متأكدا أن هناك حاجة لحفظها.

وسرعان ما اتصل بي مخبر صحفي تلفزيوني أراد ان يجري معي مقابلة على شاشة التلفزيون تذاع اثناء نشرة الأخبار المسائية، فأي تقرير صريح في هذه المرحلة كان سيشكل حدثا مثيرا. وأعلمت بأن البحرية لا تعترض على اجراء المقابلة شرط ان أتصل مسبقا بضابط الشؤون العامة ليتم «إطلاعي على ما يجب التصريح به». لكنني لم أكن راغبا في تكرار التجربة التي مر بها بنكيرت، لذلك لم أتصل بالمخبر الصحفي لأعطيه الرد.



وصلت جثث الموتى الى الوطن في الوقت نفسه تقريبا الذي وصلت فيه، وجرى دفنهم فورا. فدفن جيم بيرس وفيليب أرمسترونغ في مدفن أرلنغتون الوطني. وكان للكابتن جوزيف سي. توث قطعة أرض للدفن في انابوليس فتنازل عن ملكيتها لابنه ستيف. ولقد حضر لرؤيتي بعد أيام قليلة من مراسيم الدفن. وكنت قد التقيت بالكابتن توث للمرة الاولى خلال وجبة عشاء على متن السفينة في شهر نيسان (أبريل) فبدا لي آنذاك بعنفوانه وسمرة بشرته وحيويته المتدفقة من صحته الجيدة، نموذجا لمن هو برتبة كابتن في البحرية. والآن بعد مدة تقل عن شهرين تغيرت ملامحه، فأصبح نحيلا شاحب الوجه وغائر العينين وبدا لي أصغر حجما. وأصبح فجأة رجلا مسنا ومتعبا.

وسألني الكابتن توث: «ماذا حدث هناك، جيم؟»

فأجبته قائلا: «إنها قصة طويلة، يا كابتن. من أين تريدني ان ابدأ؟»

وأضاف: «أخبرني، لماذا لم يخرج ذلك الكابتن بسفينته من تلك المنطقة. فلقد كان يمكنكم رؤية الدخان على الساحل، وعلمتم أن الوضع خطير، فلماذا لم يغادر الكابتن المنطقة؟

إنني ألومه في ذلك وكان الخطأ خطأه. كان يجب ألا يكون موجودا في تلك المنطقة على الاطلاق».

كان الكابتن توث يستشيط غضبا. فهذا الرجل الذي خط شعره الشيب ولكنه ما يزال ذا مظهر مميز كان يتحدث والدموع في عينيه. ويداه ترتعشان وهو يخبرني عن شعوره بالغضب والاحباط من جراء فقده لابنه الوحيد. وأطلعني على أنه ذهب الى واشنطن لمقابلة عضو الكونغرس الذي يؤيده، طالبا منه إجراء تحقيق تام وكامل. فلقي العطف إلا أنه لم يلق المساعدة ولا الأجوبة عل اسئلته. وزار كبار الضباط في البنتاغون، لكنه لم يعثر على أية أجوبة أيضا. وأراد ان يعرف لمن يجب ان تحمل المسؤولية، وما سبب إرسال السفينة لتكون على مقربة من الشاطىء، وما سبب عدم تقديم الحماية والمساعدة لها.

وكان للكابتن توث معرفة شخصية باللواء البحري مارتن، قائد الأسطول السادس، لذلك بعث إليه برسالة يطرح عليه فيها الاسئلة نفسها التي طرحها على كل من الباقين، فأطلعني الكابتن على الرد. وكان ذلك عبارة عن رسالة تعاز تتضمن تعابير التعاطف والرقة المتناهية، مكتوبة على ورق خاص يستخدمه ضابط القيادة، وموقعا عليها باسمه الاول دليل الصداقة الحميمة إلا أنها لا تتضمن أية معلومات جديدة. وبكل بساطة دلت رسالة اللواء البحري مارتن على رفضه الهجوم بخشونة واعتباره بأنه كان مجرد حادثة مؤسفة. فهذه هي الرواية الرسمية عما حدث: كل الامر كان مجرد حادثة، إن شعوري يغمره الحزن بشأن ستيف.

وسرعان ما أصبح الكابتن توث رجلا يشعر بالمرارة وخيبة الأمل. فلقد عمل جاهدا كي يجعل من ابنه ضابطا في البحرية. وساعد ستيف للحصول على مكان له في الأكاديمية البحرية، وشجعه ورعاه في مراحل نموه ونضوجه. والآن توفي ستيف. وكان متأكدا من ان الخطأ يقع على شخص ما في البحرية، لكنه لم يتمكن من كشف الحقيقة. وكان يعرف أنه يزود بالالفاظ الجوفاء، لكنه كان يشعر انه في حالة من الضياع. وظل الكابتن المسن غاضبا، وساهم شعوره بالغضب في تقدمه بالسن بسرعة كبيرة وخلال سنة فارق الحياة. بينما كانت السفينة ليبرتي في مالطا اثيرت مسألة «تعويض المصابين الذين تعرضوا لنيران معادية» لمصلحة بحارة السفينة. واصبح الموضوع شائكا بالنسبة لمدراء المال إذ أن فيتنام كانت منطقة القتال الوحيدة المعترف بها في هذا الصدد من قبل البنتاغون. وبناء عليه، استنادا الى المنطق البيروقراطي لم يكن في استطاعة الفرد أن يتسلم الراتب الاضافي المصطلح عليه الذي يقدر بحوالي ٤٥ دولارا في الشهر ويمنح لمن عرض نفسه لنيران العدو إلا إذا كان في فيتنام.

وعندما أصبحت هذه السياسة موضع تساؤل وشك من خلال المعلومات المستقاة من قيادة ليبرتي اضطرت إدارة البنتاغون الى اتخاذ قرار في الأمر. وجاء في الاشاعات أن الوزير مكنمارا قد شارك شخصيا في القرار. وكان القرار ان أولئك الذين أطلقت النيران عليهم

وأصيبوا ، فقد تعرضوا بصورة واضحة الى نيران العدو ، وبالتالي يتسلمون تعويضا مناسبا في الشهر الذي وقعت فيه الاصابة، وأولئك الذين لم يصابوا لا يحصلون على « تعويض المصابين »، وأولئك الذين جرحوا وأدخلوا نتيجة لذلك الى المستشفى يتسلمون « تعويض المصابين » لمدة أربعة اشهر فقط من فترة بقائهم في المستشفى.

وكان هذا القرار الحل الأفضل لهذه القضية الشائكة. وبالرغم من أنه أثار الحقد والاستياء بين الثماني والثمانين رجلا الذين حالفهم الحظ ولم يتعرضوا للاصابة، مما وفر على البحرية صرف حوالي ٤٠٠٠ دولاراً تدفع كتعويضات مصابين. ولقد عرف رجال السفينة أن العنصر الموجود في فيتنام يحق له قبض تعويض المصابين لمجرد وجوده في البلاد ، ولم يكن من الضروري إطلاق النار عليه، أو حتى وجوده في منطقة خطرة. وإذا تعرض رجل للاصابة، يستمر في سحب تعويض المصابين خلال فترة استشفائه بكاملها دون ان يقطع عنه التعويض بصورة اعتباطية بعد أربعة أشهر.

ولسخرية القدر أدى القرار المتسم بقلة التبصر الى زيادة تكاليف الهجوم. وشعر رجال السفينة أنهم جردوا بخدعة من دفعة من المال التي استحقوا كسبها عن جدارة. ونتيجة لذلك لم يشعروا ان هناك رادعا كالعادة يحول دون الاحتفاظ من امتعة السفينة بقيمة ٤٥ دولاراً عندما نقلوا، أو بأخذ فدية ٦٥ دولاراً ثمن راديو اتلفت في المعركة وكانت قد كلفتهم ١٠ دولارات أو بتناسي اعادة مجموعة من عصي الغولف.

إن السرقة التي لم تكن مشكلة اساسية على متن السفينة ليبرتي اصبحت فجأة مشكلة وقبل أن تجمع وتحصى الامتعة الشخصية التابعة للضباط المتوفين، كان هناك رجل يقوم بسلب ونهب غرفهم مستوليا خفية على آلات التصوير وأجهزة التسجيل وحتى على ما يجده من دواء كالالكا سيلتزر. وقد أعطيت التعليمات للحراس وللمراقبين على سطح مؤخرة السفينة بتفتيش كل طرد ينقل منها. وعندما استمر حدوث السرقات، تم تهديد الحراس أنفسهم باتخاذ الاجراءات القانونية ضدهم بشأن التواني عن القيام بواجباتهم. ومع تكاثر السرقات اختفت آلة تصوير سينمائية بمقاس ٨ ملم تخص الكابتن، كما لم يوجد أثر لآلة التصوير الخاصة بمقصورة قيادة السفينة. كما فقدت آلات كاتبة جديدة كانت ما تزال في علب الكرتون. وقد فرضت غرامة مالية قدرها ١٢٠ دولارا على رجل ألقي القبض عليه وهو يسرق رفيقا له على متن السفينة، ولم يسمح له أيضا مغادرة السفينة لمدة أسبوعين. ولكن هذه السرقات بدت أنها تعكس مشاعر الغضب والاحباط أكثر من أي شيء آخر وظلت مستمرة.

وأصبح كثيرون من الرجال مؤهلين للحصول على تعويض المصابين عن طريق اكتشاف والابلاغ عن جروح لم يسبق لهم ان شعروا من قبل بضرورة الابلاغ عنها. وعندئذ كانت تضاف أسماؤهم الى لائحة الذين جرحوا في ميدان القتال، ومنحوا لاحقا ميدالية القلب

الأرجواني التي تقدم لمن يصاب بجروح في ميدان القتال. وقد تلقى هؤلاء أيضا، تعويضات من إسرائيل نتيجة لاصابتهم بجروح صغيرة من الشظايا تقدر تقريبا بـ ٢٠٠ او ٣٠٠ دولاراً.

وحدث في هذه الفترة أيضا، ان البنتاغون بدأ، نزولا عند رغبة وزارة الخارجية، بجمع المعلومات التي ستستخدم في تقديم دعوى تطالب فيها إسرائيل بالتعويض عن الاضرار.

وقد أخذ محام في البحرية بيانا طبيا مني خلال الشهر الثاني من بقائي في المستشفى. وكان من المستحيل التكهن بالتأثيرات التي قد تنجم عن إصاباتي على المدى الطويل، أو بطول المدة التي سأقضيها في المستشفى، أو بما قد يكون لكل هذا من تأثير على مهنتي العسكرية. ولقد شعرت بالانزعاج لدى معرفتي أن الحكومة مستعدة، كما يبدو، للتصرف استنادا الى ما اعتبره معلومات ناقصة. ولكنني لم ادرك انني كنت محظوظا لانهم تركوني بسلام.

أما الناجين الذين نقلوا الى سان جوان، فكانوا أقل حظا. ففي خطوة فيها إساءة لاستعمال السلطة بشكل لا يعقل، احتجز ضباط عسكريون بحارين شابين من بحارة السفينة ليبرتي رغما عنهما، ووضعوهما في جناح مقفل خاص بالأمراض العقلية في المستشفى التابعة للقاعدة، فرضت عليه حراسة مشددة. ولعدة أيام اعطي هذان الرجلان المخدرات واستجوبا حول ما يتذكران عن الهجوم وذلك بواسطة «مختص في العلاج النفسي» اعترف بانه ليس مدربا على معالجة الأمراض العقلية ولا الأمراض النفسية. وفي إحدى جلسات الاستجواب تجنبا الخضوع للعلاج بالصدمة الكهربائية فقط عن طريق الفرار بسرعة من الغرفة، وطلب مقابلة ضابط القيادة. وقبل إطلاق سراحهما، أجبرا على التعهد كتابيا بأنهما لن يبحثا قط في موضوع الهجوم على السفينة ليبرتي، أو في ما حدث في المستشفى.

الفصل الرابع عشر

نورفولك والوطن

إن قوة الاسطول لا تقاس فقط بعدد الوحدات المقاتلة فيه، بل تقاس أيضا بفعاليته وقدرته على التحرك فورا الى المكان المطلوب فيه والاشتباك مع العدو والتغلب عليه.

الفريق أول بحري ريتشارد وينرايت،
القوات البحرية الامريكية، ١٩١١

استكملت الاصلاحات في السفينة يوم الرابع عشر من تموز (يوليو) واجريت التجارب وهي في الحوض يوم الخامس عشر، وتحركت السفينة متجهة الى نورفولك في الصباح الباكر من اليوم التالي. ومن المحتمل ان المالطيين كانوا سعداء بذهابها. فمن المؤكد ان عمل البوليس ودوريات خفر السواحل واعضاء السفارة وحراس وبوابي الترسانة سيكون اسهل بمغادرة السفينة مالطا.

وكان هناك ضابط شاب غير متزوج كنا على وشك ان نتحرك بدونه حيث انه تأخر في النوم هو وصديق له في فيلا كيبفر. كان المرشد على ظهر السفينة، وتم رفع الحبال التي تشد السفينة الى الرصيف استعدادا لمغادرة الميناء. كما نودي على الطاقم وكان الجميع حاضرا، ما عدا الضابط الشاب الذي تغيب.

لم يكن في الامكان تأخير موعد الرحيل، ولكن بعض التباطؤ كان ممكنا. وقد وجه كيبفر نظارته المعظمة ناحية المدخل الرئيسي للمسفنة في حين كان الآخرون يتفقدون المعدات، وتم وصل الاسلاك بسلم الباخرة استعدادا لرفعه وفجأة، وعندما لم يعد بامكاننا التأخر اكثر من ذلك، سمعنا صوتا يصيح من فوق مقصورة القيادة قائلا: «قفوا! هناك سيارة تاكسي قادمة».

انفتح باب الركاب في التاكسي حتى قبل ان تتوقف السيارة، ودفع الراكب بورقة نقود كبيرة في يد السائق واسرع - وكان يبدو مرتبكا وغير حليق ونعساً في ملابسه المدنية المتجعدة - عبر سلم السفينة. وهنا اعطى ضابط قسم سطح السفينة الاشارة برفع ابهامه لعامل

الرافعة، وتم رفع السلم.

وتحركت ليبرتي.

كان قد تم اصلاحها نوعا ما، ولكنها لم تكن جاهزة لتمخر عباب البحر بالمعنى الحقيقي. لقد تم سد الثقوب فيها على الاقل وذلك بلحم الواح صلب فوقها لمنع دخول الضوء والهواء والماء. ولكن هذه العملية كانت مجرد « ترقيع » اكثر منها « اصلاح ». وقد تم عمل اصلاحات كبيرة في الثقب الذي سببه الطوربيد لأنه بدون ذلك لم يكن بوسع السفينة الابحار. بالاضافة الى ذلك لم يكن هناك رادار في السفينة كما ان قعرها كان ملتويا. فإذا وقف شخص عل الخط الذي يقسم السفينة الى قسمين لبدا له بوضوح ان اجزاء السطح التي تقع على ميمنة السفينة كانت اعلى بمقدار عدة بوصات عن الاجزاء المقابلة لها في الناحية اليسرى. فقد حدث التواء في السفينة بأكملها من جراء قوة انفجار الطوربيد. وكان يمكن رؤية ذلك بوضوح اكثر من اعلى عند منتصف صاري السفينة. فمن هذا المكان لوحظ هذا الالتواء لاول مرة عندما صعد عمال الصيانة لتنظيف وإصلاح هوائيات اللاسلكي.

لان السفينة لم تكن صالحة تماما للابحار، فقد رافقتها مرة اخرى قاطرة الاسطول باباغو التي كانت مهمتها توفير المساعدة عن طريق الرادار المجهزة به وتسهيل الاتصالات والمهام الملاحية، وبهذه المساعدة فقد كان هناك الامل في ان تتمكن ليبرتي من اجتياز المحيط الاطلنطي بدون حوادث.

غير انه كما اتضح بعد ذلك، فإن باباغو كانت على وشك تنفيذ ما فشلت اسرائيل في القيام به. وكان الوقت ليلا عندما وصلت ليبرتي الى مضيق جبل طارق. وهذا الممر الذي يعج بالسفن القادمة الى البحر المتوسط تقع فيه نسبة كبيرة من حوادث التصادم حتى في افضل الاحوال الجوية، وقد عبرت ليبرتي المضيق في الليل بدون رادار وفي وجود ضباب كثيف.

قادت باباغو الطريق وتبعتها ليبرتي على بعد عدة مئات من الياردات. وتحركت السفينتان ببطء، وكانت باباغو تبحث في رادارها عن السفن القادمة وتوفر لليبرتي طريقا آمنا بواسطة اوامر مقتضبة عن طريق اللاسلكي.

كان الضباط على مقصورة قيادة ليبرتي لا يرون شيئا. وبالرغم من انه كان يمكن سماع اصوات ابواق ضباب السفن الاخرى من على بعد، إلا ان هذه الاصوات كانت تأتي من كل جهة، وبدا لنا ان المسافات بيننا وبين السفن الاخرى واتجاهاتها تتغير بسرعة لدرجة انه اصبح من غير الممكن معرفة عدد السفن القريبة.

كانت باباغو تتعرف على السفن على شاشات رادارها وتعلمها كما يلي: « الاتصال أ » و« الاتصال ب » وهكذا، ثم ترسل هذه المعلومات لاسلكيا الى شخص في مقصورة قيادة

ليبرتي كان يرسم باستمرار خط سير كل سفينة. غير ان هذه المعلومات لم تكن مرضية دائما بالنسبة للضابط الموجود على سطح السفينة، خصوصا عندما كان يسمع ابواق الضباب من مكان لم يبلغ عن وجود سفن فيه. وكان المراقبون في مقدمة السفينة يساعدون ضابط القيادة في مهمته عن طريق مشاهدة وسماع ما يدور حول السفينة مما وسع من الرقعة التي يراقبها بمقدار مائة قدم تقريبا، وكان الجميع يعلمون انه لا يمكن ايقاف السفينة في مسافة اقل من نصف ميل. ومرة اخرى كانت ليبرتي في خطر كبير.

جلس الكابتن مكفوناغل في كرسيه في مقصورة القيادة، ومن وقت لآخر كان يرفع الى عينيه النظارات المعظمة الثقيلة المخصصة للبحرية من طراز «بوش آند لومب» بحثا عن سفن اخرى. غير ان هذه الحركة كانت عادة اكثر منها وسيلة للمساعدة حيث لم يكن بإمكانه ان يرى غير ضباب رقيق رمادي اللون. وبالاضافة الى صوت محركات السفينة كان يسمع اصوات العديد من ابواق الضباب، ولم يكن في امكانه التأكد من الموقع الذي تصدر منه. وعندما لم يعد يستطيع تحمل المخاطرة اكثر من ذلك، استدار فجأة الى ضابط القيادة وبدون تفسير قال له: «اطلق الانذار استعدادا للقتال».

وكرر ضابط القيادة الامر فورا ناقلا اياه الى الرئيس البحري المسؤول عن توجيه السفينة.

وسأل الضابط البحري وهو مذهول: «الانذار بالاستعداد للقتال يا سيدي؟»، وكان متأكدا انه اساء فهم الاوامر.

وجاءه التأكيد من ضابط القيادة: «نعم، اطلق الانذار استعدادا للقتال».

ورد الضابط البحري وهو يضغط براحة يده على ذراع تشغيل الانذار: «أطلق الانذار استعدادا للقتال، نعم يا سيدي».

وانطلق صوت الانذار «كلانغ كلانغ كلانغ كلانغ»، فهرول الرجال من اسرتهم وقد صحوا من النوم مذهولين، وارتدوا سروالهم بسرعة كما لبسوا احذيتهم بدون جوارب.

«ماذا يحدث بحق السماء؟»

«قد يكون الاسرائيليون الملاعين قد عادوا ليجهزوا علينا».

وفي اقل من خمس دقائق كان افراد طاقم ليبرتي قد استيقظوا وارتدوا ملابسهم واتخذوا مواقعهم القتالية. فقد استخدم مكفوناغل نظام الاعلان العام للتوضيح بأن السفينة كانت تعمل بدون رادار في ظروف خطرة وضباب كثيف، وانه استخدم انذار الاستعداد للقتال كأسرع وأضمن وسيلة لايقاظ الجميع وجعلهم منتبهين، باستثناء كيبفر الذي ظل في سريره غير مرتبك، الذي اعتبر ان هناك وقت كاف للنهوض عند سماع صوت الارتطام.

وفي وضع الاستعداد للقتال استمرت السفينة في طريقها ببطء عبر المضيق في الوقت الذي زاد فيه الضباب كثافة. وكان افراد الطاقم يبدون تململا عصبيا بدون كلل او يغفون لبرهة في مواقعهم القتالية، في حين ان مكفوناغل والضباط في مقصورة القيادة كانوا يحاولون جاهدين تتبع مسار السفن التي تبلغ باباغو عنها ويحدقون بقلق في ستائر الضباب الكثيف التي كانت معلقة حول السفينة.

وفي إحدى المرات جاءت رسالة من باباغو تأمر ليبرتي بالانحراف الى اليمين. فاستدار ضابط سطح السفينة وتبادل عدة رسائل عاجلة مع باباغو كانت تتساءل فيها ليبرتي عن المسار الذي عليها اتباعه وتصر باباغو ان المسار مأمون. وفي النهاية وثق مكفوناغل في غريزته تجاه نصيحة باباغو وامر ضابط القيادة بالانحراف بعيدا. وقد كان ذلك في الوقت المناسب لانه لو انتظر لبضع دقائق بعد ذلك لكانت السفينة جنحت في المضيق، ومرة اخرى انقذ مكفوناغل سفينته من الدمار.

بعد ذلك بأيام، وفي عرض البحر، اصبح من الضروري نقل بعض الاشياء بين السفينتين، ولهذا الغرض تم اعداد خط نقل عال بينهما. كما اتخذ افضل مدير للدفة في ليبرتي موقعه خلف عجلة القيادة وقاد السفينة في مسار مستقيم بقدر الامكان في الوقت الذي اقتربت باباغو الى جانبها، وقام البحارة بعد ذلك بجر الاشياء فوق خط النقل.

ولكن لم يكن كل شيء على ما يرام.

انعطفت باباغو بحركة واحدة في اتجاه ليبرتي لدرجة ان جميع من كانوا على السطح توقعوا حدوث ارتطام. ولكن لم تضع باباغو في حسبانها مقدرة مكفوناغل الذي اطلق بحركة واحدة انذار الارتطام وأمر باباغو بإيقاف محركاتها وأدار ليبرتي باتجاه باباغو. وبالاتجاه ناحية باباغو، دارت مؤخرة ليبرتي بعيدا وانفصلت السفينتان بسلام. وبذلك اكتسبت منزلة مكفوناغل احتراما اعمق في اعين افراد طاقمه.

ومن تلك اللحظة انتشرت شائعة مفادها ان باباغو كانت بالفعل عبارة عن زورق مدفعية اسرائيلي متنكر. ففي أي وقت كان يتوقع منها ان ترفع علم نجمة داوود (أو علم القرصان) وتدمر ليبرتي وتخفيها عن وجه الماء.

في يوم ٢٩ تموز (يوليو) وصلت ليبرتي الى المحطة البحرية في «ليتل كريك» بالقرب من نورفولك. وكانت هناك حوامات تطوف فوقها وعدة مئات من الاشخاص على الرصيف. وبالرغم من انها قليلة هي الاحداث التي تمر بشكل ابطأ من عملية وصول إحدى السفن، فإن ليبرتي رست في النهاية في مكانها الى جانب الرصيف، وقام عمال الرافعة بوضع سلم النزول.

وكان كبار الضباط المحليين اول من صعد على ظهر السفينة، وتبعتهم ملكة جمال نورفولك وملكة الضيافة يتبعها مصورو التلفزيون ثم مراسلو الاذاعات والصحف واخيرا السيدة مكفوناغل وزوجات وعائلات افراد طاقم ليبرتي. وكان اللقاء مؤثرا خصوصا مع وجود بعض اللائي ترملن حديثا وتم استدعاءهن من باب العادة والواجب.

وتحمل مكفوناغل مشقة مؤتمر صحفي مؤلم آخر. وكان هذا المؤتمر تحت اضواء التليفزيون وفي غرفة طعام الضباط التي كانت ما تزال تحمل آثار الدمار. ومرة اخرى غمغم بالرواية الرسمية القائلة بأن كل شيء كان عبارة عن خطأ مؤسف. ثم انتهى المؤتمر، وكانت ليبرتي قد عادت للوطن.

وفي اثناء الاسابيع القليلة التي تلت ذلك، زارني في المستشفى جميع ضباط السفينة تقريبا. وفي حين ان مكفوناغل لم يتفوه سوى بالقليل، اجمع بقية الضباط على التعبير عن غضبهم من الاسرائيليين واعربوا عن اقتناعهم بان الهجوم كان مقصودا.

وكان الملازم اول موريس بينيت من بين اكثر الضباط غضبا وصراحة في ما يتعلق بهذا الموضوع. وكان قد دعي لمصاحبة مكفوناغل الى واشنطن لمقابلة رئيس العمليات البحرية الفريق أول بحري دافيد ل. ماكدونالد. وكان بينيت يتطلع لهذه الفرصة التي ستسنح له بمقابلة اكبر ضابط في البحرية ومناقشة موضوع الهجوم معه. أما انا فكنت متشوقا لسماع تقرير موريس عن المقابلة. فقد يساعد الفريق أول بحري ماكدونالد في الكشف عن بعض الغموض الذي يحيط بالهجوم. غير انه مما اثر دهشتنا ان موريس عاد من واشنطن صامتا مقهورا للكبت الذي فرض عليه.

« ماذا حدث يا موريس؟ »

« قابلنا الفريق أول بحري ماكدونالد والسناتور فولبرايت ».

« وماذا حدث؟ »

« هذا كل شي. فالهجوم كان مجرد حادث، ولا يوجد شيء آخر اضيفه ».

« هذا هراء! فكلانا يعرف اكثر من ذلك يا موريس. كان الهجوم عبارة عن جريمة قتل حقيرة. هل اجريت لك عملية غسل دماغ هناك؟ »

« هذا كل ما استطيع ان اقوله. كان الهجوم مجرد حادث ».

ترك موريس انطباعا واضحا انه تلقى تعليمات بعدم الافصاح عما جرى في الاجتماع، ولم يسمح لاحد بأن يستدرجه. وفي الحقيقة كان يجب الانتظار سبع سنوات قبل ان يفصح عما جرى « فعلا » في هذا الاجتماع.

وسط الفوضى التي صاحبت الهجوم والآثار التي ترتبت عليه، نسينا القصة التي وقعت في بداية الرحلة والقائلة بأنه تم وضع جاسوس على ظهر السفينة للتقصي عن مسألة تعاطي الخمر المخالفة للقانون من قبل الضباط وافراد الطاقم. ولأنني التحقت بالسفينة قبل الابحار بأيام قليلة فقط استعدادا لاداء واجبي، فقد شك الكثيرون من الضباط ومعظم افراد الطاقم في انني كنت الجاسوس. ولم يشك احد في طبيب السفينة الذي التحق بالعمل على السفينة في نفس وقت التحاقي به والذي اشترك في جميع النشاطات التي فيها تحايل على القانون في السفينة.

بعد عودة ليبرتي الى نورفولك بوقت قصير استدعي الدكتور كيبفر الى مكتب العميد بحري هنري ألغرنون رنكن، وكان كيبفر يأمل في ان ينسى العميد رنكن بطريقة او بأخرى المهمة التي كان قد كلفه بها. فكيبفر لم يرغب في تولي هذا العمل ولم يكن يريد رؤية العميد الآن، ولكن لم يكن هناك مناص من القيام بهذه الزيارة.

سأل رنكن بعد تبادل المزاح: « حسنا، ماذا اكتشفت؟ »

« السفينة جيدة وافراد الطاقم جيدون. فقد تغلب هؤلاء الرجال على المحنة وخرجوا منها سالمين كالمحترفين. يمكنك ان تفخر بهم ».

فقال العميد: « أنا فخور يا دكتور، أنا فخور. ولكن الذي اريد معرفته الآن هو خرق القوانين التي تحرم تعاطي الخمر ».

« نعم يا سيدي، ليس من السهل كتابة مثل هذا التقرير. لقد عقدت صداقات حميمة على هذه السفينة، وعلى ضوء هذه الظروف اصبح من الاسهل قليلا إعداد مثل هذا التقرير ولكن لا اظن انه سيكون ذا فائدة كبيرة. نعم، إن معلوماتك كانت صحيحة. فكل ضابط تقريبا كان يشرب الخمر، بالاضافة الى معظم الرؤساء والكثيرين من افراد الطاقم ».

كان كيبفر يعلم انه لم يبلغ عن شيء لم يكن العميد على معرفة به من قبل، وقد اعد التقرير، ولحماية زملائه في السفينة تفادى ذكر اية اسماء. فقد كان يكره هذه المهمة وكان سعيدا عندما تحولت المناقشة الى مواضيع اخرى.

وعندما هم كيبفر بالخروج، عاد العميد الى موضوع الخمر.

« إن البريطانيين يسمحون بتعاطي الخمر على السفن ».

« نعم يا سيدي؟ »

« إن غرف الطعام التي لا تعرف الخمر ابدا هي تقليد في بحريتنا تقريبا. ولكن لا توجد هناك سفينة كان يمكن لادائها ان يكون افضل من اداء ليبرتي، سواء خرقت انظمة تعاطي الخمر ام لم تخرق. فقد يكون من الافضل إعادة السماح بشرب الخمر على جميع سفننا ».

اثناء ذلك، كان الوقت يمر ببطء في المستشفى البحري ببورتسماوث. فقد ازيلت الجبيرة من على جسمي، وكان علي الآن ابقاء ساقي في جهاز التمطيط لمدة تتراوح من ستة الى ثمانية اشهر ـ وهي فترة لا تنتهي علي فيها ان اكافح السأم والتقرحات الناتجة عن النوم في السرير. غير انه بعد وقت قصير عرض علي صديق من الطرادة «نيوبورت نيوز» المساعدة. كان القائد ديك غرانت، وهو مرشد بحري، منوما مغنطيسيا بارعا، وقد اقترح علي بأن التنويم المغنطيسي قد يعجل في شفائي. فعندما كنت تحت تأثير التنويم المغنطيسي كان يقول لي ان روحي المعنوية ستظل مرتفعة بالرغم من حبسة المرض، وان قوة عضلاتي ستبقى جيدة بالرغم من عدم الحركة، وان الكسر في ساقي سيلتئم بسرعة. كما علمني ان اقوي هذا الاقتناع في نفسي عن طريق التنويم الذاتي. وبالرغم من انه لم تكن لدى اي منا القناعة بأن التنويم المغنطيسي يمكنه القيام بذلك، فقد رأينا ان نقوم بالمحاولة على سبيل التسلية.

ويبدو ان التنويم المغنطيسي كان مفيدا. فلم اصب بالكآبة ابدا، كما ان عضلاتي بقيت قوية، وما اثار الدهشة اكثر من غيره ان ساقي التأمت بسرعة كبيرة لدرجة انه تم حل ساقي من جهاز التمطيط قبل الوقت المحدد بشهرين. وقد قال لي الطبيب: «في غضون اسبوع او عشرة ايام عندما تتوافر لديك القدرةعلى استعمال العكازين سنسمح لك بالذهاب الى البيت».

إن التنويم المغنطيسي قد اقنعني بأنني استطيع المشي فورا بدون دروس أو علاج طبيعي، وامضيت بقية اليوم أحاول إقناع العاملين بالمستشفى المتشككين بذلك. وفي النهاية جاءت اختصاصية علاج طبيعي ساخطة ومعها ممرض قوي البنية وقالت له: «والآن، احمله عندما يسقط». ولكنني لم اسقط، بل انطلقت في انحاء الغرفة وكأنني لم اصب اطلاقا».

فقال الممرض: «ستحل علي اللعنة».

وقالت الاخصائية: «شيء مذهل».

وبعد ذلك بشهرين قال لي مجند في المستشفى مدرب على الاسعاف الاولي، «هل تعلم انه هناك ملازم اول كان يعالج عندنا قبل عدة اسابيع وقام من السرير بعد اربعة اشهر ومشى على عكازين بدون مساعدة على الاطلاق».

«أحقا هذا؟»

وبعد ذلك بفترة قال لي مريض كان معي في المستشفى: «هل تعلم انك اسطورة حية في قسم العلاج الطبيعي في هذا المستشفى؟»

«هل تمزح؟»

في ٢٣ كانون الثاني (يناير) ١٩٦٨ تكرر جزء كبير من سيناريو الهجوم على ليبرتي عندما استولت القوات البحرية لكوريا الشمالية على سفينة الابحاث البيئية (الاستخبارات) الامريكية « بويبلو »[1] وافراد طاقمها الذين يبلغ عددهم ثلاثة وثمانين شخصا في المياه الدولية امام الساحل الكوري وبالقرب من « ونصان » بعد معركة دموية وحشية من جانب واحد. وانني لاتذكر الشعور بالاحباط الغاضب وانا اقارن بين الهجومين: فبويبلو، مثل ليبرتي، كانت مسلحة تسليحا خفيفا ولم تكن هناك مرافقة او حماية لها، كما انها لم تكن مجهزة بحيث تستطيع الدفاع عن نفسها ضد عدو مسلح. ومثلها مثل ليبرتي ايضا، فإن بويبلو لم تتلق حماية الطائرات المقاتلة او أي دعم مسلح آخر، كما انه لم يكن من الممكن حمايتها لان الطائرات القريبة منها كانت مجهزة فقط للحرب النووية ولان الطائرات المجهزة للحرب التقليدية كانت بعيدة جدا ولم يكن هناك سفن صهاريج لاعادة تموينها بالوقود. وقد ظهرت القصة في صحيفة النيويورك تايمز يوم ٢٤ كانون الثاني (يناير) ١٩٦٨ على لسان وليام بيتشر الذي قال:

واشنطن في ٢٤ كانون الثاني (يناير) ـ قالت مصادر رفيعة المستوى في البنتاغون ان القاذفات المقاتلة القريبة من سفينة الاستخبارات بويبلو كانت مجهزة فقط للمهام النووية. واضافت هذه المصادر انه لذلك لم يكن من الممكن تجهيز الطائرات في الوقت المناسب امس لمساعدة السفينة المحاصرة بعد ان طلبت النجدة. وكان هذا هو السبب الرئيسي لتمكن الزوارق الحربية لكوريا الشمالية من الاستيلاء على بويبلو واجبارها على الذهاب الى ميناء ونصان بدون ان تبدي اية مقاومة. وقد اعترف بعض المسؤولين ان الاسباب الاخرى التي ساهمت في ذلك كانت عدم وجود عدد كاف من الطائرات المقاتلة الامريكية ذات الحمولة غير النووية والجاهزة للقتال. فقد قال المسؤولون انه في ذلك الوقت كانت هناك ١٣ طائرة نفاثة مقاتلة من طراز فانتوم ف ٤ في كوريا الجنوبية نصفها كانت في حالة تأهب لاحتمال استخدام اسلحة نووية والطائرات الباقية كانت جاهزة للاستخدام عند الحاجة. وجميع الطائرات كانت مجهزة بحوامل قنابل ومعدات اخرى لا يمكن استخدامها إلا في المهام النووية. إن الامر كان سيحتاج الى ساعتين أو ثلاث ساعات لتغيير حوامل القنابل النووية والاجهزة المتعلقة بها واستبدالها بحوامل قنابل تقليدية وامشاط للمدافع

(١) تدرج موسوعة جينز للسفن الحربية ثلاث سفن « للابحاث البيئية »: السفينة « بانر » والسفينة « بويبلو » والسفينة « بالم بيتش ». وكانت تستخدم في السابق كسفن امداد ويبلغ طول كل واحدة منها ١٨٠ قدما تقريبا ويتكون افراد طاقمها عادة من ستة ضباط وسبعة وثلاثين مجندا. وتذكر موسوعة جينز انه تم تحويل السفن لتقوم بعمليات الاستخبارات السلبية وهي مجهزة لمهام الاستخبارات الالكترونية وتحمل اجهزة سوتار للتعرف على اصوات الغواصات وللقيام بالاعمال المتعلقة بعلم وصف المياه.

وحوامل للصواريخ جو جو. كما قال المسؤولون ان الثلاثة اسراب من طائرات الفانتوم الموجودة في اليابان فقد كانت بعيدة جدا ولم تتوافر طائرات صهاريج لاعادة تزويدها بالوقود في الجو، فضلا عن ان حاملة الطائرات «انتربرايز» المزوقد بـ٩٠ طائرة كانت على بعد ٦٠٠ ميل وفي طريقها الى فيتنام.

ما كان احد ليفكر جديا في الاستيلاء على السفينة الامريكية بويبلو لولا ان حكومتنا اثبتت من خلال الفشل في الدفاع عن ليبرتي اننا غير مستعدين ان نوفر الحماية لسفن الاستخبارات التابعة لنا.

ففي حين ان الرأي العام الامريكي افترض ان طائرات الاسطول السادس قد لبت نداء الاستغاثة الذي اطلقته السفينة «في غضون لحظات» ـ لان هذا ما قيل للشعب ـ فان الاتحاد السوفيتي لم ينخدع بهذا. فقد قام الاتحاد السوفيتي بمراقبة العملية بأكملها عن كثب عن طريق شبكة سفن الاستخبارات «سيغنت» التي كانت تتضمن قارب صيد «ضمن التشكيل الامريكي». فلم يكن هناك احد يعلم افضل من السوفيت ان طيارينا كانوا عاجزين، ومن المؤكد انهم راقبوا بدهشة كيف فشل الاسطول السادس القوي في اظهار الاتقان المطلوب لعملية الانقاذ.

فبعد ان لاحظ السوفيت عجز الاسطول عن توفير الحماية لليبرتي، ادركوا ان اية سفينة استخبارات امريكية هي صيد سهل. وبعد ذلك بوقت قصير اصبحت حكومة كوريا الشمالية هي الاداة التي استخدمت للاستيلاء على بويبلو، وهي العملية التي قد تعد انجح ضربة في عالم حرب الاستخبارات في هذا القرن.



في شباط (فبراير) ١٩٦٨، بعد ايام قليلة من الاستيلاء على بويبلو، كانت السفينة الامريكية «سارجنت جوزيف ب. موللر»[٢]، والتي يقوم بتشغيلها مدنيون، في مهام خاصة (استخبارات) امام سواحل كوبا عندما تعطلت محركاتها وانجرفت مع التيار وهي مغلوب على امرها في اتجاه المياه الاقليمية الكوبية.

كانت عمليات الاتصال التي فشلت في حالتي ليبرتي وبويبلو تسير على ما يرام في هذه المرة. فعند أول اشارة خطر تم توصيل دارات الطابعة البرقية في السفينة موللر مباشرة بهيئة رؤساء الاركان المشتركة في البنتاغون حيث كانت تتم مراقبة الحالة والتحكم بها من قبل اكبر الضباط العسكريين في البلاد. ولمدة اسابيع كانت هناك مدمرة كاملة التسليح ترافق موللر طوال الوقت وبقيت على بعد خمسة اميال منها داخل المياه الدولية. أما الان فقد

(٢) انظر التذييل ١، الفصل الرابع، الجزء المتعلق بالسفينة «موللر».

اقتربت المدمرة ومدت حبل القطر لسفينة الشحن المدنية موللر لجرها الى المياه العميقة الآمنة، ولكن الحبل انقطع.

وتدافعت الطائرات من قاعدة جوية امريكية في فلوريدا، واحس افراد طاقم موللر بالارتياح عندما رأوا الطائرات قريبة منهم ومستعدة لتوفير المساعدة اذا اقتضت الحاجة. وتم مد حبل ثان لموللر غير انه انقطع هو الآخر. وفي خلال الساعة التي تلت ذلك تم مد عدة حبال اخرى وجربت عدة طرق مختلفة لتضفيرها وتقويتها، ولكن مرة بعد مرة كانت الحبال تنقطع في الوقت الذي استمرت فيه موللر في الانحراف ناحية الشاطىء.

كان افراد الطاقم يعلمون ان كاسترو كان متحمسا للاستيلاء على سفينتهم. فالسفينة موللر كانت رمزا للحرية غير مرغوب فيه امام السواحل الكوبية، وكانت في كل اسبوع تقريبا تلتقط رجالا ونساء بل وعائلات بأكملها هربت من جزيرة كوبا. وكان هؤلاء يأتون في قوارب واطواف ويعومون باستخدام الاطارات الداخلية، بل تم إلتقاط اشخاص اقوياء جاءوا سباحة. وكان كاسترو قلقا جدا لدرجة انه ارسل مجموعة من العملاء الكوبيين الذين تم انقاذهم فورا ثم بدأوا في طرح الاسئلة الاستدراجية، وهنا عرف افراد طاقم موللر انهم سيكونون بمثابة جائزة كبرى لكاسترو. ولكن مع استمرار انجراف السفينة باتجاه الساحل اطمأن الطاقم الى وجود مدمرة مسلحة بجانبهم وطائرات مسلحة فوقهم، وعرفوا أنه إذا وقعوا في اسر كاسترو فانه سيدفع الثمن غاليا.

وفي اللحظة التي اوشكت فيها السفينة على الدخول الى المياه الكوبية تم مد حبل قطر اليها وتم سحبها بسرعة الى المنطقة الآمنة. وقد وصف بحار صغير التجربة في خطاب ارسله الى اهله الذين تأثروا كثيرا بهذا الخطاب لدرجة انهم ارسلوا خبرا عنه الى صحيفة في شيكاغو. غير ان وكالات الانباء لم تتلق القصة واصبح لا يعرف عنها الا القليل إذا استثنينا من كانوا ضالعين فيها.

في هذه الاثناء كانت البحرية استخلصت ان الاجراءات غير العادية لحماية السفن ذات المهام الخاصة لم تكن تستحق ما ينفق عليها، وبعد وقت قصير اخرجت جميع السفن من هذا النوع من الخدمة.

في شهر شباط (فبراير) خرجت من المستشفى وكلفت بمهام محدودة. وقمت بفترة خدمة مؤقتة في نورفولك ثم في مدرسة في بنساكولا. واثناء انشغال عمال النقل في حزم امتعتنا في البيت الريفي بنورفولك استعدادا للذهاب الى فلوريدا، احضر الي عامل البريد رسالة من مكفوناغل. فقد رقي الى رتبة كابتن في السنة التي تلت الهجوم وكان سيزداد تكريمه الآن. وقد جاء في الرسالة المؤرخة يوم ٥ حزيران (يونيو) ١٩٦٨ ما يلي:

عزيزي جيم، لقد منحني رئيس الولايات المتحدة الامريكية اعلى وسام في الدولة وهو ميدالية الشرف التي يمنحها الكونغرس. وسيشرفني ان ادعوك لحضور الاحتفال الذي سيمنحني فيه وزير البحرية هذا الوسام في الساعة ١١،٣٠ من صباح يوم ١١ حزيران (يونيو) ١٩٦٨ في دار الصناعة البحرية بواشنطن دي سي. المخلص وليام ل. مكفوناغل، كابتن في البحرية الامريكية.

اعترتني ردود فعل عدة إزاء هذا الخبر. لماذا ارسلت الدعوة الي قبل ستة ايام فقط من الحفل؟ فهذه الفترة لم تكن كافية بالنسبة لرحلة تتطلب المبيت في واشنطن وطلب جليسات للاطفال والتحضير للانتقال واتخاذ الترتيبات اللازمة الاخرى.

لماذا سيقوم وزير البحرية بتقليد الوسام؟ ولماذا في دار الصناعة البحرية؟ فميداليات الشرف تمنح عادة في البيت الابيض ومن قبل الرئيس وسط حفل كبير صاخب، وكان يجب منح مكفوناغل ميداليته في حفل لا يقل ابهة.

ولكنني فهمت القصة من احد ضباط البحرية المعنيين بالميداليات والاوسمة الذي قال لي: «إن الحكومة تشعر بالتوتر في ما يتعلق باسرائيل. بل ان وزارة الخارجية سألت السفير الاسرائيلي إن كان لدى حكومته اي اعتراض على منح مكفوناغل الميدالية. وكان رد اسرائيل بالطبع لا!. ولكن لتفادي اية اهانة او اساءة محتملة فإن خطاب التنويه بماكفونغل لم يرد فيه ذكر لاسرائيل، كما ان حفل تقليد الوسام كان متواضعا الى اقصى حد ممكن».

لقد جرت التقاليد ان تستضيف حكومة الولايات المتحدة اولئك الذين حصلوا على ميدالية الشرف مع مدعويهم باقامة حفل عشاء فاخر في مطعم من الدرجة الاولى. أما الكابتن مكفوناغل وزوجته فقد انزلوا في فندق شورهام، كما تقرر ان يقام حفل تقليد الوسام في مطعم الفندق. وتمشيا مع الروح العامة التي تميز بها الموضوع فقد فات احدهم اعلام المطعم بذلك.

وسأل المدعوون الذين جاؤا في الساعة المحددة مدير المطعم عن حفل مكفوناغل. مكفوناغل؟ هل يمكن ان يكون الاسم مختلفا؟ أو يكون ميعاد الحفل في ليلة اخرى؟ وتحرك العاملون في الفندق بسرعة لتجنب وقوع كارثة. وعندما وصل مكفوناغل وزوجته، وجدا المدعوين وقد اتخذوا لتوهم اماكنهم على موائد رتبت بسرعة، ولم يشكا للحظة في ان هناك شيئا ما قد حدث.

في صباح اليوم التالي قدم وزير البحرية بول اغناطيوس الميدالية الى مكفوناغل في حفل متواضع على بعد ميلين من البيت الابيض تقريبا. ولم تكن هناك ابهة، كما لم ينشر اي شيء عنه. وقد اقيم الحفل في الوقت الذي كان فيه رئيس الجمهورية في البيت الابيض يستعد لحفل يقام بعد عدة ساعات يتم فيه تقديم الاوسمة الى اثنين من ابطال فيتنام.

غير ان مكفوناغل لم يحصل على مثل هذا التقدير الحكومي. فصحيفة الواشنطن بوست لم تنشر شيئا عنه، وصحيفة ايفننغ نيوز نشرت في الصفحة السادسة عشرة صورة لماكفونغل وهو يبكي مع تعليق مقتضب عليها.

وقد تولى مكفوناغل بعد ذلك قيادة سفينة لحمل الذخيرة بنيت حديثا تسمى «كيلوي». وفي ٢٨ حزيران (يونيو) ١٩٦٨ اخرجت ليبرتي من الخدمة في حفل قصير في بورتسماوث، فرجينيا. وبعد ذلك بعامين بيعت خردة لشركة بوسطن للمعادن في بالتيمور بمبلغ ٦٦، ٦٦٦، ١٠١ دولاراً.

الفصل الخامس عشر

إسرائيل تدفع تعويضات

يجب على البلد أن يؤمن الحماية لسفنه ... طوال مدة الرحلة.
الفريق أول بحري ألفريد ثاير ماهان، البحرية الامريكية
تأثير قوة البحر على التاريخ (١٨٩٠)

بعد أيام قليلة من نشوب الحرب نكثت الحكومة الفرنسية بتعهدها بتسليم إسرائيل بموجب عقد، خمسين طائرة مقاتلة من طراز ميراج[١] وبدأت الولايات المتحدة بدورها، مفاوضات مع إسرائيل لتزويدها بخمسين طائرة مقاتلة من طراز فانتوم ف ـ ٤[٢].

وفي تلك الاثناء تابع بحارة السفينة ليبرتي تقارير الأنباء باهتمام وهم على علم بأن المفاوضات جارية في الوقت نفسه للحصول على التعويضات الاسرائيلية على الوفيات والاصابات التي وقعت على السفينة ليبرتي، ويظنون أن كل من هذه المفاوضات كان بمثابة ورقة مساومة للأخرى. وكنا مقتنعين بان مسألة دفع إسرائيل للتعويضات ستحل، فقط بعد إبرام عقد الطائرات المقاتلة.

وتقول بعض المصادر أن إسرائيل حاولت التهرب من تحمل المسؤولية بشأن الهجوم عن طريق إثباتها، من ضمن أشياء أخرى، بأن الهجوم نجم عن تقصير مكفوناغل لوجوده على مقربة من شاطىء حيث تدور رحى الحرب، وبأنه لم يكن سيحدث لولا فشلنا نحن في إصدار الامر للسفينة بالخروج من المنطقة (نتيجة لوجود مشاكل في الاتصال). ورغم ذلك فإن طلبات التعويض عن الوفاة التي قدمت مباشرة بعد الهجوم قد دفعت بكاملها في حزيران (يونيو) عام ١٩٦٨ عندما تسلمت حكومتنا شيكا بقيمة ٣،٣٢٣،٥٠٠ دولار أمريكي لصالح أسر أربع وثلاثين رجلا قتلوا في الهجوم[٣]. وكان هذا المبلغ من المال يمثل

(١) صحيفة النيويورك تايمز، ٤ تشرين الثاني (نوفمبر)، عام ١٩٦٧، ص ١٠.
(٢) صحيفة النيويورك تايمز، ١٩ كانون الاول (ديسمبر)، عام ١٩٦٧، ص ٤.
(٣) البيان الصحفي الصادر عن وزارة الخارجية في ١٣ أيار (مايو)، عام ١٩٦٩.

نسبة ١٠٠ بالمئة من مدفوعات طلبات التعويض التي قدر معدلها بحوالي ١٠٠،٠٠٠ دولاراً أمريكياً رغم أن قيمة المبالغ الفردية اختلفت بنسب كبيرة باختلاف أعداد وأعمار المنتفعين منها. وفي تلك الاثناء كان يتم تحضير طلبات التعويض على الاصابات الشخصية للجرحى، واستغرق ذلك وقتا أطول بقليل.

وخلال الاشهر العديدة اللاحقة حدث صراع عنيف عندما تحدثت المقالات في الصحف عن الصفقة المعلقة لبيع إسرائيل الطائرات المقاتلة [٤]. وكانت الفئات المتعارضة تدافع عن وجهات نظرها المتحيزة في هذا الشأن. وكانت الرسائل الموجهة لمحرر صحيفة النيويورك تايمز في كانون الثاني (يناير) من عام ١٩٦٩ تحث الحكومة على الغاء صفقة بيع الطائرات لاسرائيل بسبب شن الهجمات الاسرائيلية على لبنان[٥] وفي وقت لاحق من الشهر نفسه حث عضو في الكونغرس الرئيس نيكسون على الاستعجال في تسليم الطائرات المقاتلة [٦]. وفي شباط (فبراير) اقترح الرئيس المصري، عبد الناصر، أنه يجب أن يكون تسليم الطائرات المقاتلة لاسرائيل مشروطا بانسحابها من الأراضي العربية [٧]، ولكن بعد أيام قليلة أعلنت حكومة عبد الناصر أنها لن تحمل إدارة نيكسون المسؤولية بشأن صفقة بيع الطائرات لاسرائيل[٨].

وبدا أن كل الترتيبات جاهزة لتسليم الطائرات عندما تسلم في أواخر شباط (فبراير) من عام ١٩٦٩، كل من الناجين الذين كانوا على متن السفينة ليبرتي رسالة من وزارة الخارجية بالمبالغ المحددة من التعويضات المطلوبة من إسرائيل. وكان رسميو إدارة المحاربين القدماء قد راجعوا السجلات الطبية في كل حالة منفردة، لتحديد مدى الاصابة، والنسبة المئوية للاعاقة في حال حدوثها. وقررت الحكومة أن التعويضات المنصفة للاعاقة الشاملة هي بقيمة ٣٥٠،٠٠٠ دولاراً امريكياً. لذلك يعوض على الرجال المعاقين بنسبة ١٠ بالمئة بقيمة ٣٥،٠٠٠ دولاراً امريكياً، وعلى أولئك المعاقين بنسبة ٢٠ بالمئة بقيمة ٧٠،٠٠٠ دولاراً أمريكياً، وهلم جرا. وبالرغم من أن الحكومة دعمت دفع مبالغ كبيرة من التعويضات للقلة من الرجال المعاقين بصورة خطيرة، كانت معظم التعويضات المخصصة للسفينة ليبرتي تقل عن قيمة ١٠،٠٠٠ دولاراً أمريكياً، وكثير منها يتراوح بين قيمة ٢٠٠ دولاراً امريكياً

(٤) صحيفة النيويورك تايمز، ٢٨ كانون الاول (ديسمبر)، عام ١٩٦٩، ص ١.
(٥) صحيفة النيويورك تايمز، ٣ كانون الثاني (يناير)، عام ١٩٦٩، ص ٢٦.
(٦) صحيفة النيويورك تايمز، ٢٧ كانون الثاني (يناير)، عام ١٩٦٩، ص ١٤.
(٧) صحيفة النيويورك تايمز، ٣ شباط (فبراير)، عام ١٩٦٩، ص ١.
(٨) صحيفة النيويورك تايمز، ١٣ شباط (فبراير)، عام ١٩٦٩، ص ٤.

و ٤٠٠ دولاراً أمريكياً للحروق الخفيفة والجروح من الشظايا [٩].

وأخيرا، في ١٩ آذار (مارس) نشرت الصحف النبأ بأن سلاح الجو الأمريكي يدرب ١٢٠ طيارا إسرائيليا على استخدام الطائرات التي ستسلم قريبا (١٠) وهكذا فإن موعد دفع التعويضات للذين جرحوا على متن السفينة ليبرتي لا يمكن أن يتأخر كثيرا.

وفي ٢٨ آذار (مارس) أرسلت مذكرات دبلوماسية الى حكومة إسرائيل تنص على مطالبتها بدفع تعويضات الاصابات الشخصية، وكان لكل فرد ملاحظة منفصلة. وبدأت كل مذكرة بعبارات مقتضبة كتبت على صفحات منفردة كالآتي: «إن سفارة الولايات المتحدة الأمريكية تبعث تحياتها الى حكومة اسرائيل،» ثم استمرت لتذكر تاريخ ومكان وقوع الهجوم، واسم الشخص الذي يطلب له التعويض، ومبلغ المال الذي يعد مناسبا. وكانت هذه المذكرات موقعة عن «سفارة الولايات المتحدة الأمريكية»، ومؤرخة بتاريخ اليوم نفسه الذي ارسلت فيه.

في الحقيقة، لم تكن مبالغ المال المطلوبة موضع نزاع كبير إذ انه تم التوصل الى اتفاق غير رسمي قبل أن تبعث الرسائل. وقد وظفت إسرائيل فريقا من المحامين الأمريكيين الحاذقين ليدافع عن مصالحها، وقام هؤلاء بتفحص السجلات الطبية للتحقق من أن الطلبات معقولة. ووجد المحامون أن طلبات التعويضات كانت معقولة وأشاروا الى أنه يجب دفعها بكاملها.

وقد ناورت حكومة إسرائيل من أجل حماية موقفها القانوني. واستمرت الروايات من جديد، تقول بأن إسرائيل سعت للتنصل من المسؤولية القانونية عن الهجوم. ولكن في ٢٨ نيسان (ابريل) من عام ١٩٦٩ تم تسلم مبلغ ٣،٥٦٦،٤٥٧ دولارا أمريكيا من الحكومة الاسرائيلية كدفعة للتعويض عن الاصابات. وكان هذا المبلغ من المال يمثل ١٠٠ بالمئة

(٩) شرح ممثلو وزارة الخارجية أسلوب دفع التعويضات لضباط السفينة ليبرتي في عام ١٩٦٨ في الفترة التي كانت فيها الطلبات قيد المعالجة. وفي عام ١٩٧٥، طلبت من وزارة الخارجية بموجب قانون حرية الاطلاع على المعلومات، الحصول على سجلات تلك الاجتماعات التي تتعلق بطلبي الخاص. فاطلعت على أنه لا يمكن التذكر بأن مثل هذه الاجتماعات قد عقدت، وفي حال عقدت الاجتماعات لم تحفظ سجلات عن وقائعها. كما أن مثل هذا النظام مستخدم عندما يتم إقرار دفع طلبات التعويضات التي كانت تقسم عموما على مبلغ ١٧,٥٠٠ دولاراً أمريكياً (بنسبة ٥ بالمئة من علاوة الاعاقة) في حالات المنح المالية الكبيرة، ومبلغ ٣,٥٠٠ دولاراً امريكياً (بنسبة ١ بالمئة من علاوة الاعاقة) في حالات المنح المالية الصغيرة.

(١٠) صحيفة النيويورك تايمز، ١٩ أذار (مارس)، عام ١٩٦٩، ص ٧.

دفعات ١٦٤ طلب تعويض قدرت قيمتها بـ٢٧٥، ٤٥٢، ٣ دولارا أمريكيا لصالح البحارة المصابين، و٤٣٧، ٩٢ دولارا أمريكيا كمصاريف تحملتها الولايات المتحدة الأمريكية لتوفير العلاج الطبي للمصابين، و٧٤٥، ٢١ دولارا امريكيا كتعويضات على الممتلكات الشخصية التي أصيبت بالأضرار، أو دمرت خلال الهجوم[١١]. ولقد أرسلت الشيكات بالبريد الى أصحاب الطلبات في ١٥ ايار (مايو). وكان هناك سبعة رجال لم يجدوا لأنفسهم عزاءاً بالمال، لذلك لم يتقدموا بأية طلبات تعويض.

وفي شهر آب (اغسطس) من عام ١٩٦٩ تسلمت إسرائيل الدفعة الأولى من الطائرات المقاتلة من طراز فانتوم ف ـ ٤[١٢]. وتنفي المصادر الرسمية من وزارة الخارجية التي قد بحثت معها هذه الأحداث انه كان هناك أية علاقة بين دفع التعويضات وتسليم إسرائيل طائرات الفانتوم.

وفي الوقت نفسه، طالبت الولايات المتحدة الأمريكية بمجرد دفعة رمزية تعويضا عن خسارة السفينة. فبعد ان أنفقت ٢٠ مليون دولارا أمريكيا لاصلاح السفينة بالاضافة الى ١٠ ملايين دولارا أمريكيا على «معدات الأبحاث الفنية»، طالبت الولايات المتحدة الأمريكية بدفع مبلغ ١٤٦، ٦٤٤، ٧ دولارا أمريكيا فقط كتعويض على خسارة السفينة. وكان هذا المبلغ يستند كما يظهر، على القيمة الحالية التي تستحقها سفينة نموذجية بعمر وطراز السفينة ليبرتي. وسارعت إسرائيل بالتعهد بأنها ستدفع. بعدها، عندما غابت المسألة عن ذاكرة الرأي العام، أصبحت حكومة إسرائيل أقل اهتماما بالقضايا العادلة وأكثر اهتماما بالشؤون الاقتصادية. وظلت فاتورة التعويض على خسارة السفينة غير مدفوعة حتى وقت إرسال هذا الكتاب للطبع في عام ١٩٧٩.

(١١) البيان الصحفي الصادر عن وزارة الخارجية في ١٣ آيار (مايو)، عام ١٩٦٩.
(١٢) صحيفة النيويورك تايمز، ٧ أيلول (سبتمبر)، عام ١٩٦٩، ص ٩.

الفصل السادس عشر

افكار وخواطر على عملية التستر

ان معظم السجلات الرسمية عن الحروب السابقة كانت منمقة بطريقة مضللة، ويبدو انها أهملت كثيرا من المسائل الهامة ـ وعلى وجه الخصوص، اي شيء يشير الى ارتكاب قادتنا أتفه الأخطاء. ولذلك فإنه لا نفع فيها كمصدر للمعلومات.

مونتغمري في مذكراته ٣٣ (١٩٥٨)
عن معركة العلمين

بعد مضي عامين على الهجوم تلقيت رسالة من الكاتب الأسبق لوكالة المعلومات الأمريكية، يوجين ج. وندشي، الذي كان يعد كتابا عن الأحداث التي وقعت للقوات البحرية في الظروف السلمية. وكان وندشي قد أجرى مقابلة هاتفية مع كل من كيبفر ومكفوناغل. أما الآن فكان لديه بعض الاسئلة لي.

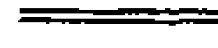
لم أكن بعد على استعداد للتخدث بحرية مع الصحافيين عن الهجوم، ولكن رسالة وندشي كانت تبدو بريئة. فلم يكن يسأل إلا عما إذا كان إسم السفينة مطبوع على مؤخرتها (كان مطبوعا بالتأكيد) ولماذا لم يكن باستطاعتنا تحديد هوية الطائرات التي شاهدناها قبل الهجوم (وكنا قد حددنا هوية بعضها). ولم أر أي ضرر من الاجابة، لذا فقد أعددت جوابا موجزا.

وحتى قبل ان أتمكن من الحصول على موافقة قائدي المسؤول على إعطاء الجواب، تلقينا رسالة من واشنطن تحذر من استفسارات وندشي وتستدعي تقديم تقارير فورية عن أي اتصالات قام بإجرائها. متبعا التسلسل القيادي في البحرية، طلبت من رئيس القسم أن يعلم قائدي المسؤول. وفي دقائق معدودة دق جرس الهاتف على مكتبي: «الكابتن يريد مقابلتك في مكتبه في الحال. اسرع يا بيتر! إنه يرغي ويزبد».

وما لبثت أن اكتشفت، ان قائدي المسؤول كان غاضبا لأنني لم أعلمه فورا بطلب وندشي، وكان يبدو منذعرا بالفعل. وقد تعدت ردة فعله بكثير متطلبات رسالة واشنطن،

وتساءلت لماذا. فعندما أخبرته عن قناعتي بأن الهجوم كان متعمدا وأنه يجري التستر على الحقيقة، احتمل ما سردته بنظرة ساهية تنم عن عدم الانفعال ولم يطرح حتى سؤالا واحدا. وكان همه الوحيد هو التأكد من انني لم أجب على رسالة وندشي.

هكذا انتهت استفسارات وندشي. وبعد أشهر أخبرني وندشي هاتفيا أنه لم يتلق إجابة على أي من رسائله. ولم يعرف أبدا لماذا [1].



في تلك الاثناء، أخذ الآخرون يطرحون الاسئلة. جو بنكرت، الموجود الآن في واشنطن ولا يزال يلتاع من المقابلة الصحافية في نورفولك، بدأ في استجواب الناجين من الكارثة والآخرين الذين قد يستطيعون القاء بعض الضوء على الحادثة، وفي تجميع ملف عن الهجوم.

تذكر بنكرت مجموعات الصور التي التقطها بكاميرا البولوريد الخاصة بالكابتن اثناء اللحظات الأخيرة من هجوم زوارق الطوربيد. وبعض هذه الصور قد تكون اثباتا على أن الزوارق استمرت في إطلاق النار حتى بعدما ظن بأن الهجوم قد انتهى. ولكن مكفوناغل طلب منه ان يعطي الصور الى الاميرال كيد. وبنكرت لم يكن قد رآهم ابداً. وتذكّر بنكرت أيضا، أن هناك فلمين ٣٥ ملم التقطهما مصور السفينة، تشك رولي، قبل الهجوم. وقد تكون بعض الصور فيهما قد أظهرت مدى اقتراب الطائرات الاستطلاعية من السفينة. ولكنه سلمها أيضا الى اللواء كيد، وعندما اعيدا لم تكن الصور قابلة للتظهير.

وقد شرع في محاولته معرفة ما يستطيع عن الأمور الغريبة التي شاهدها. الا أنه لم يكن متحفظا بما فيه الكفاية، وبلغت الأنباء عن استفسارته الى المسؤولين عنه. وما لبث رئيس القسم الذي يعمل به أن استدعاه الى مكتبه، وهو كابتن بحري، يريد أن يعرف ماذا كان يفعل ولماذا.

« حسنا، إنني أقوم بمجرد جمع معلومات لتكوين اليوم دفتر قصاصات. لا شيء سري. لمجرد معلوماتي فقط ».

« دفتر قصاصات؟ إنك لست بحاجة الى دفتر قصاصات. ومن الافضل لك ان تنسى الامر كليا. كف عما تفعله وانس الموضوع ».

(١) ان عمل وندشي اسفر في عام ١٩٧١ عن كتاب « خليج تونكين » الذي نشرته دوبلداي، حول الهجوم الفيتنامي في ١٩٦٤ على السفينة مادوكس التابعة للبحرية الأمريكية، الذي سبق « قرار خليج تونكين ». وقد اشار المؤلف في كتابه مرات عديدة الى الهجوم على ليبرتي.

« ولكن يا كابتن، انني. . »

« انسَ، يا ريس، وهذا امر، »

وبذا كان التستر قد ارتكب من جانب رجال أمناء كان همهم بلا شك، اتباع الأوامر وحماية الأمن القومي، وليس تشجيع عملية التستر عن عمد.

ويمكن الاطلاع على دلائل هامة لكيفية عملية التستر في كتاب فيل غولدينغ، (CONFIRM OR DENY). حيث يصف غولدينغ حادثة ليبرتي كما ينظر اليها من مكتبه في البنتاغون: المعلومات المختصرة، الصحافة الفضولية، التخمينات، القيود الزمنية. وقد كان مضطربا، ضمن أشياء اخرى، بسبب رد فعل البيت الأبيض بالنسبة للبنود التي تنشر في الصحف وبعدم ثقته في مقدرة الصحافة على معالجة المعلومات الناقصة دون تحيز.

« بعد ظهور طفحة من القصص التخمينية والمضللة في مستهل الاسبوع الذي تبع الهجوم »، كتب غولدينغ يقول، « اقترحت على مكنمارا أن نفرض حظرا على كافة الأخبار المتعلقة بليبرتي الى حين انتهاء محكمة التحقيق للقوات البحرية المنعقدة في فاليتا، مالطا من تحقيقاتها. وقد وافق على ذلك طالبا من قوات البحرية الاسراع في تحقيقاتها بقدر المستطاع لكي نصدر صيغة غير محظورة من القرارات التي توصلت اليها محكمة التحقيق للجمهور »[٢].

وعلى الرغم من أنه على الارجح لم يكن ذلك في نية غولدينغ، إلا ان عملية التستر بلغت هنا ذروتها. فبعد خمس ساعات من نشر الرسالة، أرسل المقر الرئيسي للواء البحري مكين في لندن رسالة عالية الأسبقية يطلب فيها تقارير ونصوص فورية لكافة المقابلات الصحافية التي اجريت[٣]. وفي الوقت نفسه حذر كيد ومكفوناغل طاقم ليبرتي من الافصاح عن أي شيء لأي شخص. وما لبث السفير فلدمان أن دخل الى المسرح، ممارسا مزيدا من الضغط. واستقل القائد البحري كوني طائرة الى نابوَلي للمساعدة في إبقاء الغطاء محكما. كما قام ضباط الشؤون العامة بزيارة للسفينة.

لم يكن هؤلاء الاشخاص مندفعين من تلقاء أنفسهم، بل استجابة للاوامر ـ رسالة وزير الدفاع، التي قدم غولدينغ توصية بها وكتب نصها. وقد تلقى كل شخص الأوامر بأن لا يتم إعطاء أية تصريحات في هذا الوقت، وقام كل شخص بنقل الأوامر وتطبيقها ضمن نطاق مسؤولياته.

(٢) من كتاب غولدينغ « أكد أو انف » (نيويورك: هاربر & راو ١٩٧٠،). صفحة ١٢٩؛ تم إصدار أمر فرض الحظر في رسالة وزير الدفاع رقم 141747Z يونيو/حزيران ١٩٦٧.

(٣) من رسالة رئيس القيادة البحرية الأمريكية في أوروبا رقم 142145Z يونيو/حزيران ١٩٦٧.

وفي ٢٨ حزيران (يونيو)، عندما صدر التقرير الرسمي وتم رفع الحظر رسميا عن الأنباء، اشتمل البيان الصادر عن مكتب غولدينغ على هذه الكلمات الذي يؤسف لها:

... إذا كان الآن لدى أفراد الطاقم الرغبة في إجراء المقابلات والاجابة على استفسارات الصحافة حول الهجوم في حد ذاته فانه يسمح لهم بذلك. أما بالنسبة للتحقيقات الحيوية الأخرى المتعلقة بالهجوم فسيفي بها مكتب مساعد وزير الدفاع (المسؤول الصحافي) [مكتب غولدينغ في البنتاغون]، ان الاخبار والشهادة المنوه عنهما أعلاه هما الجزء الوحيد من قرارات محكمة التحقيق الذي تم السماح بنشره. وفيما عدا ذلك يتم تطبيق الاجراءات الأمنية الاعتيادية [زيادة في التأكيد] »(٤).

إن المرء ليتساءل فيما إذا كان فيل غولدينغ، الصحافي، ينوي في الواقع، نشر بيان مفاده أن الحظر لا يزال ساري المفعول وسيبقى كذلك، ولن يتم نشر أية معلومات إلا اذا سبق ونشرتها محكمة التحقيق. فهكذا تم فهم البيان، وهكذا تم تفسيره كأمر مباشر لطاقم ليبرتي وللآخرين الذين قد تجرى مقابلات صحافية معهم.



وفي وصفه لرد فعل الصحافة على تقرير المحكمة، كتب غولدينغ يقول: « ان هناك عددا لا حصر له من الأسئلة الاخرى تم طرحها من جانب الصحافة بعد نشر القرارات التي توصلت اليها محكمة التحقيق، وكان هناك قدر ملموس من الاستياء بسبب القرارات... إن كاتبي الافتتاحيات، الذين لم يعطوا وقتا أو عناء كافيا لاكتشاف ما الذي كانت محكمة التحقيق مفوضة لتقوم به، قد أدى الى ملابسة مفادها أن قوات البحرية ووزارة الدفاع كانتا شريكتين في مؤامرة لتضليل الشعب الأمريكي ».

لا عجب ان المحكمة فشلت في التعرض للاسئلة التي تريد الصحافة والشعب إجابات عليها. فإذا لم تستطع المحكمة الادلاء بالحقيقة حول الهجوم، فإنه يجب أن يقوم بذلك شخص اخر من جانب الحكومة. ولكن أحدا لم يفعل. وبدلا من ذلك، تم إسكات الشهود، وتظاهرت الحكومة بأنه ليس ثمة شيء يجري يتعارض مع القانون، وبقيت الاسئلة بدون إجابة. باختصار، عملية تستر.

لقد كان هناك بلا شك عدد من القضايا الأمنية الهامة التي لا نقاش فيها والتي يجب أن يحسب حسابها، كمهمة السفينة وإمكانياتها، وزمن استجابة الأسطول، ونشر الأسلحة النووية والتحكم بها، ونشر الغواصات. كل هذه الاشياء تعتبر من الحساسية بمكان وقد

(٤) من رسالة وزير الدفاع رقم 282051Z يونيو/حزيران ١٩٦٧.

توفر معلومات مفيدة لعدو محتمل. غير أن عملية التستر لم تتوقف عند ذلك بل تعدتها بكثير.

كان من الممكن لاستجواب دقيق لماكفونغل ان يظهر الأخطاء في روايته. وبدلا من ذلك، كما رأينا، كل شيء قاله للمحكمة تم قبوله كحقيقة، وفيما عدا بعض الاستثناءات الثانوية ان كل شيء كان يتضارب مع شهادة مكفوناغل صنف على انه «سري جدا» أو استثني من السجلات الرسمية.

وبينما هناك احتمال كبير في ان يكون مكفوناغل قد أدلى بشهادته بهذا الشكل لانه أمر بأن يشهد كذلك، فهناك الاحتمال نفسه في أن ذاكرته كانت على خطأ ـ بقدر ما يبدو هكذا سهو للذاكرة كشيء بعيد التصديق. ومن المناقشات الوجيزة التي أجريتها مع مكفوناغل، أصبح لدي القناعة بأن هناك بالفعل ثغرات كبيرة فيما يتذكره من الأحداث، بحيث أنه نسي عن غير قصد كثيرا مما حدث في الثامن من يونيو/ حزيران. فعلى سبيل المثال، لم يكن يتذكر اي شيء عن الهجوم الأولي بالصواريخ، وبدأ روايته بقوله، «وكما لاحظنا، من انفجار برميل البنزين الذي سببته الطائرة الثانية». إن هذه السهوة التي لا طائل منها تبدو على انها غفلة من ذاكرته أكثر منها محاولة متعمدة للتستر.

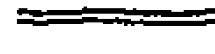
ان الفجوات في الذاكرة شائعة بين الناجين من حادثة ليبرتي. فمثلاً، دايف لويس، الذي أخبرني مرة بالتفصيل رؤيته للرئيس سميث وهو ينجرف الى مصرعه ومشاهدته للحاجز وهو يتوارى بينما تمتلىء الحجرة بالماء، لا يستطيع أن يتذكر اي شيء حدث في تلك الفترة. وجورج ويلسون لا يتذكر وضع ضمادة في ساقي. وفرانك ماكنتورف لا يتذكر من ساعده في حمل نقالات الجرحى. ودايف لوكاس نسي كثيرا مما حدث أثناء الهجوم، وكما شاهدنا، كان مختلط الذهن حول تسلسل الأحداث التي يتذكرها. ويومان براونفيلد، الذي على الرغم من أنه كان على برج القيادة أثناء معظم الهجوم الجوي، فقد أخبر أحد الصحافيين بأنه لا يتذكر سوى ثلاث إغارات بالقنابل. ومع أنني اعددت بيانا للمحكمة، إلا انني لم اتذكر تلك الحقيقة وبعض التفاصيل ذات العلاقة الى ان ذكرني بها احد ضباط ليبرتي بعد عدة سنوات.

فلا غرو، اذن، إذا اخذنا بعين الاعتبار وطأة الضغط التي كان تحتها، أن ذاكرة مكفوناغل لم تكن تبدو كاملة. ومن ضمن السجلات المتوفرة لمساعدته، وأكثرها أهمية ـ وهي بالتأكيد أكثر السجلات تفصيلا لحالة السفينة التشغيلية ـ كان سجل مساعد ضابط الخدمة على سطح السفينة المكلف بالتوجيه وإرسال الاشارات. غير أن مراجعة مكفوناغل لذلك السجل لم تحسن من شهادته إلا قليلا، ومن المحتمل ان سجل الملاحظات لم يكن يحتوي على سجل كامل. (وإذا كان كذلك، فإن المسؤولية في ذلك تقع على عاتقي،

باعتباري ضابط السطح في الصباح). إننا نعلم بأن مكفوناغل قام بالاطلاع على سجل الملاحظات لأنه أدرجه للمحكمة كمصدر لمعلوماته.

ويستحيل الآن أن نتأكد من دقة واكتمال سجل الملاحظات، وذلك لأن الصفحات الوثيقة الصلة لم تدخلها المحكمة ضمن البينات، كما ان سجل الملاحظات الأصلي، إن لم يتم تدميره، فإنه يكون مدفونا في احد الارشيفات التي لا يمكن الوصول اليها، ولم تحتوي نسخة سجل ملاحظات ضابط التوجيه وإرسال الاشارات إلا على الصفحات التي تغطي فترة ما بعد الظهر (بعد الساعة ١٣,٠٠)، في حين أن الصفحات التي تغطي فترة الاستطلاع المكثف اثناء الصباح من الواضح انها قد اختفت.

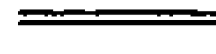
وما لم يكن هناك شخص قام بتزييف البينات عن قصد، وهذا يبدو مستبعدا (فمن عادة المحكمة أن تتجاهل البينات لا أن تزيفها)، فإنه لا مناص من اعتبار ان سجل الملاحظات قد فشل في تبيان كافة النشاطات الاستطلاعية. إذن، فماكفوناغل ـ المضطرب والمريض والمعتمد على ذاكرة خاطئة في بعض الاحيان وعلى السجلات التي يرجح انها ناقصة ـ قد يكون انه روى ما حدث على أحسن وجه يستطيعه.



أما اللواء كيد، فقد كان يخضع لضغط من نوع آخر. فلم يكن لديه سوى بضعة أيام وعدد محدود من المصادر ليتمكن من إخراج تقرير عام حول حادثة دولية مثيرة للجدل. وفي الوقت نفسه كان عليه حماية المعلومات السرية. وعلى الرغم من تفويضه رسميا للنظر في «كافة الحقائق والظروف ذات العلاقة التي أدت الى الهجوم المسلح»، إلا انه كان، كما يذكرنا غولدينغ، محصورا في نطاق تحقيقاته. فقد كانت غايته تحديد ما إذا كان هناك خطأ من جانب أي شخص في البحرية. ولم يكن مفوضا بالحكم على شهادة لها صلة بإلقاء اللوم على المهاجمين، أو على ما يبدو حتى قبولها. لقد كانت مهمته صعبة. وعندما لم يتفق الشهود، كان عليه اتخاذ قرار. ولم يكن باستطاعته النظر في كل تضارب أو حله. لذا فقد قبل بشهادة القائد المسؤول وغفر بشكل مقتضب لكل شاهد لم يتفق معه في الرأي.

ان اسحاق كيد هو شخص عبقري ودقيق في عمله. وقد راقبته مرة اثناء العمل، فشعرت بالوقار أمام عبقريته. وما يتوقعه المرء منه هو النفاذ الى اعماق الشهادات التي تلقاها وإيجاد حل للتضارب الواضح في بعضها على الأقل. ولكن لمضاعفة مشكلاته، كان كيد مريضا. فالحمى المرتفعة التي كان يعاني منها عندما قدم على ظهر السفينة وصلت الى ١٠٤ درجات فهرنهيت، والالتهاب الشعبي قد تحول الى التهاب رئوي. فقد كان من الاجدى أن يكون في المستشفى. ومع ذلك فقد وقف على قدميه واستمر في العمل من ١٦ الى ١٨ ساعة يوميا لمدة تقارب الاسبوعين الى أن اكتمل التقرير وتم إصدار بيان موجز مصرح به الى

الصحافة. ومع إلحاح كبار المسؤولين عليه بالاسراع ومطالبة الصحافة والكونغرس بتقريره، فإن اللواء كيد افتقر الى الوقت والطاقة والحماس والسلطة للوقوف امام مكفوناغل المرهق والمكتئب والبطولي.



ان الرئيس جونسون لا بد وأن عرف من تصوير الغواصات أن الهجوم استغرق أكثر بكثير من خمس دقائق وأنه كان على الاغلب متعمدا. (ووفقا للنقيب البحري بينيت، انه كان يعرف بالفعل. فبعد سنوات من الصمت عن هذا الموضوع، أخبرني بينيت انه في عام ١٩٦٧ اعلم السيناتور وليام فولبرايت الكابتن مكفوناغل وقائد العمليات البحرية اللواء دافيد ل. ماكدونالد بحضور بينيت أن الرئيس كان يعرف أن الهجوم كان متعمدا وامر بالتستر على المعلومات «لأسباب سياسية»[٥] ولا بد من أن الرئيس كان يعرف أن وصف مكفوناغل للهجوم لم يكن دقيقا. ولا بد من أنه كان يعرف أيضا ان طائرات مزودة بأسلحة نووية كانت قد أطلقت، وأنه يمكن أن يكون قد تعرض للمهانة بسبب معرفة الشعب عن الفشل في حماية السفينة. ولكن حتى الرئيس لم يكن يملك معلومات كاملة عن القصة، لذا فإنه عند اختياره إبقاء معرفته عن الهجوم سرا، كان ببساطة يحتفظ لنفسه بقطعة من حل اللغز. وفي الظروف العادية، قد يكون باستطاعة الصحافة حل اللغز، إلا أن مساعيها قد عرقلت بشكل فعال بسبب التيار المستمر من بيانات «التوجيه الصحافي» التي كانت تصدر عن البنتاغون.

وعلاوة على الدافع السياسي الصرف للتستر على ما حدث حماية لاسرائيل، او للغرض المباشر وهو تجنب الاحتجاجات العامة على فشل حكومتنا في حماية السفينة، هناك دلائل تشير الى أنه قد يكون لدى حكومتنا سبب آخر للتستر على ظروف الهجوم.

وقد وردتني القصة لأول مرة من مساعد اول بحري كان يعمل مع وكالة الاستخبارات المركزية على مشروع حساس. لقد فقد المساعد الاول أصدقاء له من جراء الهجوم وحدث

(٥) في ٢١ يناير/كانون الثاني ١٩٧٤، اثناء قيامي بشراء القهوة من آلة في مبنى البحرية في واشنطن العاصمة، انهى بينيت صمته الذي دام حوالي سبع سنوات حول هذا الموضوع ليقول لي، «إن الحكومة تعلم الحقيقة. وكانت على علم دائم بها. فقد أخبرنا السيناتور فولبرايت أن جونسون أمر بعملية التستر لحماية إسرائيل ولتجنب إثارة أزمة سياسية». وعلى الرغم من أن بينيت أكد المحادثة في عدة مناسبات لاحقة، إلا أن الكابتن ماكفوناغل أنكر أنه كان حاضرا وأخبرني السيناتور فولبرايت أنه لا يتذكر حدوث ذلك الاجتماع. وحتى لحظة إرسال هذا الكتاب الى الطبع لا تزال نقطة الخلاف الواضحة دون حل.

أنه ذكر تلك الحقيقة اثناء اجتماع في مقر وكالة الاستخبارات المركزية (CIA) . وفي ذلك الوقت صادف وجود عدة اشخاص في الغرفة وما لبث أن تغير الحديث الى موضوع آخر . وفيما بعد ، عاد أحد موظفي وكالة الاستخبارات الى فتح الموضوع في محادثة خاصة ، وكان على ما يبدو حريصا على إخبار المساعد الأول ان الهجوم لم يكن بالفعل مفاجأة لوكالة الاستخبارات المركزية « إن ارسال ليبرتي الى غزة كان مخاطرة محسوبة منذ البداية » ، قال الرجل. « لقد أبلغتنا اسرائيل قبل الحرب بمدة طويلة أن نبقي سفن الاستخبارات بعيدا عن شواطئها ، ومع ذلك أرسلت ليبرتي لأننا لم نكن نظن بأنهم جادون في ذلك . كنا نعتقد بانهم قد يبعثون برسالة احتجاج ، أو على الأكثر ، قد يضايقون السفينة بشكل من الأشكال. ولم نكن نعتقد بأنهم سيحاولون بالفعل إغراقها » . على الرغم من أن الرجل لم يكن على علم بشيء عن الهجوم في حد ذاته ، إلا أنه أصر على أن حكومتنا كانت على علم مسبق بأن تواجد ليبرتي لن يلقى ترحابا من إسرائيل.

وفي الوقت ذاته تقريبا علمت بتلك المحادثة وتلقيت تقريرا بأنه كان هناك مذكرة احتجاج: « لقد كان هناك تحذير كاف » ، قال مسؤول أسبق في الحكومة الاسرائيلية لصديق آخر . « لقد وجهت إسرائيل تحذيرا الى الولايات المتحدة بإخراج تلك السفينة من هناك. ولكن الولايات المتحدة لم تستجب » . ومرة أخرى ، على الرغم من أن المتحدث لم يكن على علم بتفاصيل الهجوم ، إلا انه اصر على أن الحكومة الاسرائيلية احتجت على وجود السفينة قبيل الهجوم ببضع ساعات.

إن هاتين الروايتين كلتاهما غير مؤكدتين ومن مصدرين غير مباشرين ، ولا استطيع ضمان دقتهما ، ولم أحط علما بمصدرهما إلا ان الروايتين المجهولتين تميلان الى تعزيز بعضهما ، وتدعمان مما نعرفه عن الهجوم الى حد كبير ، وإذا ثبتت صحتهما ، فإنهما تفسران الاحتدام الشديد في الساعة ـ الحادية عشرة لاستدعاء ليبرتي ، كما توفران دافعا لعملية التستر التي تلت .

إن الفشل الأمريكي سواء في حماية السفينة أو تحريكها بعد الاحتجاج والتهديد الضمني لا شك من انه يضاعف مسؤولية حكومتنا عما لحق بها . ولما كان هذا الفشل سببا في الهجوم وإزهاق أرواح كثيرة ، فإن حكومتنا لن تكون ميالة الى أن تضع كافة الظروف المصاحبة للحادث بين ايدي الجمهور لمناقشتها .

في خلال السنوات القليلة التي تبعت الهجوم ، لم يكل اهتمام الصحافة بما حدث كما لم تهدأ مساعي التستر على الحادث إلا نادرا . ولا يزال الصحافيون يجرون المقابلات مع أفراد طاقم ليبرتي الذين يقطنون بالقرب من واشنطن . ولكن ، على الرغم من المحاولات ، لم يخرج

من التقارير عن نطاق ما نشرته الحكومة في بيانها عن الحادث إلا القليل، ومعظم التقارير التي تعدت ذلك النطاق كانت مبنية على التنبؤات والتكهنات. وقد احبطت الجهود المبذولة لاعداد التقارير بسبب اليقظة التي تبديها البنتاغون، وبتكتم من طاقم السفينة، وعلى ما يبدو، بالناشرين المرتابين ـ الذين يدركون عن حكمة أن هناك دافع سياسي وراء كثير من الكتابات.

وقد يكون بعض الناجين قد وافقوا على إجراء المقابلات لو كانت لديهم الحرية في التحدث بصراحة، ولكنهم لم يكونوا احرارا للقيام بذلك. فعلى سبيل المثال، في عام ١٩٧٥ سئل ضباط ليبرتي من قبل رئيس المعلومات البحرية (منصب يشغله الآن العميد البحري دافيد كوني، ضابط الشؤون العامة الاسبق لدى القيادة العامة لأسطول الأطلسي) عما إذا كنا نوافق على اجراء مقابلة مع احد الصحافيين.

هل تغيرت السياسة؟ اتصلت هاتفيا بمكتب كوني لأستعلم عن القيود الموضوعة على المقابلات الصحافية.

« لم يتغير شيء »، هذا ما قيل لي. « فالقيود التي كانت سارية المفعول في ١٩٦٧ لا تزال تطبق اليوم ». فسألت إن كان يسمح لنا بمناقشة عمليات الاستطلاع قبل الهجوم، ومدة الهجوم، وحقيقة استخدام النابالم، وحقيقة أن علمنا كان مرفوعا أو ان قوارب النجاة تعرضت لنيران الرشاشات وهي في الماء. لا، إن هذه الاشياء لا يسمح بمناقشتها.

« ما هي وجهة نظركم الفعلية بالنسبة للمقابلات؟ » لقد سألت.

« إننا لا نشجع على التعاون »، اجابني مساعد كوني، « مع ذلك لديك مطلق الحرية في التحدث مع الصحافي إذا أردت ذلك. ولا نريد إلا أن نطلع عل الاسئلة التي سيطرحها والأجوبة التي تنوي إعطاءها ». كوني ثانية: « يود رئيسي أن يكون حاضرا ليتأكد من أن لا يحيد شيء عن الخط ».

لم يتغير شيء. فأية مقابلة ستكون مصطنعة وتكون محصورة بما تم نشره سابقا من معلومات. لقد رفضت الدعوة. وكذا فعل كافة زملائي الضباط.



على الرغم من الاحباط، لا يزال اهتمام الصحافة والجمهور قائما بعد مضي ما يزيد على اثنتي عشرة سنة على الهجوم. إلا انه، حتى في عام ١٩٧٩، عملت الحكومة على إحباط المقابلات الصحافية مع طاقم ليبرتي والتحقيقات المتعلقة بليبرتي كانت الدوائر الحكومية في

بعض الأحيان تطرحها جانبا الى اجل غير مسمى خلافا للقانون الفدرالي[٦]. بصراحة، لا تزال عملية التستر حية ترزق.

(٦) قانون حرية نشر المعلومات الصادر في ١٩٧٤ الذي يحكم نشر المعلومات العامة ويلزم الدوائر الحكومية بالاستجابة في خلال عشرة أيـام لأي طلـب ينشر المعلـومـات. وفي الظـروف غير العادية، قد تمدد فترة العشرة أيام هذه الى ما لا يزيد على عشرة أيام أخرى. على الرغم من هذه المتطلبات، وأثناء كتابة هذا الكتاب، لا تزال ثلاثة من طلبات المؤلف معلقة بعد تأخير سبعة، وسبعة عشر، وتسعة عشر شهرا وعلى الرغم من المطالبات المتكررة من الدوائر الحكومية ومن أعضاء الكونغرس. ومن الواضح، ان الأمر يحتاج الى قرار من المحكمة لاستشفاف مزيد من المعلومات من الحكومة.

خاتمة

لماذا هاجمت إسرائيل ؟

يمكننا رسم طريق المستقبل بوضوح وحكمة فقط عندما نعرف الطريق الذي قادنا الى الحاضر .

خطاب أدلي ستيفنسون ،
ريتشموند ، فرجينيا ، ٢٠ أيلول (سبتمبر) ، ١٩٦٢

في ٢٤ ايار (مايو) ، عام ١٩٦٧ حين غادرت السفينة ليبرتي أبيدجان لتقوم أساسا بمراقبة قطاع غزة ، اجتمع الرئيس ليندون جونسون في البيت الأبيض بوزير خارجية إسرائيل ابا إيبان. وكان الهدف من زيارة إيبان إطلاع الرئيس على هجوم شامل وشيك ضد إسرائيل ستشنه الجمهورية العربية المتحدة والتحقق من مدى الدعم الذي يمكن ان تتوقعه إسرائيل من الولايات المتحدة الأمريكية .

ومن المؤكد ان الرد الذي صدر عن جونسون كان مخيبا للظن. فقد شدد على أنه من الضروري العمل في هذا الشأن من خلال الأمم المتحدة قبل أن تتدخل الولايات المتحدة الأمريكية مباشرة ، وأضاف قائلا : « وإذا تبين أن مساعي الأمم المتحدة غير فعالة ، عندئذ يمكن لاسرائيل وأصدقائها ، من ضمنهم الولايات المتحدة الامريكية المستعدة للمواجهة وتقديم الدعم ، إعطاء الأدلة المعينة عما في استطاعتها القيام به » .

وذكر إيبان الرئيس جونسون وهو يعرض أمامه أوراقا أخرجها من حقيبته ، بالالتزامات الأمريكية تجاه إسرائيل وبقوة تصريحاته الشخصية المؤيدة لاسرائيل. فقال جونسون بفظاظة : « إنني على معرفة تامة بما صرح به ثلاثة رؤساء سابقين ، ولكن ذلك لا يستحق قيمة خمس سنتات إذا كان الشعب والكونغرس لا يؤيدان الرئيس » .

وأراد السيد جونسون ان يفهم السيد إيبان ، ويطلع حكومته على أن الولايات المتحدة الامريكية لن تساند إسرائيل إذا كانت هي البادئة بالعدوان. وانتقى الرئيس عباراته بحرص وهو يقول : « النقطة الرئيسية ، ايها السيد الوزير ، ألا تكون بلدك هي التي تتحمل مسؤولية نشوب أي حرب » . ثم أضاف قائلا بكل هدوء وإيجابية : « لن تكون إسرائيل

وحدها إلا إذا قررت أن تذهب الى الحرب لوحدها ». وعندما التزم إيبان الصمت، ردد جونسون الجملة قائلا: « لن تكون إسرائيل وحدها إلا إذا قررت أن تذهب الى الحرب لوحدها ».

وعاد السيد إيبان الى إسرائيل متأثرا بشكل واضح برسالة الرئيس. وفي ٢٨ أيار (مايو) أقر مجلس الوزراء الاسرائيلي تأجيل موعد العملية العسكرية، وفي ٣٠ ايار (مايو) بعث رئيس الوزراء إشكول برسالة الى السيد جونسون يؤكد له فيها على تفهمه للحديث الذي جرى مع إيبان، ويقول بأن تلك المحادثة: « كان لها تأثير مهم عل قرارنا في انتظار التطورات لفترة إضافية محدودة »[1].

وبعد ستة أيام هاجمت إسرائيل البلدان العربية. فأبيدت القوات العربية باعداد هائلة بينما دمرت كميات كبيرة من المعدات السوفياتية الصنع واستولي على بعضها بسهولة مخجلة عل يد القوات الاسرائيلية المتفوقة بشكل ظاهر. فشق الاسرائيليون طريقهم عبر سيناء، وفتحوا خليج العقبة، واستولوا على مدينة القدس القديمة من الاردن.

ثم وافق الاردن على وقف إطلاق النار. ومع تراجع معظم القوات العربية تراجعا تاما مارست الولايات المتحدة الأمريكية والأمم المتحدة الضغط عل إسرائيل كي تتراجع. ولكن حتى ذلك الحين كان الاسرائيليون يستعدون لغزو سوريا.

ولقد كانت عناصر المدفعية السورية تقصف المستوطنات الاسرائيلية من المرتفعات السورية طوال تسعة عشر عاما. كما أنه طوال تسعة عشر عاما كانت القوات السورية تحصن مواقعها حتى امتدت على طول خمسة وثلاثين ميلا من السلسلة الجبلية الممتدة من بحيرة طبرية حتى سفح جبل حرمون (جبل الشيخ). وكانت التحصينات مبنية خاصة تحت الارض بالاسمنت المسلح السميك كي تتحمل القذائف الاسرائيلية التي يبلغ وزنها ٥٠٠ رطلا، و١٠٠٠ رطلا، ومصممة على شكل شفاه متدلية كي تقاوم تدفق النابالم. وكانت خطوط الدفاع على مسافة بعمق اكثر من عشرة أميال وتتألف من صف تلو الآخر من مواقع المدفعية، والمدافع والدبابات، وفخاخ الدبابات، وقاذفات الصواريخ، والأسلحة المضادة للطائرات.

كانت القوات الاسرائيلية محتشدة استعدادا للهجوم عندما اقتربت السفينة ليبرتي من المنطقة. وكان المخطط شن هجوم رئيسي في ظل أسوأ ظروف للتكتيك الحربي ضد عدو محصن تحصينا جيدا يسيطر على كل المرتفعات. وكانت القوات السورية المنتشرة تتألف من

(١) ليندون بينز جونسون، الفرصة المؤاتية ـ وجهات نظر الرئاسة ١٩٦٣ ـ ١٩٦٩ (نيويورك: هولت، راينهارت وونستون، عام ١٩٧١).

خمسة ألوية من المشاة يضم كلا منها كتيبة مجهزة بالدبابات الروسية الحديثة، وخلف المشاة كان هناك قوة ضاربة معززة حديثا بأربعة الوية اضافية مدرعة ومؤللة.

ولقد خطط العميد العازر لقصف المواقع من الجو، ثم لشق طريق صعودا عند جانب التلة بمساعدة الجرافات، وأخيرا، لارسال الدبابات والمجنزرات والمشاة عبر الطريق الذي يشقه.

وكان السوريون يقصفون المنخفضات باستمرار منذ اليوم الثاني من نشوب الحرب وقوات العازر متشوقة للرد عليهم. وقد اختار العميد الاسرائيلي سلسلة جبلية على الطرف الشمالي من الحدود ترتفع عن السطح مقدار ألف وخمسمئة قدم للاقتحام الأولي لحدود سوريا. وكانت هذه النقطة من أشد المرتفعات انحدارا لذلك كانت من أضعف خطوط الدفاع. فجمع العازر قواته وانتظر وأخيرا بعد مرات عديدة من التأخير في صدور الأوامر بشن الهجوم، تلقى أوامره التي نصت على: بدء الغزو صباح نهار الخميس في الثامن من حزيران (يونيو).

ولكن قبل أقل من ثلاث ساعات من الموعد المحدد للهجوم، وعلى بعد أقل من مئتي ميل وصلت السفينة الأمريكية ليبرتي على مقربة من العريش. وخفضت السفينة سرعتها حتى خمس عقد، وتمهلت في إبحارها على مقربة من الشاطىء وهي تحتل موقعا جيدا للتنصت على الرسائل اللاسلكية من كل أنحاء المنطقة التي تنشب فيها الحرب من ضمنها معظم التحركات الجارية في مواقع الغزو.

ولما كانت السفينة ليبرتي مجهزة بمنصة ذات جهاز الكتروني لجمع الاستخبارات، كان بامكانها أن تطلع على كثير من المعلومات حول التكتيك الحربي، والاجراءات، والمعنويات، والنظام والترتيب القتالي، والأهداف العسكرية، لكل من الجانبين. وإن تلقن هذه الدروس كان سيساعد عل بناء قاعدة معطيات من الترددات اللاسلكية، وإشارات النداء، ورموز الوحدات، وغيرها من المعلومات التي كانت ستساعد عل التفسير، والتكهن بكيفية خوض معارك أخرى في أوقات وأماكن أخرى.

وفي الحقيقة، كان يجب على أي ضابط استخبارات جيد أن يستنتج أن ليبرتي كانت سفينة استخبارات مع العلم أن ضباط الاستخبارات الاسرائيلية هم من أفضل ضباط الاستخبارات في العالم. وإن أية شكوك حول مهمة السفينة كان يمكن ان تزيلها الصور المأخوذة خلال الصباح (فلقد بدت السفينة مجهزة بهوائيات محددة الغرض اكثر منها فرقاطة تحمل صواريخ موجهة)، وكذلك طريقة تصرفها (السرعة الكبيرة في عبور منطقة بحر المتوسط التي تبعها إبحار بطيء على مقربة من الشواطىء التي تدور عليها الحرب).

ولكن، بعد مدة قصيرة من وصول السفينة ليبرتي الى المنطقة، حتى في حين كانت

القوات الاسرائيلية تستعد للتحرك نحو هدفها، تلقى الجنرال العازر أوامر جديدة: تأخير موعد الغزو لمدة أربع وعشرين ساعة.

ويخبرنا راندولف وونستون تشرشل أن التأجيل الاخير في موعد الغزو الاسرائيلي «يبدو أنه كان نتيجة لقرار الجنرال موشي دايان»، ويستمران في التكهن بشأن الأسباب[٢]. فيقول كل من هو من رأي تشرشل أن سلاح الجو الاسرائيلي كان بحاجة الى اليوم الاضافي «لاضعاف» مواقع الدفاع السورية، ولاستراحة القوات التي نقلت من جبهات أخرى. كما يضيفون بقولهم أن القيام بهجوم ناجح نهار الخميس، كان سيشجع سوريا على قبول دعوة الامم المتحدة الى وقف إطلاق النار ولم تكن إسرائيل راغبة بالسماح لسوريا باختيار مثل هذا الحل السهل.

ولا يطلعنا الذين هم من رأي تشرشل لماذا اتضحت تلك الأسباب فقط حين وصلت السفينة ليبرتي الى المنطقة، أو ما هو تأثير الظهور المفاجىء «لسفينة التجسس» الامريكية المعروفة على مخططات الغزو، كما لا يطلعوننا على الأسباب التي قد أجبرت الجنرال دايان على التدخل بصورة مفاجئة. ولكن يبدو أن الاوامر التي صدرت في اللحظة الأخيرة لتأخير موعد الغزو والتي جاءت بعد فترة قصيرة جدا من وصول السفينة ليبرتي الامريكية الى المنطقة كانت اكثر من مجرد صدفة.



كانت الحكومة الاسرائيلية تعرف معرفة دقيقة المغزى من تحذير الرئيس جونسون: فالرئيس الأمريكي قد أطلع وزير الخارجية إيبان بأنه سيقدم الدعم لاسرائيل فقط في حال الدفاع عن النفس وليس في حال شنت الهجمات ضد جيرانها. لذلك كان من المهم لاسرائيل ان تظهر بمظهر الضحية البريئة التي تكافح كي ترد عنها أذى جماعات العرب الذين تبدو في عيونهم الوحشية. ولا عجب أن اسرائيل ادعت أن كل ما فعلته تقريبا، كان دفاعا عن النفس. فالهجمات التي بادرت بها في الخامس من حزيران (يونيو) كانت دفاعا عن النفس. والاستيلاء على العريش، والهجوم المظلي والبحري على شرم الشيخ، واكتساح سيناء، والاقتحام المسلح للأردن كلها كانت دفاعا عن النفس. والآن، مع انتهاء الحرب، عمليا، ومع انطلاق الصرخات في العالم من اجل السلام، هل باستطاعة إسرائيل أن تدخل قواتها الى سوريا دون أن تظهر بمظهر المعتدي؟

قد لا تستطيع ذلك.

(٢) راندولف س. تشرشل وونستون س. تشرشل، حرب الستة أيام (بوسطن: هوفتن ميفلين، عام ١٩٦٧).

وقد لا تستطيع ذلك والسفينة ليبرتي الأمريكية على مسافة قريبة جدا من الشاطىء ومن المفروض أنها تتنصت. لذلك يجب التخلص من السفينة ليبرتي.

هكذا، بالصدفة الملفتة للنظر، ان لم يكن عن سابق تصميم، اضطر الجنرال العازر الى تأخير موعد الغزو حتى يجري التخلص من ليبرتي. وبدلا من مهاجمة سوريا عملت القوات الجوية والبحرية الاسرائيلية بالتعاون مع القوات الموجودة على الشاطىء لمهاجمة سفينة تابعة للولايات المتحدة الأمريكية. وآنذاك فقط بعد ان تم إخراج ليبرتي من الساحة وتوفر بذلك الأمن الضروري لعملية الجيش الاسرائيلي اطلقت يد العازر للتصرف بحرية. وعند الساعة الحادية عشرة والنصف من صباح نهار الجمعة في ٩ حزيران (يونيو) عندما كانت السفينة ليبرتي تبحر بصعوبة باتجاه مالطا تسلقت أول مجموعة من الجرافات الاسرائيلية الجبل الذي يقع فوق كفرزولد. وبعد ساعات معدودة استولى الجنرال العازر على السلسلة الجبلية كي يحقق هدفا رئيسيا من أهداف الحرب.

وجاء غزو سوريا بعد ساعات معدودة فقط من الهجوم على السفينة ليبرتي كمفاجأة بالنسبة لمعظم بلدان العالم. ولم يظهر ان هناك علاقة بين الحادثتين، والكتاب الذين ادعوا أنه يوجد علاقة بينهما لم تتوافر لديهم الوقائع لدعم رواياتهم التكهنية. وهذه الوقائع لم تتوافر لديهم لأنها اخفيت عنهم.

وخلال الأشهر التي تبعت الهجوم على السفينة ليبرتي تسلمت وكالة الاستخبارات المركزية الأمريكية عددا من التقارير التي تدعم وجهة النظر بأن الهجوم كان مقصودا.

وأول تقرير وصل كان رسالة من تركيا بتاريخ ٢٣ حزيران (يونيو)، عام ١٩٦٧ تنقل بأن هيئة الأركان العامة التركية على اقتناع بأن الهجوم كان مقصودا. ولا يشير التقرير الى ما يقود الى هذا الاعتقاد، إلا أنه شيء مثير للاهتمام ان حكومة أجنبية ليس لها مصلحة في هذه المسألة قد توصلت، كما يبدو، الى مثل هذا الاستنتاج المربك[٣].

وبعد شهر جاء في رسالة وصلت الى وكالة الاستخبارات المركزية الأمريكية أن حديثا جرى مع مصدر إسرائيلي موثوق به لمح فيه بقوة الى أن الهجوم لم يحدث خطأ. ونص جزء من الرسالة على الآتي:

قال المصدر الاسرائيلي الموثوق به: «عليك ان تتذكر أنه في هذه الحملة لا وقت ولا

(٣) برقية وكالة الاستخبارات المركزية الأمريكية بمعلومات الاستخبارات، «وجهة نظر هيئة الأركان العامة التركية بشأن الهجوم الاسرائيلي على السفينة ليبرتي الأمريكية.»

مجال للأخطاء »، والمقصود بذلك إشارة ضمنية الى أن القوات الاسرائيلية كانت تعرف ما هو العلم الذي كان يرفرف على السفينة ليبرتي، وما كانت تفعله السفينة بالضبط على مقربة من الشاطىء. ولمح [المصدر الاسرائيلي] الى أن هوية السفينة كانت معروفة قبل ست ساعات على الأقل، من الهجوم إلا ان القيادة الاسرائيلية لم تكن متأكدة من عدد الاشخاص الذين قد يمكنهم الوصول الى المعلومات التي تتنصت عليها السفينة ليبرتي. كما لمح الى أنه لم يكن هناك ثقة ولا ضبط بشأن الجهة التي ستصل إليها المعلومات، وردد مجددا قائلا أن القوات الاسرائيلية لم ترتكب الأخطاء في حملتها. وكان يؤكد لي في تصريحه على أنهم كانوا على علم بنوعية السفينة ليبرتي الأمريكية، وما كانت تفعله على مقربة من الشاطىء[٤].

ولهذا التقرير مصداقيته عندما نتذكر ان إسرائيل لم تتعرف على هوية السفينة قبل ست ساعات من الهجوم. من هنا نعرف أن الراوي لديه بالفعل وسيلة للوصول الى المعلومات السرية.

وفي ٩ تشرين الثاني (نوفمبر)، عام ١٩٦٧ صرح مصدر موثوق به بوضوح لا لبس فيه بأن الجنرال موشي دايان أصدر الامر بشن الهجوم ونصت الرسالة التي جاء فيها التصريح على الآتي:

قال [المصدر] معلقا على غرق سفينة الاتصالات الأمريكية ليبرتي بأن دايان أصدر شخصيا الأمر بشن الهجوم على السفينة، وأن أحد الجنرالات التابعين له عارض بشدة هذا العمل قائلا: « إنه عمل اجرامي محض ». كما عارض هذا العمل أحد من هم برتبة فريق أول بحري كان حاضرا، وكان هو من اصدر الامر بوقف الهجوم، وليس دايان[٥].

وكانت الرسائل التي صدر الاذن بنشرها بموجب قانون حرية الاعلام بعد ان حذف مراقبو وكالة الاستخبارات الأمريكية الكثير منها قد خلقت ضجة خاطفة عندما ظهرت في صحيفة النيويورك تايمز « كبلاغ لخدمة الجمهور » عن طريق مجموعة من العرب وبعنوان « هل نرحب بقاتل أبنائنا ؟ » وصدر البلاغ بتوقيت كان القصد منه إرباك دايان، إذ أن ظهوره في الصحف تزامن مع وصول دايان الى نيويورك في ١٩ أيلول (سبتمبر)، عام ١٩٧٧، لكن اللهجة الهستيرية في البلاغ قد تكون برودا في حماس الصحافة. وباستثناء سؤال بسيط طرحه مخبر صحفي لاذاعة مقرها في واشنطن، لم تطرح اية اسئلة على دايان

(٤) تقرير معلومات وكالة الاستخبارات المركزية الأمريكية « التعليق على الهوية المعروفة للسفينة ليبرتي الأمريكية، » ٢٧ تموز (يوليو)، عام ١٩٦٧.

(٥) تقرير معلومات وكالة الاستخبارات المركزية الأمريكية، « الهجوم على السفينة ليبرتي الامريكية بأمر صدر عن دايان ».

حول الهجوم، وبرأته وكالة الاستخبارات الأمريكية فورا من تهمة ارتكاب أية أخطاء عن طريق إذاعة بيان في نشرة الأنباء اعلن بان هذه التقارير صادرة عن «أخبار تتصف بالجهل وتفتقر الى التقييم». وصرحت وكالة الاستخبارات المركزية الأمريكية بأن: «إسرائيل لم تعرف أن ليبرتي كانت سفينة أمريكية إلا بعد الهجوم».

وكما نعلم جيدا إن إسرائيل كانت على معرفة بهوية السفينة، وقد اعترفت لحكومتنا بأنها عرفت أن السفينة أمريكية، وتدعي اسرائيل فقط بأن القوات المهاجمة فشلت في تلقي البلاغ في هذا الشأن. وعلى ضوء بيان وكالة الاستخبارات المركزية الأمريكية الذي يتصف بعدم الصراحة، طلبت من وكالة الاستخبارات المركزية الامريكية تزويدي بنسخة عن موجز البيان الذي أذيع في نشرة الأنباء. وأخيرا، عندما وصلني الموجز لفتت الرسالة المرفقة انتباهي الى الفقرة السابعة التي نصت على أن وكالة الاستخبارات المركزية الامريكية ستتقدم بالأسباب التي استندت اليها في وجهة نظرها. وبالرغم من ذلك يفشل التقرير في تقديم أية أسباب على الاطلاق، ولا يكاد يعبر عن أية وجهة نظر. وجاء في النص الذي له صلة بالموضوع ما يأتي: «وهكذا حتى [الساعة ١٢ :١٥ بتوقيت السفينة ليبرتي] أصبح لدى الاسرائيليون اقتناعا بأن السفينة ليبرتي كانت أمريكية»[٦].

بذلك أطلعنا فقط على الاستنتاج ولم يفتح لنا أي مجال للاطلاع على المعلومات التي تقود الى، أو تدعم هذا الاستنتاج. فالأسطر العشرة السابقة محذوفة من الموجز عن طريق المراقب الخاص بوكالة الاستخبارات المركزية الأمريكية. لكن، ١٥,١٢ هو التوقيت الذي أطلقت فيه الزوارق الطوربيد النار على طوافات من المراكب المطاطية للانقاذ، والتقطت فيه الطوافات التي ثقبها الرصاص من المياه ثم غادرت، وهو التوقيت الذي وصلت فيه طائرات الهليكوبتر الاسرائيلية المحملة بالقوات وحلقت على مقربة من مقصورة قيادة السفينة على مسافة أقل من خمسين ياردة من العلم الأمريكي ذي الحجم الكبير الذي كان يرفرف على الصاري، كما هو التوقيت الذي أطلقت فيه الطلقات النارية الأخيرة. ومن المفترض ان وكالة الاستخبارات المركزية الأمريكية تقبل ببعض هذه الظروف على أنها إثبات بأن هوية السفينة كانت واضحة بشكل لا يقبل الشك، هذا إذا لم تكن هويتها، في الواقع، قد حددت منذ فترة طويلة.

---

(٦) مذكرة استخبارات وكالة الاستخبارات المركزية الامريكية أس. سي رقم ١٤١٥. ٦٧، «الهجوم الاسرائيلي على السفينة ليبرتب الامريكية أ س. سي رقم ١٤١٥. ٦٧، «الهجوم الاسرائيلي على السفينة ليبرتي الأمريكية»، ١٣ حزيران (يونيو)، عام ١٩٦٧.

إن الموجز الصادر عن وكالة الاستخبارات المركزية الأمريكية الذي حضر من تقارير سابقة بينما كانت السفينة ليبرتي ما تزال في طريقها الى مالطا، يحتوي على عدد كبير من الاخطاء ولا يضيف الا القليل على ما نشر في الصحف. وفي مجهود للاطلاع على المزيد من المعلومات قام الملازم بحري بنيت التابع للسفينة ليبرتي (الذي يلقب حاليا بالقائد بنيت) والمكلف بمهام وكالة الأمن القومي على مقربة من واشنطن، بتحضير رسالة رسمية صادرة عن وكالة الأمن القومي، وموجهة الى وكالة الاستخبارات المركزية الأمريكية يطلب فيها إمكانية الوصول الى كل ملفات وكالة الاستخبارات المركزية الأمريكية عن الهجوم. وعلى عكس الطلب الفردي قدم هذا الطلب كليا عن طريق الدوائر الحكومية، وكان السبيل ممهدا بصورة كافية لبنيت كما كان لديه حجة معقولة للاطلاع على الملفات.

وسرعان ما اتصل الرائد البحري ومساعد الفريق أول بحري تورنر، مدير وكالة الاستخبارات المركزية الأمريكية، ببنيت هاتفيا، وسأله: «لماذا تريد أن ترى الملف؟» فشرح بنيت السبب. وسأل المساعد مجددا: «هل تضمن الحفاظ على المعلومات؟» فأجاب بنيت بأنه يضمن ذلك. وبعد عدة أيام اتصل الضابط هاتفيا ببنيت وقال له: «عليك أن تتعهد بعدم نسخ أي من هذه الملفات، وعليك أن تؤكد لنا بأنك لا تكتب اي شيء للنشر». فتعهد بنيت بذلك.

وبدا الى حد كبير أن بنيت سيحصل في النهاية، على الملف الكامل، اي على الرواية الرسمية التي لم تخضع للمراقبة بشأن ما حدث بالفعل للسفينة ليبرتي الامريكية. بعدئذ اتصل الرائد البحري هاتفيا للمرة الثالثة، وقال: «لا يوجد هناك شيء نرسله، فكل ما لدينا في الملف قد سبق أن سمح بنشره بموجب قانون حرية الاطلاع على المعلومات».

إذا صح هذا القول، فمن المستبعد أن تكون الاجابة على طلب بنيت قد استغرقت كل هذه المدة، او ان يكون الطلب قد وصل مطلقا الى مكتب مدير وكالة الاستخبارات المركزية الأمريكية. مهما كان الأمر، فلقد صدر هذا الكلام عن مكتب الفريق أول بحري تورنر. ومن غير المرجح معرفة أي شيء إضافي من خلال وكالة الاستخبارات المركزية الأمريكية.

ولقد ظل قسم كبير من الرواية بشأن السفينة ليبرتي يلفه الغموض وكلما أجيب على سؤال، لاح في الأفق سؤال آخر مكانه. ونحن نعرف أنه تمت تغطية الرواية الصحيحة عن الهجوم. ولكن، هل تمت تغطيتها بسبب العادة، أو الخوف، وصدور ردود الفعل المفرطة العمياء، أو أن شخصية رسمية أمريكية مسؤولة أخفت الحقيقة عن عمد؟ وهل صدر أمر التغطية عن رئيس الولايات المتحدة الأمريكية؟ وإذا كان الامر كذلك، فهل كان الرئيس يعرف الحقيقة، أو أنه كان يلتزم الحذر فقط في وجه الاثباتات غير الحاسمة؟ وهل كان حقا، يعتقد كبار الرسميين في حكومتنا أن هذا المجهود الذي بذل في تنسيق دقيق جوي

وبحري، ومن خلال المغاوير والاستخبارات كان يمكن أن يحدث خطأ؟ وهل يمكن ان يكون هذا الأمر بالهجوم قد صدر عن ضابط إسرائيلي مختل، أو أنه كان مقصودا ومحسوبا بدقة من قبل الحكومة الاسرائيلية؟ أو هل أصدر الجنرال دايان الأمر بشن الهجوم؟ ونحن نعرف أن السفينة لم تكن تتمتع بحماية كافية. فهل تمت مطالبة ايا من كبار الضباط بالاجابة على ذلك؟ ونحن نعرف أن حجة إسرائيل لمهاجمة السفينة لا يمكن ان تكون صحيحة. فلماذا لم تطالب حكومتنا بتفسيرات أكثر وضوحا؟

كل هذه الأسئلة تلح عل إيجاد أجوبة لها. وبعض الأجوبة تبدو واضحة بينما غيرها استعصى على الباحثين لمدة تزيد عن عشر سنوات. وربما حان الوقت لتشكيل لجنة من الكونغرس تكون مهمتها التحري عن الاسئلة المتبقية كي يتم إطلاع الشعب الأمريكي على السبب الذي من أجله توفي ثلاثة وأربعون رجلا، والسبب الذي أخفيت من أجله الحقيقة طوال هذه المدة.

تعليق للمؤلف

بعد الهجوم على ليبرتي بأيام قليلة قامت ساندي زوجة جيم اوكونور بزيارة جارة لها يهودية ووجدتها على وشك البكاء. قالت الجارة: «اوه يا ساندي، انا متأسفة، لقد كانت لدي الرغبة في أن آتي لزيارتك ولكن خجلي الشديد منعني من ذلك».

اصيبت ساندي بالدهشة والحزن عندما اكتشفت ان صديقتها تحس بالانتماء الشديد لاسرائيل لدرجة شعورها بالذنب من الجرائم التي ترتكبها اسرائيل. وقالت ساندي: «إن الذين هجموا على ليبرتي ليس اليهود، ولكن هناك ضابط اسرائيلي اعطى الاوامر بذلك، ويجب عليه وحده ان يخجل من نفسه».

وقد عبرت عن وجهة نظر مشابهة عندما ذكرت في خطاب كتبته من المستشفى انه «على الرغم من ان الشخص الذي يتحمل المسؤولية الجنائية لما حدث لسفينتنا صادف انه كان يهوديا، فإنه لا يجب علينا ان ننحو باللائمة على اليهود أو حتى على الاسرائيليين بشكل عام. فالذي اتخذ القرار بالهجوم علينا قد يكون قائد ميدان، وهو الشخص الذي يجب ان نلقي عليه اللوم. وقد يكون الذي اتخذ القرار هو القيادة العليا الاسرائيلية، وفي هذه الحال علينا ان نلومها. ولكن لا يجب ان يلوم احد كل يهودي او كل اسرائيلي على ذلك. فقد كان هناك يهود ايضا من بين الذين قتلوا على هذه السفينة».

لقد كتبت كتابا يفضح الاهمال وحجب المعلومات وسوء اداء الواجب والتصرف. أما رد الفعل عليه (إن كان هناك رد فعل على الاطلاق) فسينصب على الجوانب السياسية له، وسيعتقد الكثير من القراء ان وراء الكتاب دوافع سياسية وهذا مما يؤسف له.

لقد سردت القصة لانه من الواجب سردها ولانني اعتقد انني الوحيد المؤهل للقيام بذلك. فوجودي في مقصورة القيادة واتصالي المستمر مع الشهود الرئيسيين وإطلاعي على عدد كبير من الوثائق الحكومية غير السرية كل ذلك اتاح لي تفهما خاصا للاحداث التي احاطت بالهجوم.

ومما اضعف الكثير من القصص التي نشرت قبل ذلك عن هذا الموضوع كان عدم القدرة على الحصول على معلومات يعتمد عليها. فبعض القصص كانت مبنية على التخمين أو الابحاث الخاطئة. وبعض القصص احاطت السفينة بهالة من القدرات الوهمية التي لا

تستحقها. فالمراسلون مثلا الذين كانوا بدون شك مفتونين بهوائي نظام الاتصالات الخاصة لسفن الابحاث التقنية تكلموا كثيرا عن وجود «اذن كبيرة» على السطح الرئيسي لليبرتي كان من المفروض ان تتنصت على الرسائل اللاسلكية من على بعد «مائة ميل»، وهذا كلام فارغ. وتحدث احد الكتاب عن وجود رجل مدني غامض يلبس بزة عسكرية بدون علامات والذي نسب اليه انه المسؤول عن السفينة، ولكن هذا الشخص لم يكن له وجود. فالرائد بحري ديفيد ادوين لويس من البحرية الامريكية كان مسؤولا عن قسم عمليات الابحاث وكان يلبس بزة البحرية الامريكية العادية. كما قيل لنا عن وجود «معلومات مقلقة» سلمت الى مكفوناغل قبل الهجوم بساعات قليلة ويفترض انها كانت تحذر من وجود خطة اسرائيلية لشن حرب، ولكن هذه المعلومات لا وجود لها. وقيل ايضا عن وجود معدات تمويه، ولم يكن لهذه المعدات وجود على ليبرتي. كما كان هناك حديث عن رسائل بعثت بها ليبرتي الى كبار المسؤولين وهذا ليس صحيحا. بالاضافة الى ذلك هناك كاتب ذكر بثقة لقرائه ان ليبرتي لم تغرق لانها كانت مجهزة خصيصا بالواح صلب ضخمة يتم انزالها اوتوماتيكيا لسد الثغرة التي احدثها الطوربيد. وهناك ايضا مراسل ذو قدرة خاصة على الابتكار تحدث عن رسائل بلهجة مسعورة تبادلها مكفوناغل مع الغواصة النووية الامريكية «اندرو جاكسون» وتوليت انا مهمة توصيلها. غير انني لم اقم بنقل اية رسائل كهذه، كما انه لم تكن هناك اتصالات بين ليبرتي واية غواصة اثناء وجودي على متن السفينة.

إن الذي كان يحدث في هذه الحالات هو قيام احد المراسلين واسعي الخيال باصدار تصريح ما، ثم يأتي مراسلون آخرون ويأخذون هذا التصريح وينمقوه ويعيدون عرضه من جديد. فمثلا «الاذن الكبيرة» التي تستطيع التنصت من على بعد مائة ميل والتي ورد ذكرها في التقارير الاولى عن ليبرتي تحولت في القصص اللاحقة الى اذن تتنصت من على بعد خمسمائة ميل. وبالطبع لم تكن هناك «اذن كبيرة» على السفينة على الاطلاق ولا معدات سونار ولا اجهزة تنصت تحت الماء او أجهزة تشويش والتي كان قد ذكر ان السفينة مجهزة بها.

بعد ان رأيت التقارير التي اتسمت بالتخمين والمغالطات فضلا عن الاخطاء وانصاف الحقائق والتصريحات المضللة والفقرات المحذوفة في البيانات الحكومية، بذلت مجهودا كبيرا للتحقق من النتائج التي توصلت اليها وتوثيقها. وقد اوردت ذكر مصادر الحقائق الجوهرية كلما امكن ذلك. وعندما كنت اتلقى معلومات مثيرة للجدل من شخص قد يؤدي ذكر اسمه الى احراجه أو الاضرار به، كنت احاول التنويه بمكانة مصدر هذه المعلومات وإمكانية الاعتماد عليه بدون ذكر اسمه. ففي كثير من الحالات ما زال الاشخاص الذين امدوني بالمعلومات يخدمون في البحرية، ومن اجل حمايتهم وحماية نفسي ايضا فقد تجنبت

ان اقول للعسكريين الذين ما زالوا في الخدمة ان الاسئلة التي طرحتها عليهم كانت بقصد اصدار كتاب، ومن غير العدل ان اذكر الآن اسماء هؤلاء الاشخاص.

وفي بعض الحالات لم يكن من الممكن توثيق المعلومات التي كنت اتلقاها في اي من السجلات الرسمية التي سمح لي بالاطلاع عليها، ومقال على ذلك وجود غواصة بالقرب من ليبرتي. فليس هناك ذكر لمثل هذه الغواصة في السجلات التي نشرت ـ وقد يرجع ذلك الى ان تفاصيل العمليات التي تقوم بها الغواصات تبقى طي الكتمان ولا يتم نشرها ابدا تقريبا. في تلك الحالات اوردت ذكر مصدر المعلومات بعبارات عامة باستخدام التذييل وذلك حتى يتسنى للقارىء الحكم عل الموقف بنفسه.

لقد باءت جهودي بفشل كبير في محاولاتي العثور على رسائل او اي وثائق اخرى لاثبات النقاط التي هي موضع جدل بأنه تم ارسال طائرات مسلحة نوويا للدفاع عنا ولكنها استدعيت قبل الاوان. وبالرغم من ان القصة ثابتة فضلا عن ان التفاصيل الآتية من مصادر مختلفة تنسجم مع بعضها البعض منطقيا، إلا انه لا توجد هناك اشارة في سجلات الرسائل المتبادلة او الروايات الرسمية على انه تم ارسال طائرات كانت على اهبة الاستعداد. وهذا لا يدعو للدهشة حيث ان الرسائل المتعلقة بالاسلحة النووية تعالج وتوضع في ملفات خاصة منفصلة عن بقية الرسائل. ولكن لانني اثق في مصادر هذه القصة، حيث انها تنسجم تماما مع السيناريو المعروف، ولانها تساعد على توضيح لماذا بقيت ليبرتي بدون مساعدة لاكثر من ثلاث ساعات بعد طلبها هذه المساعدة، فقد اوردت الحادث على انه حقيقة ـ وهو ما اعتقده بالفعل. ولان السجلات المتوافرة لا تذكر شيئا عن طلعات الطيران هذه، وحيث انه في استطاعة الحكومة انكار حدوثها، فقد اوردت في التذييل الادلة التي قادتني الى هذه النتيجة.

وبالطريقة نفسها حاولت ان اعلم القارىء بقدر المستطاع بالادلة التي تؤيد التفاصيل الرئيسية الاخرى للقصة. وقد استقيت معظم هذه الادلة من تقرير محكمة التحقيق الذي كان يعتبر بالغ السرية ثم سمحت البحرية بعد ذلك بالاطلاع عليه ونشرته في تموز (يوليو) ١٩٧٦، أما الجزء المتبقي من الادلة فقد جاء من ملفات وزارة الخارجية المسموح بالاطلاع عليها ومن الوثائق التي نشرتها مكتبة ليندون جونسون في اوستن. بالاضافة الى ذلك تدفقت علي المعلومات باستمرار من افراد طاقم ليبرتي السابقين الذين احتفظ بعضهم بنسخ عن كل وثيقة تقريبا كانت تمر تحت يدهم بعد الهجوم. كما ان المذكرات التي تحتوي على ١٢٠٠٠ كلمة والتي كتبتها في المستشفى كانت مفيدة من حيث تنشيط ذاكرتي. واخيرا، فان سبع سنوات من الخدمة العسكرية في واشنطن اتاحت لي فرصة الاتصال باستمرار باشخاص حسني الاطلاع على احوال السفينة، كما انها ساعدت على ابقاء الاتصالات مع الزملاء السابقين على السفينة.

لقد حصلت على تأييد قوي من الزملاء السابقين على السفينة الذين يتشوق معظمهم لرؤية هذه القصة تسرد. ومن اجل هؤلاء الاشخاص ومن اجل الثمانية وثلاثين رجلا الذين لم يعودوا ومن اجل العديد من المصابين الذين لن يتعافوا بصورة كاملة واخيرا من اجل الزوجات والاهل والاطفال الذين لا حصر لهم والذين تعذبوا في صمت وهم في الوطن، فقد بذلت قصارى جهدي محاولا الكشف عن القصة الكاملة للسفينة ليبرتي وما حدث لها بدون تنميق وتقديمها بشكل منصف وموضوعي.

ومن دواعي الحظ ان هٰذا الكتاب قد يزيل حجرا آخر من الحائط الذي يفصل في كثير من الاحيان بين الحكومة والشعب الامريكي، كما انه قد يساعد على جعل مهمة حجب المعلومات التالية عن الرأي العام اكثر صعوبة.

ملحقات

يضم الكتاب في ختامه تسعة عشر ملحقا تتضمن وثائق هامة تثبت ما استند اليه المؤلف في روايته لاحداث العدوان على السفينة ليبرتي كما شهدها هو. وهذه الملحقات هي:

الملحق أ ـ ويشمل خلاصة خمس رسائل أساسية متبادلة.

الملحق ب ـ ويشمل وثائق نداء الاستغاثة الصادر عن ليبرتي والرد المشوش الوارد من قيادة البحرية الأمريكية في البحر المتوسط.

الملحق ج ـ رسالة قائد الاسطول السادس التي تؤكد ان المساعدة على الطريق.

الملحق د ـ مناقشة حول جهود الانقاذ.

الملحق هـ ـ تقرير سفارة الولايات المتحدة في تل أبيب عن هجوم خاطىء قامت به إسرائيل.

الملحق و ـ صورة بطاقة الزيارة للقائد كاسل وقد القاها على السفينة ليبرتي من حوامة عسكرية.

الملحق ز ـ تقرير ليبرتي الاول حول تفاصيل الهجوم.

الملحق ح ـ صفحة الرصد الجوي وحسابات سرعة الرياح النسبية.

الملحق ط ـ رأي مستشار محكمة التحقيق.

الملحق ي ـ السيرة الذاتية الرسمية للقائد وليام ل. مكفوناغل، البحرية الامريكية ١٩٦٨.

الملحق ك ـ رسائل الثناء.

الملحق ل ـ رسالة القائد الى الأسطول السادس.

الملحق م ـ اوسمة البطولة.

الملحق ن ـ مقتطف من استعراض وزارة الدفاع على نطاق العالم، المرحلة الأولى.

الملحق س ـ لائحة بأسماء طاقم ليبرتي ورتبهم.

الملحق ع ـ مقتطف من سجل ضابط المراقبة في مركز المعلومات القتالية.

الملحق ف ـ قرار رابطة المحاربين الامريكيين.

الملحق ص ـ اعتذار إسرائيل على الهجوم.

الملحق ق ـ الرد الأمريكي على الاعتذار الاسرائيلي.

الملحق ر ـ التنفيذ الاسرائيلي للرد الأمريكي.

ونعرض فيما يلي الوثائق ذات الأهمية الخاصة في تاريخ هذا الحدث الخطير: الملحق د، الملحق ز، الملحق ط، الملحق ل، الملحق ن، الملحق ف.

الملحق د

مناقشة حول جهود الانقاذ

كما ذكرت سالفا، تصر التقارير على انه تم على الأقل ارسال سربين من طائرات الانقاذ للدفاع عن ليبرتي. ووفقا لتلك التقارير، ان السرب الأول المكون من أربع طائرات فانتوم ف ٤ ـ ب المقاتلة القاذفة والمجهزة بأسلحة نووية سرعان ما طلب منها العودة الى القواعد بتدخل شخصي وغاضب من وزير الدفاع ماكنمارا ورئيس العمليات البحرية ماكدونالد. أما السرب الثاني، المزود بأسلحة تقليدية، والذي تم إرساله بعد ذلك فقد طلب منه العودة حال تلقي إشعارا من تل ابيب بأن اسرائيل قد اعترفت بالهجوم على السفينة وقدمت اعتذارا بذلك.

وقد وصلني التقرير الاول عن السربين المنفصلين من المساعد الأول البحري في حاملة الطائرات «امريكا»، الذي وصف الاقلاع، بدون جعجعة، لأربع طائرات «متأهبة» كان على علم بأنها مجهزة بأسلحة نووية. وقد أخبرني احد ضباط مدمرة كانت تقف الى جانب حاملة الطائرات للتزود بالوقود، عن تسلم رسالة عبر التلفون الصوتي من برج القيادة للسفينة «أمريكا» تقول: «لا تفزعوا. إننا نستعد لاطلاق الطائرات المتأهبة!» وفي وقت لاحق اعلنت حالة الاستعداد للقتال في السفينة وتم إطلاق مزيد من الطائرات. أما حالة الانتظار الطويل التي سبقت إعلان الاستعداد للقتال فقد وصفها ضابط شاهد جزءاً من الدراما من برج السفينة «امريكا» بقوله: «لقد استغرقت وقتا طويلا. كان عليهم تغيير حاملات الصواريخ على الطائرات كما كان عليهم إحضار القنابل والصواريخ من العنابر السفلية». وقد وصف مشغل لاسلكي سماعه لوزير الدفاع ماكنمارا، يأمر بغضب، عبر اللاسلكي، اللواء البحري مارتن بإرجاع الطائرات. كما اخبرني المشغل، أنه من الواضح لمن كان يستمع، أن اهتمام ماكنمارا كان يعود الى أن الطائرات كانت مجهزة بأسلحة نووية.

ولم يكن المشغل أول من يبلغ عن ارجاع الطائرات السريع. فلم يمض شهر واحد على الهجوم، حتى ذكرت نشرة إخبارية صغيرة تدعى كاونترأتاك، مركزها نيويورك، تدخل ماكنمارا الشخصي ومتابعة ماكدونالد للأمر. «العمليات البحرية»، ذكرت كاونتراتاك، «استجابة للسلطات العليا، أمر الفريق أول البحري وليام أ. مارتن، قائد الأسطول السادس، استدعاء الطائرات التي تستعد للهجوم من الجو. وفي خلال ثوان، كان الفريق

أول بحري دافيد ل. ماكدونالد، رئيس أركان العمليات البحرية، على اللاسلكي يكرر ويؤكد الأمر». واختتمت كاونترأتاك قولها، «لقد منعت البحرية الأمريكية، في عهد جديد من الإذعان العسكري، من الذهاب لإغاثة أحد طواقمها الخاصة».

وعندما استجوبت احد ضباط ليبرتي، «أكد في الحال إرسال واسترجاع الطائرات المجهزة بأسلحة نووية - مع ان ذلك لم يكن، على حد معلوماته، من حاملة الطائرات. لقد قال: «آه، لقد تحدثت محكمة التحقيق عن ذلك»، وأضاف «إننا نعلم انه تم إرسال طائرات مجهزة بأسلحة نووية. وقد أخبرنا أنها كانت قادمة من ليبيا وأنه طلب منها العودة بناء على أمر من البيت الأبيض».

ويقدّم محمد حسنين هيكل الصديق المؤتمن لعبد الناصر في (وثائق القاهرة [نيويورك: دبلداي ١٩٧٣]، تقريرا مساندا. ويخبرنا هيكل أن جونسون بعث برسالة عبر الخط الساخن الى عبد الناصر بواسطة كوسيغين، يوضح أن «اثنتين من الطائرات الأمريكية المقاتلة كانتا مجبرتين على المرور فوق المواقع المصرية في طريقهما لمساعدة سفينة الاتصالات الأمريكية ليبرتي...» لم يكن هناك مواقع مصرية بين الأسطول السادس وليبرتي، وأي طائرة أمريكية تمر فوق المواقع المصرية لا بد من ان تكون قادمة من القواعد الأمريكية في ليبيا. على ما يبدو إذن أن طائرات الأسطول السادس لم تكن هي الطائرات الوحيدة التي أرسلت للدفاع عن ليبرتي، وربما لم تكن هي الطائرات الوحيدة التي تحمل أسلحة نووية.

ووفقا لما يقوله باتريك ج. ماكغارفي العضو الاسبق في وكالة الاستخبارات المركزية في (CIA: THE MYTH AND THE MADNESS) [نيويورك: ساترداي رفيو برس ١٩٧٣]، فإنه كان لا يزال هناك اعتبار لارسال سرب آخر. حيث يخبرنا ماكغارفي ان رؤساء الأركان المشتركة اقترحوا «توجيه ضربة جوية انتقامية فورية على القاعدة البحرية الاسرائيلية التي شنت الهجوم».

وإذا ما اعتبرنا الميل الى دفن التفاصيل المحرجة، بالاضافة الى التقلص غير المفاجىء للملفات على مر السنين، فإنه من شبه المستحيل أن نستطيع الآن فرز كافة التفاصيل لعملية «الانقاذ» المحبطة. وما يلي هو تسلسل للأحداث كما تم إعادة تشكيلها من سجلات المحكمة والمراسلات البحرية وسجلات البيت الأبيض وملفات وكالة الاستخبارات المركزية (جميع الأوقات المعطاة هي حسب توقيت ليبرتي):

١٤,٠٠ بدأ الهجوم.

١٤,٠٩ تسلمت حاملة الطائرات الأمريكية ساراتوغا، التي كانت تعمل بالقرب من جزيرة كريت مع السفينة أمريكا وقائد الأسطول السادس، طلب المساعدة من ليبرتي. (مع أن ساراتوغا أرسلت في ١٤٣٥ برقية تبلغ فيها عن الهجوم الى القائد العام للبحرية

الأمريكية في أوروبا الموجود في لندن ـ ونسخة من المعلومات لقائد الأسطول السادس ـ فإن هذه الرسالة لا يمكن أن تكون هي أول بلاغ لقائد الأسطول السادس عن الهجوم. فقد كانت ساراتوغا تحتفظ بعدد من دارات اللاسلكي التكتيكية والتشغيلية لتحويل البلاغات التكتيكية المستعجلة الى قائد الأسطول).

قائد الأسطول السادس يعلم، المساعدة في طريقها اليكم، بينما كانت ليبرتي لا تزال تتعرض للهجوم الجوي. (من التذكرات الشخصية فقط).

١٤,٣٥ انفجار طوربيدي. انقطعت الاتصالات مع ليبرتي حتى الساعة ١٦,٠٠.

ساراتوغا تحول البلاغ بالهجوم الى القائد العام للبحرية الامريكية في اوروبا.

١٤,٥٠ قائد الأسطول السادس يصدر أمرا لحاملتي الطائرات أمريكا وساراتوغا بإرسال الطائرات للدفاع عن ليبرتي.

١٥,٠٠ (تقريبا) القائد المسؤول عن محطة الاتصالات البحرية في المغرب، يبلغ المقر الرئيسي في واشنطن تلفونيا ان ليبرتي تتعرض للهجوم.

١٥,٠٥ قائد الاسطول السادس يبعث رسالة الى ليبرتي، نرسل طائرات لحمايتكم. اتصالات ليبرتي كانت معطلة ولم تتسلم الرسالة.

١٥,١٠ تسلم مقر القائد العام للبحرية الأمريكية في اوروبا بلاغا تلفونيا من المغرب بان السفينة تتعرض للهجوم.

١٥,١١ القائد العام للقوات الامريكية في اوروبا يبلغ مركز القيادة العسكرية القومية في واشنطن أن ليبرتي تتعرض للهجوم، هذا أول تبليغ رسمي يصل واشنطن.

١٥,١٦ قائد قوات المهات الخاصة ٦٠ يصدر امرا لساراتوغا وأمريكا بإرسال ثماني طائرات للدفاع عن ليبرتي. (مضى حتى الآن ست وسبعين دقيقة منذ طلبت ليبرتي المساعدة لاول مرة. ومضت ساعة منذ اخبرت ليبرتي لأول مرة، ان المساعدة في الطريق. ومضت خمس وعشرين دقيقة منذ أصدر قائد الأسطول السادس أمرا الى ساراتوغا وأمريكا بإرسال المساعدة. قد تكون طائرات الفانتوم في طريقها بالفعل).

١٥,٣٠ قائد الاسطول السادس يبلغ القائد العام للبحرية الأمريكية في أوروبا بأنه سيتم اطلاق إثني عشرة طائرة في حوالي الساعة ١٥,٤٥ لتصل ليبرتي حوالي الساعة ١٧,١٥.

١٥,٣٩ قائد الاسطول السادس يسمح باستعمال القوة لحماية ليبرتي.

١٥,٤٥ الموعد المقرر لاطلاق طائرات الانقاذ.

١٥,٤٩ روستو يبلغ الرئيس جونسون عن الهجوم على ليبرتي.

١٥,٥٥ ليبرتي تستعيد القدرة على الارسال، ولا تستطيع الاستقبال.

١٦,٠٠ مشغل اللاسلكي على ليبرتي جو وارد يرسل: « هام جدا جدا ... اننا نتعرض لهجوم بالطائرات وبقوارب عالية السرعة ».

١٦,١٠ قائد الاسطول السادس على الهواء مع ليبرتي. مشغل لاسلكي قيادة الاسطول السادس يبلغ بتسلم رسالة ليبرتي. ليبرتي تطلب إغاثة فورية، وتبلغ عن حدوث فيضانات، وجنوح مقداره تسع درجات، واربع قتلى، وخمسين جريحا.

١٦,١٤ مكتب الملحق العسكري، تل أبيب، يبلغ أن اسرائيل اعترفت بالهجوم الخاطىء على ليبرتي وأعتذرت لذلك.

١٦,١٦ هيئة رؤساء الاركان المشتركة تسمح باستعمال القوة لحماية ليبرتي من التعرض لمزيد من الهجوم.

١٦,٣٠ - ١٦,٣٧ ماكنمارا يتصل تلفونيا من البنتاغون، يجمع معلومات خلفية للنشر عن مهمة ليبرتي وعدد افرادها وآخر مرفأ لها.

١٦,٣٩ قائد الاسطول السادس يبلغ بأنه طلب عودة طائرات الاسطول السادس في ضوء اعتراف إسرائيل في رسالتها بالهجوم الخاطىء.

١٦,٤٥ قائد الاسطول السادس يتصل باللاسلكي مع ليبرتي، « المساعدة في طريقها اليكم ».

١٧,٠٠ الرئيس جونسون يتلقى مذكرة عن الاعتذار الاسرائيلي ويبعث في الوقت نفسه رسالة عبر الخط الساخن الى رئيس الوزراء كوسيغين، يبلغه فيها ان الطائرات في طريقها لاستطلاع الأمر.

١٧,٠٠ - ١٧,٢٠ انقطاع الاتصال مع ليبرتي نتيجة لتعطيل الطاقة الكهربائية.

١٧,٠٦ يصل الرئيس جونسون الى غرفة استعراض الموقف في البيت الأبيض ليترأس اجتماعا طارئا لمناقشة الهجوم على ليبرتي.

١٧,١٥ القائد العام للبحرية الأمريكية في اوروبا يبعث برسالة اختتامية الى هيئة رؤساء الأركان المشتركة ورئيس أركان البحرية وآخرين، يبلغ فيها انه تمت إعادة جميع الطائرات.

١٧,١٧ بدأت عملية التستر: رسالة القائد العام للبحرية الأمريكية في اوروبا تنقل أمر مساعد وزير الدفاع بأن جميع الاخبار المتعلقة بالهجوم سيتم إصدارها من واشنطن.

١٧,٣٠ البنتاغون تنشر أول تقرير عن الهجوم.

١٧,٤٥ ارجىء الاجتماع في البيت الأبيض.

١٨,٢٠ الرئيس جونسون يبعث رسالة ثانية عبر الخط الساخن حول ليبرتي الى رئيس الوزراء كوسيغين.

١٨,٤٩ التقرير الأخير لقائد الأسطول السادس عن الوضع يبلغ فيه القائد العام للبحرية الامريكية في اوروبا أن جميع طائرات الاسطول السادس عادت الى قواعدها وأعطي تفسير كاف عن مهماتها.

١٩,١٥ مكفوناغل يرسل تقريره الختامي عن الهجوم.

٢١,٣٦ جونسون يبعث رسالته الثالثة والاخيرة حول ليبرتي الى رئيس الوزراء كوسيغين عبر الخط الساخن.

في حين أن هذا السيناريو لا يعتبر دليلا قاطعا على أنه تم إرسال سربين من طائرات الانقاذ، إلا انه يبين بوضوح أن كل شيء لم يكن على ما يرام في الاسطول السادس. فبعد الوعد بإرسال الحماية الجوية في خلال عشر دقائق من احتياجها، يبين السجل ان الاسطول السادس استغرق ما يزيد على ثلاث ساعات لارسال الطائرات المجهزة بأسلحة تقليدية. لم تفسر البحرية (أو حتى تعترف) أبدا بمدة التأخير الطويلة، كما لم يكن هناك أي تفسير لماذا كان يتوقع وصول الطائرات التي تم إطلاقها في النهاية في خلال تسعين دقيقة لقطع مسافة ٤٠٠ ميل. فبقدرة طائرة سكاي هوك أ ٤ ـ قطع مسافة ٦٠٠ ميل في الساعة، في حين أن الفانتوم ف ٤ ـ يمكنها الطيران بسرعة تفوق ٩٠٠ ميل في الساعة، وليس هناك إلا طائرة سكاي ريدر (سرعتها القصوى ٣١٨ ميل/ الساعة) التي يمكن أن تستغرق تسعين دقيقة، ولكن هذه الطائرات التي تعتبر من مخلفات الحرب العالمية الثانية والتي تدفع بالكباسات لم تكن ندا للطائرات التي تهاجم ليبرتي ولم يكن من المفروض أن ترسل. ولم يكن في استطاعة الطائرات التي على الحاملة تحقيق وعد قائد الاسطول السادس بوصول المساعدة الى ليبرتي في غضون عشر دقائق، غير أنه كان بإمكانها الوصول في خلال ثلاثين دقيقة. وفي أسوأ الحالات، كان بإمكان الطائرات المنطلقة من الحاملة الوصول في الوقت المناسب لتجد قوارب الطوربيد السريعة متلبسة بجريمة إطلاق نيران مدافعها الرشاشة على قوارب النجاة التي كان يستقلها طاقم ليبرتي. فلو أنها أرسلت على الفور لكان من المرجح ان تكون قد وصلت في الوقت المناسب لاحباط الهجوم الطوربيدي.

لماذا فشلت الطائرات في الوصول؟ إذا كانت مصادر المعلومات التي لدي صادقة، فإن طائرات الانقاذ اطلقت فورا ولكن طلب منها العودة بناء على أمر من ماكنمارا.

وما يضفي تصديقا على هذه النظرية هي رسالة القوات البحرية التي يخول فيها قائد الاسطول السادس طياريه باستخدام القوة في الساعة ١٥,٣٩، أي حوالي خمس وثلاثين

دقيقة قبل موافقة البنتاغون على استخدام القوة. فإذا كانت موافقة هيئة رؤساء الأركان المشتركة مطلوبة، فإن المرء يتوقع من قائد الاسطول السادس انتظار تلقي تلك الموافقة قبل السماح لطياريه بالهجوم. ولكنه لم ينتظر وكما يبدو واضحا، ان السرب الأول من الطائرات كان يفتقر الى موافقة هيئة رؤساء الأركان المشتركة، لذلك طلب منها العودة سريعا عندما علم ماكنمارا بأن قائد الأسطول السادس أرسل المساعدة معتمدا على سلطته، أما رسالة هيئة رؤساء الأركان المشتركة فقد كانت لتجيز للسرب الثاني من الطائرات استخدام القوة.

ومن أوائل الاعمال التي قام بها الرئيس جونسون حال إبلاغه اعتذار إسرائيل كان إعلام رئيس الوزراء كوسيغين في رسالة عبر الخط الساخن بأن طائراتنا في طريقها الى ليبرتي - وكان يشعر بالاهمية البالغة لذلك بحيث أبقى مساعديه في الانتظار أثناء كتابة نص الرسالة. فلو أن ماكنمارا أمر بعودة جميع الطائرات، لما كان الرئيس مجبرا على إعلام كوسيغين بأنها في طريقها، لأنه لن يكون هناك طائرات يبلغ عنها. ولكن نظرا لان ماكنمارا أمر بعودة الطائرات الخطيرة المجهزة بأسلحة نووية فقط، فقد أصبح الرئيس مهتما باقتراب السرب الثاني من الطائرات المجهزة بأسلحة تقليدية. بعبارة أخرى، انه لو كان هناك سرب واحد فقط، لما كان جونسون مهتما. وقد أصدر ماكنمارا أمره بعودة ذلك السرب قبل مغادرته البنتاغون لحضور الاجتماع الطارىء في البيت الابيض.

اخيرا، وكما رأينا، يخبرنا مشغل اللاسلكي في قاعدة المغرب أنه بعيد الهجوم حضر لزيارته أحد أفراد الاستخبارات البحرية، وكان يريد التسجيل على شريط كل ما يتذكره عن الهجوم وعن الاتصالات المتعلقة به. وهذا ما اقصى الاجراءات غير الاعتيادية التي تتخذها البحرية لمجرد أن السلطات تخشى أن هناك معلومات حساسة قد تعرضت للفضيحة أو الخطر. فالاطلاق المتأخر لطائرات الانقاذ او الارجاع السريع للطائرات «المجهزة بأسلحة نووية» قد يكون مصدر إحراج، لذا فقد اعتبرت تلك المعلومات «حساسة». ولا يستدعي التدخل الشخصي من ماكنمارا وماكدونالد للاتصال لاسلكيا إلا الحالات القصوى غير الاعتيادية، كما انه ليس هناك اي اخفاق عادي يستدعي عملية التستر الواسعة النطاق التي شهدناها. وفي اعتقادي ان إطلاق الطائرات «المجهزة بأسلحة نووية» وإعادتها بسرعة، وفشل الأسطول السادس في الاستجابة الفورية بإرسال الطائرات المجهزة بأسلحة تقليدية هي من ضمن الأسباب التي دعت الى التستر على الهجوم.

وبعد أن أمضينا عذاباً شديداً بسبب كافة الاحتمالات، لا بد لي من قبول التقارير التي تفيد بأنه كان هناك سربان من الطائرات - أحدهما أمر بالعودة بسرعة وقبل الأوان من جانب وزير الدفاع ماكنمارا عندما علم بأن الطائرات كانت مجهزة بأسلحة نووية، والثاني أمره بالعودة قائد الأسطول السادس لما علم بان إسرائيل قد قامت بالهجوم عن طريق «الخطأ». ولا يتوفر لدينا أي تسلسل آخر للأحداث يفسر الأمور التي نعلم أنها صحيحة،

كفشل البحرية الأمريكية الكامل في إرسال المساعدة الى سفينة أمريكية يمكن الوصول اليها بسهولة.

الملحق ز

تقرير ليبرتي الاول حول تفاصيل الهجوم

املى مكفوناغل التقرير الاول حول تفاصيل الهجوم على الملازم بنيت وكان في ذلك الوقت مستلقيا في الجناح الايسر من مقصورة القيادة منهكا ويعاني حالة من الضعف الشديد.

لا يحظر اطلاع الجمهور عليه.

فوري

الساعة ١٧,١٥ بتوقيت غرينتش في ٨ يونيو/ حزيران ١٩٦٧

من : سفينة الولايات المتحدة ليبرتي

الى : محطة قيادة البحرية في اليونان

لا يحظر إطلاع الجمهور عليه.

تقرير عن الموقف بعد الهجوم الجوي.

١ـ في الساعة ١٢,٠٥ بتوقيت غرينتش من ٨ يونيو/حزيران السرعة ٥ عقد، الموقع (٣١ ـ ٣٥ .٥ شمالا ؛ ٣٣ ـ ٢٩ شرقا) هاجمت السفينة مقاتلات نفاثة مجهولة الهوية يعتقد انها إسرائيلية. تعرضت السفينة لقرابة ست هجمات عنيفة بالقنابل. وفي ٨ يونيو/حزيران الساعة ١٢,٢٥ بتوقيت غرينتش تقدمت نحو ميمنة السفينة ثلاث زوارق طوربيد، احدها إسرائيلي، بسرعة عالية. رقم البدن (١٧ـ ٢٠٦). وعند حوالي الساعة ١٤,٢٧ بتوقيت غرينتش ٨ يونيو/حزيران اطلقنا النار على زورق الطوربيد من بعد ٢٠٠٠ ياردة. شنت الزوارق هجوما بالطوربيد. وقد مر احد الطوربيدات على بعد نحو ٧٥ ياردة من مؤخرة السفينة. بعد دقيقة ضرب طوربيد الجانب الايمن من السفينة. وجنحت السفينة عشر درجات من ناحية الميمنة. اقمنا حواجز لا يتسرب منها الماء وهي صامدة. بعد الهجوم ابتعدت زوارق الطوربيد نحو الشرق بنحو خمسة اميال. نبتعد عن المنطقة بسرعة عشر عقد.

٢ـ التقطنا صورا للطائرة والزوارق. بعد انتهاء الهجوم حومت طائرتا هوليكوبتر فوق

السفينة على ارتفاع ٥٠٠ ياردة. كان ذلك عند الساعة ١٢,٥٥ بتوقيت غرينتش ٨ يونيو/حزيران. كانت العلامات الاسرائيلية المميزة ظاهرة بوضوح. التقطنا صورا. جمعنا عددا من القذائف من الجزء العلوي من السفينة. يقدر عدد القتلى بعشرة رجال والمصابين بجروح خطيرة خمسة عشر رجلا ومجموع الجرحى خمسة وسبعون ولم يتحدد عدد المفقودين بعد.

٣ ـ السفينة عاجزة عن القيام بمهمتها. سنقدم تقريرا بالاصابات التي لحقت بافراد الطاقم باسرع فرصة ممكنة.

٤ ـ لحقت بظهر السفينة اضرارا سطحية واسعة النطاق. تحطمت سطوحها السفلى الامامية.

٥ ـ إمكانيات الاتصال محدودة. سنقدم فيلما وقذائف كما وجهتمونا. ستحتاج السفينة الى إصلاحات واسعة النطاق في حوض جاف.

الملحق ط

رأي مستشار محكمة التحقيق

تعليقات حول النقاط السبع التي قدمها المقدم ميشيل بلوخ، ضابط الاتصال الخارجي في جيش الدفاع الاسرائيلي بوصفها، «معلومات اضافية خاصة بالحادث الذي وقع امس مع السفينة الامريكية».

النقطة الاولى ـ شوهدت السفينة وتم التعرف عليها كسفينة تابعة للبحرية على بعد ١٣ ميلا من الشاطىء.

تعليق ـ في الساعة ٠٨,٤٩ من يوم ٨ يونيو/حزيران كانت ليبرتي تبحر في المياه الدولية في مسار متواز بشكل عام مع ساحل الجمهورية العربية المتحدة. وفي احدى النقاط كانت السفينة، في الحقيقة، على بعد ١٣،٦ ميلا من الساحل.

النقطة الثانية ـ وجود (سفينة تابعة لبحرية دولة محايدة) في منطقة قتال يعتبر منافيا للعرف الدولي.

تعليق ـ واجبات الدولة المحايدة بموجب القانون الدولي لا تشتمل على واجب يفرض عليها ضمان سفنها او الاشخاص التابعين لها أن يتركوا أو يمتنعوا عن دخول منطقة الحرب او اي منطقة قريبة منها. إن من حق مواطني القطر المحايد الذين يصدف ان يتواجدوا في منطقة الحرب ان يحتفظوا، برغم ذلك، بحقهم في الحصول على حماية دولتهم المحايدة، وعلى الطرف المحارب ان يمنح المبعوثين الدبلوماسيين المحايدين ـ بما في ذلك اولئك المبعوثين الى دولة العدو ـ حق مغادرة المنطقة دون التعرض للمضايقة. وللدولة المحايدة، في هذا الصدد وحده، سبب شرعي وحق قانوني لارسال سفينة الى المياه الدولية المجاورة الى منطقة الحرب ايفاءاً بالتزاماتها لحماية مواطنيها ولاجلاء اولئك الذين يرغبون في الجلاء. وكانت تلك هي المهمة التي عملت سفينة الولايات المتحدة ليبرتي على القيام بها. وعلى العكس من ان يكون ذلك مناف للعرف الدولي، فإن وجود سفينة محايدة، فقط للقيام بمثل مهمة ليبرتي، لامر عادي، إن لم يكن عالميا، بالنسبة للمواقف ذات العلاقة باندلاع الحرب. وما دامت مثل هذه السفينة تحافظ على مسلكها الحيادي، فإن من واجب كل طرف مشارك في الحرب ان يمتنع عن الهجوم عليها. وإذا قامت مثل هذه السفينة المحايدة بعمل ما لصد هجوم عسكري غير شرعي شن عليها بالقوة، وحيث لم تكن السفينة المحايدة هي البادئة بالهجوم،

فانه لا يشكل عملا عدائيا ضد الطرف المشارك في الحرب ولا يشكل تخليا عن الحياد او خرقا له.

النقطة الثالثة ـ المنطقة (التي كانت تبحر فيها ليبرتي عندما هوجمت) ليست ممرا عاديا للسفن.

تعليق ـ إذا سلمنا ضمنا بالافتراض وهو ان سفينة الطرف المحايد تبحر في مياه دولية، فإن موضوع ما إذا كانت هذه المياه ممرا عاديا ام لا مسألة لا صلة لها إطلاقا بحقها في ان تكون هناك.

النقطة الرابعة ـ مصر (وهي الطرف المحارب المضاد) قد اعلنت المنطقة (حيث كانت تبحر ليبرتي حين هوجمت) مقفولة بالنسبة للمحايدين.

التعليق ـ إن لقفل مياه مجاورة معينة، بما في ذلك تلك المياه التي كانت تعتبر فيما عدا ذلك اعالي البحار، له سوابق في التاريخ كممارسة حربية، وعلى الخصوص في الحربين الاولى والثانية حينما اعلنت معظم الاطراف المتحاربة بما في ذلك الولايات المتحدة مناطق حرب ومناطق عسكرية ومناطق بحرية دفاعية او عندما حاولت قفل هذه المناطق تماما [طبق الاصل] والتقليص الى اقصى حد من مرور المحايدين فيها. وكان موقف الولايات المتحدة الثابت هو الاحتفاظ عموما بكل حقوقها في مقدمة الاتفاقيات، بما في ذلك الحق، ليس فقط في الارتياب في شرعية مثل « مناطق الحرب هذه » ولكن للتقدم بمطالب ودعاوى لها علاقة باي مصالح امريكية قد تتأثر بصورة غير مشروعة، بشكل مباشر او غير مباشر بسبب فرض ذلك الحظر. وكإفتراض عام، فإن قفل او محاولة الحد من إستخدام اي جزء من اعالي البحار لم يتم الاعتراف به في القانون الدولي كحق للطرف المحارب.

النقطة الخامسة ـ ليبرتي تشبه سفينة الامدادات المصرية القصير.

التعليق ـ في حين ان السفينة القصير لا تشبه ليبرتي إلا بشكل سطحي طفيف جدا، فإنها تشبه بصورة اكبر اغلبية سفن الشحن البخارية القديمة العاملة في المحيطات. « فالقصير » يقل حجمها عن نصف حجم ليبرتي، وتنقصها شبكة الهوائيات المعقدة والعلامة المميزة على جسم ليبرتي. وبالاضافة الى ذلك فإن الأقسام المبنية فوق سطح السفينة الرئيسي مختلفة تماما، وهذه سمة اساسية للتعرف على السفن التجارية. وإذا كان هذا المقياس مبررا للهجوم فان اي سفينة تشبه « القصير » ستكون معرضة للخطر.

النقطة السادسة ـ لم تكن السفينة ترفع العلم عندما شوهدت وكانت تبحر بسرعة عالية في إتجاه الغرب نحو ساحل العدو.

التعليق ـ كان يرفرف على سارية ليبرتي علم امريكي حجمه ٩ (٥ اقدام × ٨ اقدام تقريبا) طوال فترة صباح يوم ٨ يونيو/ حزيران والى ان اطلقت عليه النار واسقط في الهجوم الجوي الاسرائيلي. وقبل الهجوم الطوربيدي بخمس دقائق على الاقل، رفع على صاري السفينة علم حجمه ٧ (٧ اقدام × ١٣ قدما تقريبا). وعند الساعة ٠٨,٤٩ غيرت ليبرتي اتجاهها من ١٣٠ الى ٢٥٣ درجة. وعند الساعة ٠٩,٠٥ خفضت ليبرتي سرعتها الى خمس عقد وواصلت ابحارها بتلك السرعة الى ما بعد الهجوم الجوي الاولي. وعند الساعة ١١,٣٢ غيرت ليبرتي اتجاهها الى ٢٨٣ درجة وواصلت الابحار في هذا الاتجاه الى ما بعد الهجوم عليها.

النقطة السابعة ـ لدى بحرية جيش الدفاع الاسرائيلي تقارير سابقة حول قصف العريش من البحر.

التعليق ـ لا يصدق ان تربط بحرية جيش الدفاع الاسرائيلي او سلاح طيرانه بين ليبرتي ومدافعها الرشاشة الاربعة من عيار [طبق الاصل] ٥٠ ملم او القصير المزودة بمدفعين من عيار ثلاثة ارطال وقصف الشاطىء.

الملحق ل

رسالة القائد الى الاسطول السادس

روتين
الساعة ٥٤؟٢ من ١٧ يونيو/ حزيران ١٩٦٧
من: قائد الاسطول السادس
الى: الاسطول السادس

غير سري

١ ـ إستجابة للحرب العربية الاسرائيلية، وضع الاسطول السادس في حالة إستعداد قصوى في الاسابيع الثلاثة الماضية. لقد كنتم على استعداد للقيام بأية مهمة، إنسانية كانت ام قتالية، تطلب حكومتنا منا اداءها. وكان استعدادكم واستجابتكم مرضية للغاية.

٢ ـ وعندما هوجمت ليبرتي عن طريق الخطأ، اطلقت طائراتكم في ظرف لحظات، مزودة تماما بالاسلحة ومستعدة للدفاع عنها. وقد قضى رجال مدفعيتكم ساعات طويلة في الحراسات وقد كان مما يبعث على الاطمئنان ان اعرف انهم كانوا في كل الاوقات على اهبة الاستعداد للدفاع عن هذا الاسطول. وقد اظهر قادة المدمرات شجاعة، ومهارة وحكما سليما عندما حالوا بين المتطفلين السوفييت الوقحين وبين اختراق تشكيلاتنا. لقد انفقنا الكثير من اوقاتنا في الابحار بسرعات عالية وإنني لادرك الساعات الاضافية التي عملها مهندسونا لتشغيل المحركات. وكان رجال اتصالاتكم البصرية والسمعية على حد سواء متيقظين بشكل خاص، كما كان المراقبون في مقصورة القيادة اذكياء في تنفيذ التعليمات التي تصلهم بالاشارات. وباختصار، كانت كل العناصر مستعدة وراغبة وقادرة.

٣ ـ إنني اتقدم بأسمى آيات الثناء للاسطول السادس وانا فخور بكل رجل فيه بسبب حسن ادائهم الفني اثناء تلك الاسابيع الماضية الصعبة. لقد ابليتم بلاءاً حسنا.

الفريق البحري مارتن

الملحق ن

مقتطف من
إستعراض إتصالات وزارة الدفاع
على نطاق العالم، المرحلة الاولى

الاتصالات الخاصة بسفينة الولايات المتحدة ليبرتي
٧ - ٨ يونيو/ حزيران، ١٩٦٧

نشب القتال بين إسرائيل والجمهورية العربية المتحدة في الخامس من يونيو/حزيران عام ١٩٦٧. وفي اليوم نفسه وعند الساعة ٢٠,١٥، امر قائد الاسطول السادس كل وحداته البحرية والجوية بالابتعاد ١٠٠ ميل على الاقل عن سواحل الدولتين المتحاربتين. وحين اصدر ذلك الامر لم تكن ليبرتي قد الحقت بالاسطول السادس، ولكنها كانت تابعة لادارة عمليات القائد العام في اوروبا. وفي السابع من يونيو/حزيران وعند الساعة ٠٠,٠١ نقلت ليبرتي الى إدارة عمليات الاسطول السادس. وفي الوقت الذي تم فيه تحويلها، وجهت اوامر عملياتها المؤرخة في اول يونيو/حزيران بان اقرب مسافة مسموح بها للاقتراب من سواحل الجمهورية العربية المتحدة هي اثنا عشر ميلا بحريا، في حين انه ما كان من الممكن ان تقترب من سواحل إسرائيل باكثر من ستة اميال بحرية ونصف الميل. ولم يتخذ قائد الاسطول السادس اي اجراء في اليوم السابع من يونيو/حزيران ليجعل ليبرتي تلتزم بهذا الامر الذي صدر من قبل الى جميع وحدات الاسطول السادس البحرية والجوية.

وبعد ظهر السابع من يونيو/حزيران قررت هيئة رؤساء الاركان المشتركة تغيير موقع ليبرتي وتحريكها الى مسافة ابعد عن ساحل الدولتين المتحاربتين. ولتنفيذ ذلك القرار، وجهت خمس رسائل من هيئة رؤساء الاركان المشتركة والقادة الامريكيين في اوروبا الى ليبرتي وعناوين اخرى. وحتى الساعة ١٢,٠٠ بتوقيت غرينتش من اليوم الثامن من يونيو/حزيران اي بعد ثلاث عشرة ساعة ونصف الساعة من لحظة توجيه الرسالة الاولى، لم تصل الى ليبرتي اي منها. وتشكل الظروف التي احاطت بالخطأ في الارسال وفقدان وتأخر

وصول تلك الرسائل اسوأ فشل في الاتصالات في تاريخ وزارة الدفاع الامريكية.

ستناقش هذه الرسائل الخمس تباعا. وستميز كل رسالة بتاريخها وساعة إرسالها مع توضيح الشهر والسنة. وفي وقت وقوع حادث ليبرتي، لم يشكل التاريخ والوقت إنعكاسا صحيحا للوقت الذي وجهت فيه الرسالة من المرسل في مركز الاتصالات، مع ان الفارق في الوقت في معظم الحالات لم يزد عن بضع دقائق. مثلا رسالة هيئة رؤساء الاركان المشتركة في ٧ يونيو/حزيران الساعة ٢٢,٣٠ بتوقيت غرينتش وجهت الى مركز الاتصالات في ٧ يونيو الساعة ٢٢,٤١ بتوقيت غرينتش وتشتمل كل مجموعة تاريخ ووقت الارسال والحرف Z الذي يحدد توقيت غرينتش، وهكذا فإن التوقيت موحد.

رسالة هيئة رؤساء الاركان المشتركة
في ٧ يونيو/ حزيران الساعة ٢٢,٣٠ بتوقيت غرينتش ١٩٦٧
الى قائد العام للقوات الاوروبية

اشتملت هذه الرسالة على اول توجيه من هيئة رؤساء الاركان المشتركة الخاصة بتحديد موقع جديد لليبرتي. وكانت الرسالة موجهة الى القائد العام للقوات الاوروبية لاتخاذ الاجراء وقد ارسلت نسخ من الرسالة للعلم معنونة الى القائد العام للقوات البحرية في اوروبا، وقائد الاسطول السادس وقائد قوات المهام الخاصة ٦٤، وليبرتي وآخرين. وقد عدلت هذه الرسالة اوامر العمليات الخاصة بليبرتي بتوجيهها بان تكون اقرب مسافة بينها وبين سواحل الجمهورية العربية المتحدة وإسرائيل هي ٢٠ ميل بحري و١٥ ميل بحري بدلا من ١٢,٥ و٦,٥ ميلا بحريا على التوالي.

خرجت الرسالة من هيئة رؤساء الاركان المشتركة الى محطة إتصالات الجيش، في وزارة الدفاع، لتحول عند الساعة ٢٢,٤١ بتوقيت غرينتش في السابع من يونيو/حزيران. ولم تحول رسالة التنفيذ من محطة إتصالات الجيش الى القائد العام في اوروبا إلا عند الساعة ١٢,٥٥ بتوقيت غرينتش في الثامن من يونيو/حزيران، اي بعد اربع عشرة ساعة بعد استلامها في المحطة. اما النسختان اللتان ارسلتا للعلم الى قائد قوات المهام الخاصة ـ ٦٧ (١) والسفينة ليبرتي فلم تحولا الا عند الساعة ١٣,١٥ بتوقيت غرينتش في الثامن من يونيو/حزيران، ثم وجهتا عن طريق الخطأ الى محطة الاتصالات بالفلبين. ومن تلك

(١) أطلعت وزارة الدفاع اللجنة الفرعية بأن الرسالة الأصلية كانت موجهة الى قائد قوة المهام الخاصة ٦٤ إلا أن خطأً ظاهرا ارتكبه عامل التلغراف أدى الى توجيهها الى قائد قوة المهام الخاصة ٦٧ عندما كانت تحضر للتحويل.

المحطة، حولت الرسالتان الى محطة الاتصالات البحرية، في اسمرا، حيث اذيعتا من محطة اذاعة الاسطول عند الساعة ٢١,٣٥ بتوقيت غرينتش في الثامن من يونيو/حزيران، اي بعد ثلاث وعشرين ساعة من وقت توجيه الرسالة وبعد تسع ساعات ونصف الساعة من الهجوم على ليبرتي.

وقد فقدت هذه الرسالة شيئا من اهميتها لانها الغيت برسائل اخرى صدرت عن هيئة رؤساء الاركان المشتركة نوردها في القسم التالي.

من هيئة رؤساء الاركان المشتركة
في ٨ يونيو/ حزيران الساعة ٠١,١٠ بتوقيت غرينتش ١٩٦٧
الى القائد العام في اوروبا

محادثة تلفونية اولية

بعد ساعة وتسع دقائق من التصريح بتحويل الرسالة الصادرة في ٧ يونيو الساعة ٢٢,٣٠ بتوقيت غرينتش، اصبحت هيئة رؤساء الاركان اكثر قلقا حول موضوع اعادة تحديد موقع ليبرتي وقررت ان مسافة عشرين وخمسة عشر ميلا بحريا قريبة جدا من سواحل الجمهورية العربية المتحدة وإسرائيل إذا ما اريد ضمان سلامة السفينة. وفي الساعة ٢٣,٥٠ بتوقيت غرينتش في السابع من يونيو، اجرى ممثل لهيئة رؤساء الاركان المشتركة محادثة تلفونية مع الضابط المكلف بالخدمة في مركز القيادة في مقر القائد العام لقوات الولايات المتحدة البحرية في اوروبا. وصدر في تلك المحادثة توجيه شفوي الى الضابط المكلف بالخدمة في مقر القائد العام لقوات الولايات المتحدة البحرية في اوروبا ليأمر ليبرتي بعدم الاقتراب باقل من مائة ميل بحري من سواحل الدولتين المتحاربتين. كما اخبر الضابط المكلف بالخدمة في مقر القائد العام لقوات الولايات المتحدة البحرية في اوروبا ان رسالة تؤيد التوجيه الشفوي يجري إعدادها في مقر رئاسة القائد العام لقوات الولايات المتحدة البحرية في اوروبا وسترسل الى قائد الاسطول السادس، ولكن ورغم طابع الاستعجال الذي اوحت به محادثة هيئة رؤساء الاركان المشتركة التلفونية، فقد اخر تحويل الرسالة الى ان استلمت رسالة الاخطار الرسمية من هيئة رؤساء الاركان المشتركة.

رسالة رسمية.

لم يصرح بتحويل رسالة التأييد الموعود بها من هيئة رؤساء الاركان المشتركة الا في الساعة ٠١,١٠ بتوقيت غرينتش من ٨ يونيو/حزيران اي بعد اكثر من ساعة من المحادثة التلفونية التي اجريت مع مقر القيادة العامة لقوات الولايات المتحدة البحرية في اوروبا.

وليس لهذا التأخير اهمية ما دامت هيئة رؤساء الاركان المشتركة كانت تتوقع إستجابة فورية وذكية للتوجيه الذي اصدرته بالتلفون. إن هذه الرسالة المرقمة: هيئة رؤساء الاركان المشتركة ٨ يونيو/حزيران الساعة ٠١,١٠ بتوقيت غرينتش، قد الغت الرسالة السابقة المرقمة: هيئة رؤساء الأركان المشتركة ٧ يونيو/حزيران الساعة ٢٢,٣٠ بتوقيت غرينتش، ووجهت بأن تبقى ليبرتي على بعد مائة ميل بحري على الاقل من سواحل الدولتين المتحاربتين.

اعطيت هذه الرسالة اسبقية فورية (٢)، في حين ان رسالة الساعة ٢٢,٣٠ بتوقيت غرينتش قد اعطيت افضلية فقط، وهكذا اتضح قلق رؤساء الاركان فيما يتعلق بإعادة تحديد موقع جديد لليبرتي. وقد سمح بتحويل هذه الرسالة ايضا الى محطة إتصالات الجيش في وزارة الدفاع الامريكية لتقوم بتحويلها بدورها. ومرة اخرى حولت نسخة التنفيذ من هذه الرسالة الى القائد العام في اوروبا كما وجهت نسخ للعلم الى القائد العام لقوات الولايات المتحدة البحرية في اوروبا وقائد الاسطول السادس وقائد قوات المهام الخاصة ٦٤ والسفينة ليبرتي من بين عناوين اخرى. وحدث تأخير مدته اربع واربعون دقيقة في محطة إتصالات الجيش في وزارة الدفاع الامريكية قبل تحويل الرسالة الى القائد العام في اوروبا، وهو الجهة التي طلب اليها تنفيذ الامر، في ٨ يونيو الساعة ٠٢,١١ بتوقيت غرينتش. وقد قال اللواء بحري فرانسيس فيتزباتريك، مساعد رئيس العمليات البحرية للاتصالات عندما ادلى بشهادته امام اللجنة الفرعية انه يعتقد ان تأخيرا مدته اربع واربعون دقيقة لتحويل رسالة بهذا القصر يعتبر مغالى فيه.

إن تأخير إرسال نسخة هذه الرسالة الخاصة بتنفيذ الامر ليس مهما إذا ما قورن بالطريقة المؤسفة التي عولجت بها نسختاها اللتان حولتا للعلم معنونتين الى قائد قوات المهام الخاصة ٦٤ والسفينة ليبرتي. لقد حدث اولا تأخير مدته ساعتين وثلاث وعشرون دقيقة قبل ان تخرج هاتان الرسالتان من مركز إتصالات الجيش في وزارة الدفاع الامريكية في ٨ يونيو الساعة ٠٣,٥٠ بتوقيت غرينتش. والتفسير الوحيد لهذا التأخير هو ان رسائل بذات الاهمية او اكثر أهمية كانت تنتظر التحويل قبل وصول تلك الرسالة الى المركز. وعجزت وزارة الدفاع، على كل حال، عن تقديم اي دليل موثق يؤيد هذا التفسير الى اللجنة الفرعية.

وفي النهاية حولت نسختا هذه الرسالة المرسلتان للعلم والمعنونتان الى السفينة ليبرتي قائد

(٢) هناك أربع تصنيفات أسبقية للرسائل في وزارة الدفاع: الرسالة العاجلة والرسالة الفورية ورسالة الأفضلية والرسالة العادية بالترتيب التنازلي. وتشير هذه التصنيفات الى درجة السرعة المرغوبة لابلاغ الرسالة، وتستخدم كمرشد لموظفي تشغيل التلغراف في معالجة تحويل وإبلاغ الرسالة.

قوات المهام الخاصة ٦٤ عند الساعة ٠٣,٥٠ بتوقيت غرينتش، ولكن ومرة اخرى وجهت الرسالتان الى محطة الاتصالات البحرية في الفلبين بدلا من البحر الابيض المتوسط حيث توجد الجهتان اللتان عنونتا اليهما. وافاد شاهد امام اللجنة الفرعية بان تحويل الرسالتين الى الوجهة الخاطئة كان بسبب مؤشر توجيه خاطىء وضعه على الرسالة موظف مدني في مركز إتصالات الجيش في وزارة الدفاع الامريكية. وقد ادرك الخطأ عند وصول الرسالة الى محطة الاتصالات البحرية في الفلبين وصحح وحولت الرسالة الى محطة الاتصالات البحرية في المغرب في غضون ساعة. وكان من المفروض ان يتم تصحيح المسار الخاطىء بتحويل الرسالتين الى الجهتين المعنيتين في البحر الابيض المتوسط، لولا ان وجهتا لتمرا عبر محطة إتصالات الجيش في وزارة الدفاع.

وبدلا من تحويل الرسالتين الى محطة الاتصالات البحرية في المغرب ارسلتا الى وكالة الامن القومي في فورت ميد بميريلاند حيث حفظتا دون اتخاذ اجراء آخر. والتفسير الوحيد الذي قدم لهذا المسلك الذي لا يغتفر هو ان موظفا كتابيا اخطأ قراءة المؤشر التوجيهي. وغني عن القول ان هاتين الرسالتين لم تصلا ابدا الى السفينة ليبرتي او قائد قوات المهام الخاصة ٦٤ عند الساعة ١٢,٠٠ بتوقيت غرينتش في الثامن من يونيو/حزيران ١٩٦٧.

رسالة القائد العام للقوات الأمريكية في أوروبا
في ٨ حزيران (يونيو) ١٩٦٧ الساعة ٦,٢٥ بتوقيت غرينتش
الى القائد العام للقوات البحرية الأمريكية في أوروبا

وصلت رسالة هيئة رؤساء الاركان المشتركة المؤرخة في ٨ حزيران (يونيو) الساعة ٠١,١٠ بتوقيت غرينتش الى مقر القائد العام للقوات في أوروبا عند الساعة ٠٢,١٢ بتوقيت غرينتش، في الثامن من حزيران (يونيو). وفي مكالمة هاتفية مع مقر القائد العام للقوات البحرية الأمريكية في أوروبا عند الساعة ٠٣,٢٥ بتوقيت غرينتش، صدر عن مقر القيادة العامة للقوات في أوروبا التوجيهات الى القائد العام للقوات البحرية الأمريكية في أوروبا لتنفيذ ما ورد في رسالة هيئة رؤساء الاركان المشتركة. وثبت ذلك الأمر الذي صدر شفويا برسالة رسمية وجهت الى القائد العام للقوات البحرية الأمريكية في أوروبا للتنفيذ، مع إرسال نسخ بالمعلومات الى قائد الأسطول، والى السفينة ليبرتي الأمريكية وغيرهم. وبالرغم من ذلك لم يسمح بنشر الرسالة الرسمية حتى الساعة ٠٦,٢٥ بتوقيت غرينتش. ولم تقدم أية تفسيرات حول التأخير لمدة ثلاث ساعات في تحضير الرسالة في مقر القائد العام للقوات في أوروبا. وجرى تأخير اضافي إستغرق ٤٦ دقيقة في مركز تحويل الرسائل في مقر القائد العام للقوات في أوروبا قبل تحويل الرسالة.

وللتأكد من وصول هذه الرسالة الى المرسلة إليهم، تم تحويلها في الوقت نفسه على خطي ترحيل متناوبين. ولقد توضحت بسرعة ضرورة استخدام التحويل التناوبي من جراء فقدان الرسالة في محطة الترحيل التابعة لنظام الاتصالات الدفاعية الخاصة بالجيش في بيرماسنز، في ألمانيا، وهي المحطة الأولى التي يمر عبرها أحد خطوط التحويل. ونتيجة لفقدان الرسالة، لم يجر أي تحويل إضافي لتلك النسخة عنها. وكان التوضيح الذي قدم بشأن فقدان تلك الرسالة أن المحطة [التي أزيلت] كانت تشغل في ظل مجموعة من الظروف المعاكسة الناجمة عن تعزيز الأوامر وإعادة تحديد مواقع الوحدات من فرنسا. ونجم عن إعادة تحديد مواقع الوحدات الواسع النطاق وإعادة فسخ دارات الطبع عن بعد ازدحام كبير في حركة مرور الاشارات الصوتية. ولم يكن عدد الموظفين المؤهلين كافيا لتأمين معالجة خالية من الأخطاء لمرور الاشارات الصوتية.

ولقد نجح خط التحويل الثاني في إبلاغ الرسالة الى القائد العام للقوات البحرية الأمريكية في أوروبا، والى قائد الأسطول السادس عند الساعة ٠٧,٣٥ بتوقيت غرينتش في [الثامن] من حزيران (يونيو). ولكن نسخة المعلومات الموجهة الى السفينة ليبرتي الأمريكية كان يجب أن تمر عبر محطات ترحيل إضافية قبل أن يكون بثها ممكنا من إذاعة الأسطول كي تبلغ السفينة ليبرتي الأمريكية. ولقد استغرق مرور نسخة المعلومات في هذا الخط المتعرج عبر محطات الترحيل تسع ساعات إضافية. وفي تلك الأثناء حدث تأخير استغرق مدة طويلة داخل المحطة لمعالجة الرسالة، كما كان هناك تأخير لأكثر من ساعتين ونصف في نقل الرسالة من محطة اتصالات نظام الاتصالات الدفاعية الخاصة بالجيش في أسمرا الى محطة الاتصالات الخاصة بالبحرية التي تقع على بعد ميل واحد من محطة الجيش. وأخيرا، بثت الرسالة من إذاعة الأسطول عند الساعة ١٦,٤٦ بتوقيت غرينتش، في الثامن من حزيران (يونيو) (٣)، في الوقت الذي كانت فيه السفينة ليبرتي الأمريكية تبحر ببطء عائدة الى المرفأ وهي تحمل الموتى والجرحى ومصابة بأضرار جسيمة الى حد أنه تم التخلص منها لاحقا.

(٣) بثت نسخة مشوشة عن هذه الرسالة من إذاعة الأسطول عند الساعة ١٠,٥٩ بتوقيت غرينتش، في الثامن من حزيران (يونيو)، وكان هناك بعض التساؤل عما إذا تسلمتها السفينة ليبرتي الأمريكية. ولكن، حسبما أدلى به العميد بحري فيتزباتريك: « إنه لموضع نقاش ما إذا كانت السفينة تسلمت الرسالة، أو لم تتسلمها، وذلك لسببين: الأول أنه إذا تسلمتها بالفعل، فربما لم يكن هناك أي فائدة لها منها، والثاني أنه حتى لو تسلمتها، فلن يستخرج منها أي شيء منطقي لأن كل ما جاء فيها هو اتخاذ الاجراءات بموجب رسالة أخرى صادرة عن هيئة رؤساء الأركان المشتركة، وذكر شيء عن قائد آخر، وعن قائدها. ولم يكن يعرف من هم على متن السفينة مضمون تلك الرسالة الاخرى. هذا لأنه، كما نعرف، تلك الرسالة الأخرى الصادرة عن هيئة رؤساء الاركان المشتركة والتي وصلتهم نسخة المعلومات عنها لم تبلغهم».

رسالة القائد العام للقوات البحرية الأمريكية في أوروبا المؤرخة في ٨ حزيران (يونيو) ١٩٦٧ الساعة ٠٤,٥٥ بتوقيت غرينتش الى قائد الأسطول السادس

وصلت مقر القائد العام للقوات البحرية الأمريكية في أوروبا ثلاث رسائل منفصلة تتضمن توجيهات بإعادة تحديد موقع السفينة ليبرتي الأمريكية. وكانت هذه الرسائل والتوقيت الذي وصلت فيه كالآتي:

(أ) مكالمة هاتفية من مركز الاستطلاع الخاص بهيئة رؤساء الاركان المشتركة عند الساعة ٢٣,٥٠ بتوقيت غرينتش، في السابع من حزيران (يونيو).

(ب) نسخة المعلومات عن رسالة هيئة رؤساء الاركان المشتركة الصادرة في ٨ حزيران (يونيو) الساعة ٠١,١٠ بتوقيت غرينتش، التي وصلت مقر القائد العام للقوات البحرية الأمريكية في أوروبا عند الساعة ٠٣,١٢ بتوقيت غرينتش، في الثامن من حزيران (يونيو).

(ج) مكالمة هاتفية من قائد القوات في أوروبا عند الساعة ٠٣,٢٥ بتوقيت غرينتش، في الثامن من حزيران (يونيو).

وبالرغم من الالحاحية التي يجب أن تكون قد اتضحت حتى ذلك الحين، لم تتخذ أية اجراءات في مقر القائد العام للقوات البحرية الأمريكية في أوروبا لأكثر من ثلاث ساعات ونصف بعد تسلم المكالمة الهاتفية الأولى. ولم يتخذ مقر القائد العام للقوات البحرية الأمريكية في أوروبا الاجراءات حتى بعد تسلم المكالمة الهاتفية من القائد العام للقوات في أوروبا عند الساعة ٠٣,٢٥ بتوقيت غرينتش، في الثامن من حزيران (يونيو). وفي ذلك الوقت أصدر ضابط الخدمة توجيهات بإقامة مؤتمر عن بعد مع قائد الأسطول السادس. فأنشأ الاتصال عبر الدارة لاقامة المؤتمر، وعند الساعة ٠٤,٤٥ بتوقيت غرينتش، اعترف قائد الأسطول السادس بتسلم أمر اتخاذ الاجراءات بموجب رسالة هيئة رؤساء الاركان المشتركة. وقد جرى التأكيد على الأمر الصادر عن طريق الرسالة الرسمية للقائد العام للقوات البحرية الأمريكية في أوروبا المؤرخة في ٨ حزيران (يونيو) الساعة ٠٤,٥٥ بتوقيت غرينتش، التي تسلمها قائد الأسطول السادس عند الساعة ٠٥,١٨ بتوقيت غرينتش، في الثامن من حزيران (يونيو).

ولسبب ما لا يمكن تفسيره، لم يتم إطلاع السفينة ليبرتي الأمريكية على أي من هذه الرسائل الموجهة الى قائد الأسطول السادس.

رسالة قائد الاسطول السادس المؤرخة في ٨ حزيران (يونيو) ١٩٦٧ الساعة ٠٩,١٧ بتوقيت غرينتش الى السفينة ليبرتي الأمريكية

ولدى استلام الرسائل من القائد العام للقوات البحرية الأمريكية في أوروبا لم يبق أمام قائد الأسطول السادس إلا إصدار أمر الى السفينة ليبرتي الأمريكية بالامتثال بأدنى حد من التوجيهات الصادرة عن هيئة رؤساء الأركان المشتركة. وبالرغم من ذلك، لم يصدر قائد الأسطول السادس رسالته بشأن اتخاذ الاجراءات، الموجهة الى السفينة ليبرتي الأمريكية حتى بعد الساعة ٠٩,١٧ بتوقيت غرينتش، في الثامن من حزيران (يونيو)، أي بعد أكثر من أربع ساعات من تلقيه الأمر. وبالرغم من أن رؤساء قائد الأسطول السادس قد أبدوا اهتمامهم بوضوح حول إعادة تحديد موقع السفينة ليبرتي الأمريكية عن طريق المكالمات الهاتفية التي أعطته إشعارا مسبقا بالأمر، فقد اختار ألا يستخدم الدارة الصوتية عندما بلغ السفينة بالأمر. وبدلا من ذلك استخدم نظام الاتصالات العادي لتحويل رسالته.

وبعد إصدار تلك الرسالة الى مركز الاتصالات على متن سفينة القيادة التابعة للأسطول السادس، ليتل روك الأمريكية، حدث تأخير لأكثر من ساعة وربع قبل وقت تحويلها عند الساعة ١٠,٣٥ بتوقيت غرينتش. والايضاحات عن ذلك التأخير هي أنه كان هناك رسالة عاجلة وسبع رسائل فورية تحضر للتحويل في الوقت الذي تم فيه تسلم الرسالة في مركز تحويل الرسائل على متن السفينة ليتل روك الأمريكية. ووصلت الرسالة الى محطة نظام الاتصالات الدفاعية الخاصة بالجيش في أسمرا عند الساعة ١٢,٠٠ بتوقيت غرينتش، في الثامن من حزيران (يونيو). وبدلا من أن ترسلها هذه المحطة الى محطة البحرية القريبة كي تذاع عبر إذاعة الأسطول، أرسلتها بالخطأ الى محطة اتصالات البحرية في اليونان. وهكذا أعيدت الرسالة الى محطة نظام الاتصالات الدفاعية الخاصة بالجيش في أسمرا، وبعثت أخيرا الى محطة الاتصالات البحرية عند الساعة ١٥,١٠ بتوقيت غرينتش، في الثامن من حزيران (يونيو)، أي بعد أن أصدرها قائد الأسطول السادس بست ساعات وثماني دقائق، وبعد أكثر من عشر ساعات من تلقيه الأمر باتخاذ الاجراءات بموجب تعليمات هيئة رؤساء الاركان المشتركة. ولقد تم بث الرسالة من إذاعة الأسطول عند الساعة ١٥,٢٥ بتوقيت غرينتش، في الثامن من حزيران (يونيو)، وكان ذلك الوقت متأخرا جدا، بمقدار اكثر من ثلاث ساعات، عن الموعد المناسب لتنبيه السفينة ليبرتي الأمريكية الى خطر موقعها.

إن الظروف المحيطة بتحويل هذه الرسائل الخمسة يمكن ان تعتبر بمثابة كوميديا من الأخطاء لو لم تنجم عواقب مأساوية عن الفشل في تغيير موقع السفينة ليبرتي الأمريكية. فعند الساعة ١٢,١٠ بتوقيت غرينتش، في الثامن من حزيران (يونيو)، عام ١٩٦٧ هوجمت السفينة ليبرتي الأمريكية بواسطة الطائرات الاسرائيلية، وعند الساعة ١٢,٣٥

بتوقيت غرينتش، قصفت بصواريخ الطوربيد بواسطة زوارق الدورية الاسرائيلية. ونتيجة لهذه الهجمات قتل ثلاثة وأربعون ضابطا ورجلا بينما جرح خمسة وسبعون، وتكبدت السفينة أضرارا بالغة الى حد أنها لم تعد صالحة للخدمة على الاطلاق. وفي الوقت الذي حدثت فيه هذه الهجمات لم تتلق السفينة ليبرتي الأمريكية، دون خطأ صدر عنها، أيا من الرسائل التي سبق وصفها. ولو كان نظام الاتصالات يستجيب للنداء لتوافرت لها ساعات عديدة من الوقت كانت خلالها قد وجدت لنفسها موقعا يبعدها مسافة معينة عن الشاطىء حيث كان يمكنها ان تتجنب الهجوم.

الملحق ف

قرار رابطة المحاربين الامريكيين
المؤتمر القومي التاسع والاربعون لرابطة المحاربين الامريكيين
٢٩- ٣٠- ٣١ اغسطس/ آب ١٩٦٧
القرار رقم: ٥٠٨

اللجنة: الشؤون الخارجية
الموضوع: حادث سفينة الولايات المتحدة ليبرتي

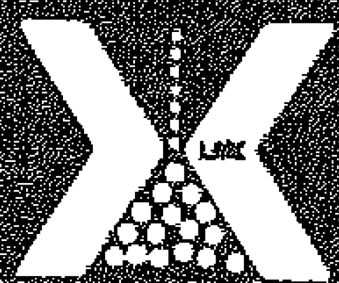
حيث انه في اليوم الثامن من شهر اغسطس/ آب من عام ١٩٦٧، كانت السفينة الامريكية ليبرتي - اثناء عملها في المياه الدولية في شرقي البحر الابيض المتوسط - هدفا لهجوم يبدو انه كان متعمدا قامت به طائرات اسرائيل الحربية وزوارقها الطوربيدية، وحيث ان هذا الهجوم الذي لم يكن له مسوغ وتم دون استفزاز قد اسفر عن مقتل اربعة وثلاثين من بحارة ليبرتي وجرح خمسة وسبعين آخرين من افراد بحرية الولايات المتحدة الذين كانوا على متنها، بالاضافة إلى إلحاق اضرار واسعة النطاق بالسفينة. وحيث ان التحقيق الرسمي الذي اجرته حكومة الولايات المتحدة قد اخفى الملابسات المحيطة بالحادث، بما في ذلك حقيقة ان السفينة كانت «تحمل بوضوح العلامات المميزة لجنسيتها وهويتها وتبحر في مياه هادئة وطقس صاف» عندما هوجمت، ولكن يخفق التقرير المنشور في مد الجمهور الامريكي باجابة مقنعة لسبب الهجوم. لذلك قررت رابطة المحاربين

الامريكيين في المؤتمر القومي المنعقد في بوسطن، ماساشيوتس، في ايام التاسع والعشرين والثلاثين والحادي والثلاثين من شهر اغسطس/ آب من عام ١٩٦٧، ان رابطة المحاربين الامريكيين تدين وتندد بهجوم اسرائيل الذي ينم عن عدم المسؤولية على السفينة ليبرتي، وهي سفينة امريكية وبحارتها امريكيون وقد تقرر ايضا ان رابطة المحاربين الامريكيين تصر على ان تجري الحكومة الامريكية تحقيقا كاملا وشاملا حول هذا الحادث، على ان تذاع نتائجه بقدر ما تسمح به ظروف الامن وتقرر ايضا ان تطلب حكومة الولايات المتحدة من الحكومة الاسرائيلية ان تدفع بالكامل:

(١) تعويضا لاقرب اقرباء المتوفين،

(٢) تعويضا للجرحى عن الاصابات والعاهات الناتجة عن الاصابات،

(٣) وتعويضا عن الاضرار التي لحقت بممتلكات الولايات المتحدة.



مؤسسة الأبحاث اللغوية